تحفة العروس

المنهاج في آداب العشرة والزواج

تأليف

محمد الدرديري

دار الإيمان

الإسكندرية

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

تحفة العروس

المنهاج في آداب العشرة والزواج

تأليف

محمد الدرديري

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٢٢٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

جميع الحقوق محفوظة

رقم الايداع
٩٥٧٨ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي
977-331-410-3

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

إهداء

إلى أمي الحبيبة الغالية التي سهرت لأنام، وعانت لأستريح، وأعطتني من حبها ووجدانها، ما جعلني أعجز عن الوفاء بحقها، فعند الله وحده جزاؤها وثوابها، فاللهمَّ اجزها عني خير الجزاء وبارك لي فيها.

فَعَلَيَّ يَا أُمَّاهُ شُكْرُكِ واجبٌ ... مِن بَعدِ شُكْرِ الوَاحِدِ الدَيَّانِ

وعَليكِ يا امَّاه ألفُ تحيةٍ ... مَشْفُوعَةٌ بِالعَفْوِ وَالرِّضْوَانِ

إلى فضيلة الشيخ المحدث العلامة/ أبي إسحاق الحويني ـ حفظه الله تعالى ـ أسأل الله أن يبارك في عُمره، وينفع به الإسلام والمسلمين، وأشهدُ الله على حُبِّه؛ فلقد أحببته في الله حبًّا ذهبتُ فيه كلَّ مذهبٍ حتى لم أدع فيه مطلبًا.

إلى أصحاب القلوب الحية، والعقول الزكية، إلى الصادقين مع الله، والعاملين بسنة رسول الله ﷺ، إلى من أبصروا الحق فاتبعوه، وعرفوا الباطل فاجتنبوه، إلى كل مسلم ومسلمة أُهدي لهم هذا الجهد المتواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعـد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد.. فنحن نستعين بالله تعالى ونودع كتابنا هذا جملة من آداب العشرة والزواج ونجعل لذلك أدلة وبراهين على كلامنا لأن غرضنا الإفادة لما عليه الناس من العادة، ولننجو من مقالة حاسدٍ أو اعتراض معاندٍ وإنكار جاحدٍ.

وقد وصفنا في كتابنا هذا: **(المنهاج في آداب العشرة والزواج)** قدرَ ما بلغه بحثنا واطلاعنا، واحتوى عليه عقلنا وفكرنا، مستعينين بما قاله ربنا ـ تعالى ـ ورسولنا

ﷺ ، وقد سطرنا فيه من الـذكر سطوراً ومن السنة عطوراً، كي ينالَ قارئه منه حبوراً، ويستر منا قصوراً، فلا يكون مغروراً.

وشريطتنا على كلِّ قارئٍ أن يـقبل منا الحسنات، ويستر العـثرات؛ لأننا نقر فيه بالهـفوات والسقطات، لأنه من عمل المخلوقات، فعليـه الإقصار عن طلب عيوب خطـئنا، والصفح عن ما يقف عليه من إغـفالنا، والتجاوز عن مـا ينتهي إليه من إهمالنا، وإن أدَّاه التصفح إلى صواب نشره، أو إلى خطأٍ ستره، لأنَّه قد تقدَّمنا بالإقـرار، أنَّه لابد للإنسان من زلل وعثار، وليس كل الصـواب عرفناه، ولا كل علم دريناه، وعلينا في ذلك الاجتهـاد، ومن الله العون والإرشاد، وقلَّ ما نجا مؤلِّفٌ لكتاب من راصدٍ بمكيدة، أو باحث عن خطيئة.

وبعد؛ فـإنَّ الزواج نعمة أنعم الله بهـا على عبـاده وامتنَّ عليهم بها فـقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً...﴾ (النحل: ٧٢)، والزواج فطرت الإنسان التي فطره الله عليها وهو من سنن المرسلين والهدى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

فقد جـعل الله الزواج آية من آياته حيثُ حاجة الرجل للمـرأة وحاجة المرأة للرجل فقد خلق الله الإنسان بميوله إلـى الآخر يأنس به ويسكن إليه، وقد جُبل الرجل على الارتباط بالمرأة وجُبلتِ المـرأة على الارتباط بالرجل، وهذا الارتباط لابد منه، ولذلك نظَّم الإسلام هذا الارتباط؛ ومن قبله الشرائع السماوية، فكان الارتباط المشروع بالزواج آيةً، فأنعم به من آية تجمع بين اثنين.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وهذا السكون لن يتحقق إلا في ظل المنهج الإسلامي من حسن الاختيار والزواج والمعاشرة بالمعروف بين الزوجين.

ومن منطلق إيماني بأن السعادة كل السعادة في العمل بالقرآن وسنة النبي العدنان ﷺ قمت بإعداد هذا البحث.

فإنَّني قد رأيت بعض الناس بعيدين كل البعد عن مفهوم الزواج ومقصوده، وهم وإن تزوجوا لا يعرفون كيف يتعاشرون فيما بينهم، فما أكثر الاختلافات والمشاكل في بيوت المسلمين؟ فهم يجهلون لماذا يتزوجون؟ وإن تزوجوا لا يعرفون كيف يعيشون المعيشة التي يرتضيها منهم الله ـ تعالى ـ ومن نتاج ذلك البُعد عن مفهوم الزواج الإسلامي يخرج الأولاد الذين هم من آثار هذه الأسرة الخاوية، فكان الواقع الذي تعيشه أمة الإسلام من ضعف وهوان الذي من أسبابه عدم وجود الأسرة المسلمة بمفهومها الإسلامي.

إننا إذا أردنا العلاج الحقيقي لنصرة هذه الأمة وعزتها فليس لنا إلا الرجوع إلى المعين الأول، وهذا المعين بدايته الحقيقة معرفة الله ورسوله ﷺ والسير على ما كان عليه القرون الثلاثة الأولى.

وكي يكون التمكين لهذه الأمة لابد من بناء الأسرة المسلمة أولاً، فَنُعِدُّ الزوج الصالح والزوجة الصالحة، ثم يكون بعد ذلك الأولاد الذين يحملون راية الأمة بعد ذلك.

فلما رأيتُ حاجة الناس إلى معرفة هذه المعاني، أخذتُ أجمع بنات أفكاري، وخواطر أفهامي، وكتابات أقلامي؛ لأكتب في موضوع (المنهاج في آداب العشرة والزواج)، وقد بدأت كتابي بتعريف الحُبِّ المشروع والخروج بثمرته،

وتكلمتُ عن أنواعه ومظاهره وموقف الإسلام من حُبٍّ النساء متى يجوز؟ ومتى يمتنع؟ وما ضوابطه؟ ثم تكلمت عن فوائد الزواج.

ثم تكلمت عن أسباب الزواج، وكيفية الاختيار وطرقه، ثم تكلمت عن تيسير الزواج وخطوات ذلك التيسير، ثم تحدثت عن آداب ليلة الزفاف ما يجوز فعله وما لا يجوز فعله، ثم تكلمت عن الأمور الجائزة بين الزوجين بلا حرج، ثم تكلمت عن الأمور المحرمة بين الزوجين، أما عن حقوق الزواج فقد عقدت لذلك فصلاً فيه عشرون حقًا للزوج، وآخر تكلمت فيه عن عشرين حقًا للزوجة من خلال منظور إسلامي.

ولأن العمل خير دليل على القول عقدتُ فصلاً تكلمت فيه عن حياة النبي ﷺ مع أزواجه وكيف أنه كان أفضل زوج عرفته البشرية وأنَّ أزواجه كنَّ خير زوجات في تاريخ البشرية.

ثم ختمتُ الكتاب بخاتمة تكلمتُ فيها عن نساء أهل الجنة وحسنهنَّ وجمالهنَّ، وهنَّ الحور العين فكانت هذه الخاتمة تفاؤلاً بأن تكون خاتمتنا في الآخرة - إن شاء الله تعالى -، ثم تكلمت عن رجال الجنة وجمالهم وحسنهم كذلك.

ولكي تتم الفائدة المرجوة من هذا الكتاب عقدت في آخره فصلاً جامعًا للأحاديث الضعيفة والموضوعة في النكاح، تناولت فيه ما تيسر لي جمعه من هذه الأحاديث وبينت ضعفها وعدم صحتها مع شهرتها على ألسنة الناس وأتيت بأقوال العلماء فيها حتى يكون المسلم على بينة؛ لأنَّ ما في صحيح الحديث يغني عن سقيمه.

وبعد، فيا أيها الناظر في كتابي، هذه بضاعتنا بين يديك، بالحُبِّ تُهدى إليك، وبالنصح تُعرض عليك؛ فإن رأيت فيه صوابًا فذلك من الله وحده، وإن

رأيت غير ذلك من خللٍ أو خطأٍ أو نسيان فذلك مني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، فإن وجدت فيها ما يسرك فإمساك بمعروف وإلا فتسريح بإحسان، فقد قيل: من أَلَّف كتابًا فقد استشرف، فإذا أصاب استُهدف، وإذا أخطأ استُقذف، ولا تنس أنه عمل بشري فلا أدَّعي فيه الكمال، فالكمال لله وحده، بل أُقِر فيه بالخلل والنقصان، والخطأ والنسيان، فهذا الكتاب لك غنمه وعليَّ غرمه.

أسألُ الله ـ تعالى ـ أن يصلح نياتنا، وأن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل زادًا إلى حسن المصير إليه، وعتادًا إلى يُمنِ القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

كتبه

محمد الدرديري

جامعة الأزهر

حامدًا الله ومصليًا على نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين

أمَّا قبلُ!!

أمَّا قبلُ: قَلِّبْ عينيك في الملكوت تَرَ الجمال بديعًا، وافتح قلبَك لأسرار هذا الجمال تَرَ الحياة ربيعًا، وخُض في معترك الحياة تكن لك الحياة جميعًا، واجمع لي قلبك أجمع لك عقلي، وامنحني يدك فإني لأرجو أن أمنح لك حياة هادئة سعيدة بإذن الله، وافتح صدرك املأه دفئًا ومحبة وصدقًا، كن معي لأكون لك وكما تُحب.

أمَّا قبلُ: أعطني دمعة تحيي بها قلبك، وتسلِّي بها نفسك، فدموعنا مداد للفكر، وعبراتنا ثبات على المبدأ، وبكاؤنا دوام على النهج والمنهج.

أمَّا قبلُ: قلوبنا أهديناها بالحُبِّ إلى غير محبٍ ففقدنا أعزَّ ما نملك، وإذا بنا نتحسس أماكنها وقد توهَّمنا وجودها، إننا بحاجةٍ إلى أن نُحب ولكن لا نغلو ونهوى ولكن لا نفرط، ونعشق ولكن بتعفف.

أمَّا قبلُ: إنَّ القلبَ هو الكنز الذي لا يقرؤه إلا من يملكه، وإنَّ راحة الضمير أنوارٌ تتلألأ في الغَلَس، وينابيع متفجرة في الصحارى، وكنوز داخل البيوت المهجورة، كم من الوقت ضاع لأجل الحُبِّ في دوَّامته؟ وكم من العقول ذهبت لأجل الحب وفي دائرته؟ ونغرق يومنا في أبجديات الحب!! فمُحب يعيش بين الذكرى والنسيان، ومحب يتيه بين الوصل والحرمان، حُبٌّ يُسعدُ في الاسم، ويُشقى في الاسم، جمال في الصورة، وغموض في الحقيقة.

أمَّا قبلُ: فإنَّ الحُبَّ تاج لكنه من حديد، وكنز لكنه من تراب، ومعدن لكنه من سراب، وأي حب يُدعى فإنه ناقص، إذ العلاقات بين البشر بُنيت على المصالح ـ في الغالب ـ وإن تنوعت صور الجمال أو تجمَّلت الصور. وإن

لكل فؤادٍ نزوةَ حُبٍّ عذرية تفيض بعـذب الهوى ونميره، ولو اطلَّع الناس على قلوب القساة لوجدوا فـيها أنهاراً متدفقة بـين الحب والرحمة ولكنها تصب في أرض قيعان.

وإنني أدعوك الآن إلى الأرض الخصبة إنهـا الأرض التي تُحِبُّ فيها وتُحَب، إنه حب الله والرسـول ﷺ والصـحابة والـصالحين لتـأخـذ وسام «يـحبـهم ويحبونهم» وشهادة «رضي الله عنهم ورضوا عنه».

أُماقَبلــ: لماذا نزرعُ بذورَنا في الصحراء؟ ولماذا نَسبحُ في غير ماء؟ قلوبنا ملك لنا ومع ذلك نعجز عن التحكم فـيها، نعم. ولكن لكل شئٍ سبب، قلوبنا المؤمنة أعز ما نملكه فلماذا نهديها إلى مـن لا يستحقها، إننا أهديناها بالحُبِّ إلى من لا يعرف الحب فـفقدنا أعزَّ مـا نملك، فذهبنا نبحث عنهـا ولكننا نبحث في ظلام فمتى تشرق الشمس لتُبدد سواد هذا الظلام؟!

أُماقَبلــ: فما أعظم الحُبَّ لله ـ تعـالى ـ فهو المحبوب الأول، حـبه يتربع على عرش قلوبنا فلا يدخل في القلب أحدٌ سواه، أما المحبوبون الآخرون فإنهم على حافات القلوب وليسوا بداخلها، فنحن والله ما أحببناهم إلا لحب الله.

والحب الذي هو لله لا يشقى صاحبـه أبداً لأنه يُحب من يُحبه، ويجد اللذة في رضاه وقربه، أما حُب غـيره فقد يشقى به العبـد لأنَّه قد يُحب من لا يُحبه ولا يعبأ به.

ومـن الـشـــقـــاوة أن تُـحـبَّ ومـن تُـحـبُّ يُـحـبُّ غَـــيــرَك

أو أن تـســـيــــرَ لـوصـلِ مـن لا يَـشــتَـهي في الوصلِ سـيـرَك

أُماقَبلــ: فإنَّ الإنسـان لا يستطيع أن يخـدع نفسه وإن استطاع أن يخدع الناس، وخداعـه للناس لا يستمر طويلاً لأنـه من الممكن أن يخدع بعض الناس

كل الوقت، أو كل الناس بعض الوقت، لـكنه لا يستطيع أن يخـدع كل الناس كل الوقت.

ليس العجب في أن يتغـافل الناس عن من خدعوهم فهذا من طبـيعة الناس الكرماء ألا يكونـوا لئامًا لأنَّ المؤمن مـخموم القلب طيـب السريرة، والكريم إن أردت خداعه خدعتَه لكن اللئيمَ لا يُخدعُ.

وكان ابن عمر ﵄ يقول: من خدعنا في الله خُدعنا له.

ولكن العجب لماذا يَخدَعُ الناسُ. خاصةً من أَمِنوهم وصدقوهم؟!

فيـا قلبُ صَبْـرًا فـإنَّ الحَيـاةَ على الغَـدرِ مَطْبُـوعـةٌ باقِـيـه
بلوتَ الزَّمَـــانَ وَأهلَ الزَّمَـــانِ وتَرجـو الوفـــاءَ من الغـــانِيـه

إنها طبيعـة الغافلين من البشر فليس لنا إلا الله عندما تلين الحـجارة وتقسو القلوب ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: ٧٤).

أمَّا قَبلُ: فقـد قيل لمن أُريد معـرفته: «تكلَّمْ حـتى أعرفَكَ»، ولكن هل الكلام وحـده كافـيًا لمـعرفـة ما في قلوب الآخـرين، إن تزيين الكلام صنعـة يحسنها البـعض من غير الأتقيـاء أحيانًا ليأخـذوا الناس إلى شبـاك العنكبوت والمعصوم من عصمه الله.

أمَّا قَبلُ: إذا فقدت الأسباب فـاعلم أنه «إذا انقطعت الأسباب فقد زاد أمل المؤمن»، وإذا عُـدِمْتَ القدرة على بلـوغ مرادك فـاعلم «أنَّ عدم الإمكانات قـد تكون هي كل الإمكانات»، وأحسن الظنَّ بربك فيما تريد ـ على أن تكون صادقًا في عبـوديتك لمولاك ـ و«كن كما يريد الله منك، يكن لك الله فـوق ما تريد»، نعم انقطعت الأسباب وقد زاد إيماننا والحمد لله.

انقطعت الأسباب وقد علمنا أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

انقطعت الأسباب فزاد إيماننا وعلمنا أنه قَدَّرَ الله وما شاء فعل.

انقطعت الأسباب فزاد إيماننا وعلمنا أنه «لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم».

انقطعت الأسباب فزاد إيماننا وعلمنا أنه «وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم».

انقطعت الأسباب فظهر لنا الإيمان والبرهان بمعجزة «والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

نعم كنا كما أراد الله فسِرنا على ما أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ لا كما يأمرنا غيرُنا ويُسيرنا سوانا.

إنني أعجب من هؤلاء الناس الذين يسيرون بعقول الآخرين فحسب، دون النظر إلى مرادهم وشعورهم بالذات، إذن فلماذا خلقنا الله بعقول غير عقول الآخرين، لو كان ذلك كذلك لكفى لبني آدم كلهم عقل واحد يسيرون به!!

نعم قد تكون عدم الإمكانات هي كل الإمكانات ولكن لمن يعرف هذه الأمور ويعتقدها، ولمن كانت له نفس راضية وهمة عالية لا لمن يقول أين ماليه وسلطانيه، ولا لمن ينشر الكلام الأجوف لمصلحة يرجوها لنفسه وليس لله.

إننا في حاجةٍ إلى أن نكون صادقين مع الله ومع أنفسنا قبل الآخرين، إنَّ لكل إنسان شخصيته وهويته، إنَّ الذي يسبح في الأنهار العذبة لا يقبل أن يذهب للبحار المالحة وفي كل خير ولكن كلٌ ميسر لما خُلق له.

إننا والحمد لله قد عرفنا أنفسنا ويبقى على الآخرين أن يعرفوا أنفسهم!

أما قبل: فإنَّ السحابة التي أمطرت في الصحراء والقيعان تعلَّمتْ أن لا تمطر بَعدُ إلا في الأراضي الخصبة التي تُنبت ثمرًا وتُخرج عُشبًا، ولقد تعلَّمتِ السفينةُ التي أُبحرت في المستنقعات ألا تسبح بعد ذلك إلا في البحار والأنهار.

الآن علينا ألا نغتر بمظاهر الأشياء، والغبار في السماء لأن أصله في الأرض، والماء في الصحراء فقد يكون سرابًا فهذه كلها ليست حقائق، إنَّه قد تُعجبك وردة بألوانها الجميلة وأشكالها البديعة، فكم تسعد بها عينُك لحظات وتتهافت إليها نفسُك أوقات، فإذا ما جئتَ لحقيقتها ووجدتها بلا رائحة، علمتَ أن المظاهر وحدها لا تكفي لحقيقة الجمال.

أما قبل: فإنَّ عُمرنا قصير، وما طُلب من الواجبات كثير، وما في الدنيا سوى ذكر الله والعلم حقير، فليس عندنا أوقاتٌ نضيعها في غير ما يُرضي الله، إنَّ حزنَنا قِصَرٌ في عمرنا فوق قصره، وهمَّنا موتٌ لأوقاتنا الحقيقة، إننا لن نبكي على اللبن المسكوب إذ قد تبين لنا أنَّه معيوب والخير في مراد الله تعالى.

أيها المسلمون شمروا سواعدكم لخدمة الدين، وصلاح المسلمين، فكلنا يعمل على ثغر من ثغور الإسلام، العامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والتلميذ في مدرسته، وكل المسلمين في مختلف شئونهم وأعمالهم، يجب علينا أن ننسى حظوظ أنفسنا ونعمل لخدمة الآخرين فإننا لما عملنا لأنفسنا أصابنا الهمُّ والحزنُ والنكدُ ووجدنا سعادة قلوبنا في خدمة الناس ورفع مشقتهم فيا حزنُ اغرب عن وجوهنا، وابتعد عن سمعنا، لا نريد أن نراك ولا ترانا، لأنَّك بالنسبة إلينا ميت ونحن أحياء والأحياء لا يتبنون الأموات.

أما قبل: فإن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من الحزن والهم لأن هذه من جند الله إذا سُلطت على العبد أهلكته وأجلسته عن الطاعات والعبادات، فاللَّهُمَّ إنا نعوذ بك الهم والحزن.

فيا ظلمةَ الأحزانِ اذهبي، ويا شمسَ السعادة أشرقي، ويا أرضَ الغمِّ ابلعي، ويا سماءَ الهمومِ أقلعي.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حبَّك، وحُبَّ من يُحبُّك، وحبَّ كلِّ عمل يقربنا لحُبك.

اللَّهُمَّ لا تجعل لأحدٍ سواك في قلوبنا مكانًا، واشغلنا بحبك عن حُبِّ من سواك.

اللَّهُمَّ اغفر لنا كل عملٍ أردنا به وجهك ثم شاركنا فيه سواك.

اللَّهُمَّ سخر لنا قلوب من أحوجتنا إليهم، ولا تجعل توكلنا عليهم.

اللَّهُمَّ صلِّ على عبدك ورسولك محمدٍ ﷺ وعلى آله وأصحابه، وأزواجه أمهات المؤمنين وكل من استنَّ بسنته، واهتدى بهديه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

ابو معاذ

محمد الدرديري الأزهري

حَقِيقَةُ الحُبِّ

لا ينكر أحد وجود الحب في حياة البشر إذ به تسير حياة الناس، وتنمو معايشهم بإذن الله تعالى، ولكن ما معنى الحب؟ وما حقيقته؟

إن من الحب ما يكون داءً يُهلك صاحبه، ومنه ما يكون دواءً يشفي بإذن الله.

نقول: إنَّ حقيقة الحب هو ما كان لله وبالله وفي الله.

والحقيقة الكاملة تتمثل في حب العبد لربه، فبه يعبد الله، وبه تفعل الطاعات وتجتنب السيئات، وبه يتحمل الناس المشقة ويصبرون على الابتلاء، فكل عبادة وطاعة يفعلها العبد أساسها محبة الله تعالى، وهو كمال الإيمان لمن آمن بالله، وقد قيل: إن التعبد أحد مراتب الحب.

قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة:١٦٥)، فقد أخبر سبحانه أن الذين آمنوا به أشد حبًا إليه من محبة الكافرين لأصنامهم.

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»[١].

فأنت ترى في الحديث أن من لوازم الإيمان هو الحب الذي تتأتى به العبودية وكذا محبة رسوله ﷺ فهي تتقدم على الأنفس والآباء والأبناء. ولا يتم الإيمان إلا بها، إذ إنَّ محبته من محبة الله، وكذلك كل حبٍّ في الله ولله.

---

(١) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، والنسائي (٤٩٨٧)، من حديث أنس بن مالك. وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٤).

ولذلك كان من أوسع الأسباب التي تدخل الجنة هي المحبة الخالصة لله المقرونة بالعمل، وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس ما يدل على ذلك عندما سأل الرجل رسولَ الله ﷺ عن الساعة فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا أعددت لها؟». قال: حُبَّ اللهِ ورسولهِ. فقال له الرسول ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»(١).

وآخر كان يقرأ في صلاته بسورة الإخلاص فاشتكى منه الناس، وجاءوا لرسول الله ﷺ يشكون له هذا الصحابي الذي يقرأ بهم دائمًا بهذه السورة، فلما كَلَّمه النبيُّ ﷺ في الحكمة من قراءتها دائمًا في الصلاة، قال الرجل: إني أُحبها. فقال له الرسول ﷺ: «حُبُّهَا أَدخلك الجنة»(٢).

فالجنة هي مثوى ومأوى المتحابين في الله، والمجتمعين في الدنيا على أساس محبة الله، ألم تعلم وتسمع أن الله ينادي يوم القيامة على المتحابين فيه ليدخلهم الجنة؟

إنَّ يوم القيامة له أهوال لم يأتِ مثلُها في حياة البشر، ومع هذا الموقف المهيب والخوف والرهبة وشدة الحرِّ حتى تدنو الشمس من الرؤوس، نجد هناك ظلَّ الرحمن، كأنه غمام فوق رؤوس طائفة معينة من الناس لم يصل حرُّ الشمس إليهم، أولئك هم السبعة الذين يظلهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، منهم «ورجلانِ تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتَفرَّقَا عليه»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٧)، ومسلم (٢٦٣٩)، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٥)، من حديث أنس بن مالك، ورواه أحمد وابن حبان وأبو داود من حديث أبي ذر، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٨٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٠١)، ورواه البخاري معلقًا (٧٧٤م)، من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي (٥٣٨٠)، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠٣)، وهذه قطعة من الحديث الطويل الذي فيه «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله...».

وفي حـديث مُعـاذ رضي الله عنه عند الترمـذي، وأحمـد أنه قال: قـال رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ إني أسألك فِعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ بقوم فتنةً فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حُبَّك وحبَّ من يُحبك، وحبَّ كلِّ عمل يقربني إلى حُبِّك». ثمَّ قال رسول الله ﷺ : «إنها حقٌّ فادرسوها، ثم تَعَلَّموها»[(١)].

فأنت ترى هذا الحديث قد جمع أصل المحبة وحقيقتها؛ لأنه يسأل الله حبه، ثم سأل أن يكونَ مُحبًّا لما يحبه الله، وهذه أكـمل المحبة، ثمَّ يتمنى عمل كل ما يُحبه الله ـ سبحـانه وتعالى ـ والشيء الذي يحبه الله يكون في الجنة وبذلك ينال المحب ما يناله المحبوب، أما سمعت قوله ﷺ : «المرءُ مَعَ مَنْ أَحبَّ»[(٢)]؟

يقول سمنون: «ذهب المحبـون بشرف الدنيـا والآخرة؛ لأنهم مع الله في الدنيا والآخرة».

وقد كان النبي ﷺ يـقول في دُعائه: «اللهمَّ ارزقني حُبَّك وحُبَّ من ينفعني حبُّه عندك، اللهمَّ ما رزقتني مما أُحِبُّ فاجعله قوة لي فيما تُحب، وما زَويتَ عني مما أُحب فاجعله فراغًا فيما تُحب»[(٣)].

لله در الحب ما أجمله! وما أحسنه! يجـعل الإنسان في سعادة الدنيا ثم جنَّة الآخرة، لقد كان الحبُّ أقربَ الـطرق الموصلة إلى الجنة، ولذلك عَبَدَ العابدون، وعاش الصالحـون، وخاف الخائفون، وخشع المصلون، وبه كان يدعـو المتقون،

---

(١) رواه الترمـذي (٣٢٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٨)، وصححـه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٢٣٣)، و«صحيح الجامع» (٥٩) من حديث معاذ بن جبل.

(٢) رواه الترمـذي (٢٣٨٧، ٣٥٣٥)، وابن ماجـه (٤٧٨)، والنسـائي (١٢٦)، مـن حديث صفـوان بن عسـال، وجاء كذلك من رواية أنس، وابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٨٩).

(٣) رواه الترمـذي (٣٤٩١)، من حديث عبـد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٨)، والطبراني في «الكـبير» (٢٠/ ١٠٩)، وصـححـه الألبـاني في «صحيح سنن التـرمذي» (٣٢٣٥)، من حديث مالك بن يخامر التسكي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال ابن السَّماك عند موته: «اللـهمَّ إنَّك تَعلَمُ أنِّي إذا كُنتُ أعصـيك فإني كنتُ أُحبُّ من يُطيعك، فاجعل ذلك قربةً لي إليك». وقال مجاهد: «المتحابون في الله إذا التقـوا فكشَّر[1] بعضـهم إلى بعض تتحات عـنهم الخطايا كما يتـحات ورقُ الشجر في الشتاء إذا يبس».

وهكذا نرى أنّ حُبَّ الله هو أصل الحبِّ وأصل الأعمال الدينية.

يقـول ابن القيم ـ رحمـه الله تعالى ـ في (الداء والـدواء): «وإذا كان الحبُّ أصل كل عـمل من حق وباطل، فـأصل الأعـمـال الدينيـة حب الله ورسـوله ﷺ، كما أنَّ أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ﷺ، وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله ﷺ وتـزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كـمال التصديق فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضـعفة له، فإن قويت حتى عارضت أصل الحب كانت كفرًا أو شركًا أكبر، وإن لم تعـارضه قـدحت في كماله وأثرت فيه ضعفًا وفـتـورًا في العـزيمة والطـلب، وهي تحـجب الواصل وتقطع الطـالب وتنكس الراغب، فلا تصلح الموالاة إلا بالمعاداة»[2].

وقال في (مـدارج السالكين): «فلو بَطَلَتْ مسألة المحبة لبطلت جـميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتـعطلت منازلُ السير إلى الله؛ فإنّها روح كل مـقام وعزلة وعمل، فـإن خلا منها فـهو ميت لا روح فـيه، ونسـبتهـا إلى الأعمال كنسـبة الإخـلاص إليهـا، بل هي حـقيـقـة الإخلاص، بل هـي نفس الإسلام؛ فـإنَّه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقـيقة شـهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن «الإله» هو الذي يـألهه العبـاد حُبًّا وذلًّا

(١) فكشَّر: أي ضحك وتبـسم، والكشر هو ظهـور الأسنان للضحك، وكـاشره إذا ضحك في وجـهه وباسطه، انظر «غريب الحديث لابن الأثير»، وفي «اللسان» الكشر بدوّ الأسنان عند التبسم. اهـ.

(٢) «الداء والدواء» (١٠٢)، دار التقوى.

وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتذل له، وأصل «التأله» التعبد، والتعبد آخر مراتب الحُب، يُقال: عبّده الحُبُّ وَتيَّمه إذا ملكه وذلله. «فالمحبة حقيقة العبودية، وهل يمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؛ فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه» اهـ(١).

والله لقد فاز المحبون بخير الدنيا والآخرة، وفوق كل ذلك فازوا بحب الله لهم، حيث أحب لقاءهم؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه»(٢).

ليس العجب في حب العبد لسيده وربه؛ فهذا واقع من الخلق، حتى الكافر إذا سألته هل تحب الله؟ فلن تجد إجابةً عنده سوى المعهودة وهي «نعم»، ولا يتردد في نطقها.

لكن العجب والفرحة الحقيقية هي محبة الله للعبد، فهذا هو الأصل والمهم، وذلك هو الفوز العظيم. إن المحب يحيى بماء الحب وطعام المودة، ويتنفس بالرضا، ويعمل بالوفاء، ويعبد بإخلاص، وموته شوق لله، وغير المحب ميت زرعه، أجاجٌ ماؤه، وعمله بوار، وحياته بلا استقرار، فليس له في الدنيا قرار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وكونوا من المحبين الأبرار.

قال صاحبُ (مدارج السالكين): «المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمِها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبريح نسيمها تروح العابدون، فهي ياقوت شمَّر القلوب» وغذاء

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، والترمذي (١٠٦٦)، والنسائي (١٨٣٦)، من حديث عبادة بن الصامت، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٤).

الأرواح، وقرّة العيـون، وهي الحياة التي من حـرمها فهو من جـملة الأموات، والنور الذي من فقـده فهو في بحار الظـلمات، والشفاء الذي من عـدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقـامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كـالجسد الذي لا روح فـيهـا، تحمل أثقـال السائريـن إلى بلاد لم يكن إلا بشق الأنفس بالغيها وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا أبداً واصليها، وتُبوِّئُهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب، وطريقـهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأول من قريب، تالله لقد ذهب أهلهـا بشرف الدنيا والآخـرة؛ إذ لهم من معيـة محبـوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدر المقادير أن المـرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابقة.

تالله لقد سبق القـوم إلى السعادة وهم على ظهور الفرش نائمـون، وتقدموا الرَّكْبَ بمراحل وهم في سيرهم واقفون.

مَنْ لي بِمِـــثْلِ سَـيْـــرِكَ المُدَلَّلِ   تَمْـــشِي رُويدا وتَجِيء فِي الأوَّلِ

إذا غُرِسَتْ شجرة المحبة في القلب، وسُقِيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمـرت أنواع الثمـار، وآتت أكلهـا كُل حين بإذن ربهـا، أصلها ثابت في مـدار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى، لا يزال سعي المحب صاعداً إلى حبيبه، لا يحجبه دونه شيء﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر: ١٠)[(١)].

لا كـان من لسـواك فـيـه بقـيـةٌ   يَجِدُ السـبـيلَ بهـا إليـه العُـزَّلُ

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك، وكل عمل يقربنا إلى حبك، واحشرنا مع من أحببنا، فـإنا قد أحببناك وأحببنا نبيك ﷺ، والـصحابة، والصالحين، اللهم آمين آمين آمين.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٦، ٧).

توحيد الله بالمحبة الذاتية

اعلم - أحبني الله تعالى وإياك - أن المحبوب نوعان؛ محبوب يُحَبُّ لذاته، ومحبوب يُحب لغيره.

أما المحبوب لذاته فهو الله تعالى وحده لا شريك له: فلا يُحَب لذاته إلا الله، وهو بمثابة التوحيد، فإن أشرك العبدُ محبوبًا آخر لذاته مع الله فهذا هو شرك الحب الذي لا يغفره الله، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فبما أن للإنسان قلبًا واحدًا فكان لا بد أن يسكنه محبوبٌ واحد، وهذا المحبوب هو الله تعالى، فإذا دخل في القلب محبوب غير الله فسد القلب وشَلَّ عن حركة الإيمان، فإن قيل: وأين محبةُ الرّسول ﷺ والأنبياء والصالحين والأهل؟ نقول: هذه المحبة تكون على حافَات القلوب، لا تدخل قلب الإنسان، فهي محبة صادقة لكنّها لله وليست لذات المحبوب، فلا بد من توحيد المحبوب.

يقول ابن القيم - رحمه الله - في الداء والدواء: «لا يمكن أن يجتمع في القلب حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدًا، بل هما ضدان لا يتلاقيان، بل لا بد أن يُخرج أحدهما صاحبه، فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه.

وإن أحبه لم يحبه إلا لأجله، أو لكونه وسيلة إلى محبته، أو قاطعًا له عما يضاء محبته وينقصها.

والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته، وإذا كان المحبوب من الخلق يغار ويأنف أن يُشرك معه محبةُ غيره في محبته، ويمقته لذلك ويبعده، ولا يحظيه بقربه، ويعده كاذبًا في دعوى محبته،

مع أنَّه ليس أهلاً لصرف كل قوة المحبة إليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده؟ وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال!.

ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فمحبة الصور تفوت محبة ما هو أنفع للعبد منها، بل تفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلا بمحبته وحده، فليختر العبد إحدى المحبتين، فإنَّهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه، بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه بمحبة غيره، فيعذبه بها في الدنيا وفي الآخرة، فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصلبان، أو محبة النيران، أو محبة النسوان، أو محبة العشراء والخلان، أو محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائنًا من كان؛ كما قيل:

أَنتَ القَتيلُ بِكُلِّ مَن أَحبَبتَه … فَاختَرْ لِنفسِكَ في الهَوى مَنْ تَصْطَفي[1]

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر من الكتاب: «فاعلم أنه لا يحب لذاته إلا من كان كماله من لوازم ذاته وإلهيته وربوبيته، وغناه من لوازم ذاته، وما سواه، فإنَّما يبغي ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة وضعفها، فما كان أشد منافاة لمحابه كان أشد كراهة من الأعيان والأوصاف والأفعال والإرادات وغيرها، فهذا ميزان عادل توزن به موافقة الرب تعالى مخالفته وموالاته ومعاداته، فإذا رأينا شخصًا يُحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه، علمنا أن فيه من معاداته بحسب ذلك، وإذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه، وكلما كان الشيء أحب إلى الرب كان أحب إليه وآثره عنده، وكلما كان أبغض إليه كان أبغض إليه وأبعد منه؛ علمنا

(١) «الداء والدواء» (١٨٧، ١٨٨).

أن فيه من موالاة ربه بحسب ذلك، فتمسك بهذا الأصل في نفسك وفي غيرك، فالولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة» اهـ[١].

رَحِمَ الله الإمام ابن القيم فقد بسط القول في معنى أنه لا يُحب لذاته إلا الله؛ وذلك أن كماله ـ سبحانه ـ منه وحده، لا من أحد سواه، ولم يتفضل عليه أحد من خلقه، بل كل فضل كان في خلقه فإنما أصله من الله، فعلى العبد أن يقيس محبوبه من أمور الدنيا على محبوب الله، فلا يحب إلا ما يحب الله، ولا يكره إلا ما يكرهه الله، فلا يحب لنفسه ولا يكره لشخصه، ولينظر إلى الله فيما يحب ويكره؛ فإن أحب ما كرهه الله وكره ما أحبه الله فذلك هو الفاسق الظالم لنفسه!.

المحبوب لغيره:

المحبوب لغيره إما أن يكون نافعًا وإما أن يكون ضارًا:

١ ـ **المحبوب لغيره النافع:** وهو ما انتهى حبه لله بأن تكون محبة هذا الغير تبعًا لمحبة الله وموصلة لرضاه، فهو يحبه لا لذاته ونفسه وجماله، بل هو يحبه لأن الله أحبه، وأمر بحبه، ورضي عنه، وذلك مثل حب العبد للملائكة والأنبياء والأولياء؛ فإنّ محبة هؤلاء لا تكون لذاتهم، بل هي لله؛ لأن كلًّا منهم اكتسب فضله ومكانته من الله، فليس فضله ذاتيًّا وليست محبته نفسيًّا، وأقرب مثل لذلك هو سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ، فإننا نحبه ونجعل محبته تبعًا لمحبة الله، لا لذاته ﷺ، فلو لم يكن هو رسول الله ﷺ، ولو لم يعرفنا على الله ما أحببناه كل هذا الحب، ومع فضله ومكانته العالية فهي ليست ذاتية؛

(١) المصدر السابق (٢٠٠).

لأنها مِن مَنِّ الله عليه ونعمه إليه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣)(١).

فليعلم المؤمن أنه لا يُحَب لذاته إلا الله، أما محبة من سواه فهي محبة تبعية وليست أصلية ذاتية.

٢ ـ **المحبوب لغيره الضار:** وهذا يحب حبًّا لغير محبوبه، ولكنها محبة ضارة؛ لأنه يريد بها عرض الدنيا وزينتها الفانية، فتجده يحب التقرب إلى الرؤساء والملوك كي يظفر بوزارة أو وظيفة أو مكانة، وتجده يتقرب لأهل الأموال والدور كي يفوز بالسعادة الدنيوية، بأن يتحصل على المال منهم. وهناك المحبة الحمقاء الضالة كمحبة من يعبدون غير الله لآلهتهم، فهم يحبونهم محبة من دون الله؛ كمحبة النصارى لعيسى عليه السلام فمع محبتهم إياه وتقديسهم له إلا أنها محبة ضارة، تدخلهم جهنَّم؛ لأنها محبة شِركية، أما تراهم أنهم جعلوه نِدًّا لله في المحبة. فانظر رحمك الله إلى الفرق بين المحبتين؛ محبة المسلمين لعيسى، ومحبة النصارى لعيسى، فالكل يحب عيسى، ولكن من الذي أحبه عيسى ومن الذي نجا بحبه لعيسى؟!.

ونخرج من هذا الكلام أنَّ أصل المحبة هي ما كانت لله وحده، وما كانت لذاته سبحانه، وأن من شروط التوحيد توحيد الله في المحبة، كتوحيده في العبادة؛ إذ إن الحب هو العبادة نفسها، وهذا يقتضي موالاة من أحبه الله ومعاداة من كرهه، وعلى المرء أن يجعل قانون المحبة في حياته موقوفًا على محبة الله لهذا المحبوب فمن أحبه الله أحببناه، ومن كرهه كرهناه، فحبيب حبيبي حبيبي، وعدو حبيبي عدوي.

---

(١) رسول الله ﷺ هو أحب خلق الله إلينا فنحن نحبه أكثر من أنفسنا وأهلينا والناس أجمعين، وهو دليل الإسلام والإيمان مع العمل بسنته واتباع شرعه، ولكن ما أردته فقط أن أظهر الفرق بين المحبة الذاتية ومحبة الغير، فنحن نحب رسول الله ﷺ من أجل الله تعالى.

محبة الرسول ﷺ

إنّ محبة الرسول ﷺ من أساسيات الإيمان وأركانه، إذا سقطت ذهب الإيمان، وما يتبقى منه عند الإنسان لا ينفعه عند الله.

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى أكُونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجمعين»(١).

أرأيت أخي الحبيب كيف يكون الإيمان، فَمن صدق إيمان العبد أن يقدم محبة النبي ﷺ على من سواه من الوالد والولد والناس أجمعين، فلا يتقدم أحدٌ من الخلق في المحبة لدى المؤمن من رسول الله ﷺ.

ففي الصحيحين أيضًا من حديث أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما»(٢).

ففي الحديث بيان مقام الله ورسوله عند العبد، بحيث لا يقدم حب أحد ولا كلامه على مراد الله ورسوله ﷺ. وبلغ من محبته ﷺ أن نحبه أكثر من أنفسنا، فذلك علامة الإيمان ودليل على صدقه عند الإنسان.

ففي الصحيحين أنَّ عمر بن الخطاب قال: يا رسولَ الله، والله لأنت أحبُّ إليَّ مِن كلِّ شيءٍ إلا من نفسي. فقال: «لا يا عُمَرُ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إليك مِنْ نفسك». فقال عمرُ: «والله لأنتَ أحبُّ إليَّ مِنْ نفسي. فقال: «الآنَ يا عُمر»(٣). ومعلوم أن محبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فما الظنّ بمحبة الله تعالى؟

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، ورواه أحمد (١٣٤٩)، والدارمي (٢٦٢٤).
(٢) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، والنسائي (٤٩٨٧).
(٣) رواه البخاري (٦١٤٢)، وأحمد (١٧٣٥٥) من حديث عبد الله بن هشام بن زهرة رضي الله عنه.

لقد فاز المحبون لرسول الله بمحبة الله؛ ولذلك فازوا بالجنة؛ لأنّ المرء مع من أحب، ففي الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال له: «مَاذا أعددتَ لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «أنت مَعَ مَن أحبَبْتَ»، يقول أنسٌ رضي الله عنه فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قوله: «أنت مَعَ مَن أحبَبْتَ»(١).

وقال رضي الله عنه: «فأنا أحب الله ـ عزّ وجلّ ـ ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بعملهم»(٢).

نقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ ألقَى الله حبَّه في قلوب الخلق، فما من أحدٍ يرى الرسولَ ﷺ إلا وتجده مجلوبًا ومُرغمًا على حبِّه بأخلاقه وشمائله ﷺ.

فكم من رجل يأتي لرسول الله ﷺ وقد كان أبغض الناس إليه، وأحب ما يكون لديه هو قتل الرسول ﷺ، فما أن يجلس عند النبي ﷺ ويكلمه إلا ويتغير حاله، فيصبح النبي ﷺ أحبَّ الناس إليه، وقتلُه أبغضَ شيء إليه، لقد ملأ حبُّه الناس من مؤمنين وكافرين، ولقد كان الرَّسولُ أحبَّ إلى الكفار من أهلهم، وليس أدل من ذلك من وضع الودائع عنده ﷺ وهم يريدون قتله.

فما من أحد يسمع أو يرى الرسول ﷺ إلا وتجده قد فُطِرَ على حبه وطاعته، ولو أنّ النَّاس قرأوا شمائل النبي ﷺ مثل كتاب الشمائل للترمذي أو لأبي الشيخ، فوالله لو قرأوها بقلوبهم وعقولهم لوجدوا أنفسهم مُحبين لرسول

(١) رواه البخاري (٦١٦٧، ٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩)، وغيرهما وسبق تخريجه برقم (١٥).
(٢) رواه البخاري (٣٤١٢)، ومسلم (٤٧٧٧)، وأحمد (١٢٨٩٢).

الله ﷺ رغم أنفهم؛ لأنّ أخلاقه أعجزت من قبله ومن بعده أن يأتي بمثلها، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

فأنعم به من كمال إيمان للعبد إذا قدّم محبة الله ورسوله ﷺ على كل شيء في حياته، فهو بهذا يفوز بحب الله وحب رسوله ﷺ، والمرء مع من أحب.

والخاسر من قدّم محبة غير الله ورسوله ﷺ عليهما، فهذا هو الخسران المبين والحب المهين، فحياته بور وآخرته ثبور وظلمة في القبور، وحزن يوم النشور.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

نعم هم فاسقون لأنهم خرجوا عن حدّ العدل، وتجاوزوا في محبتهم التي أهلكتهم؛ لأنهم قدّموا محبة غير الله على محبة الله ورسوله ﷺ، ولذلك توعدهم الله بالهزيمة وعدم النصر، وتوقع سخطه سبحانه وتعالى.

ويقول ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

إنّ الله لا يقبل الشرك به في أي شيء، ليس في العبودية فقط، بل في المحبة، فمن أحب أحدًا بمثل ما أحب الله فقد أشرك به سبحانه، فعلى العبد ألا يجعل لله ندًّا؛ لا في عبوديته، ولا في حبه، ولا في أي شيء من حياته؛ يقول سبحانه في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1]. اللهمّ اجعل حُبّك أصلاً في قلوبنا، ولا تدخل قلوبنا حب غيرك، واجعل كل حب لنا في الدنيا من أجل حبك.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وأحمد (٧٩٣٩)، باختلاف في اللفظ من حديث أبي هريرة، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٣).

الصحابة وأروع مظاهر المحبة لله ورسوله ﷺ

رضي الله عن ابن مسعود؛ فقد قال: «إنَّ الله نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ، فَوَجَدَ أَفْضَلَهَا قَلْبَ مُحمدٍ ﷺ، فاختاره نبيًّا، ثمَّ نَظَرَ في قلوبِ العبادِ فوجَد أفضلَها قلوبَ صحابتهِ فاختارهم وزراءَ نبيهِ، يقاتلون على دينه»[(١)].

في الحقيقة إنَّ القلم ليعجز أن يكتب عن صحابة الرسول ﷺ؛ لأنَّ الإنسان يرى نفسه أمامهم كالذر بجانب الأعلام الضخام، ويجد نفسه قطرة من الماء في المحيط، لقد كانوا رجالاً بمعنى الكلمة من حيث ما تعنيه الكلمة.

لم تسمع البشرية ولن ترى رجالاً مثل هؤلاء، ولم يتشرف نبي من الأنبياء بأصحاب مثل ما كان لرسول الله ﷺ من أصحاب بررة أتقياء.

هؤلاء الصحابة هم الذين أحبوا الله ورسوله ﷺ وباعوا أنفسهم لله، وكانت نعمة البيعة؛ لأنهم أخذوا العوض من الله ولم يرضوا بعوض سوى الجنَّة فللَّهِ الحمد والمِنَّة.

الحديث عن الصحابة ذو شجون وشوق؛ لأنَّ المجالس تطيبُ بذكرهم ﷺ وأرضاهم، لكن الشاهد من الكلام الآن هو التعرف على بعض دلائل المحبة عندهم ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٧-١٧٨)، ورجاله موثقون فهو من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حُبيش عن ابن مسعود، وعاصم صدوق، فهذا الأثر إسناده حسن من حيث أنَّه موقوف، وقد رويَ مرفوعًا وليس بشيء فهو حسن من جهة أنه موقوف وضعيف من جهة أنَّه مرفوع، انظر «السلسلة الضعيفة» (٥٣٣) للألباني، وحسنه الألباني موقوفًا في «تحقيق العقيدة الطحاوية» (٦٧٢).

صدق محبة الرجل الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

من أي طراز كان هذا الرجل الذي كان بمثابة الظّلّ لصاحبه، والذي أعطى لرسول الله ﷺ كل شيء، وما أبقى لنفسه شيئًا، لقد كان همُّه حياة رسول الله ﷺ، يفديه بروحه وماله والناس أجمعين، لقد كان أفضل صاحب لصاحبه، وإذا أرسلت الطَّرفَ من لدن آدم عليه السلام فإنك لا تجد أحدًا أصدق وفاءً وأشد حبًّا لصاحبه من هذا الرجل صاحب لرسول الله ﷺ.

فماذا كان جزاؤه؟ قال له ربُّه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الليل: ٢١)، وبشّره النبيُّ ﷺ بالجنة، فهو الذي من جميع أبواب الجنة الثمانية يدخلها، وقد أعلن الرسول ﷺ جائزته يوم أن أخبر بأن كل إنسان كانت له يد على رسول الله ﷺ في العطاء فقد وافاه الرسول ﷺ بالجزاء، إلا أبو بكر؛ فإنَّ الله هو الذي سيجازيه ويكافئه يوم القيامة ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الليل: ٢١).

كيف كان حُبُّ أبي بكر لرسول الله ﷺ؟

من أول كلمة وبدون مراء وجدال أسلم أبو بكر رضي الله عنه، ولم يتعب رسول الله ﷺ، فكان أول من بكّر إلى الإسلام، وطلب الرسول ﷺ يومًا أموالاً لإعداد العدة وتجهيز جيش الإسلام فجاء أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، ومن قبل دافع عن النبي ﷺ حتى ضربه الكفار، فكانت لا تعرف أنفه من وجهه، وكان يقول ماذا فعل رسول الله ﷺ؟ ولَمْ يهدأ حتى رأى النبي ﷺ طيبًا وعلى خير، وفي الهجرة جهز الراحلتين لينتظر أمر النبي ﷺ في الهجرة، وهاجر معه وكان أول من دخل الغار، وعندما كان يسير في الطريق كان يتحول مرة يمينًا وشمالاً حتى يحمي الرسول ﷺ. لقد كان أعلم الناس بنفس رسول الله ﷺ، وما خالف النبي ﷺ في شيء قط، لا في صغيرة ولا كبيرة، حتى وإن نزل القرآن مخالفًا لما يراه الرسول ﷺ وأبو بكر، ولكن يبقى لأبي بكر

فضل الاتباع والانقياد، لقد كان يراه الحبيب ﷺ كل يوم، وكان يكثر من قوله: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر»(١).

فماذا كان جزاؤه؟

الجزاء من جنس العمل، لما أتى بماله كله وأعطى الله بدون حساب دخل الجنة بدون حساب، وشرفه الرسول ﷺ وكافأه بأن تزوج ابنته عائشة رضي الله عنها، وجعله النبي إمامًا للناس لما مرض. إننا لا نستطيع أن نتكلم عن حب أبي بكر لرسول الله ﷺ في هذه السطور المعدودة فرضي الله عن أبي بكر وحشرنا معه ومع نبيه ومصطفاه ﷺ.

موقف سيدة النساء أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

هي سيدة النساء وصاحبة الوفاء وبحر العطاء، أحب إنسان لقلب خاتم الأنبياء، أم الزهراء، زوج النبي ﷺ، رضي الله عنها، لطالما وقفت مع النبي ﷺ وواسته بمالها ونفسها، وكانت نعم الزوجة لزوجها، لقد كانت رضي الله عنها أحب إنسان لقلب رسول الله ﷺ، فلم يحب أحدًا مثل حبها، فقد كان يذكر لها الجميل بعد موتها، وكان يفرح بذكرها ويَوَدُّ أهلها ومن كانت تعرفهم، وكمال الوفاء ما كان لميت، فقد كانت السيدة خديجة ميتة ولكنها كانت حية الذكرى عند رسول الله ﷺ وكان يقول: «لقد رُزقت حبها»(٢).

ولما تحدث يومًا عن خديجة رضي الله عنها أمام عائشة رضي الله عنها ردَّ عليها رسولُ الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث عائشة أن هالة بنت خويلد أخت خديجة

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٩) من حديث علي بن أبي طالب، ومسلم (٢٣٨٩) من حديث ابن عباس، وابن ماجه (٩٥)، وأحمد (٨٥٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٥) من حديث عائشة.

استأذنت على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: «اللهمَّ هَالة بنت خويلد»، تقول عائشة: فَغِرتُ فقلتُ: ما تذكرُ من عجوزٍ من عجائز قربت حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها»[1].

فما كان من النبي ﷺ إلا أن ينصف خديجة رضي الله عنها ورد قول عائشة رضي الله عنها قد ذكر لها مناقب خديجة رضي الله عنها فقال لها: «كيف قلتِ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورُزقتُ منها الولد وحرمتموه مني»، قالت: «فغدا وراح عليَّ بها شهراً»[2].

إنّ الكلام عن هذه السيدة ذو سُرور، فهي سيدة النساء وخير نساء الأمة، وهي المرأة الأولى، فماذا كان جزاؤها؟ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: أتى جبريل ـ عليه السلام ـ النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ـ أو طعام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[3].

موقف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في الهجرة:

ومن ذلك ما حدث في مجيء النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة، حيث وقفت ناقته عند بيت أبي أيوب الأنصاري، وتشرف هذا الصحابي بضيافة رسول الله ﷺ في بيته، فلما دخل النبي ﷺ طلب منه أبو أيوب أن يصعد

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذه الزيادة رواها أحمد في مسنده (٦/ ١١٨)، وأوردها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٢)، وقال محققه: إسناده حسن، وأوردها كذلك ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٩٠)، ونسبها الحافظ في «الإصابة» (١٢/ ٢١٨-٢١٨) إلى كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي.

(٣) رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة.

إلى الدور الأعلى، وقد كان الدار يتكون من طابقين، وأبى أبو أيوب أن يكون فوقَ رسول الله ﷺ، ولكنَّ النبيَّ ﷺ أَحَبَّ البقاء في الطابق الأول؛ لسهولة مقابلة أصحابه الذين يأتون إليه.

وصَعَدَ أبو أيوب وزوجته إلى الطابق الثاني، وما زال أبو أيوب في حيرة من أمره حيث صعوده فوق رسول الله ﷺ، فما كان منه إلا أنه اتخذ زاوية في البيت ومعه زوجته، وقعدا فيها، وهو يقول: واللهِ لا نسير على سقيفة تحتها رسول الله ﷺ. وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة أنه كان بالدور العلوي إناء كبير يقال له «حُب»، قد كُسر، فخشي أبو أيوب من نزول الماء على رسول الله ﷺ، فما كان منه هو وزوجته إلا أن أخذا غطاءهما ومسحا به الماء؛ حتى لا يسقط على رسول الله ﷺ.

وكان أبو أيوب رضي الله عنه يصنع طعامًا لرسول الله ﷺ ولا يأكل إلا بعد رسول الله ﷺ وكان يتتبع مواضع يده رجاء البركة، فصنع له يومًا طعامًا فيه ثُوم، فلما ردّه النبي ﷺ فزع أبو أيوب وأتى رسول الله ﷺ فقال: أحرام؟ فقال: «لا، ولكني أكره ذلك؛ لأنني أناجي من لا تناجيه». فقال أبو أيوب: «وأنا يا رسول الله أكره ما تكره، فلن آكله»[1].

هكذا تكون المحبة، حبيب حبيبي حبيبي، وعدو حبيبي عدوي، فرضي الله عن أبي أيوب الأنصاري.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٥) بنحو هذا المعنى مع اختلاف الألفاظ، وأخرجه أحمد (٥/ ٤٢٠)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٦١) وقال: هذا حديث على شرط مسلم. وأقره الذهبي من حديث أبي أيوب الأنصاري، والقصة مشهورة في كتب التاريخ والسير، وأوردها الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، (٢/ ٤٠٦-٤٠٧)، وقال محققه: إسناده صحيح.

موقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في غزوة أحد:

ومن أروع صور المحبة ما كانت في غزوة أُحد، ومن أبرزها ظهور محبة الصحابي طلحة بن عبيد الله؛ حيث دافع عن النبي ﷺ، وثبت معه في أصعب أحوال المعركة، وما حدث فيها من فرار البعض، وتركوا رسول الله ﷺ، فلم يثبت مع النبي ﷺ إلا القليل من الرجال، وكان منهم طلحة بن عبيد الله، وقد رجع من هذه الغزوة بخمس وثلاثين طعنة وضربة ورمية وقُطِعَتْ سبَّابتُه وشَلَّتْ الأصبع التي تليها، فقد روى البخاري عن قيس بن أبي حازم ـ رحمه الله ـ قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها رسول الله ﷺ قد شَلَّتْ»[1].

وقد روى النسائي من حديث جابر بن عبد الله قصة طلحة في غزوة أُحد، فقد كان مع النبي ﷺ اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة، وقد جاء المشركون لقتال رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ للقوم؟»، فكان طلحة يقول: أنا. فلم يأذن له حتى خرج الأحد عشر رجلاً واحدًا تلو الآخر، وقتلوا عن آخرهم، حتى لم يبق إلا طلحة، فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج وقاتل قتال الأحد عشر رجلاً، حتى ضربت يده فقُطعت أصابعه، فقال: حَسِّ. فقال رسول الله ﷺ: «لو قُلْتَ: بسم اللهِ لرفَعتك الملائكةُ والناسُ ينظرون»[2].

موقف أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ودفاعه عن الرسول ﷺ:

ومن صور المحبة في غزوة أُحد ما كان من موقف أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه، إذ وقف موقفًا لا يزال يذكره ما بقي الإسلام والمسلمون، فقد روى أنس

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٤، ٤٠٦٣)، وابن ماجه (١٢٨).

(٢) أخرجه النسائي (٦/٢٩، ٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٣٦٩) من حديث جابر، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٧١)، و«صحيح الجامع» (٥٢٧٦).

بن مالك قال: لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي مُجوّب[١] عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد النزع، وكسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا، فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة. قال ويُشرف نبي الله ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة - يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تشرف لا يصيبك سهمٌ من سهام القوم، نحري دون نحرِك[٢].

وكان يجعل من نفسه واقيًا لرسول الله ﷺ فرضي الله عنه وأرضاه.

امرأة لا تعرف اسمها ولكن التاريخ يذكرها:

ومن مظاهر الحب في غزوة أُحد كذلك ما كان من موقف المرأة الدينارية حيث قُتل أبوها وأخوها وزوجها في الغزوة، وهي مع ذلك لم تبالِ بموت أقاربها، وكانت تسأل عن رسول الله ﷺ وتقول: كيف هو؟ فيقولون لها: لقد مات أبوك. ثم تعود وتقول: كيف فعل رسول الله ﷺ؟ فيخبرونها بموت أخيها وزوجها لعلها تهدأ من لهفتها لرؤية النبي ﷺ، ولكنها لا تبالي بذلك، فهي تريد أن تعرف حالة النبي ﷺ؛ لأنَّه أُشيع عنه في ذلك اليوم أنَّه قُتل، فقيل لها: إنَّه بخير فلم تهدأ حتى جاءت إليه ورأته على خير فقالت له: «كل المصائب بعدك جلل»[٣]، أي هينة ولا شيء ما دمت أنت بخير.

---

(١) مُجوّب: أي مكب عليه محيط به يقيه من رماية العدو أن تصيب.

(٢) رواه البخاري (٣٨١١، ٦٤ - ٤٠)، ومسلم (١٨١١)، وأحمد (٣/٦ - ٢٠) من حديث أنس بن مالك.

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٥٠).

موقف جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حفر الخندق:

ومن مظاهر الحُبِّ له ﷺ ما كان من موقف الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فقد رأى في وجه رسول الله ﷺ الجوع، فما صبر على ذلك إلا أن يُطعم رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حفر الخندق.

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حُفر الخندقُ رأيتُ برسول الله ﷺ خمصًا، فانكفأتُ إلى امرأتي، فقلتُ لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله خمصًا شديدًا - الجوع - فأخرجتْ لي جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت، ففرغت إلى فراغي فقطعتها في بُرمتها، ثم وليت إلى رسول الله، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه. فجئته فساررته فقلتُ: يا رسول الله ﷺ، إنا قد ذبحنا بُهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح النبي ﷺ وقال: «يا أهلَ الخندقِ، إنَّ جابرًا قد صَنَعَ لكم سورًا. وليمة. فحيهلا بكم». وقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلنَّ برمتكم ولا تخبزنَّ عجينتكم حتى أجيء».

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك فقلت قد فعلتُ الذي قلتِ لي، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معكِ، واقدحي من بُرمتكم ولا تنزلوها»، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطُّ كما هي وإنَّ عجينتنا لتخبز كما هو»[1].

الشاهد من القصة هو مظهر محبة جابر بن عبد الله لرسول الله ﷺ؛ فإنَّه لما رأى الجوع في وجهه ما صبر وما تحمل ذلك، فذهب لبيته كي يعد الطعام له ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (٢٠٣٩).

صلح الحديبية ومظاهر الحبُّ الخالدة:

ومن مظاهر المحبة ما كان في صلح الحديبية، والقصة المشهورة من قدوم عروة بن مسعود وافدًا وسفيرًا من قريش لرسول الله ﷺ، والقصة رواها البخاري وغيره.

والشاهد فيها أنّ عروة بن مسعود قال فيما قاله لرسول الله ﷺ: «أي محمد، أرأيت إن استأصلتَ أمرَ قومِك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاح أهلَه قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإنّي والله لا أرى حولك إلّا أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك». فقال له أبو بكر: «امصص بَظْرَ اللات، أنحن نَفِرُّ وندعه؟». فقال: من ذا؟ قال: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال: وجعل يُكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المِغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنصل السيف وقال له أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غُدَر، ما زلتُ أسعى في غَدْرَتك. وكان المغيرة قد صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال له النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إنّ عروة جعل يرمُق أصحاب النبي ﷺ بعينه. قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر؛ تعظيمًا له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت مليكًا قط يعظمه قومه ـ أو أصحابه ـ ما يُعظم أصحابُ محمد ﷺ محمداً. والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل

فَدَلَّكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له، وإنَّه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»(١).

إنّ مشهدَ الحُب ليتجلى في هذا الموقف من صلح الحديبية، بداية من أبي بكر، ثم من المغيرة بن شعبة الذي كان قريبًا لعروة بن مسعود، ثم هذا المشهد الأخير، فقد ترك النبي ﷺ أصحابه يفعلون أشياء لم يأذن لهم في فعلها من قبل، وذلك من ألوان تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ، فإنَّ الرسول ﷺ كان لا يحب مثل هذه الأشياء، ولكن لما كان عروة بن مسعود بمثابة المخابرات التي ستنقل الأخبار إلى قريش، ولما كان عروة نفسه يذم هؤلاء الناس، لما كان ذلك كذلك ترك الرسول ﷺ الصحابة يأخذون نخامته ليُدلّكوا بها وجوههم وتركهم يقتتلون على ماءِ وضوئه، وأظهر لعروة محبة هؤلاء الرجال لرسول الله ﷺ، وأنهم يسمعون له إذا أمرهم وينتهون إذا نهاهم، فكان ذلك المشهد كافيًا لأن تعرف قريش أن محمدًا ربَّى رجالاً يحرصون على الموت كما يحرص الآخرون على الحياة.

موقف عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول مع أبيه:

وتتجلى مظاهر المحبة في تقديم محبته ﷺ على الأهل والنفس والناس أجمعين، ومن أروع الأمثلة في ذلك ما كان من الصحابي عبد الله بن عبد الله

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، وكلاهما لم يحضر القصة، ومروان بن الحكم لم يكن صحابيًا، أما المسور فقد قَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو صغير مع وفد، صح أنه سمع، ولكن القصة قبل الفتح بستين. وقد يظنّ البعض أن الحديث مرسل، وليس الأمر كذلك؛ لأنّ المسور ومروان كانا يسمعان من أصحاب الرسول ﷺ الذين شهدوا هذه القصة، كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وغيرهم، وقد جاء الحديث من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يحكي قصة الحديبية، وكذلك جاء الحديث من رواية سهل بن ضيف كما عند البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).

بن أُبَي بن سلول، فقد كان هذا الصحابي مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ ، وكان أبوه رأس المنافقين، وكثيراً ما كان يؤذي عبد الله بن أُبي رسولَ الله ﷺ .

ولما عاد النبي ﷺ من إحدى غزواته كان هـذا المنافق يستهزئ برسول الله ﷺ ويقول: «ليخرجنَ الأعز منها الأذل»[1]، فلما سمع ابنه عبد الله بذلك أوقف أباه عند أبواب المدينة وقال له: والله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله في ذلك؛ فإنك أنت الأذل ورسول الله ﷺ الأعز. ثم أذن له النبي ﷺ بالدخول فدخل المدينة[2].

وحدث مرّة أن النبي كان يسير يومًا فرآه عبد الله بن أبي فقال لقد غَبَّرَ علينا ابنُ أبي كبشة - أي أخذ الرايةَ منَّا -، فغضب النبيُّ لذلك؛ لأن المنافق نسب النبي إلى جد غامض من ناحية أمّه ولأنَّ العرب تعير من نُسب إلى أمه.

فهذا مثل رائع من الصحابي يدل على كمال المحبة لرسول الله ﷺ ، حيث قدَّم محبة النبي ﷺ على من سواه وعلى أبيه خاصة، وكان يريد قتل أبيه إذا وافق له الرسول ﷺ على ذلك، ولكن ما أرحم النبي ﷺ وما أحلمه!

موقف أم حبيبة مع أبيها أبي سُفيان:

ومن تلك المظاهر أيضًا في صدق محبة الصحابة - رجالاً ونساءً - لرسول الله ﷺ ما حدث من زوجته أم حبيبة - أم المؤمنين - فقد كانت أم حبيبة بنت أبي سُفيان، ولما جاء أبوها المدينة وافداً وسفيراً من قريش لرسول الله ﷺ دخل بيت ابنته، فلما أراد أن يقعد على السرير سحبت من تحته البساط والفراش

---

(١) جزء من حديث البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤)، والترمذي (٢٣١٥) عن جابر بن عبد الله، ورواية أخرى من حديث زيد بن أرقم.

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣١٨) وعزاه للطبراني، و«سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٦٤).

فقـال: أي بُنيتي، أرغبتي بالبـساط عني؟ أم رغبـتي بي عنه؟ قالت: «لا تجلس عليه؛ فإنّه فراش رسول الله ﷺ، وإنَّك امرؤٌ كافر»[(١)].

ما هذا الحُبُّ؟ وما هذا الوفاء؟ لقد كان أبـو سفيان أباها، ولكن كان ما زال على دين الكفر ولم يُسلم بعـد، وحقيقـة الصلة بين الناس إنما هي صلة الدين. لقد كانت محبته ﷺ في قلوب أصحابه بمثابة العبادة والقرب التي يتقربون بها إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فـقدموه على أنفسـهم وأهليهم والناس أجمـعين، وضربوا أروع الأمثلة بالفعل لا بالكلام، وفدَوه ﷺ بأنفسـهم وأموالهم، واستحقوا أن يكونوا صـحابة له ﷺ، وسـبحان مـن قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، فاختار له هؤلاء الرجال ولم يختر غيرهم؛ لأنّ غيرهم لا يصلُح أن يكون صحابيًّا، وفـازوا ـ رضوان الله عليهم ـ بصحـبته في الدنيا ومرافـقته في الآخرة، وسيظل التاريخ يحكي مقولة عـروة بن مسعود: «والله لقد قدِمت على الملوك كسرى وقيصر والنجاشي فما وجدت أصحابًا يعظمون مليكهم مثلما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا».

---

(١) «سيـرة ابن هشام» (٤/ ٣٠)، و«البداية والنهـاية» (٣/ ٤٧٣)، وابن سعد في «الطبـقات» (٨/ ٩٩)، والذهبي في «السير» (٢/ ٢٢٣).

أنواع المحبة

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وههنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها[1].

أحدها ـ «محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه؛ فإنَّ المشركين وعبَّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله».

وهذا الكلام يحتاج إلى بسط، وبيانه أنَّ المحبة لله وحده لا تكفي ولا تنفع صاحبها عند الله ما لم تُتَوجْ بالإسلام والانقياد إلى أوامره بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وتوحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، وإلا فإن كل الخلق يحبون الله من كفار ومشركين بالله، فإنك إن سألتهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر:٣)، فهم مضلون، فقد اتخذوا الآلهة من دون الله لمحبة الله فضلوا وأضلوا، فلا تكفي المحبة وحدها بدون اتباع وموافقة المحبوب في مراده وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه.

الثاني ـ «محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها».

وهذه هي قاعدة الولاء والبراء، ومن أجلها يدخل المسلم دين الإسلام؛ لأنَّه أحب ما أحبه الله فرضي الدين الذي ارتضاه الله، ؛ لأنَّ الله رضي لنا الإسلام دينا. وبه أصبح الكفار خارجين عن محبة الله؛ لأنَّهم اختاروا ما كرهه الله فعبدوا من دونه ما لم ينزل به سلطانًا.

---

(١) «الداء والدواء» (١٩٦).

الثالث ـ «الحب لله وفيه، وهي لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله».

فلا تكون سعادة الدنيا في قلب المؤمن إلا بهذا النوع، وهو الحب لله، فما كان لله دام واتصل» وفي الحديث: «ان يحب المرء لا يحبه إلا لله»، ومن أجل هذه المحبة تكون الأخوة في دين الله، وتصلح أحوال الناس، ولا يغضب بعضهم على بعض، ومن أجلها يغفر الأخ لأخيه ويرحمه ويعطف عليه.

الرابع ـ «المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئًا مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نِدًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين».

والمقصود أن هذه المحبة مذمومة، مذموم صاحبها؛ لأنَّه ساوى بين محبة الخالق ومحبة المخلوق، فهذا هو الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من ربقة الإسلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، فقد أخبر سبحانه أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا نِدٌّ في المحبة، فكل محبة تأتي غير تابعة لله بعد ذلك فهي المحبة الضارة التي لا تنفع صاحبها عند الله، وذلك هو الخسران المبين.

الخامس ـ «المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم، إلا إذا ألْهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ٩).

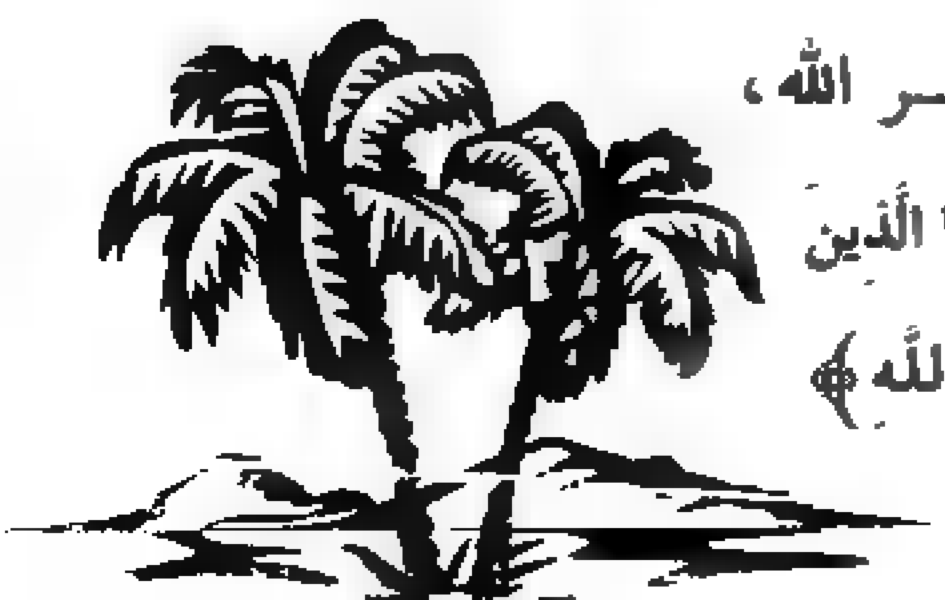

درجات الحب

للمحبة درجات كما أن للكراهة دركات، فكلما زاد حب المحبوب علا الحب درجة، وبه يعلو الحبيب لمحبوبه.

وقد تناول الإمام ابن القيم درجات المحبة فيما يلي بتصرف:

١ ـ **العلاقة:** وسُميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ومنه قول الشاعر:

وعلقت ليلى وهي ذاتُ تمائم ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

فأول ما كان بين الحبيب ومحبوبه علاقة يتعلق بها ثم يزداد التمسك فيما بعد كلما زاد الحب بينهما.

٢ ـ **الصبابة:** وقيل: الإرادة والفرق بينهما أن الإرادة هي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له، أما الصبابة فهي أخص وأفضل؛ لأن القلب فيها ينصب إلى محبوبه بحيث لا يملكه صاحبه، فالصبا أصل الميل، ومنه قول الشاعر:

تَشَكَّى المحبونَ الصبابةَ ليتني ... تَحَمَّلْتُ ما يلقون مِن بينهم وَحدي

فَكانَت لقلبي لذةُ الحُبِّ كلُّها ... فلم يلقها قبلي مُحبٌّ ولا بعدي

٣ ـ **الغرام:** وهو لزوم الحب للقلب لزومًا لا ينفك عنه ولا يفارقه، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه، والظل لصاحبه، ومنه لزوم عذاب النار لأهلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥).

٤ ـ **الوداد:** وهو صفو المحبة وخالصها ولُبها، ومنه المودة، وهي استمرار المحبة في قلب الحبيب لمحبوبه.

٥ ـ **الشغف:** يُقال شُغف بكذا فهو مشغوف به وقد شغفه المحبوب، أي وصل حبه إلى شغاف قلبه، كما قال النسوة عن امرأة العزيز ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (يوسف: ٣٠)،

فقيل: معناه استولى على قلبها، وقيل: هو الحب الواصل إلى داخل القلب. وأصل «الشغاف» هو غشاء القلب، إذا وصل الحب إليه باشر القلب.

٦ ـ **العشق**: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه ولا يوصف به الرب، ولا يطلق في حقه، بل تجده يُقال للفسقة وأهل المجون.

٧ ـ **الشوق**: وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر، ومنه شوق العبد للقاء ربه.

٨ ـ **التتيم**: وهو التعبد والتذلل، يُقال تيمه الحب؛ أي: ذلله وعبده، و«المتيم»، المتفرد بحبه وشجوه.

٩ ـ **التعبد**: وهو فوق التتيم؛ فإن العبد هو الذي ملك المحبوب رقة، فلم يبق له شيء من نفسه البتة، بل كله عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا، وهذا هو حقيقة العبودية، ومن كمل ذلك فقد كمل مرتبتها. وحقيقة العبودية هي الحب الكامل مع الذل التام والخضوع للمحبوب، تقول العرب: طريق مُعَبَّد؛ أي: قد ذللته الأقدام وسهلته. ومن هنا تعلم مدى محبة الله؛ لأنبيائه، مع كمال محبة الأنبياء له؛ فإنك تجد الوصف لهم في القرآن بلفظ العبودية.

وهذا سيدهم يقول عنه ربه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء:١)، فوصفه الله تعالى بأكمل الحب وهو العبودية لله.

١٠ ـ **مرتبة الخُلة**: وهي أعلى مراتب المحبة وذروتها؛ لأن المحبوب تخلل قلب الحبيب وسكن داخله، فالخلة هي نهاية المحبة وخاصتها، وهذا الوصف بالخُلة لم يتصف به أحد سوى الخليلين إبراهيم ومحمد، كما قال ﷺ: «**إنَّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[(١)]. وقال: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومن هذا نفهم خطأ بعض الناس في تعبيرهم بأن الرسول ﷺ حبيب الله وإبراهيم خليل الله، فهم يعتقدون أن المحبة أكمل من الخُلة، وهذا خطأ فاحش؛ لأن الخلة أكمل من المحبة؛ إذ هي أعلى مراتب المحبة، وكان التعبير الأليق والمناسب هو قولنا: إن الرسول ﷺ خليل الله، كما كان إبراهيم خليل الله تعالى، فلنراعي الأداء الحسن عند الكلام عن رسول الله ﷺ، فلا نقتصر على قولنا: حبيب الله خاصة عند وصف غيره معه.

فقد نفى ﷺ وجود الخلة لغير ربه، مع إخباره بحبه لأبي بكر وعائشة وعمر وغيرهم.

واعلم أن درجات المحبة تتفاوت عند من عرف صفات المحبوب ووقف على كماله عنده، فمن لم يعرف قدر محبوبه، فلن يبلغ الدرجات العليا في المحبة بمحبوبه، ولذلك كان الكفار مشركين؛ لأنهم ما عرفوا الله حق معرفته، ولذلك أشركوا معه في المحبة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام:٩١)، أما المؤمنون فهم المحبون؛ لأنهم المطيعون العارفون بربهم[١].

(١) لزيادة البحث انظر «الداء والدواء» (١٨٨-١٩٣)، و«مدارج السالكين» (٣/٢٦-٣٥)، كلاهما لابن القيم.

مظاهر الحب

إنّ المحبَّ إذا أحب فلا بد له أن يتنازل عن أشياء كثيرة من أجل محبوبه، ولكي يكون صادقًا في حبه فلا بد من التضحيات والعطاء بدون مقابل، وقد قيل: إنَّ «المحبة أول أودية العناء»؛ لأنها تفني خواطر المحب عن التعلق بالغير، وأول ما يفنى من المحب خواطره المتعلقة بما سوى محبوبه؛ لأنّه انجذب قلبه بكليته إلى محبوبه وانجذبت خواطره إليه رغم أنفه.

وفي الحقيقة للحب معجزة الانقياد والاستسلام لمراد المحبوب، فالمحب مع حبيبه كالسابح في الماء وهو لا يجيد السباحة، فتجد الأمواج تهوي به هنا وهناك، وهو عاجز عن التحكم فيها، فإذا ملك المحبوب قلب المحب فليفعل معه ما شاء وليتق الله فيه، فإذا قال المحب لمحبوبه: كرامتي فليعلم أنَّه لا يُحب؛ إذ ليس بين المحبين كرامة مفقودة؛ لأنّ حبهم هو كمال الكرامة.

وقف الهوى بي حيثُ وقفتَ	فلا متأخَّر لي عنه ولا مُتقدَّمُ
واهنتني فأهنتُ نفسي جاهداً	ما من يهونُ عليكَ ممن يُكرمُ
شاكلتَ أعدائي فصرتُ أحبهم	لبقاءِ حظي منكَ لحظي منهمُ
أجِدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً	حبًّا لذكراكَ فليلُمني اللومُ

إنَّ المحب يجد سعادته الحقيقية في سعادة محبوبه ولقائه والاجتماع معه، ويجد الحزن والشقاء في البعد عنه والفراق بينهما، لا يفرجه إلا عودة الحبيب.

وفيما يلي عرض لبعض ما قيل عن المحبة ومظاهرها، وهي من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم ـ رحمه الله ـ[1]:

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١١-١٣) بتصرف.

رسوم المحبة ومظاهرها:

الأول ـ قيل: المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم.

الثاني ـ إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

الثالث ـ موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

الرابع ـ محو المحب لصفاته وإثبات المحبوب لذاته.

الخامس ـ مواطأة القلب لمرادات المحبوب. (والمواطأة هي الموافقة لمرادات المحبوب وأوامره مرضية).

السادس ـ خوف ترك المحرمة مع إقامة الخدعة.

السابع ـ استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك.

الثامن ـ استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك.

التاسع ـ معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

العاشر ـ أن تهب كُلَّك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء.

الحادي عشر ـ أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب.

الثاني عشر ـ إقامة العتاب لنفسك على الدوام.

الثالث عشر ـ أن تغار على المحبوب أن يحبه غيرُك.

الرابع عشر ـ إرادة غُرِست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة.

الخامس عشر ـ أن ينسى المحب حظه في محبوبه وينسى حوائجه إليه.

السادس عشر ـ توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب.

السابع عشر ـ سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

الثامن عشر ـ غض طرف القلب عما سوى المحبوب غَيْرَةً، وعن المحبوب هَيْبَةً. .

التاسع عشر ـ ميلك للشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرًا وجهلاً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

العشرون ـ المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

الحادي والعشرون ـ المحبة بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب، وهذا أيضًا من حقوقها وثمراتها وموجباتها.

الثاني والعشرون ـ سُكْر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه، ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف، وأنشد:

فأسكر القومَ دورُ الكاسِ بينهم … لكنَّ سُكري نشا من رؤية السَّاقي

الثالث والعشرون ـ أن لا يؤثر على المحبوب غيره، وأن لا يتولى أمورك غيره.

الرابع والعشرون ـ الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاء من سواه.

الخامس والعشرون ـ المحبة سفر القلب في طلب المحبوب وسبح اللسان بذكره على الدوام.

السادس والعشرون ـ المحبة هي ما لا تنقص بالخطأ ولا تزيد بالعطاء.

السابع والعشرون ـ المحبة أن يكون كلك بالمحبوب مشغولاً، وذللت له مبذولاً.

الثامن والعشرون ـ المحبة هي تناول الماء العذب الذلال بعد ظمأ الفراق والوحشة.

إن المحبة: المحبة عطاءٌ بلا انتظار، وكرم بلا افتخار، ولقاء بلا ذنب يوجب النار، وابتسامة تشرح الصدور وتضيء الأبصار وتأخذ بين المحبين إلى جنة تجري من تحتها الأنهار.

المحبة والشوق

عرفنا فيما سبق رسم المحبة من حيث تعريفها ودرجاتها فهي محبة تقطع الوساوس، وتلذ الخدمة وتنبت من مطالعة المنّة، وتثبت باتباع السنة، وهي تبعث على إيثار الحق على غيره، وكان من آثار المحبة ثمرة «الشوق»، والكلام عنها الآن.

قالوا عن الشوق - في (مدارج السالكين)(١): إنه سفر القلب إلى المحبوب في كل حال، وقيل: هو احتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وقيل: هو احتراق الأحشاء، ومنها يتهيج ويتولد، ويُلهب القلوب ويقطع الأكباد والمحبة أعلى منه؛ لأن الشوق يتولد منها وعلى قدرها يقوى ويضعف.

وبهذا نفهم أن المحبة هي الأصل، وأن أم الشوق ولدها، فإن قويت المحبة قوي الشوق للمحبوب.

وقيل: إن الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء بالقرب.

والفرق بين الشوق والمحبة أن المحبة لا تزول باللقاء، بينما يزول الشوق باللقاء ويزداد عند الفراق، ومنه:

لولا التَّعلقُ بالرَّجَاءِ لقُطِّعتْ ... نفسُ المحبِّ صبابةً وتشوقا
ولقد يكادُ يذوبُ منه قلبُه ... مما يقاسي حسرةً وتحرقا
حتى إذا روح الرجاء أصابه ... سكن الحريق إذا تعلل باللقا

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١١-١٣) بتصرف.

وقال آخر:

وأبرح ما يكون الشوق يومًا ... إذا دنت الخيام من الخيام

وقال آخر:

ما يرجع الطرفُ عنه عند رؤيته ... حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

وقيل: «الشوق» هبوب القلب إلى غائب، بمعنى سفره إليه وهويه إليه.

درجات الشوق[١]:

الأول - شوق العابد إلى الجنة ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الآمل.

الثانية - شوق إلى الله - عزَّ وجلَّ - زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن فعلق قلبه بصفاته المقدسة فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله، وهذا شوق تغشاه المبارُّ وتخالجه المسارُّ ويقاومه الاصطبار.

الثالثة - نار أضرمها صفو المحبة فنغصَّت العيش وسلبت السلوة ولم يُنَهْنِهها معزى دون اللقاء.

وقد قيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء، وقيل: إن أهل الشوق إلى لقاء الله يتحسَّون حلاوة القرب عند وروده أحلى من الشهد.

يا من شكا شوقه عن طول فرقته ... اصبر لعلك تلقى من تحب غداً

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٥٤).

العشق وحي الشيطان

العشق لفظ لم يُعرف عند الصالحين الأوائل من هذه الأمة؛ فقد استحدثه أهل الهوى والفسق والمجون، فهو وحي شيطاني أوحى به إبليس لأوليائه وأغراهم حتى جعلوه عبادة، فالعشق داء خبيث ومفسدة للقلب وغضب للرب، فأنت تجد هذه الكلمة إذا أطلقت أريد بها الفسق والفجور والخلاعة؛ لأنهم إذا عابوا امرأة قالوا عنها: «عاشقة فلان»، وهذا يعد ذمًّا فلا تغتر بما تسمعه الآن من كثرة ورود هذه الكلمة على أفواه بعض الناس غير العالمين.

ومن مفاسد هذا الداء ما يلي:

١ ـ الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وذاك إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

٢ ـ عذاب قلبه بمعشوقه؛ فإن مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّب به ولابد.

٣ ـ أن العاشق قلبه أسير في قبضة غيره يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه.

٤ ـ أنَّه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من العشق.

٥ ـ أنَّ آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى العشاق من النار في يابس الحطب.

٦ ـ أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهن وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها، ولذلك يقول أحد العاشقين:

قالوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ: العِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالمجَانِينِ
العشقُ لا يَسْتَفِيقُ الدهرَ صاحِبُهُ وإنما يُصْرَعُ المجنونُ في الحِينِ

ولذلك كان يلقب العاشق بمجنون ليلى اللهم احفظ عقولنا.

والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هَمٌّ وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية الله هلك؛ كما قيل:

وَعِشْ خالِيًا فالحُبُّ أولُه عَنَى وَأَوسَطُه سُقْمٌ وآخِرُه قَتْلٌ

وقال آخر:

تولَّع بالعِشقِ حتى عشق فلمَّا استَقَلَّ به لم يَطِق
رأى لجَّةً ظَنَّها موجَةً فلمَّا تَمَكَّنَ منها غرق

فالعاشق مذنب، بعيد عن الله، حبيب وقريب من الشيطان، فهو الجاني على نفسه يوم أن اتبع نفسه فهوي وأحب حب الشيطان واستمع لوحي الشيطان، وكان عاقبته الهوان والخسران.

فساد لفظة العشق مع الله والرسول ﷺ:

كان من تلاعب الشيطان بهذه الأمة وتلبيسهم عليهم ما زيّنه لبعضهم من أمثال الصوفية حيث استخدموا العبارة المبتدعة الفاسدة «العشق الإلهي»، فهذا تعبير ما أنزل الله به من سلطان، فلم يعرفه الرسول ﷺ ولا الصحابة ولا العلماء والصالحون من بعدهم، فهذا لفظ دخيل على الأمة وشرعها، فكان ما كان من انتشار الكلمة على أفواه الجاهلين، فلم يحسنوا استخدام اللفظ، وأصبحوا يصفون الله بغير صفاته الكمالية، ومن هنا كان فساد الصوفية باستخدامهم لمثل هذا اللفظ؛ لأن الكلمة بنفسها توحي إلى الفجور والمجون والخلاعة؛ لأنها تستخدم في الخيانة الزوجية أو العلاقة الغير مشروعة، أما ترى وتسمع يقولون:

«عشيقة فلان»، أي الخائنة. ولهؤلاء الذين يقولون نحن نعشق الله نقول لهم هل تحبون هذه الكلمة فتسمحوا لنا أن نصف بها أزواجكم وأخواتكم فنقول: زوجتك عشيقة وعاشقة! فإن كانوا رجالاً قالوا: لا، وبذلك يظهر فساد معتقداتهم. وإن قالوا: نعم فقد زادوا الطين بلة لظهور الدياثة عندهم.

جمعني مجلس يومًا: بموجه للغة العربية بإحدى المدارس الخاصة، وكنت سأعمل بها مدرسًا للغة العربية، وقد كان هذا الموجه هو المسئول عن اختبار واختيار المعلمين الجدد، وكان قد اختارني للعمل معه في المدرسة، وحدث أنه تكلم عن الغزل وتعريفه، وكان مما قال: «الغزل الإلهي»، فسكتُّ في بادئ الأمر حتى أجمع معتقده وكلامه، حتى تدرج في كلامه وقال: إنّ أفضل أنواع الغزل هو الغزل الإلهي. ومن هنا عرفت أن الرجل صوفي جاهل، فقلت له: وماذا تعني بالغزل الإلهي؟ قال: إنني أحب الغزل في الله والغزل لرسول الله ﷺ، فهذا أفضل ما يكون عندي من الغزل، فقلت له: أما ترى أن كلمة الغزل تستعمل عند أهل الأهواء والفسق، وأفضل منها كلمة الحب والمودة؟ فقام آخذًا سيف غضبه وقال لي: أتجادلني؟ قلت له: إنني أريد أن أعرف الحق فأتبعه. قال: إن الغزل والعشق هما أعلى مراتب المحبة، وإنني أعشق الله وأعشق رسول الله ﷺ. فقلت: سبحان الله وتقدست أسماؤه، إنك تحب بطريقة غير شرعية، هل أنت أفضل من رسول الله ﷺ وصحابته؟ هل عندك من أثر صحيح يوجد فيه استعمال هذا اللفظ من الخلق للخالق؟ فوقف باهتًا وقال لي: ولكنها كلمة حسنة أحبها. قلت له: إنّ الكلمة إذا أطلقت أريد بها الخيانة والسفور والعهر، فهل تسمح لي أن أقول عن زوجتك وابنتك عاشقة؟ قال: لا. قلت: الحمد لله، لقد أجبت عن نفسك. وكان جزائي هو عدم العمل في المدرسة مع سيادة الموجه!

جـزاء المحبـين

إنَّ الجزاء من جنس العمل، وللمحبين جزاء في الدنيا والآخرة، ولكن أي المحبين؟!

المحبون نوعان: محبون لله، ولكل ما يقرب إليه، ومحبون لغيره.

فأما المحبون لغيره دون الوصول إليه فهؤلاء الذين خسروا الدنيا والآخرة.

أما المحبون لله، ولكل ما يوصل إليه فأولئك هم المحسنون والمفلحون في الدنيا بالسعادة والآخرة بالجنة. وكي ينال المحبون الجزاء من الله فلا بد من شروط، هي:

الشرط الأول ـ الإخلاص، ومعناه المحبة الخالصة لله وحده، ومحبة كل الأعمال والأقوال لله وفي الله وبالله، فلا يجوز أن تدخل محبة غير الله في شيء من حياته، فكان لا بد من الإخلاص في المحبة وعدم الإشراك فيها.

الشرط الثاني ـ الاتباع في المحبة، فإننا لا نحب الله بأهوائنا وميولنا فحسب، فلا بد من الاتباع في المحبة حتى لا نضل الطريق مثلما حدث للصوفية؛ فقد أطلقوا لفظ العشق الإلهي فضلوا وأضلوا، فإننا لما أحببنا ربنا نظرنا إلى حب نبينا ﷺ فاتبعنا الحبيب للوصول إلى المحبوب.

الشرط الثالث ـ العمل، وهو دليل على صدق المحبة، فلا تكفي المحبة وحدها بدون عمل؛ لأن العمل هو ماء الحياة للمحبة، فكم هم الذين يزعمون محبة الله ولكنهم لا يعملون ما أراد الله، فمن قائلٍ: المُهمُّ القلب الأبيض، وقائلٍ: أهم شيء أنني أُحبُّ اللهَ، وغير ذلك من العبارات الواهية.

وإذا نظرنا لحال الخلق فهم محبون لله مع كفر من كفر منهم، فهذه محبة لا تنفع صاحبها؛ ولذلك أقام الله الحجة على من ادعى المحبة بالعمل.

يقول ابن القيم: فلما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى الخليُّ حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة: ٥٤).

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١)[(١)].

فلما ادعى قوم محبة الله أنزل الله تعالى قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

فليس هناك محبة لمن لا يعمل ولا يتبع رسول الله ﷺ، فشرط صدق المحبة هي العمل والاتباع. وما رأينا أحدًا محبًا لربه مثل محبة الرسول ﷺ لربه، ومع ذلك كان أعبد الناس لله، وهكذا كان أصحابه من بعده؛ فلقد كانوا أشد الناس حبًا لله ورسوله ﷺ، وهم من أحسن الناس عملاً واتباعًا نبيه ﷺ فقد أقاموا شرط المحبة؛ ولذلك نالوا من الله محبته، ومن الرسول ﷺ صحبته.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٨).

وكي ينال المحبون الجزاء من الله فلا بد من كمال المحبة له سبحانه ولرسوله ﷺ، وهذه هي المحبة التي تجلب السعادة وتشرح الصدر، ومحبة العبد لربه من علامات محبة الرب لعبده، وبمقدار حب العبد لما يحبه ربه تكون محبة ربه له.

إنَّ العبد إذا فاز بمحبة الله له فقد فاز بكل شيء، فليس المهم في محبة العباد لربهم، ولكن المهم أن يحب الله العباد، فهذه هي المحبة التي يفرح بها العبد.

فعلى العبد أن يعمل بما يحبه سيده حتى يحظى بمودته وعفوه، وعليه أن يتحدى مواطن الرضا والطاعة ويجتنب محارم الله؛ حتى لا يبعد عن محبة سيده. فإذا أحب الله العبد جوزي وسعد ونال الدرجات العليا، فما جزاء المحبين؟

منها أن الله يحبه، ومن يحبه الله أدخله جنته، وقد ذكر الله في كتابه أصنافًا من الذين يحبهم الله من أفعالهم وأقوالهم وأخلاقهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦)، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف:٤)، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:٧٦).

وفي الحديث: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[(١)].

وكثير من الأحاديث التي تتكلم عن «أحب الأعمال إلى الله»، فهنيئًا للمحبين بمحبة رب العالمين وحفظه ورعايته لهم، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: «... وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهنيئًا للمحبين بمحبة الله ومحبة أهل السماء والأرض لهم؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة: «إذا أَحبَّ اللهُ العبدَ دعا جبريلَ فقال: إني أُحِبُّ فلانًا فأحبه. فيُحِبه جبريل، ثم ينادي في السَّماء فيقول: إنَّ الله يُحِبُّ فلانًا فأحبوه. فيحبه أهلُ السماء، ثُمَّ يوضع له القبول في الأرض»[(١)].

تالله ما سعد أحد مثل ما سعد أهل الحب بمحبة الله لهم ورضاه عنهم. فما الجزاء يوم القيامة، وما جوائزهم من الله لهم، روى أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: حُقَّتْ مَحَبتي للمُتَحابين فِيَّ، وحُقَّتْ مَحَبتي للمتواصلين فِيَّ، وحُقَّتْ مَحَبتي للمتناصِحين فِيَّ، وحُقَّتْ مَحَبتي للمتزاورين فِيَّ، وحُقَّتْ مَحَبتي للمتباذلين فِيَّ، المتحابون فِيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[(٢)].

وقال تعالى: «وجَبَتْ مَحَبتي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ»[(٣)].

وقال تعالى: «حُقَّتْ محبتي على المتحابين، أظلُّهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظلِ إلا ظلي»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» من حديث عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٢١).

(٣) رواه أحمد في «المسند»، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» من حديث مُعاذ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الإخوان» من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٢٠).

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الحب ما كـان لله وبالله، قال رسول الله ﷺ : «من أحبَّ لله، وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[(١)].

وقال رسـول الله ﷺ : «من سرّه أن يَجد طعمَ الإيمانِ فليُحبَّ المرءَ لا يُحبه إلا لله»[(٢)].

نِعمَ المحبةُ محبة الله لعباده:

فهي أفضل نعـمة وأعظم منّه؛ لأنها الغاية التي يعـمل من أجلها المخلصون والمؤمنون، ومن أجلها يتحمل الشدائد الصابرون، وبسببها يجد اللذة في الابتلاء المبتلون، وبها يأنس المستوحشون، ومن أجلها يجاهد المجاهدون، وجاء المرسلون والنبيون، ومن أجلها الجنة تكون، وفاز بها الناجون، ومن لم يعمل لها فأولئك هم العادون، في جهنم خالدون لأنهم في المحبة مشركون.

فأي سعـادة وأي طلب وأي بغية يريدها العبـد بعد محبـة الله له، لقد كان الواحد من أصحاب النبي ﷺ يسمع من رسول الله ﷺ أنّ الله تعالى يحبه ويبلغه محبة الله، فهذه هي السعادة الكبرى التي ليس بعدها سعادة.

وكانوا سـبَّاقين لعـمل الأسبـاب التـي توصلـهم إلى محـبـة الله، فقـدموا أنفسهم وباعوها لله، فتمت البيـعة وربحت التجارة، وكانت الثمرة وهي الجنة، فللَّه الحمد والمنَّة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٦١) «باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه» من حـديث أبي أمامـة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥)، وفي «الصحيحة» (٣٨٠).

(٢) رواه أحمد (١٠٣٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٨٨)، وفي «الصحيحة» (٢٣٠٠).

إنَّ أُبي بن كعب رضي الله عنه بلغت سعادته ذروتها حينما علم فقط أن الله سمّاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ عليه سورة البينة، فكانت الدهشة والعجب، وقال: يا رسول الله، وسمَّاني لك؟ قال: «نعم»، فكانت الفرحة لمجرد ذكر اسمه فقط، فماذا لو نادى عليه يوم القيامة أن ادخل الجنة(١).

فاللهم ارزقنا حبك وحب من أحبك وكل عمل يقربنا إلى حبك.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٥٩)، ومسلم (٧٩٩)، والترمذي (٢٧٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الأسباب الجالبة للمحبة

إنّ محبة الله ذاتية، ومع ذلك فإنّ أثر نعمه على خلقه وتفضله عليهم لترغم صاحبها على محبته سبحانه. وإذا كانت الغاية من هذه الدنيا هي الخروج منها بمحبة الله لنا وعفوه عنا، فما هي الطرق الموصلة لمحبته سبحانه؟

أسباب المحبة:

١ ـ توحيد الله في العبادة والطاعة والحكم والحب، فلا بد أن يكون المحبُّ مؤمنًا بالله، لا يشرك به شيئًا في أي شيء، حتى في محبوبه، فلا بد من إخلاص المحبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

٢ ـ الإخلاص لله، وذلك بأن يبتغي بحبه هذا وجه الله، لا لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فلا بد أن يكونَ حبه لله وفي الله وبالله، فإن أشرك وراءى في حبه وطاعته فهذه هي المحبة الضارة.

٣ ـ اتباع الرسول ﷺ في الأفعال والأقوال وجميع الأحوال، فلا بد من صحة المحبة أن توافق محبة النبي ﷺ لربه، فإن خَالَفَتِ الهدى والاتباعَ فذلك هو الابتداع وصاحبه في الضياع.

٤ ـ التفكر في خلق الله من سماء وأرض وكون، فقد مدح الله قومًا تفكروا في خلقه وتأملوه، فهذا من أفضل الأسباب التي توصل العبد إلى محبة الله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١)، وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، فسبحان الخالق البديع.

٥ ـ محبة الإخوان والخلان في الله، قال سبحانه: «وجبت محبتي للمتحابين في»[١]. و«حقت محبتي على المتحابين في»[٢].

٦ ـ ذكر الله على كل حال، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنْ أقولَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمس»[٤].

وعند مسلم من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله: «ألا أُخبرك بأحَبِّ الكلام إلى الله؟ إنَّ أحَبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه»[٦].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، ومالك في «الموطأ» (٥٧٥) من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١)، وفي «تخريج المشكاة» (٥٠١١).

(٢) سبق تخريجه برقم (٥٧).

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٥)، والترمذي (٣٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٧٣١) من حديث أبي ذر.

(٦) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، ورواه البخاري أيضًا في «الأدب المفرد» (٦١٥)، وصححه الألباني في تحقيقه، وصححه في «الصحيحة» (٢٠١١).

وكثير من فضل الذكر موجود في كتب الأثر والحديث، وهو أوسع الأبواب وأرجاها للدخول في محبة الله تعالى.

٧ ـ التحلي بحسن الخلق؛ فإنّ حسن الخلق هو أعلى مراتب المحبة عند الله؛ فقد قال ﷺ: «إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا»[(١)].

وقال ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإنّ الله يبغض الفاحش البذيء»[(٢)].

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن ليُدرك بحُسن خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائم»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ مِنْ أَحبِّكم إليّ وأقربِكم مِنِّي مَجلسًا يومَ القيامة أحاسِنَكم أخلاقًا»[(٥)].

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ في تفسير حسن الخلق بأنه «طلاقةُ الوجه، وبذلُ المعروف، وكفُّ الأذى»[(٦)]. فاللهم حسِّن أخلاقَنا، وهذِّبْ طِباعَنا.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٢)، وفي «الصحيحة» (٨٧٦)، والحديث من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في تخريجه «الأدب المفرد» (٢٨٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٤) باب «حسن الخلق إذا فقهوا»، من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود من حديث عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٢)، وفي «الصحيحة» (٧٩٤-٧٩٥)، وفي «المشكاة» (٥٠٨١).

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠١)، و«الصحيحة» (٧٩١).

(٦) رواه الترمذي (٢٠٠٥).

٨ ـ فعل الطاعات والخيرات واجتناب المنهيات والمحرمات، وذلك في الأمور كلها؛ بأن يراك الله فيما يحب ويفتقدك فيما لا يحب، وإنما يكون ذلك بالامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، فينظر في الأعمال والأقوال الموافقة لمحبته سبحانه وتعالى فيتحراها ويفعلها ويداوم عليها، ويعرف المحرمات حتى يجتنبها. ومن ذلك صبر العبد على بلائه؛ قال الله في الصابرين ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦)، والإحسان إلى الغير ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤).

ويجتنب ما يغضب الله ويبغضه، ومن ذلك الفساد والكبر والظلم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان:١٨)، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧).

وإذا نظرنا إلى الأعمال والأقوال التي يحبها فهي كثيرة في القرآن ودواوين السنة، فما أكثر أن تسمع في الأحاديث: «احب الأعمال إلى الله كذا وكذا»، فما تقرب العبد لربه بشيء أحب إليه من فرائضه عليه.

ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(*) قال ابن حجر في «الفتح» (١١/٣٥١): «قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن (التردد) هنا له تأويلان: احدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام =

٩ ـ تقوى الله وإتقان العمل، وذلك لأن تقوى الله هي ثمرة العبادات الناتجة عنها؛ فإنك لا تقرأ في القرآن المخاطبة لأهل التقوى البتة ولكنك تجدها دائمًا من مطلوب الله تعالى من الخلق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ١)، فلم يخاطب بها أحدًا إلا طلبًا منه، وبها يقبل الله العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، لأن صاحب تقوى الله هو الذي يحبه الله، ولذلك يقبل منه العمل قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[١].

فهذه ثلاثة أوصاف لواحد من الذين يحبهم الله، وهو التقي الذي يخاف الله، وهو مع ذلك غني، ولكن غناه لم ينسه أنه عبد لله، فلم يتكبر ويظلم ويطغى على خلق الله، وهو مع كل ذلك خفي لا يرائي ولا ينافق، ولذلك صدق من قال: الغني الشاكر خير من الفقير الصابر.

وأما عن إتقان العمل فهذا من صفات الذين أحبهم الله، يقول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[٢].

= عمره من داء يصيبه وفاقه تنزل به، فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها، فيكون بذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله؛ لأن الله قد كتبَ الفَنَاءَ على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه.

والثاني: أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن، . . فيكون حقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه» اهـ.

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٥٣١٢) من حديث عائشة ﵂، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٠)، و«الصحيحة» (١١١٣).

١٠ ـ علو الهمة والاجتهاد في فعل الخيرات، وذلك على حسب همم الناس في محبتهم لله ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا يسألون عن الداني من الأمور مع قدرتهم على فعل المعالي؛ لأنَّ مثل هؤلاء قد تقعد بهم همتهم فلا توصلهم لمحبة الله، أما ترى أصحاب الرسول ﷺ كانوا إذا سألوا سألوا عن معالي الأعمال وأشرفها وأقربها وأفضلها عند الله ونحن إذا سألنا الله فلنسأله عن أفضل الأشياء وأعلاها، مثل جنة الفردوس مثلاً، يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها»[(١)].

١١ ـ التحدث بنعم الله وظهورها على العبد، إنَّ المحب إذا أهدى له محبوبه شيئًا فرح به وافتخر به أمام الناس، وأصبح يحدث بهدية محبوبه له، ويجعل من ذلك سعادة ما بعدها سعادة.

ولله المثل الأعلى، فهو المحبوب الأول الذي لا شريك له في حبه، ونعمه لا تحصى ولا تعد، فعلى المرء أن يظهر أثر نعمة الله عليه، يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١)، ويقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يُحِبُّ أنْ يرى أثرَ نِعْمَتِهِ على عَبْدِه»[(٢)].

١٢ ـ السماحة في الأفعال والأقوال، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يُحِبُّ سمحَ البيعِ، وسمحَ الشراءِ، وسمحَ القضاءِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٨٩٤) من حديث الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما، وأخرجه الحاكم (١/ ٤٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩١)، وعندهما بلفظ «إن الله ـ عزَّوجلَّ ـ كريم يحب الكرماء، ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٩٠)، و«الصحيحة» (١٣٧٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٨١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٧).

(٣) رواه الترمذي (١٣١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٨)، و«الصحيحة» (٨٩٩).

وهو بمثابة الإحسان والحلم والأناة والرفق في التعامل مع خلق الله، يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ في الأمرِ كله»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيس: «إنّ فيك لخصلتين يُحبهما الله: الحلمُ والأناة»[(٢)]. وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانه»[(٣)].

هذه بعض الأسباب الجالبة لمحبة الله - عزَّ وجلَّ - على سبيل معرفة الجزء من الكل وإلا فإنَّ أسباب محبة الله للعبد لا تحصر ولا تُعد، فهي واسعة وكثيرة، تتلخص في أوامر الله وتشريعاته، فكل ما أمر الله به وشرَعه يوصل لمحبته سبحانه، وكل ما نهى الله عنه وحرمه وكرهه فهو العقبة التي تحول بين العبد والوصول لمحبة الله - عزَّ وجلَّ -.

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - عشرة من الأسباب الجالبة لمحبة الله، وهي:

أحدها - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبدُ ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

وهذا كلام جميل وحسن، ولكنه وحده لا يكفي، فلا بد من العمل بما فيه بعد فَهم وتدبر معانيه، وإلا كان نقمة على صاحبه.

الثاني - التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض؛ فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم (١٧)، والترمذي (٢٠١١)، وابن ماجه (٤١٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في «صحيح الجامع» (٢١٣٦).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الثالث ـ دوام ذكره على كل حال: باللسان وبالقلب والعمل والحال، فتصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع ـ إيثار محابه على محابك عند غلبة الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

وكلام الإمام ـ رحمه الله ـ مبني على أصل الإيمان بالله والاعتقاد بأنه يفعل الخير للعباد، وأنَّ اختيار الله للعبد خير وأفضل من اختيار العبد لنفسه؛ لأن الله يعلم وعبده لا يعلم.

الخامس ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. لهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطّاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

ما أحسنَ هذا الكلامَ فعلاً إنَّ باب الصفات والأسماء الحسنى لله تعالى لتزيد العبد معرفة على ربّه من صفاته الكمالية والجمالية، فهل تعرفنا على الله حق معرفته؟!

السادس ـ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة، فإنها داعية إلى محبته.

هل نظرت إلى النعم التي من حولك وتحيط بك من كل جانب؟ ولكي تَتجلّى لك هذا النعم فانظر إلى المصاب بفقدها. هل تأخذ كنوز الدنيا في عينك؟ هل بوزن الأرض ترضى ذهبًا في سمعك؟ هل تقبل مال قارون في عقلك؟ فكم من نعم الله عليك تترى وأنت لا تدري ولا تشكر، فلو تدبرتها لوجدت الحياء غمرك كلك، ولو تعرفت على هذه النعم ما وسعك إلا أن تشكره وتستغفره، إنَّك في نعمة وما تدري، فأنت مسلم ومتبع للنبي ﷺ ومصلٍّ،

وعندك بيت تسكنه، وفي صحة جيدة، وقد قال رسول الله: «نِعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ الناس: الصحةُ والفراغُ»[(١)].

السابع ـ وهو من أعجبها ـ انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا غير الأسماء والعبارات.

الثامن ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع ـ مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تُنتقى أطايب الثمرة، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أنّ فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

وهذا حق، فإنّ مجالسة المحبين تزيد النفس صفاءً وتُصيّر أمراض القلوب شفاءً وتحميها من الحقد وتكون له وقاء، فلولا وجود المحبين ما كان للدنيا عيش وكرهتَ فيها بقاءً.

العاشر ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وهذا كلام جيد من الإمام ـ رحمه الله ـ فعلى المرء أن يبتعد عن المعاصي والذنوب؛ لأنها بمثابة العقبة التي تقف حائلاً أمام الوصول لمحبة الله سبحانه.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران:

الأول ـ استعداد الروح لهذا الشأن.

والثاني ـ انفتاح عين البصيرة. اهـ[(٢)].

فسل الله الطاعة والإعانة عليها، وليكن دعاؤك دائمًا: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» اللهم آمين.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) «مدارج السالكين» (٣/١٦-١٧) بتصرف.

حبُّ النِّساءِ وموقفُ الإسلامِ منه

إنَّ حُبَّ النساء فطرةٌ فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها، وهي من طبيعة البشر، بل هي من حاجات البشر، فحُبُّهنَّ لا يتمالكه الرجل؛ لأنَّه مجلوب على ذلك.

قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤)، فهي غريزة فطرية عند النَّاس لا تنفك عنهم البتة.

والإسلام لم يحارب الحبَّ ولم يعطله، ولكنَّه نظَّم هذا الحب وجعله في مكانةٍ عالية، وشرَّفه بالتشريع، وجعل غايته الزواج والعلاقة المحمودة، فمحبة الزوجات من كمال العبد ومن الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، فقد جاء التعبير عن الحب بالمودة التي هي أكمل من الحب وأعم منه، فهي خالص الحب للمحبوب، ولكن المحبة وحدها لا تكفي، ولذلك جعل بينهما السكن فيسكن الزوج إليها.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما محبة الزوجات فلا لوم على المحب فيها، بل هي من كماله»[(١)].

والحب الحقيقي هو الذي ينمو بين الزوجين على مر الأيام، وتدعمه العشرة والصحبة؛ فإنَّ الحب غالبًا ما يتولد بعد الزواج نتيجة تبادل المودة وحسن التفاهم والمعاملة الطيبة، وكان أفضل محبٍّ لأزواجه هو رسول الله ﷺ ولا ريب أن

(١) «الداء والدواء» (٢٤٦).

النبي كان قد حبِّب إليه النساء في حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حببت إلي من دنياكم النساء والطيب. وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[(١)].

وسئل ﷺ: من أحب الناس إليك؟ فقال: «عائشة»[(٢)]، فقد كانت ﵂ أحب امرأة إليه من النساء بعد خديجة. وروى مسلم أن أزواج النبي ﷺ أرسلوا فاطمة ابنته إليه فدخلت عليه وهو مضطجع مع السيدة عائشة، فقالت فاطمة: يا رسول الله إنَّ أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. تقول السيدة عائشة: وأنا ساكتة، فقال رسول الله ﷺ: «ألَستِ تُحبينَ ما أُحِبُّ»؟! قالت: بلى. قال: «فأحِبي هذه»[(٣)]، أي عائشة ﵂.

وقال عن حبِّه لخديجة ﵂: «إنّي رُزقتُ حُبَّها»[(٤)]، فمحبة النساءِ الزّوجاتِ من الإيمان، قال ابن عباس ﵄: «خَيرُ هذه الأمَّةِ أكثرُها نِساءً»[(٥)].

وفي قصة زينب بنت جحش ﵂ دليل على محبة النساء وحاجة الرجل إليها، ففي صحيح مسلم من حديث جابر ﵁ أن النبي ﷺ رأى امرأة فأتى زينبَ، فقضى حاجته منها وقال: «إنَّ المرأةَ تُقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدُكم امرأة فأعجبته فليأتِ أهلَه؛ فإنَّ ذلك يَردُّ ما في نفسِه»[(٦)].

---

(١) رواه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والبيهقي، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٣) من حديث أنس ابن مالك.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥) من حديث عمرو بن العاص.

(٣) رواه مسلم (٢٤٤٢) عن عائشة ﵂.

(٤) رواه مسلم (٢٤٣٥) من حديث عائشة ﵂.

(٥) رواه البخاري (٥٠٦٩)، موقوفًا عن ابن عباس ﵄.

(٦) رواه مسلم (١٤٠٣)، وأبو داود (٢١٥١)، والترمذي (١١٥٨) من حديث جابر بن عبد الله ﵄.

يقول ابن القيم: «وهذا خليل الله إبراهيم كان عنده سارة أجمل النساء، وأحب هاجر وتسرى بها».

وهذا داود ـ عليه السلام ـ كان عنده تسعة وتسعون امرأة، ثم تزوج أمَّ سليمان فكمَّلَ المائة. وهذا سليمان ابنه ـ عليه السلام ـ كانت له ألف امرأةٍ منهنَّ ثلاثمائة سرية وكان يطوف في الليلة على تسعين امرأة[(١)].

ويُروى أن رسول الله ﷺ كان يسوي بين نسائه في القسمة بينهنَّ ويقول: «اللهمَّ هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك»[(٢)].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩)، والمقصود عدم العدل في محبة القلب والميل لإحدى النساء التي تحسن لزوجها؛ لأنَّ القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها.

ولم يُر للمتحابين مثل النكاح:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله: في حجري يتيمة قد خطبها موسر ورجل معدم، فنحن نحب الموسر وهي تحب المعدم. فقال رسول الله ﷺ: «لم يُرَ للمُتَحَابَّينِ مثلُ النكاح»[(٣)]، وهذا النكاح جزاء للحب العفيف الشريف، وغاية المحبين هي العلاقة والارتباط، فإن لم تكن غايته الزواج فذلك العشق الفاسد والحب الضار المذموم.

---

(١) قصة طواف سليمان عليه السلام على تسعين امرأة في الليلة الواحدة وردت في البخاري (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، قلت: والحديث ضعيف ولا يصح موصولاً، وقد ضعفه الألباني في «الإرواء» (٢٠١٨)، وقد حسنه بعض أهل العلم من جهة أنه مرسل من كلام أبي قلابة بلفظ «أنَّ النبي ﷺ كان يقسم بين أزواجه...». والله أعلم.

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٠)، و«الصحيحة» (٦٢٤).

قالت هند بنتُ المهلب: ما رأيت لصالحي النساء وشرارهنّ خيراً من إلحاقهنَّ بمن يسكنَّ إليه من الرجال، ولرب مسكون إليه غير طائل، والسكن على كل أوفق.

الحب في صدر الإسلام:

قلنا إن الإسلام لا يحجب المحبة ولا يقطعها بين الزوجين؛ لأنَّ المحبة بينهما في حد ذاتها عبادة، ولكنه ينظمها ولا ينكرها؛ لأنها من ميل القلب وليس للإنسان اختيار فيها، ولا بد من ضوابط شرعية لهذه المحبة حتى تعلو وترتفع بصاحبها، وفيما يلي عرض لبعض النماذج لما كان من حب الزوج لزوجته، وما كان من الحب العذري العفيف الذي لم ينكره الإسلام.

على أننا يجب أن نعلم أن كل ما يَردُ من هذه المحبة المشروعة فالحب أصل من أصول الإيمان ولكن الحال انقلب في عصرنا هذا، وإنَّ كلمة «الحب» تستخدم مع الفساق والعشاق وأصحاب المجون والسفور، ولذلك تستقبح عند بعض الناس لمدارها عند السفهاء والحمقى.

كعب بن زهير ﵁ وقصة توبته ومجيئه لرسول الله ﷺ وقد مدحه بقصيدة باقية ما بقي الزمان، فقد مدح النبي ﷺ ولكن كيف بدأ قصيدته؟ يقول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبولُ	متَيَّم اثرها لم يُفَد مكبولُ
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغنّ غضيض الطرف مكحولُ
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة	لا يُشتكى قصرٌ ولا طولُ
تجلوا عوارضُ ذي ظلم إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح معلولُ
سُجت بذي شَبم من ماء مجنية	صافٍ بأبطح اضحى وهو مشمولُ
فيا لها خُلّة لو أنها صَدَقت	بوعدها او لو انَّ النُّصح مقبولُ

لكنها خُلَةٌ قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديلُ
وما تُمسك بالعهد إذا زَعَمَتْ ... إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابيلُ
ارجو وآمل أن تدنو مودتُها ... وما إخال لدينا منكِ تنويلُ
أمست سعادُ بأرض لا يُبلِّغها ... إلا العتاق النَّجيبات المراسيلُ

ومضى كعب بن زهير في قصيدته وقدمها بما يقرب من أربعين بيتًا في غزله لمحبوبته سُعاد يمدحُها ويصفها، ثم مدح النبي ﷺ بعد ذلك، وما أنكر عليه رسول الله ﷺ ذلك، وعدم إنكار النبي يعد إقرارًا؛ إذ لو كان حرامًا أو مكروهًا ما سكت عنه رسول الله ﷺ[1].

قصة مُغيث وبريرة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له: مُغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: «يا عباس، ألا تعجب من حُبِّ مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا»، ثم قال النبي ﷺ: «لو راجعته». قالت يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشْفَعُ»، قالت: لا حاجة لي فيه[2].

فانظر رحمك الله إلى هذا الحُبِّ من الرجل للمرأة، وإن كانت قد بانت منه فلم يلمه ﷺ على هذا الحب؛ لأنه لا يملك نفسه.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا مسلسل بالمجاهيل: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٧-١٧٨)، وابن هشام في «السيرة» (٤/ ١٣١-١٣٩)، والحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٨٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٤٣)، و«الدلائل» (٥/ ٢٠٧)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٥٨٢)، وقال ـ أي ابن كثير ـ: «وهذا من الأمور المشهورة جدًا، ولكن لم أرَ ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه والله أعلم»، ورواه كذلك ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٤٣٣)، والقصة صححها الحاكم وسكت عنها الذهبي، وفي إسنادها ثلاثة من المجاهيل هم الحجاج بن ذي الرقيبة، وأبوه وجدُّه، والقصة أوردها كذلك ابن ديزيل في جزء له (١٥).

(٢) رواه البخاري (٥٢٨٣)، وأبو داود (٢٢٣١)، وابن ماجه (٢٠٧٥)، والنسائي (٥٤١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الإمام ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث: فهو شفاعة من سيد الشفعاء لمحب إلى محبوبته وهي أفضل الشفاعات وأعظمها أجرًا عند الله! فإنها تتضمن اجتماع محبوبين على ما يحب الله ورسوله، فلهذا كان أحب ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين[(١)].

وإنما كانت هذه الشفاعة منه ﷺ مقتصرة على المشروعية؛ فإن الطرفين كانا صالحين، أما إذا كانا فاسقين فلا.

قصة امرأة أُكرهت على الزواج ممن لا تحب:

روى البخاري وغيره من حديث خنساء بنت خدام «أنَّ أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها»[(٢)]، وفي رواية خارج البخاري أنها قالت: «إنَّ أبي أنكحني وأنا أحب عم ولدي»، فرد النبي زواجها وزوجها ممن تريد.

مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة فإذا جارية تطحن برحاها وتقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمايلاً مثل القضيب الناعم
وكأنَّ نور البدر سنّة وجهه ... ينمي ويصعد في ذؤابة هاشم

فطرق عليها الباب، فخرجت إليه فقال: ويلك أحرة أم مملوكة؟! فقالت: بل مملوكة يا خليفة رسول الله، قال: فمن هويتِ؟ فبكت ثم قالت: بحق الله عليك إلا انصرفت عني. قال: لا أريمُ أو تعلميني. فقالت:

وأنا التي لعب الغرام بقلبها ... فبكت لحبُ محمد بن القاسم

---

(١) «روضة المحبين» (٣١٩)، دار ابن رجب.

(٢) رواه البخاري (٥١٣٨)، وأبو داود (٢١٠١)، وابن ماجه (١٨٧٣) من حديث خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنها.

فصار أبو بكر إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب وقال: هؤلاء فتن الرجال، وكم مات منهن من كريم وعطب عليهن سليم(١).

مرّ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة بامرأة في بيتها وهي تنشد:

تطاول هذا الليل واقضل جانبُه ... وأرّقني أنْ لا ضَجيعَ ألاعِبُه

أُلاعِبُه طوراً وطوراً كأنّما ... بدا قمراً في ظُلمةِ الليلِ حاجبُه

يُسَرُّ بهِ من كان يلهو بقُربه ... لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه

فوالله لولا اللهِ لا شيءَ غيرُهُ ... لحرك من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيباً موكلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبُه

مخافة ربي والحياء يَصُدُّني ... وأُكرمُ بعلي أن تُنالَ مراكبُه

فسأل عنها عمر فقيل له: هذه فلانة زوجها غائب في سبيل الله، فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فأرجعه، ثم دخل على حفصة فقال: يا بنية، كم تصبر المرأة على زوجها؟

فقالت: «سبحان الله، مثلك يسألني عن هذا»؟ فقال: «لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك»، قالت: «أربعة أشهر». فوقّتْ للناس في المغازي أربعة أشهر(٢).

وجاءت عثمانَ بنَ عفان جاريةٌ تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها عثمان: ما قصتك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، كُلفت بابن أخيه فما أنفكُّ أُراعيه، فقال عثمان: إما أن تهبها لابن أخيك، أو أعطيك ثمنها من مالي، فقال: أُشهدُك يا أميرَ المؤمنينَ أنَّها له(٣).

---

(١) «روضة المحبين» (٣٢١)، و«الداء والدواء» (٢٢٨).

(٢) «روضة المحبين» (١٨٤).

(٣) المصدر السابق (٣٢١)، «والداء والدواء» (٢٢٩).

ورُوِي عن عليٍّ أنه دخل يومًا داره، فوجد زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ تَسْتَاكُ بعود الأراك، فلما انتهتْ أخَذَه منها ونظر إلى موضع فِيها - «فمها» -، ثم أنشد قائلاً:

حَظَيْتَ يا عُودَ الأراكِ بثَغْرِها ... أمَا خِفْتَ يا عُودَ الأراكِ أراكَ
لو كُنْتَ من أهلِ القِتَالِ قتلتك؟ ... ما فازمني يا سواكُ سواكَ

فهذه كلمات من عليٍّ رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها يُعبر فيها عن حبه لها وغيرته عليها، حتى من السواك.

واشترى معاويةُ بنُ أبي سُفيانَ جاريةٌ مِن البحرين فأُعْجِبَ بها إعجابًا شديدًا فسَمِعَها يومًا تَنشدُ أبياتًا، منها:

وفارقتُه كالغُصن يهتز في الثرى ... طريدًا وسِيمًا بَعْدَما طَرَّ شاربُه

فسألها معاويةُ، فقالتْ: هو ابن عمي. فَردَّها إليه وفي قلبه منها[1].

يقول ابن القيم: «والكلام ما زال عن الحب العفيف من الرجل الظريف الذي يأبى له دينه وعفته أن يُفسد ما بينه وبين الله، وهذا هو حب السلف الكرام والأئمة الأعلام، فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتْبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة أحب حتى اشتهر أمره ولم ينكر عليه، وعُدَّ ظالمًا من لامه. ومن شعره:

كَتَمتَ الهوى حتى أضر بك الكتمُ ... ولامك أقوام ولومُهم ظُلمُ
فنمَّ عليك الكاشحون وقبلهم ... عليك الهوى قد نمَّ لو ينفع الكتمُ
فأصبحتَ كالهندي إذ ماتَ حسرةً ... على إثر هندٍ أو كمَن شفه سقمُ
تجنبتَ إتيانَ الحبيب تأثُمًا ... ألا إنَ هُجرانَ الحبيبِ هو الإثمُ
فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعمُ أنه ... رشادٌ ألا يا ربُّ كذب الزعم»[2]

---

(١) المصدر السابق (٣٢٢).

(٢) «الداء والدواء» (٢٢٩).

وقد قيل أنَّ عمر بن عبد العـزيز أحبَّ جاريةً لفاطمةَ بنت عبد الملك وكانت بارعةَ الجمالِ، وكان معُجبًا بها ويطلبها من امرأته، حتى أهْدَتْه إياها، ولما علِمَ قصتها مع العامل الذي أعزمه الحجاج باعها أعتقها وردَّها إليه مع حبِّه لها[١].

وسُئِلَ سعيد بن المسيب مفـتي المدينة، هل في الحُبِّ من وزر؟ فقال سعيد: إنما تُلامُ على ما تستطيع من الأمر. فقال سـعيد: والله ما سألني أحد عن هذا. ولو سألني ما كنت أجيبه إلا به.

فللَّه درُّ الحُبِّ ما أحسنه ومـا أجمله! يسعد الإنسـان في الدنيا بوجوده بلذة ومتعة الحياة، وفي الآخرة بجنة الله ورضاه. والمقصود من هذا الحُبِّ: هو الحُبُّ المعهود مَدْحًـا في الشرع والعقل، وهو ما وافق محـبة الله ورسوله ﷺ، وما كان من الزوج لزوجته، فحينئذٍ تكون السعادة الحقيقية.

وهذه المحبة هي التي كانت في أروع مظاهرها من رسـول الله ﷺ لحبيبته وزوجته عائشة.

يقول الزهري: أول حـب وقع في الإسلام هو حب النبي ﷺ لعـائشة، وكان مسروق يسمّيها: حبيبة رسول الله ﷺ.

وفي حديث أم زرع الطويل قال الـنبي ﷺ لعائشة: «كُنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأمِّ زرعٍ ولكنني لا أُطَلِّقُكِ»، ولقد كـانت محـبة النبي ﷺ لـعائشة أكـمل من محبة عـائشة لرسول الله ﷺ، ولذلك فازت عائشة رضي الله عنها بهـذه المكانة العالية بعد خديجة رضي الله عنها.

---

(١) المصدر السابق (٢٣٦).

ونخرج من موضوع الحُبِّ في الإسـلام أنّ الإسلام لا يمنع الحُبَّ ولا يحرمه ما دام اتُّخِذت الـطرق المشروعة في ذلك، وهي موافـقة المحبة لمحـبة الله واتباع رسوله ﷺ . بـأن تكون بين الزوجين، فإن لم يكن هناك زواج فـعلى المحب أن يصـبر حـتى يرزقه الله مـحبـوبًا يعوضـه عن محـبوبه الذي لم يُرزق لـقاءه ومودته، وعليه أن يَعـلم يقينًا أنّ اختيار الله للعبد أفضل من اختيار العبد لنفسه، وأنّ ما قدره الله سيكون مهما يكون.

نعمة الزواج

إنّ من أعظم نعم الله تعالى على عباده بعد الدين والإسلام هي نعمة الزواج؛ لأنّ بها يتم ويكمل الدين عند العباد.

ومن فضله سبحانه أن شرع الزواج وجعل استمرار وجود الناس على هذا التناسل الشرعي المحفوظ والمصون؛ لئلا تختلط الأنساب، ولقد رفع الإسلام الأنساب في مكانة لم تعرفها البشرية من قبل، وتسامى بها ونزهها عن الدنس وتجارة الأعراض إلى حفظها بالزواج. فللّه الحمد والمنّة لمن رُزق بهذه النعمة، فمن كان عنده الدين والزوجة الصالحة فماذا يريد من الدنيا بعد ذلك؟!

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

فقد جعل سبحانه الزواج آية من آياته، ونعمة من نعمه على خلقه، وكلمة الآية تستعمل في القرآن للشيء العظيم الذي يدل على قدرة الله تعالى، فهي آية لتجميع الأحباب والأسرة والكون كله. وهو متعة الحياة الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «الدُّنيا كُلُّها مَتاعٌ وخيرُ مَتاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالحةُ»[(١)].

جاء في كتاب (تحفة العروس): «الحياةُ على الأرض إذا خلَتْ من المتعة كانت جافَّةً قاسية؛ لذلك أحاطت حكمةُ الله كلَّ غرائز البقاء بأسباب المتعة، وإنّ تدبر هذه الحكمة تجعل الإنسان على بينةٍ من الغاية منها، إنها ليست هدَفًا

(١) رواه مسلم (١٤٦٧)، وأحمد (٢/٢٦٨)، وابن ماجه (١٨٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

لذاتها، وإنما هي وسيلة إلى أهداف كريمة؛ فإن الفرع الكريم لا يأتي إلا من أصل كريم»[١].

فالزواج نعمة من نعم الله على عبده، حقيق به أن يشكرها ولا يكفرها، وهو مسئول عن هذه النعمة بين يدي ربه يوم الحساب.

ففي حديث أبي هريرة مرفوعًا «فَيَلْقَى العبدُ ربَّه فيقولُ الله: أي فُل ألم أُكرِمْك، وأسودك وأزوجْك، وأُسَخِّرْ لك الخيلَ والإبلَ وأَذَرْك تَرْأس وتَرْبع»؟ فيقول: «بَلى يا رَبِّ»، فيقول: «أفظننتَ أنَّكَ ملاقِيَّ»؟ فيقول: «لا»، فيُقال: «إني أنساكَ كما نَسيتني....»[٢].

فقد امتنّ الله على عبده هنا بنعم، وذكر منها نعمة الزواج التي يسألنا الله عنها يوم القيامة، فقد تمَّت النعمة بكمال الدين بهذا الزواج وبه كمُل دينُ المرء، يقول رسول الله ﷺ: «إذا تزوَّجَ العبدُ فقدِ استكْمَلَ نِصْفَ دِينِه، فليتَّقِ الله فيما بَقِي»[٣].

ولهذا تزوج الأنبياء والمرسلون، ولقد امتَنَّ الله عليهم بهذا فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد:٣٨)، ومدح ـ عزَّ وجلَّ ـ أولياءه بأنَّهم يسألونه ذلك في دعائهم فقال عزَّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

(١) «تحفة العروس» (٢٩) للإستانبولي.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩)، والترمذي (٢٤٢٨)، وأحمد (٤/ ٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٧٢)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠)، و«الصحيحة» (٦٢٥).

وجاء رجل يشتكي لعبد الله بن عـمرو بن العاص من قلة الزاد والمال، فقال له ابن عمرو: ألك بيت وزوجة؟ قال: نعم. قال: اذهب فلست فقيراً، بل أنت غني من الأغنياء. فقال الرجل: وعندي خادم. فقال له ابن عمرو: اذهب فوالله لأنت مثل ملك من ملوك بني إسرائيل.

فهل فهمنا قدر هذه النعمـة وعرفناها حتى نشكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليها؟ أم يعيش الناس عـبثًا لا يُبـالون ولا يفكرون في نعم الله عليهم ولـم يتدبروا آياته، فكم أنعم علينا وتودد إلـينا وهو الغني عنا، فالشـكرَ الشكرَ يا إخواني والتـدبرَ التدبرَ فإنكَ في نعمة فارْعها.

الزواج والسعادة

إنَّ مفهوم السعادة في الإسلام موقوف على رضا الله تعالى واتباع رسوله ﷺ، التي يجدها المؤمن في نفسه وقلبه، لا في المظاهر الدنيوية، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا»(١)، فليست السعادة عند المؤمنين في كثرة الأموال والأولاد والقصور والدور؛ لأن هذه هي السعادة الفانية الواهية، ولكن السعادة الباقية هي سعادة العبد بربه وبرسوله ﷺ ودينه.

فبأقل ما يكون يهنأ ويعيش المؤمن، وقد يكون فقيرًا ولكنه أفضل من ملوك الدنيا، فكم من ملوكٍ ملكوا الدنيا ولكنهم أشقياء ما سعدوا بها، ولكن سعد بها المؤمنون الصادقون، فليست المظاهر الفاخرة دليلاً على سعادة أهلها، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَن أصبَحَ منكم آمِنًا في سِرِبه، مُعافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»(٢).

يقول صاحب كتاب (لا تحزن): «والمعنى إذا حصل العبد على غذاء، وعلى مأوى، وكان آمنًا، فقد حصل على أحسن السعادات، وأجلّ القربات، وأفضل الخيرات، وهذا يحصل عليه كثير من الناس، لكنَّهم لا يذكرونه ولا ينظرون إليه ولا يلمسونه» اهـ.

---

(١) رواه مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث عبد الله بن محصن رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٤٢)، و«الصحيحة» (٢٣١٨).

يقول سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، فأي نعمة تمت على الرسول ﷺ. أهي المادة؟ أهو الغذاء؟ أهي القصور والدور والذهب والفضة؟

إنّ هذا الرسول العظيم ﷺ كان ينام في غرفةٍ من طين سقفها من جريد النخل، ويربط حجرين على بطنه ويتوسَّد على مخدة من سعف النخل تؤثر في جنبه، ورهن درعه عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير، ويدور ثلاثة أيام لا يجد إلا رديء التمر ليأكله ويشبع منه. اهـ[1].

ولكنه كان أسعد الناس وأهنأهم، وذلك بنعمة الإسلام ونعمة النبوة وتغمده نعمة الرضا من كل جوانبه.

وكان أصحابه كذلك من بعده فكانوا يجدون اللذةَ والسعادة في حياتهم كلها مع ضيق العيش وقلة الزاد ومع ذلك كان الواحد منهم يقول: «والله إنا في سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها».

أما سعادة الزواج فهي سعادة الدنيا ومتاعها الحقيقي، وذلك بعد سعادة العبد بدينه وطاعته لربه؛ لأن سعادة الزواج تؤدي إلى سعادة الآخرة بل تعين على الطاعة، وبالزواج يتحصل العبد على شطر دينه كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حيثُ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شِطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»[2].

(١) «لا تحزن» (٢٠٩-٢١٠) لعائض القرني.

(٢) رواه الحاكم (٢/ ١٦١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٧٢) وله شواهد، حسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٢٥) بلفظ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله فيما بقي»، وقال في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩١٦): حسن لغيره، يعني رواية: «من رزقه الله امرأة صالحة...».

وإذا كانت المُتع هي سبب السعادة لأن العبد أو الإنسان يكون سعيدًا بالأمتعة التي يتمتع بها إذا كان ذلك كذلك، فإن الحياة الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أي الزوجة، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»(١)، وقال ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ مِن دُنياكم النساءُ والطيبُ. وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاة»(٢).

والزوجة الصالحة هي خير كنز يتحصل عليه الرجل كي يسعد به في الدنيا والآخرة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: «لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤)، قمنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض الصحابة: «أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه»؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفضلهُ لسانٌ ذاكرٌ، وقلبٌ شاكرٌ، وزوجةٌ مؤمنةٌ تُعينه على إيمانِه»(٣).

قال الشاعر:

مِن خيرِ ما يَتَّخِذ الإنسانُ في ... دنياه كيما يستقيمُ دينُه
قلبٌ شكورٌ ولسانٌ ذاكرٌ ... وزوجةٌ صالحةٌ تُعينُه

وقال آخر:

رَغِيفُ خبزٍ واحدٍ ... تَأكُلُه في زاويةٍ
وكُوزُ ماءٍ باردٍ ... تشربه من صافيةٍ

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) رواه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ١٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٣) من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٥٦)، و«صحيح سنن الترمذي» (٣٠٩٤).

وغرفةٌ نظيفةٌ نفسُكَ فيها هاوية
وزوجةٌ مُطيعةٌ عَينُك عنها راضية
وطِفلةٌ جميلةٌ محفوفةٌ بالعافية
واختارَكَ اللهُ له حتَّى تكونَ داعية
خيرٌ منَ الدُّنيا ومَا فيها وهي لَعَمْري فَانية

وعن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأةُ الصالحةُ تراها فتُعجِبُك، وتَغيبُ عنها فتأمنها على نفسها ومالك...»(١).

وقال ﷺ: «أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»(٢)، ولله در القائل:

سعادةُ المرء في خَمْس إذا اجْتَمَعَتْ صلاحُ جيرانِه والبِرُّ في ولدِه
وزوجةٌ حَسُنَت أخلاقُها وكذا خِلٌّ وفِيٌّ ورزقُ المرء في بلدِه

إنَّ الزواج جنةٌ في أرض الله، جعلها لمن أحبه وأراد سعادته في الدنيا قبل أن يسعد في الآخرة، فوالله لهو من أفضل العبادات، وأجلِّ القربات، وأحسن الطاعات لرب الأرض والسماوات، فبالزواج يقوم الدِّينُ في حياة العبدِ حتى تكثرَ الأُنَّجُ بأفرادها، ويزدادَ العابدون والشاكرون، وهذا أمر يحبه الله.

فإلى كل مَن أراد السعادة وكمالها فعليه بالزواج، ولكن أي زواج الذي يسعد به الإنسان؟ إنه الزواج الذي عاشه محمد بن عبد الله ﷺ، إنَّه الزواج

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٦)، و«الصحيحة» (١٨٠٣).

(٢) رواه ابن حبان (١٢٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢) من حديث سعد رضي الله عنه.

الذي أساسه الإخلاص لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومهره الحب، وزفافه المودة، وعلاقته الرحمة، ومنهجه سيرة الحبيب محمد ﷺ، واستقراره شرع الله، وثمرته السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة.

فإن لم تتوافر شروطُ الطاعة والمحبة في الزواج تحول من السعادة إلى الشقاء، فيدخل صاحبه نار الدنيا قبل نار الآخرة.

الترغيب في الزواج والنهي عن التبتل

إذا كان الإسلام حرّم أسباب الفجور والفسق وسدّ منافذ التجارة بالأعراض، ووقف بالمرصاد أمام الشهوات المحرمة، وحارب العُري والتبرج، فإنما فعل كل ذلك للحفاظ على كيان الأسرة والمرأة خاصة، فقد جعلها جوهرة مصونة لا تكون إلا لزوجها وبعلها.

والإسلام مع هذا لا يحارب الغريزة الفطرية لدى الإنسان؛ لأنَّه مجبول عليها، فلا بد من الشهوة، ولا بد من وجود هذه الغريزة؛ لأنها من طبيعة البشرية لا ينفكُّون عنها البتة. ولذلك نظم الإسلام أحكام هذه الغريزة، وجعل لها ضوابط تتضمن سعادتها المستمرة التي لا يكون بعدها ندم، فلقد أراد الإسلام لهذه الغريزة البقاء الشريف العفيف، ولم يرد لها الفناء الذي يعقبه هوان وخسران.

ولهذا فتح الإسلام جميع الأبواب ويسرها لمن أراد الزواج ورغَّبَ فيه، وجعله عبادة يتقرب بها العبد إلى الله وينال بذلك رضاه، فقد رغب الإسلام في الزواج وحث عليه، وجعله من سنن المرسلين وسنن الهدى.

وحرَّم الرهبانية والتبتل؛ لأنها تخالف طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها.

الترغيب في الزواج:

ففي القرآن مَدَحَ اللهُ رسلَه في معرض الثَّناءِ عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (الرعد:٣٨)، وفي هذا حث على الزواج؛ لأننا

مأمورون بأن نقتدي بالأنبياء والمرسلين إذا ما شرع لنا رسول الله ﷺ ذلك ورسول الله ﷺ فعل ما فعله الأنبياء والمرسلون من قبله، فقد رضي الله الزواج لأكمل خلقه وهم الأنبياء أفلا نرضاه نحن؟

وقال رسول الله ﷺ: «تَزوجوا فإنِّي مُكَاثِرٌ بِكُم الأمَم، ولا تكونوا كرَهْبانيةِ النَّصارى»[(١)]؛ فقد رغَّبَ النبيُّ ﷺ في الزواج وبيَّنَ أنَّ من أهدافه المكاثرةَ والتكاثرَ، أي الإنجاب والولادة.

وقال رسولُ الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الشَّبابِ مَن استطاعَ منكم الباءةَ فليتَزَوَّجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم فإنَّه له وِجاء»[(٢)].

ففي الحديث الترغيب في الزواج والحثُّ عليه والخطاب بالشَّبابِ يقتضي الإسراع به وعدم تأجيله ثم شَرَحَ ﷺ الهدفَ من الزواج في الدنيا من حفظ الفرج والبصر، ثم وصف العلاج المؤقت وهو الصوم وقال: «وجاء» وهو الوقاية لأنَّ الصوم في الحقيقة لا يمنع الشهوة فهي موجودة، لكنَّ الصيام يَحِدُّ منها ويهذبها.

وقال ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيبُ والنساء»[(٣)]، وكان الزواجُ من سنته وهديه ﷺ، وقد مات وعنده تسع من النساء وكان يختار النِّكاحَ ويحثُّ عليه.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٤١)، و«الصحيحة» (١٧٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، وأبوداود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١)، وابن ماجه (١٨٤٥)، والنسائي (٢٢٣٩) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ١٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٣) من حديث أنس بن مالك.

وكان طاووس ـ رحمه الله ـ يقول: «لا يتم نُسكُ الشَّابِّ حتى يتزوجَ»، وقال لإبراهيم بن ميسرة: تزوجْ لأقولنَّ لك ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي الزوائد: «ما يمنعُك من النكاح إلا عجزٌ أو فجورٌ»(١).

فلم يقل له عمر رضي الله عنه: هذه عبادة وطاعة لمَّا إذا ترك الزواج بل قال له: هذا عجز وفجور.

وعن عثمانَ بن خالد قال: قال شداد بن أوس: «زَوِّجوني فإنَّ رسول الله ﷺ أوصاني أنْ لا ألقَى اللهَ عَزَبًا»(٢).

وعن ابن مسعود قال: «لو لم يبقَ مِن أجَلي سوى عشرةِ أيامٍ أعلَمُ أنِّي أموتُ بَعْدَهنَّ ولِي طولُ النكاح فيهنَّ لتزوجتُ مخافةَ الفتنةِ»(٣).

جاء في كتاب (عودة الحجاب)(٤) نقلاً من (فيض القدير)، وتأمل هذه العبارة الجامعة للفقيه الحنفي كمال الدين بن الهمام ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب للأخلاق وتوسعة للباطن بالتحمل في معاشرة أبناء النوع، وتربية الولد والقيام بمصالح المسلم العاجز عن القيام بها والنفقة على الأقارب والمستضعفين وإعفاف الحُرم ونفسه، ودفع التقتير عنهنّ بحبسهنَّ لكفايتهنّ مؤنة الخروج يعني الخروج لطلب الرزق، ثم الاشتغال بتأديب نفسه وتأهله للعبودية ولتكون أيضًا سببًا لتأهيل غيره، وأمرها بالصلاة فإنَّ هذه الفرائض كثيرة، لم يكن يقف عن الجزم بأنه ـ أي الزواج أفضل من التخلي، أي

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٧-٤٨).

(٢) «تلبيس إبليس» (٣٢١).

(٣) «الإحياء» (٢/ ٣٣).

(٤) «عودة الحجاب» لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدّم (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

للعبادات، وعن أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أماثل أعمالكم إتيان الحلال، يعني النِّساء»[١].

والزواج يزيد الرزق بإذن الله تعالى يقول عمر رضي الله عنه: «عجبتُ ممن لاَ يطلبُ الغنى في النكاح»[٢].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى في النكاح»[٣].

وخير الكلام كلام الله تعالى إذ يقول: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢).

ويكفي في الترغيب في الزواج أنّ الله شرعه وأحبه وارتضاه لنا، ثم هو من سنن الفطرة، وسنن الهُدى وخير الهدي هديُ محمد ﷺ.

النهي عن التبتل:

إنّ الله فطر الناس على الزواج، والعلاقة بين الرجل والمرأة لا بد منها في حياة البشر، والذين يمتنعون عن هذه العلاقة المشروعة قد انتكسوا على أعقابهم لمخالفتهم المألوف والمعهود من شأن النَّاس، فليس من العبادة والطاعة ترك الزواج البتة ولا يقول به قائل مهما كان من أمر الإنسان، وإذا كان من علماء أمتنا من ترك الزواج ومات بدون زواج، فإنَّ هذا ليس حجة وليس شرعًا وليس قدوة لنا؛ لأنَّ قدوتنا هو رسول الله ﷺ وقد كان يتزوج ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٤٢)، وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢)، (٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٢/ ١٧١).

والإسلام دين يحافظ على الناس حفظَ وجودٍ وحفظ رعـاية عقلية ونفسية، ونفس الإنسان مجبولـة على الزواج، ولذلك نهى الإسلامُ عن التبتل، وهو ترك الزواج للقادر عليه فهو آثم ومذنب بفعله هذا.

يقول رسول الله ﷺ: «ولا تكونوا كرهبانية النصارى»[(١)]؛ لأنهم ابتدعوا في شرع الله ومنعوا وحرموا على أنفسهم الزواج، وهذه مخالفة فليس التبتل من الدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة:٨٧)، ففي البخـاري أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآية لمن طلب التبتل والخصاء[(٢)].

وفي الصحـيحين من حديث أنس: جـاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيِّ ﷺ، يسألون عن عبادة النبيِّ، فلما أُخبـروا كأنهم تَقَالُّوها، قالوا: فأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبـه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقـال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقـال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قُلتم كذا وكذا، أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أصُوم وأُفطِر، وأُصلي وأرقُد، وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي»[(٣)].

فَلَم يُقِـرَّ الرسـولُ ﷺ مـا كـان عليـه هؤلاء الرجـال، ومن ذلك تركُ بعضهم الزواج، فقد جعله ﷺ مخالفة شرعية، ومخالفة لسنته وهديه فليس

---

(١) رواه البيـهقي في «السنن الكبـرى» (٧/٧٨) من حديث أبي أمامـة وصححـه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٤١)، و«الصحيحة» (١٧٨٢)..

(٢) البخاري (٥٠٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

التبتل من العبادة، ولا من الطاعة، ولا في شيء لله تعالى؛ لأنّ التبتل لو كان عبادة لفعله رسول الله ﷺ ولكنه تركه وتزوج النساء، وهو أتقى خلق الله وأخشاهم لله.

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ في كتابه (عودة الحجاب):

«هكذا أبطل النبي ﷺ تنطع المتنطعين المعاندين لسنة الله في التعبد بترك النكاح، ولم تعد الرابطة الزوجية دناءة بهيمية فإنَّ إشعاع الإسلام بدّد تلك الظلمات في العالمين، ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل تسامى الإسلام بتلك الرابطة حتى جعل منها وسيلة لواجبات كثيرة رفع الإسلام قدرها» اهـ[1].

وكان رسول الله ﷺ إذا علم أنَّ أحداً من أصحابه طلب التبتل وترك النساء ينهاه ولا يقر له ذلك. فقد روى أحمد في مسنده من حديث عائشة أنّ النبي ﷺ قال لعثمان بن مظعون رضي الله عنه لما أراد التبتل: **«يا عثمانُ إنَّ الرهبانيةَ لم تُكتَبْ علَينا، أفما لك فيَّ أُسوة؟ فوالله إنّي أخشاكم لله، وأحفظكم لحدود الله»**[2].

وفي رواية أبي داود قال له رسول الله ﷺ: **«يا عثمانُ ارغبتَ عن سنَّتي؟ فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر وأنكح النساء، فاتقِ اللهَ يا عثمانُ: فإنَّ لأهلك عليك حقّاً، وإنَّ لضيفك عليك حقّاً، وإنَّ لنفسك عليك حقّاً، فصُمْ وأفطِرْ، وصلِّ ونَمْ»**[3].

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٣٠)، دار العقيدة.

(٢) رواه ابن حبان (١٢٨٨)، وأحمد (٦/ ٢٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٩٤)، وكل الأحاديث الواردة في فضل التبتل باطلة لا أصل لها.

(٣) رواه أبو داود (١٣٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٤٦)، و«الإرواء» (٢٠١٥)، و«صحيح أبي داود» (١٢٣٩).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ردّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون «التبتل ولو أذِنَ لاختصينا»[(١)].

وهكذا نرى مدى غَضَبِ النبي ﷺ لمخالفة الفطرة وعدم موافقته على ترك الزواج بهدف العبادة؛ لأنَّ الزواجَ نفسه عبادة، فكان يزجر من طلب التبتل بقوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وهناك قصة أخرجها البخاريُّ في صحيحه، والترمذي في سننه تبين لنا عدم إقرار النبي ﷺ عن التبتل وترك التزين وإتيان النساء، وهي قصة أبي الدرداء مع سلمان ﷺ، «فقد آخى رسولُ الله ﷺ بين سلمان وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتبذِّلَةً، قال: ما شأنك مُتبذِّلَةً؟ قالت: إنَّ أخاك أبا الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، قالت: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعامًا فقال كُل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمانُ: نَمْ، فنام ثم ذهب ليقوم فقال له: نم فنام. فلما كان عند الصبح فقال له سلمان: قُم الآن فقاما فصليا فقال: إنَّ لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقه، فأتيا النبيَّ ﷺ فذكرا ذلك له فقال: «صَدَقَ سَلْمَانُ»[(٢)].

فَقَد أقرَّ رسولُ الله ﷺ صنيعَ سلمانَ لما كان يسير على الفطرة، وأنكر على أبي الدرداء تبتلَه.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢)، وابن ماجه (١٨٤٨)، والنسائي (٣٢١٢)، والترمذي (١٨٠٢).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٤١٣) من حديث أبي جحيفة واسمه وهب بن عبد الله السوائي.

يقول الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: «ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، فالنبي ﷺ تزوج أربع عشرة، ومات عن تسع، ولو ترك الناسُ النكاحَ لم يكن غزو ولا حج ولا كذا ولا كذا»[1].

إذن فليس من العبادة ترك الزواج؛ لأنَّه مِنْ تمام العبادة، أمَا ترى أنَّه نصف الدين، وشرع رب العالمين، وسنة سيد المرسلين، لقد وصل تلبيس إبليس على الناس بأن يتركوا الزواج بزعم العبادة، كهؤلاء الصوفية يتركون الزواج بزعمهم التفرغ الكامل للعبادة فيصيبهم ما يصيبهم من الخور والجنون.

إنّ أفضل ما يُعبَدُ به الله ويتقرب إليه به هو ما كان موافقًا لهدي نبيه ﷺ ولقد كان من هديه ﷺ الزواج ولم يكن من هديه التبتل والرهبانية.

أوهام واعتقادات خاطئة:

هذه الأوهام هي التي توجد عند أناس عصرنا من الذين يتركون الزواج وهم قادرون عليه، وذلك لعدة اعتقادات خاطئة من هؤلاء الذين بال في عقولهم الشيطان.

فمن قائل: أنا لا أفكر في هذا الموضوع الآن! وتجد عمره تجاوز العشرين وأحيانًا الثلاثين، فهو لا يفكر في إتمام دينه، ولكنه فكَّرَ ودبر وقدر تمام دنياه، فهو يعمل من أجلها، ويعيش من أجلها، ولم يبالِ بالزواج لأنه لم يعرف قيمته.

وإنما يكون الزواج عند العبد بناءً على وجود الهمة وعلوها عنده من حيث القوامة والرجولة والاقتداء بسيده محمد ﷺ.

---

(١) «الإنصاف» (٨/ ١٢)، «كشاف القناع» (٥/ ٧)، و«روضة المحبين» (١٨٨).

ومن الاعتقـادات الخاطئة التي هي من وحي الشيطان قـول القائل: إنَّني لا أتزوج حتى أعـيش حيـاتي أولاً، وأتمتع بها بعـيداً عن المسـئوليـات، فلا بد أن أعيش شبابي؛ لأنَّ الزواج حبس للحرية!!

وكل هذا الكلام مخالف للشرع، ومخالف للحقيقة؛ لأنَّ حقيقة السعادة إنما تكون في الزواج ومـتعـة الحيـاة في وجود امـرأة تؤنس الرجل ويسكن إليـها، ووجود رجل للمـرأة تسكن إليه، والذي يخاف من المسئولية فليس له الحق في الحياة لأنَّه مسئولٌ عن نفسه ودينه، فلا بد أن يكون على قدر المسئولية، وإنها من علامات العجز والضعف عند الإنسان يوم أن يفقد رجولته.

وأما عن قـولهم: «الزواج حبس لحـرية الإنسان»، فـهذا كـلام كَذِبٌ؛ لأنَّ الإنسان بزواجه أصبح طليقَ النفس، وأصبح حُـرًّا من أسر بقية الشهوات والفتن من النساء الأخريات، وقد خـرج من سجن الفتن إلى حرية الزواج، حيث يأتي زوجته أينما شاء كيفما شاء، لقـد كان حرامًا عليه النظر، وحرامٌ عليه كذا وكذا والآن أصبح حرًّا يفعل مـا يشاء، قال تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

ومن الاعتقادات الخاطئة قـولهم: «لا أفكر في الزواج حتى أنتهي من التعليم أولاً»، وهذا خطأ خاصة عند البنات، وبالأخص إذا كان التعليم تعليمًا جامعيًّا، فقد تتجاوز الفتاة العشرين فما فوقها وهي ترفض الزواج من أجل التعليم، وهذا من مداخل إبليس على النَّاس، وإنما يكون الندم بعد ذلك عندمـا تكبر الفتاة ولا تجد من يتزوجـها، فتبـدأ بعد ذلك التنازل عن أشياء كـثيرة كانت الفتـاة تتمنَّاها وترجوها عندما كانت صغيرة السنِّ.

تحكي إحدى الطبيبات: أنَّها كانت وهي في كلية الطب من أجمل فتيات الكلية، وكان يتلهف عليها الطلابُ، وتقدَّمَ أكثرُ من خاطب لخطبتها وكانت ترفض بزعم التفرغ للدراسة، وظلَّتْ ترفض الواحد تلو الآخر، وهي من أجمل الفتيات، واستمر الحال على ذلك واهتمت بدراستها في الكلية، ومعروف أن كلية الطب سنوات الدراسة فيها طويلة، وبعد تخرجها استمرت في الدراسات العليا وأصبح المتقدمون للزواج منها يقلون ويقلون، والعمر يمرُّ بها ويسرق التعليم منها أحلى أيام حياتها، حتى كَبرت وامتنع الخُطّابُ والرجالُ عنها، لقد كانت من أجمل الفتيات يتهافت عليها الرجال من كل حدب وندب.

تقول هذه الطبيبة وهي تصرخ: «خذوا شهاداتي من بكالوريوس وماجستير ودكتوراة وأرجعوني شابة، وأحضروا لي زوجًا أتزوجه!!».

وأخيرًا نقول: إنَّ الزواج من أفضل الطاعات والقربات للعبد، وليس التبتل عبادة البتة، حتى لو كان الرجل لا يخشى على نفسه الفتنة والحرام إذا لم يتزوج، ويريد أن يكون عزبًا طيلة حياته بحجة أن يعبد الله ويتقرب إليه فمثل هذا يقال له: إنّ هذا مخالف لرسول الله ﷺ فعبادتك وزواجك بينهم لتلازم، والأفضل الجمع بينهما، لقد كان الإمام أحمد يلوم على بشر بن الحارث فيقول: «ولو تزوج بشر بن الحارث لتمّ دينه»، فلا تحتج يا أخي الحبيب ببعض علماء الأمة البررة الأتقياء - رحمهم الله - الذين لم يتزوجوا لأنهم لو تزوجوا لازدادوا فضلاً على فضلهم، ومنقبة على مناقبهم وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

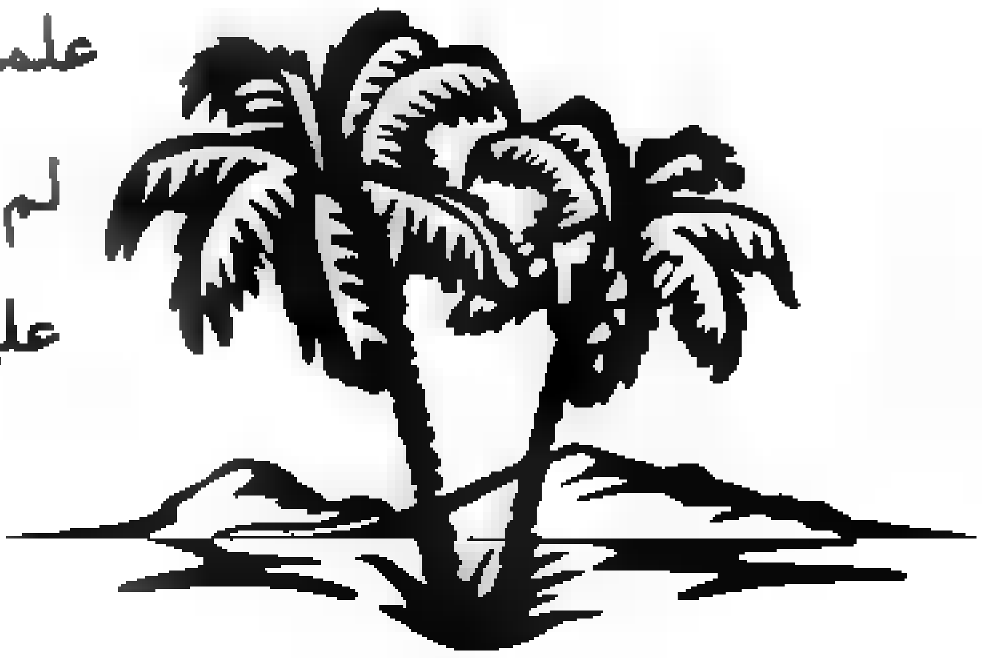

فوائد الزواج

ثلاثون فائدة للترغيب في الزواج

إنّ مِن أسماء الله تعالى ـ الحكيم والخبير ـ فما من شيء في الوجود خَلَقَه الله، أو قدره إلا وله حكمة سواءً علمناها أم جهلناها، ولكننا نؤمن بأنَّ الله ـ تعالى ـ حكيم فيما حكم، وعليم خبير بما قدر، وذلك لأنَّ البشر هم صنعته، بل الكون كله صنعه ـ سبحانه ـ، والله خالق كل شيء فهو أعلم بما ينفع وبما يضر.

ونحن المسلمين نؤمن إيمانًا جازمًا أنَّه ما من شيء شرعه الله لنا وأباحه وأمر به عباده المؤمنين إلا وفيه المنفعة الراجحة الآكدة وذلك في الدنيا والآخرة معًا، فإن خفيت علينا في الدنيا فتمام منفعتها في الآخرة إن شاء الله. والأدلة على ذلك كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، تستطيع أن تستحضرها إذا أرسلت طرفك في العبادات والأوامر والمباحات التي شرعها الله لنا، فإنّك إذا نظرت فيها بعين البصيرة والإيمان المطلق لخرجت بالنتيجة التي تظهر لك منفعة ما تفعل، ولن يسعك إلا أن تقول: سبحان الله وتعالى شأنه وجلت حكمته.

وإنَّ ممَّا شرعه الله لنا وحثَّنا عليه ورغَّبنا فيه ذلك «الزواج» الذي هو من أفضل نعم الله على العبد بعد الطاعة، وإنما كان أفضل نعمة لأنَّه يوصل إلى النعم الأخرى، ويكون سببًا في التحصل عليها، وثَمَّ شيءٌ آخر ألا وهو أن الزواج متعلق بالإنسان وجنسه وفطرته التي فُطِر عليها، فهو مجبول على الارتباط بإنسان آخر لا ينفك عنه البتة، ولا يستطيع أن يعيش هكذا بدون زوج أو أنيس لأنَّه بذلك يخالف فطرته وطبيعته التي خُلِقَ بها، وإنَّ من نِعم الله أن شرع لعباده شيئًا هم مقبلون عليه بأنفسهم دون مشقة أو عناء في أداء العبادة، وذلك لأن الزواج من أفضل العبادات والقربات لله تعالى.

ومن منطلق الفَـهم الصحيـح لقاعدة المبـاح وأنه خيـر لنا في حياتنـا الدنيا والآخرة فعلينا أن نتـعرف على فوائد هذا المباح من الشرع الذي قـد يصل أحيانًا إلى حد الوجـوب ـ كما سـيأتي ـ وهذه الفوائد للـزواج لا ينكرها إلا جاهل أو أحمق، لأنّه ينكر مـنفعةً أحلَّهـا الله لنا وحثَّنا عليهـا، ولكن حتى تتـحقق هذه المنفعة ولكي ينال العبد هذه الثمـرة ويجنيها فلا بد أن تسير وفق ما أراد الله على وهدي رسول الله ﷺ ، فلا بد كـما أخذنا بالشرع في إبـاحة الزواج أنّ نأخذ أيضًا بمنهج المشرعِ، فإذا خالف العبدُ المشرعَ في المنهج الذي طُلب منه في الزواج فإنّه حينئـذ تتحول الثمـرة إلى الهشيم، وتتحول الأترجـة إلى الحنظل، ويصبح الزواج من أسوأ ما يعيشه المرء إن خالف شرع الله وهدي نبيه ﷺ .

فإليك يا أخي الحبيب ويا أختي المسلمة بعض فوائد الزواج التي يقف عليها المرء حتى يُقبل عليها وهو معتقد أنّ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد طاعته هو أن يتزوج زوجـةً صالحة تُعـينه على أمر دينه ودنياه، ولتـعلم المرأةُ أنّ أفضلَ طرق الجنة لديها وأيسرها هو رضا الزوج الموافق لرضا الله واتباع رسوله ﷺ .

فوائد الزواج ومنافعه:

١ . الفوز بمحبة الله تعالى:

وذلك يمثل في نية الزوجين لأنَّ من أول ما يكون من أجله الزواج هو تنفيذ أمر من أوامـر الله تعالى حـيث قال: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (النساء:٣)، وقال رسول الله ﷺ : «تزوجوا فإني مكاثرٌ بكم الأممَ»[(١)].

فإذا فعل العبـد ما أمر الله به وتزوج على أساس هذه النية فإنّـه جدير بمحبة الله تعالى له لأنّه من المطيعين، ومن علامات حب الله تعالى للعبد توفيقه لطاعته

(١) سبق تخريجه عند الكلام عن جزاء المحبين فانظره هناك.

وعبادته، والزواج من أفضل الطاعات وأجل القربات وثمَّة شيء آخر في محبة الله تعالى الآكدة في الزواج ألا وهو وجود المحبة الحاصلة بين الزوجين التي تكون سببًا في محبة الله لهما، يقول تعالى: «حُقَّت محبتي للمتحابِّين فيَّ»(١).

وينادي الله عليهم يوم القيامة ويجعلهم تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ويقول: «أين المتحابون لجلالي اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلِي»(٢)، ويدخل في ذلك حديث السبعة وفيه: «ورجلان تحابًا في الله»(٣).

في نفس الحديث والمعنى كل حب وقع بين اثنين سواءً بين رجل ورجل أو امرأة وامرأة، أو رجل(*) وامرأة وذلك فيما يكون بين المتزوجين، فإذا كان الحب مما يكون سببًا في ذلك فإن أفضل الحب بعد حب الله ورسوله ﷺ هو حب الزوج لزوجته والزوجة لزوجها.

وأكثرهما - أي الزوجين - حبًا لصاحبه هو أكثرهما محبة عند الله تعالى يقول ﷺ: «ما تحابَّ اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلُهما أشدَّهما حبًا لصاحبه»(٤).

فاحرص أخي أن تحب زوجتك أكثر من حبها إياك واحرصي أختاه أن تكون محبتك لزوجك أكثر منه لكِ، فأحبكما وأفضلكما عند الله أشدكما حبًّا لصاحبه فَلِلهِ در الزواج ما أحسنه من نعمة، وما أعظم فوائده فهو متعة للإنسان في الدنيا وهو كذلك في الآخرة، فلو لم يكن من فوائد الزواج إلا حب الله تعالى للعبد لكفى، اللهم ارزقنا حبك وحب من أحبك.

---

(١)، (٢)، (٣) سبق تخريجه عند الكلام عن جزاء المحبين فانظره هناك.

(*) أعني أي علاقة حب بين اثنين رابط الحب بينهما هو شرع الله واتباع رسوله ﷺ وعلاقة الرجل والمرأة المشروعة مثل الزوج وزوجته والولد وأمه وأخته وعمته ولا يُفهم منه حب آخر، والله أعلم بالصواب.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٤)، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» من حديث أنس بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٩٤)، و«الصحيحة» (٤٥٠).

٢ ـ ومن فوائد الزواج:

اتباع النبي ﷺ والعمل بسنن الهدى، وفي هذا دليل على إيمان العبد وصدق محبته للرسول ﷺ وهذه المحبة هي المحبة العملية المطلوبة لدلالة الإيمان، فإن الإنسان إذا تزوج فإنه بذلك يتبع الرسول ﷺ ويقتدي به وفي ذلك كمال الفوز والإيمان والهداية، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، ففي اتباع النبي ﷺ دليل على محبة العبد لله ورسوله ﷺ، وبذلك تحدث محبة الله للعبد.

ولقد كان النبي ﷺ أكمل الناس عبادة وخُلُقًا وكان من كماله الزواج، فليس لقائل: بعدم الزواج لزيادة العبادة، فقد جاء ثلاثة رهط لرسول الله ﷺ وقد استقلوا عبادته وقالوا أنّه غفر له ما تقدم من ذنبه وكان منهم من قال: «وأنا لا أتزوج النساء»، فغضب النبي ﷺ وخرج عليهم وقال لهم من ضمن ما قال: **«وأتزوج النساءَ فَمَن رغِبَ عن سنتي فليس منّي»**(١).

إذن فالمتزوج هو من النبي ومن كان كذلك فقد فاز بمحبة الله ورسوله ﷺ، إن مجرد اتباع النبي ﷺ في أي شيء من حياته يُعد عبادة ويأخذ الإنسان عليه أجرًا لمجرد تقليده لرسول الله ﷺ سواءً عرف الحكمة أم لم يعرفها وسواءً كان هذا العمل شرعيًا يوحي للعبادة أم كان جِبلّيًا أي من عادة البشر مثل تسريح الشعر ومشيته ﷺ وحبه لأنواع من الأطعمة وعدم حبه للآخر فلو أن إنسانًا مسلمًا قلّدَ النبي ﷺ في شيء من الأفعال الجبلية لأعطاه الله ثوابًا وأجرًا عليها وهذا من خصائص النبي ﷺ فما بالك يا أخي الحبيب إذا كنت تفعل شيئًا أمر الله به وفعله رسوله ﷺ وحث عليه؟!

---

(١) سبق تخريجه في النهي عن التبتل.

٣ ـ الزواج كمال الدين للعبد:

فالعبد يظل في حاجة لشيء يطلبه حتى تتم سعادته بتمام دينه وهذا الشيء هو الزواج فإذا تم له الزواج فقد أتم الله عليه النعمة والمنّة وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: **«من رَزَقَه الله امرأةً صالحةً فقد أعانه على شَطرِ دينه فليتقِ اللهَ في الشطر الثاني»**[(١)]، ويقول: **«إذا تزوج العبدُ فقد استكمل نصفَ الدين، فليتقِ الله في النصف الباقي»**[(٢)]، وإنَّما كان الزواج كذلك لأنّه يعين على الطاعة والعبادة وهو بمثابة كمال البنيان للإنسان.

٤ ـ الزواج جَنَّةُ اللهِ في أرضه:

وذلك باعتباره من الطاعات التي يفعلها العبد قربة إلى الله والطاعة جنّة وسعادة، والزواج من الطاعة إذًا فالزواج جنة الله في أرضه، وإذا كانت السعادة تكون بما يتمتع به الإنسان فإنّ أفضل ما في الحياة الدنيا من المتاع هي الزوجة الصالحة فما رُزق المرءُ بعد طاعة الله بأفضل من الزوجة الصالحة يقول الرسول ﷺ: **«الدُّنيا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصالحةُ»**[(٣)].

وقال ﷺ: **«أربعٌ من السَّعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسع، والجارُ الصالح، والمركبُ الهنيء»**[(٤)].

وقال ﷺ: **«ثلاثةٌ من السعادة وثلاثة من الشقاء: فمن السعادة المرأة الصالحة، تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك»**[(٥)]، ويقول ﷺ: **«حُبِّبَ إلي من دنياكم النساء والطيب، وجُعِلت قرةُ عيني في الصَّلاة»**[(٦)].

---

(١)، (٢) سبق تخريجهما في النهي عن التبتل.

(٣) رواه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) رواه ابن حبان (١٢٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٧)، و«الصحيحة» (٢٨٢).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٦) من حديث سعد.

(٦) رواه النسائي (٧/ ٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٣).

ولا تتحقق هذه السعادة ولا يدخل هذه الجنة إلا من تزوج لرضا الله ومحبته، وأخلص النية في ذلك، وعاش حياته الزوجية بشرع الله وهدي رسوله ﷺ، فإن سار على منهج الحياة الدنيا، وعقول البشر دون النظر إلى الشرع تحولت الجنة إلى نار المشاكل والنكد.

٥ ـ الزواج سبب الغنى وزيادة الرزق:

وهذه من فوائد الزواج المحسوسة والملموسة في حياتنا الواقعية فكم من رجل وامرأة كانا وكانا. . ، لقد كان الرجل لا يستطيع الزواج ولا يقدر عليه ثم رأيناه بعد ذلك وقد فتح له من الأموال والغنى ما جعله من الأعيان وأصحاب اليسار، وقد جاءت الأدلة من القرآن والسنة التي تُفيد أن الزواج يعد من أسباب الغنى والتوسعة على العبد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢)، ومما يدل على زيادة الرزق أنّ الله يُعين المتزوج على زواجه يقول الرسول ﷺ: «حق على الله عون من نكح التماسَ العفافِ عما حرَّم الله»[(١)]، وقال ﷺ: «ثلاثةٌ حق على الله تعالى عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»[(٢)].

وإعانة الله تعالى للعبد إنما تكون بأشياء كثيرة منها المال الذي يستطيع به الباءة على الزواج، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى في النكاح»[(٣)]، وتلا هذه الآية: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢).

---

(١) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٥٢).

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وابن ماجه (٢٥١٨)، والنسائي (٣١٢٠)، ورواه أيضًا الحاكم وأحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٠)، و«المشكاة» (٣٠٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (١٢/ ١٧).

وقال عمر: «عجبتُ ممن لا يطلب الغنى في النكاح»(١)، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢).

فهذا كلام الله وكلام رسوله ﷺ والصحابة والصالحين، فهل نسمع لهذا الكلام؟ أم نسمع لدُعاة الظلام والجهل والضلال الذين صعبوا الزواج على أبناء المسلمين، وجعلوا الزواج أمرًا عسيرًا يحتاج إلى أموال وأموال وهو مسئوليات لن تقدر عليها وغير ذلك من التثبيط للهمم لدى الشباب المسلم، فعلى العاقل أن يتدبر كلام الله وكلام رسوله ﷺ وأن يستعين بالله ولا يعجز، ولن نخوض في الأمثلة الواقعية والمشاهدة لدينا في كل عصر وزمان من أناس أغناهم الله وفتح لهم من فضله، وقد أصبحوا سعداء ولنا في كل حي رواية وفي قطر نادية.

لقد كان الإنسان بمفرده يُرزق على قدره وحده فلما أصبح مسئولاً عن بيت وأولاد أصبح يُرزق برزق زوجته ورزق أولاده فقد تضاعف له الرزق وزاد بسبب من يُرزق بسببهم، ولذلك كلما زادت الذرية عنده زاد الخير لزيادة الرزق للمخلوق، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: ٣١)، وقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١).

٦ - الزواج تآلف للقلوب وتجميع للأمة:

إن خلق الله تعالى كثيرون ولكن يشاء الله أن يصطفي من هذه الكثرة رجلاً لمرأة وامرأة لرجل وبذلك يجتمع الزوجان بدون ترتيب سابق وبدون سابق معرفة أو لقاء، فقد ترى الرجل من أقصى الشرق يتزوج بامرأة من أقصى الغرب، ومع هذه التفرقة بينهما يجمع الله بينهما بعدما جمع بين قلبيهما، فلقد كانت النساء

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (١٢/ ١٧).

كثيرات، ولكنَّ الرجلَ اختار هذه المرأة من بينهنَّ، وكذلك الرجال كثير ولكن المرأة وافقت على هذا ولم توافق على غيره؛ فسبحان من ألَّف بينهما.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، فقد جاء التعبير في الجمع بين الزوجين بالمودة التي هي أعم من المحبة ليدل على الترابط والألفة بينهما.

وبعد الزواج تزداد المحبة بين الزوجين لوجود المعاشرة والصحبة، فيصبح قلبُ كل منهما هو قلب الآخر، فيفرح لفرحه ويحزن لحزنه، فقلبُه قلبُها إلا أن قلبها قلبه، وهذا من أفضل ما يكون بين الزوجين.

ومما يستفاد من الزواج أيضًا هو تجميع الأمة؛ لأنَّ الزواج ربط بين عائلتين وليس شخصين فحسب، فلقد أصبح أهله أهلاً لها وأهلها أهلاً له، فزاد الترابط وتعارف الناس، وبذلك تتوحد الأمة وتزداد صلة الأرحام، أما ترى أنّ أم الزوجة أصبحت في مكانة الأم بالنسبة للزوج؟ فلقد حُرِّمتْ عليه تحريمًا أبديًا، ولذلك وجب عليه أن يصل رحمه معها، وكذلك أب الزوج قد أصبح أبًا للزوجة لأنه أيضًا حُرِّم عليها تحريمًا أبديًا، وبذلك يكون الزواج زيادة في الأرحام فسبحان مشرِّع الأحكام.

٧ ـ الزواج سكينة للقلب وأنس ومواساة:

إن الزوجَ يظل يجتهد ويعمل لتحصيل متطلبات الحياة، وهو بذلك يَجِدُ من العَناءِ والمشقة ما يحتاج بعدها إلى راحة وسكينة، فعلى الزوجة الصالحة العاقلة أن تكون سكنًا لزوجها، فهي بيتٌ لقلب الرجل، وسكينةٌ لنفسه، فلا تُكدِّرْ عليه معيشته، ولا تجعل من البيت سجنًا يعيش فيه الرجل، فإن فعلت ذلك فقد ذهبت أول فائدة موجودة من الزواج في الدنيا، وبذلك تصبح المرأة

شقاءٌ لزوجها كما قال ﷺ : «... وثلاثةٌ من الشقاء»، وذكر منها ﷺ : «ومن الشَّقاءِ المرأةُ تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غِبتَ عنها لم تأمنها على نفسها ومالك»(١).

إنّ الرجل قد يخاف ويحزن فيحتاج من يواسيه، ويستوحش فيحتاج من يأنس به، والحياة خطوب وأكدار، والزواج بمثابة نزع هذه الأشياء من القلوب بالمواساة والأنس الذي يجده الزوج مع زوجته والزوجة مع زوجها.

فلله در امرأة تشبهت بأمِ المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فلقد كانت أفضل زوجة عرفها البشر لأفضل زوج على وجه الأرض وأفضل مخلوق خلقه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري وهذه روايته وذلك في كتاب بدء الوحي وفيه أن النبي ﷺ رجع إلى السيدة خديجة رضي الله عنها يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زمِّلوني زمِّلوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة رضي الله عنها وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة رضي الله عنها حتى أتت على ورقة بن نوفل ابن عم خديجة.... إلخ» الحديث(٢).

والشاهد من الحديث هو موقف السيدة خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ وسيظل التاريخ يحكي هذا الموقف من مواساة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٦)، و«الصحيحة» (١٨٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة.

فقد عاد من موقف لقاء جبريل عليه السلام يرجف فؤاده خائفًا لما حدث له فما أن دخل بيت خديجة رضي الله عنها إلا وقد وجد السكينة والأمن من أول وهلة حينما حكى ما حدث، فترى أول كلمة قالتها خديجة لرسول الله ﷺ هي «أبشر»، وهي بمعنى البشارة والفرحة والسرور ثم عادت تعدُّ له مدائحه ومناقبه وفضائله حتى تثبته وتعلمه أنّ الله لن يخزيه أبداً.

وبذلك نالت السيدة خديجة رضي الله عنها الدرجة العليا من محبة الرسول ﷺ لها فلم تحظى امرأة بمحبة النبي ﷺ مثلما حظيت السيدة خديجة رضي الله عنها، ولذلك كان يذكرها الرسول ﷺ في حياته ويمدحها دائمًا وكان مِمًّا قاله عن مناقبها - لما تكلمت عائشة فيها -: **«قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادًا منها وحرمني من غيرها»**[1]، ولذلك كان جزاؤها الجنة ولها بيت فيها من قصب ليس فيه صخب ولا نصب، وكثير هي المواقف التي كانت من النساء في مواساة أزواجهنَّ، كحالة أم سُليم رضي الله عنها مع أبي طلحة رضي الله عنه وغير ذلك.

فلتعلم المرأةُ أنها سكينة الرجل، فإذا فهمت ذلك كانت أنيسًا وعونًا للزوج على متاعب الحياة ومشقاتها، فإنها بما أعطاها الله من الوسائل المشروعة تستطيع أن تحولَ الرجلَ من المشقة إلى الراحة، ومن الشقاء إلى السعادة؛ لأنَّ الزوج بالنسبة للمرأة «طفل كبير»، ولكن إذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١١٧، ١١٨)، ونسبه الحافظ في «الإصابة» (١٢/ ٢١٧، ٢١٨) إلى كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي، وقال شعيب الأرناؤط: إسناده حسن، في تحقيقه «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٢) الرسالة.

٨ ـ الزواج عفة ووقار وتلبية للرغبات الفطرية:

وهذه الفائدة من أهم فوائد الزواج، لأنّ الزوج يعفُّ نفسه وغيره من النساء بالزواج منهنَّ، وبذلك يغض الرجل بصره ويحفظ فرجه وينال بذلك رضا الله تعالى ومحبته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المؤمنون: ٥-٦)، فالمتزوج عفيف النفس لأنّه متشبع بما عنده من الحلال، وحتى إذا رأى ما يعجبه فإنّه لا يغرس في أرض غيره، ولكنه يعود إلى أرضه فيضع غرسه فيها.

ففي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب رضي الله عنها وهي تمعسُ منيئة(*) لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إنّ المرأة تُقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدُكم امرأةً فليأتِ أهلَه فإنَّ ذلك يَرُدُّ ما في نفسِه»(١).

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه فدخل ثم خرج وقد اغتسل، فقلنا: يا رسول الله قد كان شيء؟ قال: «أجل مَرت بي فلانة، فوقع في قلبي شهوةُ النِّساء، فأتيتُ بعضَ أزواجي فأصبتُها، فكذلك فافعلوا فإنّه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال»(٢).

(*) تمعس منيئة: أي تدبغ جلدًا لها، والمعس هو المعك والدلك، والمنيئة الجلد في أول الدبغ، انظر «غريب الحديث» لابن الأثير.

(١) رواه مسلم (١٤٠٣)، وأبو داود (٢١٥١)، والترمذي (١١٥٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٤٢) من حديث أبي كبشة الأنماري، وروى بهذا المعنى ابن حبان من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم المرأة التي تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإنَّ ذلك معهم»، صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٢)، و«الصحيحة» (٢٣٥).

فهذا الزواج له فضل عظيم من عفة الإنسان عن الوقوع فيما حرَّمَ الله ـ تعالى ـ فعلى الزوج أن يعمل جاهداً على إعفاف زوجته، والمرأة أولى من الرجل في هذا الصنيع لأنَّ حاجة الرجل تكون أشدَّ منها في ذلك، ولذلك شدَّد الإسلام وتوعَّدَ المرأةَ التي تمتنع عن زوجها في الفراش بالعقاب وعدم رضا الله عليها، لأنَّها بذلك تسببت من وقوع زوجها فيما حرم من الفاحشة وارتكاب الرذيلة، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فأبتْ أن تَجِيءَ فبات غضبانَ، لعنتها الملائكةُ حتى تُصْبِحَ»[1].

وفي رواية أنّه قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأتَه إلى فراشِه، فتَأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»[2].

وفي رواية: «إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فلتُجِبْ وإن كانتَ على التَّنُّور»[3].

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا تجاوز صلاتُهم آذانَهم: العبدُ الآبق حتى يرجع، وامرأةٌ باتت وزوجُها عليها ساخِط، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون»[4].

فهذه بعض الأحاديث التي تحثُّ المرأةَ على تلبية رغبة الزوج في متاع الفراش وعدم معصيته بمنع شهوته، حتى لا تتسبب في وقوع الزوج في الحرام، وحذَّرَها الإسلام من ذلك، فهي لو امتنعت عن زوجها لعنتها الملائكة، واللعن يقتضي

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة ﵁، ورواه أبو داود (٢١٤١).

(٢) رواه مسلم (١٢١/١٤٣٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي (١١٦٠) من حديث طلق بن علي ﵁، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤)، وفي «الصحيحة» (١٢٠٢)، و«المشكاة» (٣٢٥٧)، و«رياض الصالحين» (٢٩٠)، ورواه أيضًا أحمد، وابن حبان، والبيهقي.

(٤) رواه الترمذي (٣٦٠)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٧)، و«المشكاة» (١١٢٢) من حديث أبي أمامة ﵁.

الخروج من رحمه الله، وهي أيضًا بذلك تجلب سخط الله عليها، وكل هذا بسبب منع المرأة زوجها من شهوته! فما بالك بالأشياء الأخرى التي تكون في الدين وحق الله تعالى؟!

وليس الكلام مقصوراً على المرأة فقط، بل إنّ الرجل يأثم إذا امتنع عن زوجته وامتنع عن تلبية رغبتها وحقها في الفراش، فقد نهى الإسلام الرجل عن التبتل، وقد مرَّ بنا حديثُ الثلاثة وحديثُ عثمان بن مظعون، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: أنكحني أبي امرأةً ذات حسب، وكان يتعاهد كنَّته - امرأة الابن - فيسألها عن بعلها فتقول له: نِعمَ الرجلُ! من رجل لم يطأ لنا فراشًا، ولم يفتش لنا كنفًا. مُذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «القيني به»، فلقيه بعد، فقال: «كَيْفَ تَصومُ»؟ قلت: كل يوم، قال: «وكيف تختم»؟ قلت: كل يوم. ثم تكلم معه ﷺ وقال له: «فلا تفعل. صُم وافطر، ونَمْ وقُم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإنّ لعينك عليك حقًا، وإنّ لزوجك عليك حقًا»[(١)].

والمقصود من هذه الفائدة المرجوة من الزواج - وهي العفة - أن تتحقق بين الرجل والمرأة على سواء، فالمرأة تعفُّ زوجها والزوج يعفُّ زوجته، فنقول له: يا أخي تزوج بِنيةٍ أن تعفَّ مسلمةً تأخذ أجرها وثوابها من الله تعالى.

وليحذر كل من الزوجين أن يتسبب في ضرر الآخر بعدم إشباع رغبته وشهوته يقول الرسول ﷺ: «من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠)، وابن ماجه (٢٣٤٢) من حديث أبي صرمة بن قيس الأنصاري، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٧٢)، و«الإرواء» (٨٩٦).

ومن أجل العفة بين الزوجين كان السلف لا يرون غياب الزوج عن زوجته أكثر من أربعة أو ستة أشهر وفي ذلك مرويات عن عمر بن الخطاب ﷺ وغيره من السلف فقد روي عن الإمام أنّه سُئل. كم يغيب الرجل عن زوجته؟ فقال: «ستة أشهر ثم يُكتب إليه فإن أبى أن يرجع فرَّق الحاكمُ بينهما»[(١)].

ولذلك شرع الله للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها الممتنع عنها وتسبب ذلك في ضررها، وهو حكم الإيلاء فإذا ترك الزوج زوجته بدون وطء لمدة أربع أشهر وتضررت المرأة بذلك، وما زال الزوج ممتنعًا عن إتيان زوجته بدون سبب شرعي مقبول، فقد أجاز الإسلامُ للمرأة أن تطلب الطلاق، وعلى الحاكم أن يطلقها منه. يقول تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٦).

٩ ـ *الزواج زيادة في الحسنات ومغفرة للسيئات:*

وذلك يكون بدايةً في الإخلاص لله ـ عزَّ وجلَّ ـ عند القدوم على الزواج، والاعتقاد على أنه طاعة وعبادة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم بعد ذلك ننظر في الزواج فنجد أنّ المتزوج يتحصل على أجر وثواب لا يستطيعه الإنسان العزب لفقدانه الزواج.

إنّ مجرد طاعة الزوجة لزوجها سبب آكد لدخول الجنة يقول الرسول ﷺ : «إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، وصَامتْ شهرَها، وحَفِظَت فرجَها، وأطاعت زوجَها، دخلت الجنَّة»[(٢)].

---

(١) «المغني» (٧/ ٢٣٢)، دار الفكر ـ بيروت.

(٢) رواه أحمد (١٦٦١) من حديث عبد الرحمن بن عوف، ورواه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة، وأبو نعيم (٦/ ٣٠٨) عن أنس بن مالك، وقال الألباني: حديث حسن أو صحيح له طرق، انظر «آداب الزفاف» (٢١٤)، وصححه في «صحيح الجامع» (٦٦٠، ٦٦١).

إنَّ العادات التي كان يفعلها الزوج والزوجة قبل الزواج تتحول إلى عبادات بعد الزواج، ومن ذلك الابتسامة والتزيُّن حتى الطعام والشراب، ومشاركة الزوجين في اهتمام كل منهما للآخر في الأفراح والأحزان.

والنفقة على الأهل له أجر عظيم عند الله يقول الرسول ﷺ: «إنَّك مهما انفقتَ على أهلِك من نفقةٍ فإنك تؤجر عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فِي امرأتِك»[(١)].

ويقول ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبةٍ، ودينار تصدقتَ به على مسكينٍ، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلِك»[(٢)].

ويقول ﷺ: «ما أطعَمت نفسَك فهو لك صدقة، وما أطعمتَ ولدك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ زوجتكَ فهو لك صدقة، وما أطعمتَ خادمَك فهو لك صدقةٌ»[(٣)].

بل إنَّ مجرد استمتاع الإنسان عند إتيان الزوجة يكون له الأجر والثواب، قال رسول الله ﷺ: «... وفي بِضْعِ أحدِكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضَعها في حرام، أكان فيها وزر؟»، قالوا: بلى، قال: «فكذلك إذا وضَعَها في الحلال كان له فيها أجر»[(٤)].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)، والنسائي (٣٦٢٦)، وابن ماجه (٢٧٠٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٩٥)، وأحمد (٢/ ٤٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٣١)، والبيهقي (٤/ ١٧٩) من حديث المقدام بن معد يكرب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٣٥)، و«الصحيحة» (٤٥٢).

(٤) رواه مسلم (١٠٠٦) والسياق له، وأحمد (٥/ ١٦٧، ١٦٨، ١٧٨)، قال السيوطي ـ رحمه الله ـ: «وظاهر الحديث أنّ الوطء صدقة، وإن لم ينو شيئًا» اهـ. انظر «آداب الزفاف» (ص٦٦)، المكتب الإسلامي.

وغير ذلك من الأجر والثواب من عمل الرجل وكسب العيش الحلال لإطعام أهله، وسد حاجاتهم، والقيام بمسئولياتهم وتربيتهم والإحسان إليهم، فإذا احتسب العبد كل ما كان من أمور زواجه ومعاشرته لأهله؛ لوجد أنّه في نعمة التحصيل المستمر للأجر والثواب من الله تعالى.

١٠ . الزواج كثرة وزيادة للمؤمنين:

وذلك من أهم أهداف الزواج، وهو وجود النسل وزيادة المسلمين بالمكاثرة وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «تزوجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة»[(١)].

وأجلُّ غَرْسٍ في هذه الدنيا هو غرسُ الإنسان في الأرض الطيبة التي هي زوجته حتى تأتي له بثمرة الأولاد، ولا بد من استصحاب نية طلب الأولاد في الزواج وهذا هو الأساس من الزواج لاستمرار نوع الإنسان على وجه الأرض، ويُستحب أن ينوي عند الجماع طلبَ الولدِ الصالحِ قال تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧)، أي: لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله في النكاح من التناسل، وبه قال جمعٌ من السلف منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس ﷺ: «أي من أجل طلب الولد»، وقال الرسول ﷺ لجابر ﷺ: «إذا قَدمتَ فالكيسَ الكيسَ»[(٢)].

وقد بوَّب البخاري في صحيحه بابًا (باب من طلب الولد للجهاد) وذكر فيه حديث أبي هريرة في قصة سليمان ﷺ لما أتى مائة امرأة وجامعهنّ ليأتي بمائة ولد يجاهدون في سبيل الله، يقول ابن حجر: «قوله باب من طلب الولد

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨) من حديث أبي أمامة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٤١)، و«الصحيحة» (١٧٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (١٤٦٦) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، ومعنى: «الكيس»، أي الولد الذي يُطلب بالنكاح.

للجهاد ـ أي ينوي عند المجامعة حصول الولـد ليجاهد في سبيل الله فيحصل له بذلك أجر وإن لم يقع له ذلك» اهـ[١].

وكان عمر بن الخطاب يقول: «إني لأُكره نفسي على الجماع رجاء أن يُخرج الله مني نسمة تـسبح الله تعالى»[٢]، وقال أيضًا: «تكثروا مـن العيال؛ فإنكم لا تدرون ممَّا ترزقون»[٣].

وقال العلامة أبو الحسن الماوردي: «وينوي في الولد أنّ الله يرزقه من يعبد الله ويوحده، ويجـري على يديه صلاح الخلق وإقـامة الحق وتأييـد الصدق ومنفـعة العباد وعمارة البلاد»[٤].

فنعمة التناسل والـتكاثر من أجلّ فوائد الزواج، وهو من النعم التي يمتنّ الله بها على خلقه، ولذلك كـان يطلبها الأنبياء وذلك لخـدمة الدين ونشر الحق بين الناس، ولم يطلبوهم للدنيـا فهذا إبراهيم ﷺ رزقه الله بإسماعـيل ثم بإسحاق وقد امتنّ الله عليه بهذه النعمة.

وهذه امرأة عـمران كانت تحب أن تلد ذكـرًا حتى يخدم بيت المقـدس فلما جاءت بنتًـا شكرت الله ـ عزّ وجلّ ـ مع أنهـا كانت تريد الذكـر ولذلك قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ (آل عمران: ٣٦).

وهذا زكريا ﷺ سأل الله تعالى الولـد، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٢)، دار الريان.

(٢) رواه البيهقي (٧/ ٧٩)، والهيثمي في «الإفصاح» (١/ ٥٧).

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٣٣) نقلاً عن كتاب «الدراري في ذكرى الذراري» (ص١٥).

(٤) نقله عنه في «عودة الحجاب» (٢/ ٢٣٤) من كتاب «نصيحة الملوك».

امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٤-٧).

فقد دعا زكريا عليه السلام بالولد لا للدنيا ولكن ليعمل بخدمة دين الله في الأرض، فهو يرِثُ الصلاحَ من آل يعقوب، ويدعو الله بأن يكون رضيًّا، ثم بشَّره الله بيحيى والبشارة تكون بما يحبه المرء. وكلما زاد الأولاد عند الرجل والمرأة زاد أجرهما إذا ما أحسنوا تربيتهم وعملوا على صلاحهم وتقواهم لله تعالى، فلا تسمع لدعاة الباطل والضلال الذين ينادون بتحديد النسل وتنظيم الأولاد، فيقولون يكفي ولدان أو ثلاثة، وغير ذلك من الهجمات الشرسة لتقليص المسلمين وقلتهم على وجه الأرض، والعجيب يا أخي أنّ هذه الحملات لا توجد إلا في بلاد المسلمين ولا تُقال إلا لهم ولا يفعلها إلا المسلمون!!

ويحكي أحد الدعاة أنّه سأل طبيبًا في الصحة وهو المسئول عن هذا المشروع - تحديد النسل - وقال له أستحلفك بالله كم نصرانية أتتك منذ عملت في هذا المشروع؟ وكان يعمل منذ سنين طبيبًا بالصحة، فقال الطبيب: والله ما رأيتُ نصرانيةً واحدةً أتتني منذ عملتُ في هذا الأمر، فكل من يأتيني من المسلمات.

إنّه سيأتي زمان على هذه الأمة يقل فيها الرجال ويكثر فيها النساء كما أخبر بذلك ﷺ ففي الحديث: «ويَقِلُّ الرجالُ وتكثُرُ النساءُ، حتى يكونَ لخمسينَ امرأةً قيمٌ واحدٌ»(١).

---

(١) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١)، والترمذي (٢٢٠٥)، وابن ماجه (٤٠٤٥) من حديث أنس ابن مالك.

إنّا وخاصة في مصرَ في حاجةٍ ماسَّةٍ لزيادة السكان وكثرة الناس، إننا نعيش في جزءٍ يسير جدًّا من المساحة الكلية للبلاد، فنحن في حاجة لتعمير البلاد الخاوية التي تحتاج إلى موارد بشرية تعمرها، وهذا لا يتم إلا بالزواج وتيسيره وكثرة الأولاد الذين يُصلحون مجتمعهم وتحيى بهم أمتهم.

وكثرة الأولاد يعد مدحًا لصاحبه وفخرًا له، ودليلاً على عز المرء، وخاصة إذا كان الأولاد أهل صلاح ودين من علماء وحفظة للقرآن الكريم، فكم يسعد الأب وتسعد الأم يوم أن يجد كل واحد منهما صحيفته مليئة بالحسنات، ورفعة الدرجات وذلك بسبب أولادهم وأعمالهم الصالحة؟ لقد كان من دعاء الصالحين: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤).

١١ - *الزواج كنز بعد الموت ينفع صاحبه:*

إنَّ مما يجعل الإنسان يفعل الخيرات والصالحات في هذه الدنيا هو معرفته بالموت وما بعده من حساب ووقوف بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - فلولا الموت وما بعده من حياة الآخرة وما فيها من جنة ونار ونعيم وعذاب وحساب لفعل الناس ما فعلوا، وحياة العبد في الدنيا حياة تحصيل للحسنات وتأهيل للآخرة، فكل عمل يعمله في الدنيا فإنما يكنزه ويحفظه رجاء أن ينفعه عند الله.

ومن خير ما يكنزه المرء هي الزوجة والأولاد، وذلك من عدة اتجاهات منها قيام الزوج إعفاف زوجته، والقيام برعايتها ورعاية الأولاد بالنفقة عليهم وتربيتهم والعمل على صلاحهم وتعليمهم، وإذا كان عنده بنات وزوجهنّ فهذا كنز يجد منفعته عند الله، يقول الرسول ﷺ: «ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهنّ إلا كنّ له سترًا من النار»[1].

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٣، ٨٨، ١٦٦)، والبيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٧٢٠).

وقال ﷺ: «من ابتُلي بشيءٍ من البنات فصبر عليهن، كنَّ له حجابًا من النَّار»[١]، وقال ﷺ: «من عالَ جاريتين حتى يُدركا، دخلتُ أنا وهو الجنةَ كهاتين»[٢].

وإنما يكون للعبد بنات بالزواج فإذ رُزق العبد ببنت أو بنتين فقد حصل على كنز فليحسن إليهنّ وليحافظ عليهنّ لأنّهنّ كنز له في الآخرة.

ومن الكنوز التي تنفع المتزوج وجود الولد عامّة سواء كان ذكرًا أو أنثى، حيث ينتفع الميت بصدقة ابنه وبعمل ابنه وولده له من صدقة وصيام وحج ودعاء يقول ﷺ: «إذا ماتَ ابنُ آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية، أو علم يُنتفعُ به»[٣].

وإذا كان للمتزوج أولاد ماتوا في الدنيا وصبر عليهم، كان هؤلاءِ الأولاد كنزًا لآبائهم يوم القيامة لأنّ الله يُدخِلُ الآباءَ الجنةَ بهم.

يقول الرسول ﷺ: «ما من مُسلمينِ يموتُ لهما ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحنثَ إلا أدخلهم اللهُ وأبويهم الجنةَ بفضلِ رحمته. قال: ويكونون على أبوابِ الجنةِ فيقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: حتى يجيء أبوانا، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة وأبواكم بفضل رحمة الله»[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩)، والترمذي (١٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم (٢٦٣١)، والترمذي (١٩١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٤)، وقال الألباني: صحيح، وهو في «الصحيحة» برقم (٢٩٧، ١٠٢٦).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي (٣٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه النسائي (١/ ٢٦٥)، والبيهقي (٤/ ٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط الشيخين، انظر «أحكام الجنائز» (ص٣٤).

ويقول ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يرضىَ لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرضِ فصبر واحتسب بثوابٍ دونَ الجنَّة»[(١)].

ويقول ﷺ: «لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسَّه النارُ إلا تحلةَ القَسَم»[(٢)].

ومعنى «تحلة القسم»، أي إبرار القسم من الله تعالى حيث قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم:٧١)، فإنّه يمر بها ويجاوزها دون أن تمسه وهذا هو «تحلة القسم».

١٢ ـ *الزواج علو للهمة وسمو بالمروءة:*

وتظهر هذه الفائدة فيمن يريد الزواج فإنّه يكافح ويجد في العمل حتى يتحصل على نعمة الزواج فيعطيه الزواج علوًّا في همته ويشد من أزره في ذلك.

والذي ينظر في فوائد الزواج الدينية من الأجر والثواب في إعفاف المرأة المسلمة وتربية الأولاد والعمل من أجل الإحسان إليهم وغير ذلك، فإنّه يجد نفسه عاملاً مكافحًا ليس متكاسلاً كي يتحصل على هذه النعمة.

ولذلك يُعينُ الله تعالى الذي يريد الزواج ويوفقه للحصول على هذه الفوائد والمميزات التي تكون في الزواج ولا تكون في غيره يقول الرسول ﷺ: «ثلاثةٌ حقٌ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يريد الأداء والناكح يريد العفاف»[(٣)]، إن العبد صاحب الهمة العالية لا يتردد في أن يتقدم بالمجاهدة

---

(١) رواه النسائي (١/ ٢٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥١)، و«أحكام الجنائز» (ص٣٤)، مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٢) رواه البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٢)، والترمذي (١٠٦٠)، وابن ماجه (٦٠٣)، والنسائي (١٨٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وابن ماجه (٢٥١٨)، والنسائي (٣١٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٠)، و«المشكاة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعمل الجاد من أجل الحصول على الزواج الذي يدخل بسببه الجنة والذي يتحصل به على كثير من القربات والأجر ما لا يجده في غيره.

أما عن سمو المروءة المتحققة في الزواج فإنّها تكون بظهور الأخلاق الحميدة المتبادلة بين الزوجين من حسن العشرة وعدم الإيذاء والتعامل بالمودة والرحمة، ولذلك كان من خوارم المروءة سوء العشرة مع الأهل ومن ينظر في حديث «أم زرع»، في الصحيحين يعرف أن حسن المعاشرة مع الزوجة من المروءة وكرم الخلق. قال الأصمعي: «ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق وما وضع نفسه بعد الكفر بمثل منكح سوء»[1].

١٣ - *الزواج صلاح للأمة والمجتمع:*

وهذه فائدة تعود على المجتمع كله لأنّ الزواج يربط بين اثنين وعائلتين ويجعل الزوجة لرجل واحد هو يحميها يأوي لها وبذلك تكون المرأة محفوظة وبعيدة عن المضايقات الأخرى، ويأمن من الآباء على بناتهنّ من الرذيلة والعوامل الفاحشة من المعاكسات والاغتصابات، فبالزواج لن نجد شبابًا يُعاكسون الفتيات ويجلسون على الطرقات، ولن نجد العيون الخائنة ولن نجد الاختلاط وغير ذلك من المفاسد.

ولذلك كان صلاح الأمة في الزواج وكان أمنُ الناس في حياتهم وأعراضهم لا يكون إلا بالزواج وتيسيره على الشباب، وبذلك تتقدم أمتنا وتكون لنا الحضارة الحقيقية يوم أن نحرس الفضيلة ونرعاها بالزواج، فإن لم نفعل ذلك وأصبح الزواج عسيراً أمام الشباب وامتنعت فتياتنا عن الزواج أو كان التأجيل بسبب مغالاة المهور والصداق، فإن حصل ذلك كان الفساد في الأمة لأنّ الناس

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٤١) نقلاً عن «مرآة النساء».

حينئذ سيفرغون شهوتهم في الحرام، وستظل الفتاة في بيتها بدون زواج وهذه مصيبة بالنسبة للبنت، فعلى العاقل من الآباء أن يعمل على زواج ابنته وييسرّ على خاطبها، ويقبل صاحب الدين فإنّه لن يُعوض. يقول الرسول ﷺ: «إذا خَطَبَ إليكم من ترضون دينَه وخُلقَه، فزوجوه إن لا تفعلوا تكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض»[(١)].

١٤ ـ *الزواج وما فيه من الشهادة:*

وإنّما قيل الشهادة في الزواج وذلك إذا مات الإنسان من أجل شيء من شئونه، فقد جعل الإسلام الدفاع عن العرض والموت من أجله شهادة، سواءً كان هذا العرض من زوجة أو غيرها من النساء التي تخص الرجل، فلو أنّ إنسانًا مات وهو يدافع عن عرضه وكانت عنده الغيرة المحمودة التي تحمي الزوجة بأن يمنع من يدخل عليهن وغير ذلك من التعرض لنسائه فإن مات بسبب هذه الأشياء فهو شهيد، ولو مات وهو يعمل من أجل إحضار الكسب الحلال لأولاده فهو شهيد.

يقول الرسول ﷺ: «مَن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومَن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد، ومَن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومَن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد»[(٢)].

وجعل من الشهادة موت المرأة بسبب الولادة فلو ماتت امرأة وهي تلد أو ماتت وهي نُفساء فهي شهيدة، يقول الرسول ﷺ: «... والمرأة يقتلُها ولدُها جَمعاء شهادة، يجرُّها ولدها بسرره إلى الجنة»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني لشواهده في «الإرواء» (١٨٦٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٤) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥)، و«المشكاة» (٣٥٢٩).

(٣) رواه أحمد (٤/١٠٢)، والدارمي (٢/٢٠٨)، والنسائي (١/٢٨٩) من حديث عبادة بن الصامت وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر «أحكام الجنائز» (ص٥٤).

ومعنى «جمعاء»، أي معهـا ولدها في بطنها والشهـادة تكون حتى ولو نزل ولدها حيًّا وقد ماتت هي.

وقوله ﷺ: «يجرها ولدها بسرره إلى الجنة»، أي ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة وهي السُّرة.

قال رسول الله ﷺ: «الشهداءُ سبعةٌ سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحبُ ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمَع شهيدة»[1]، والمقصود بالمرأة التي تموت بجُمع هي المرأة التي تموت أثناء الولادة أو تموت بسبب الحمل.

١٥ - الزواج سِتر للرجل والمرأة:

إنّ الزوج هو المخلوق الوحيد الذي يجوز له أن يرى زوجته كلها كما ولدتها أمها بدون حرمة أو كراهة، والزوجـة كذلك هي المخلوق الوحيد الذي يجوز له أن يرى الرجل كله كما ولدته أُمّه، وذلك بدون حرج أو حرمة وهذا ميثاق غليظ بين الرجل والمرأة، ورابط أكيد في تمام العلاقة ورسوخها بين الزوجين.

ودلالة جـواز نظر الرجل إلى كل زوجتـه والمرأة كذلك، مـا رواه الترمـذي وغيره من حديث معاوية بن حيده قال: قلت يا رسول الله! عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتَك إلا من زوجتِك أو ما ملكتْ يمينُك»، فقال: الرجل يكون مع الرجل؟ قـال: «إن استطعتَ أن لا يراها أحدٌ فافعل»، قلت: فـالرجل

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٩)، والنسـائي (١/ ٢٦١)، وابن ماجـه (٢/ ١٨٥)، وابن حبـان في صحيحـه (١٦١٦)، وأحمد (٥/ ٤٤٦)، ومـالك (١/ ٢٣٢) من حديث جابر بن عتيـك ﷺ، وقال الألباني: ولست أشكُّ في صحة متنه لأنّ له شواهد كثيرة، انظر «أحكام الجنائز» (ص٥٥)، و«صحيح الجامع» (٣٧٣٩)، و«المشكاة» (١٥٦١).

يكون خاليًا، قال: «فالله أحق أن يستحيا منه»[1]، ففي قوله ﷺ: «إلا من زوجتك...» فيه دليل من جواز نظر الزوجة لعورة زوجها.

وقد صح أنّ النبي ﷺ اغتسل هو وعائشة ﷺ من إناء واحد تقول عائشة: «كان رسول الله ﷺ يغتسل في القَدَح ـ وهو الفرق ـ وكنت أغتسل أنا وهو في إناء واحد»[2].

وفي رواية: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء ـ بيني وبينه ـ واحد فيبادرني، حتى أقول: دع لي، دع لي . . قالت: وهما جنبان»[3]، وقد قيل: أن عطاء سأل عائشة ﷺ عن نظر الرجل لعورة زوجته والعكس، فأجابته بهذا الحديث.

ففي هذه الأحاديث دلالة قاطعة على جواز نظر الرجل إلى عورة زوجته والعكس. أما حديث عائشة الذي تقول فيه: «ما نظرت إلى فرج رسول الله قط أو ما رأيت فرج النبي ﷺ قط»[4]. فهذا حديث غير صحيح.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩)، وابن ماجه (١٩٢٠) من حديث معاوية بن حيدة ﷺ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣)، و«آداب الزفاف» (ص٤٠)، وقال فيه: سنده حسن.

(٢) رواه البخاري (٢٥٠)، ومسلم (٣١٩) من حديث عائشة ﷺ، ورواه أيضًا من حديث ميمونة ﷺ البخاري (٢٥٣)، ومسلم (٣٢٢)، والترمذي (٦٢)، وابن ماجه (٣٧٧).

(٣) رواه البخاري (٢٥٠، ٢٦١، ٢٧٣)، ومسلم (٣٢١) والسياق له، وروايات البخاري حول هذا المعنى، انظر أحاديث (٢٥٠، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٩٩، ٥٩٥٦، ٧٣٣٩) في صحيح البخاري.

(٤) رواه ابن ماجه (٦٦٢)، وقال الألباني: ضعيف في «ضعيف ابن ماجه» (١٤٣)، وقال: فيه مولاة لعائشة وهي مجهولة، ولذلك ضعف إسناده البوصيري، وقال أيضًا: أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص٢٧)، ومن طريقه أبو نعيم (٨/ ٢٤٧)، و«الخطيب» (١/ ٢٢٥)، وفي سنده بركة بن محمد الحلبي، ولا بركة فيه: فإنّه كذّاب وضّاع، وقد ذكر له الحافظ ابن حجر في «اللسان»، هذا الحديث من أبا طيلة. اهـ. «آداب الزفاف» (ص٣٧).

وبفهم الأحاديث الصحيحة السالفة يظهر لنا الميثاق الغليظ، والعلاقة الحميمة بينهما التي لم تحدث لاثنين في الوجود كله. إن المرأة تظل في حاجة لرجل يسترها ويكملها، وهذا هو زوجها والرجل كذلك يقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)، فانظر إلى تعبيرات القرآن وبلاغة البيان، فقد جعل الله كلاً من الزوجين لباسًا للآخر.

قال الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾، أي: أن يكون كل منهما قد جعل صاحبه لباسًا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، وانضمام كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه[١].

فقيل لكل واحد منهما «هو لباس»، لصاحبه أو أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه «لباسًا»، لأنّه سكن له كما قال - جلَّ ثناؤه - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (الفرقان:٤٧)، يعني بذلك سكنًا تسكنون فيه وكذلك زوجة الرجل سكن يسكن إليها كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف:١٨٩)، فيكون كل واحد منهما «لباسًا»، لصاحبه بمعنى سكونه إليها.

وجاء في كتاب «الإنسان بين المادية والإسلام» ما يلي بتصرف في تفسير قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، يقول صاحب الكتاب «يصف القرآن العلاقة بين الرجل والمرأة في تعبير دقيق جميل حيث يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، ففي هذه الكلمات القليلة - التعبير بالوجيزة أفضل - تصوير بارع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح في آنٍ واحد، فاللباس أهم شيء ببدن الإنسان وهو الستر الذي يستتر به، وهو في الوقت ذاته مفصل على قدره لا ينقص ولا يزيد.

---

(١) «جامع البيان» للطبري (٢/ ١٦١)، دار الفكر.

والرجل والمرأة ألصق شيء بعضهما لبعض، يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة، وفي لحظة يذوب كل منهما في الآخر فلا تعرف لهما حدود وهما أبدًا يهفوان إلى هذا الاتصال الوثيق الذي يشبه اتحاد اللباس بلابسه.

ثم هما ستر كل واحد للآخر فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة، وهما على الدوام ستر روحي ونفسي، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منها شيء فتنهبه الأفواه والعيون، وهما كذلك وقاية تغني كلًّا منهما عن الفاحشة وأعمال السوء، كما يقي الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير.

فليس أبدع من تصوير هذه المعاني كلها في تشبيه واحد شامل عميق، وإذا كانت العلاقة بين الرجل والمرأة وثيقة إلى هذا الحد فقد وجب أن يلتقيا ليكون كل منهما لباسًا لصاحبه يزينه ويكمله ويلتصق به للوقاية والستر[١].

ولا يجوز للرجل إذا طلق زوجته من غير نشوز أو فسق أن يأخذ من زوجته مالاً أو مهرًا أعطاها إياه وذلك للعلاقة التي كانت بينهما. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ تعليل لمنع الأخذ مع الخلوة وقيل الإفضاء أن يخلو الرجل والمرأة وأن يجامعها فالإفضاء هنا بمعنى الجماع، قال ابن عباس: «ولكنَّ الله كريمٌ يُكنِّي»[٢].

---

(١) «تحفة العروس» (٣١) نقلاً عن كتاب «الإنسان بين المادية والإسلام» (ص٢٤٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٧٢).

والمقصود مما سبق ظهور مكانة الرجل بالنسبة للمرأة، والمرأة بالنسبة للرجل، فالرجل غطاء المرأة، والمرأة غطاء للرجل.

ولكي يتضح لك هذا المظهر انظر إلى زوج وزوجته أثناء مشاجرة أو مشكلة ضارمة مع زوجها، ويقف معها أخوها وأبوها وأهلها تحتمي بهم وكلهم أمام الزوج، ولك أن تتخيل لو أنّ هذه المرأة حدث لها أنها تعرّت أمام الناس في هذا الموقف وظهرت عورتها، فإنها لا تفكر لحظة واحدة أو تتردد في الاختباء والاختفاء بزوجها الذي يغطيها ويحفظها فهي لن تذهب لأخيها أو أبيها لسترها! فسبحان من قال: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: ٢١).

١٦ - *الزواج تهذيب للأخلاق:*

وإنّما تؤتي هذه الفائدة ثمارها بوجود الخُلق بين الزوجين وعلى الأقل وجود الخلق الحميد عند واحد منهما حتى يؤثر على صاحبه مما يجعل الآخر يتكيّف مع سلوك الملازمة.

يتضح هذا الخلق حينما نعلم أنّ الإسلام نهى عن سب المرأة أو شتمها والحث على معاملتها المعاملة الحسنة لأنه إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر يقول ﷺ: **«لا يَفْرَك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر»**[(١)].

وقال ﷺ: **«أكملُ المؤمنين إيمانًا: أحسنهم خُلقًا وخيارُكم خيارُكم لنسائكم»**[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، وابن حبان (١٣١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٢)، و«الصحيحة» (٢٨٤)، وقال في «آداب الزفاف»: حسن الإسناد (ص١٩٩)، المكتب الإسلامي.

وتخبر أم المؤمنين رضي الله عنها عـائشة عن النبي ﷺ فقالت: «مـا ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأةً ولا خادمًا»[١]، الحديث.

وحُسن الخُلق واجب من الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، فـالزواج تهذيب للأخلاق وتنميةٌ لها وظهورها في صورة حسية يُثاب الزوجان عليها، لقد نهى الإسـلام عن سوء الخُلق مع الزوجة، ومن الزوجة لزوجها فقـد قال رسول الله ﷺ: لمعـاوية بن حيـدة حينمـا سأله عن حـق الزوجة «**ولا تقبح الوجه ولا تضرب**»[٢].

وقِسْ على ذلك كل خلق حميد يظهر بين الزوجين من إكرامهـا والإحسان إليها وعـدم شتمهـا أو سبها، فـالرجل الذي يتعامل مع زوجتـه بسوء الخُلق من بذاءة اللسان وفحش المعاشرة فهو زوج لم يعـرف حقيقة النعـمة التي أعطاه الله إياها لقد ضـرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في الأخلاق كلها وأفـضل ما في الأخلاق ما كانت لأهل بيت العبد وخاصة زوجته وأولاده.

إن أعجب مـا تراه وتسمـعه، أن تعرف إنسـانًا محـسنًا لإخوانه وأصـحابه وجيرانه والناس كلهم وإذا ما سألت عنه أثنوا عليها خيرًا، ولكنك إذا سألت عنه في بيتـه وجدته مـخالفًا تمامًـا لما يعمله ويفـعله مع الناس، أليس هذا من الظلم والحمق؟ لـقد كان الأولى بـالمعاملة الحـسنة والأخلاق الحمـيدة هم أهل الـبيت والزوجة والأولاد، قال ﷺ: «**وخياركم خياركم لنسائهم**»[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨)، وابن ماجه (١٩٨٤).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن مـاجـه (١٨٥٠)، وحـسنه الألبـاني في «رياض الصـالحين» (٢٨٢)، و«آداب الزفاف» (ص٢٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصـحـحه الالبـاني في «صحيح الجامع» (١٢٣٢)، و«الصحيحة» (٢٨٤).

ولقد كان من حسن الخُلق عند أفضل زوج عرفته البشرية وهو الرسول ﷺ أنه كان يكني عائشة فيقول لها: «**يا أم عبد الله**»، ولم يكن لها ولد ولكنه كان يكرمها بذلك، فأين هؤلاء الذين إذا نادوا على الأزواج نادوا بأقبح الأسماء وأرذلها من خلق النبي ﷺ مع أزواجه؟!

١٧ ـ الزواج قرة العين وسعادة القلب:

إنّ سكون العين وثبوتها دليل على سكون القلب وسعادته، وإنّك لتجد ذلك واضحًا حينما ترى قرة العين ثابتة لا تتحرك، فإنَّ تحركها كثيرًا يدلُّ على الخوف والفزع وعدم ثبوت القلب، ومن علامات بَهاءِ العين وجمالها ثبوتها، ولذلك ترى المبتلى بالعمى عينه لا تثبت فهي دائمة التحرك.

لقد كان من دعاء المؤمنين الصادقين قولهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، فقد طلبوا قرة العين وفرحتها بوجود الزوجة الصالحة، وفي الحديث: «**أربع من السعادة ـ ذكر منها ـ المرأة الصالحة**»[١].

وعن محمد بن واسع قال: قال مسلم بن يسار: «ما غبطت رجلاً بشيء ما غبطته بثلاث: زوجة صالحة، وجار صالح، ومسكن واسع»[٢].

وإنما تكون قرة العين وسعادة القلب بوجود الزوجة الصالحة العاقلة الفاهمة لأمور دينها ودنياها، فهذه هي التي تسعد زوجها، وتجعله في فرحة وسرور، قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟. قال: «**التي تَسره إذا نظر، وتُطيعه إذا أمر، ولا تُخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»[٣].

(١) رواه ابن حبان (١٢٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢) من حديث سعد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٩٦٧)، مكتبة أولاد الشيخ.

(٣) رواه النسائي (٢/ ٧٢)، وأحمد (٢/ ٢٥١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨).

وقال ﷺ: «ألا أُخبركم بخير نسائكم في الجنَّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «كل ودود ولود، إذا غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحلُ بغمضٍ حتى ترضَى»[(١)].

وروي أنه ﷺ قال: «ما استفاد المؤمنُ بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعَتْه، وإن نظر إليها سرَّتْه وإن أقسَمَ عليها أبرَّته، وإن غاب عنها حفظته في مالها ونفسها»[(٢)].

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقرأ القرآن. فإذا فرغ قال: «أين العزَّاب فيقول: ادنوا مني، ثم قولوا: اللهم ارزقني امرأة إذا نظرتُ إليها سرتني، وإذا أمرتها أطاعتني، وإذا غبت عنها حفظت غيبتي في نفسها ومالي».

إنّ المرأة تمتلك قوة يمكن لها أن تُسعد الرجل، وتجعل من حياته جنّة في أرض الله، وذلك بما أعطاها الله من الوسائل التي تستطيع بها امتلاك قلب الرجل وحبه لها، فهي وحدها التي تستطيع! وتستطيع! فهل فهم النساء هذا الأمر وتنبهن له؟ وعملن على استخدام ما أعطاهنّ الله في سعادة أزواجهنّ حتى تسعدَ الأمة.

ربما تقول بعض الزوجات: وماذا يريد الزوج مني؟ ألا يجد طعامه مطهيًّا، وثوبه مكويًّا، وبيته نظيفًا، وأولاده لابسين آكلين، وحاجته مهيأة؟ إنّه لا يطلب مني طلبًا إلا وحققته، ولا يريد حاجة إلا سارعت في تنفيذها.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال المنذري في «الترغيب» حديث (٢٨٠٢): «ورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي، فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل، وقد روي هذا المتن من حديث ابن عباس، وكعب بن عجرة وغيرهما» اهـ. وقال الألباني: «صحيح لشواهده»، وهو في «الصحيحة» (٢٨٧).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة ﷺ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٤٢١)، و«ضعيف الجامع» (٤٩٩٩)، و«ضعيف ابن ماجه» (٤٠٨).

ماذا يريد الزوج مني أكثر من ذلك؟

كلا يا سيدتي! إنه بحاجة إلى العاطفة التي أنت مصدرها، إنه بحاجة إلى الابتسامة المشرقة من فيكِ التي تبدد ظلماتِ الكآبة التي تعرض له في الحياة.

إنه يريد أن يرى الإنسانة التي تعتني به، وتظهر له الاهتمام الكبير، وتشعره أنَّه بالنسبة إليها ـ قطب الرحى وأساس السعادة.

إنَّه يريد أن يسمع باللحن المريح كلمة الشوق والشكر والحب والرغبة في الأنس به واللقاء.

إن ذلك كله مفتاح السعادة التي يحويها معنى الزواج، إنه يريد نفسك وروحك كي يطير بك إلى السماء وجنَّة البقاء[1].

إنّ الزوج بحاجة لهذه المرأة التي تسعد قلبه، وتقر عينه، فبمجرد النظر إليها ينشرح صدره وقلبه، وبمجرد تذكرها يتلهف لرؤيتها، وتظهر الابتسامة على إشراقة وجهه، فأين هذه المرأة التي تظل في قلب زوجها وإن غابت عنه؟ وإن ذهبت بعيدًا فهي مازالت في قلبه؟ إنّه سيحب كل ما تحب وإن لم يكن لهذا الشيء غير محب، ولكن لحب الحبيب قد أحب، يقول قيس:

أمرُّ على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارَ
ومَا حُبُّ الجدار شغفن قلبي ... ولكن حُبُّ من سَكَنَ الديارَ

إنّه يحب الجماد والأحجار ويقبلها لا من أجل الحجارة ولكن من أجل من كان فيها، وخير من هذا كله ما صح عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه لما قبَّلَ

(١) «عودة الحجاب» (٢/٤١٩).

الحجر قال: «والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ قبَّلك ما قبَّلتك»(١).

فانظر إلى علو المحبة في حبه للشيء لا لذاته، ولكن لحب من أحبه فحبيب حبيبي حبيبي وعدو حبيبي عدوي. فلله در امرأة أسعدت زوجها! وهنيئًا لكل زوج فاز بالحصول على الزوجة الصالحة.

قال ابن القيم في نونيته وهو يصف نساء الجنة:

لو كُنتَ تدري مَن خَطَيتَ بحُسنِها ... لَبَذَلتَ مَا تَحوي مِن الإيمانِ
لو كُنتَ تعرفُ اين مسكنُهاجَعلتَ ... السعيَ منكَ لها على الأجفانِ
اسْرِع وحثَّ السَّيرَ جَهدَكَ إنما ... مَسراكَ هذا ساعةٌ لزمانِ
فاعشق وَجُدْ بالوصالِ وابذُلْ ... مَهْرَها مَا دامتَ ذا مكانِ

١٨ - الزواج إعانة على مشقة الحياة ومؤنتها:

وإنما يكون ذلك بتعاون الزوجين في التغلب على متاعب الحياة، وإعانة كل منهما للآخر، فالرجل يعمل في الخارج للحصول على المال الذي يكون سببًا في إعفافه وكفاية أهله وعدم ذُلِّ السؤال للناس، والزوجة تكون في بيتها، ترعاه وتقوم على تهيئة البيت من النظافة وإعداد الطعام، والقيام بشئون زوجها وأهلها من رعاية في المأكل والملبس، وغير ذلك مما يحتاجه البيت منها من الأمور التي تقوم بها المرأة.

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠) من رواية ابن عمر عن أبيه رضي الله عنه، ورواه أبو داود (١٨٧٣)، والترمذي (٨٦٠)، والنسائي (٢٩٣٦)، وابن ماجه (٢٩٤٣)، وكذلك مسلم (١٢٧٠)، عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول: «إني أُقبِّلُكَ وأعلم أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله قبلك لم أقبلك».

وليس من العيب أن يعمل الرجل في بيته مع زوجته، بل يُعدُّ من الكِبْر، ذلك الرجل الذي لا يساعد زوجته في حاجة البيت، ما دام كان عنده سَعة من الوقت والفراغ، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة لقد كان أكمل وأشرف مخلوق خلقه الله ـ عزّ وجلّ ـ ومع ذلك كان يكون في حاجة أهله.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها لما سُئلت: ما كان يصنع النبي في أهله؟ فقالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»(١).

وعن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: «يخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته»(٢).

وعن عمرة قالت: قيل لعائشة رضي الله عنها: ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»(٣)، وفي رواية: «كان يخدم في مهنة أهله، ويقطع لهم اللحم، ويقمُّ البيت، ويعين الخادم في خدمته»(٤)(*).

---

(١) رواه البخاري (٦٧٦)، والترمذي (٢٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٣٩)، وقال الألباني في تخريجه له في «الأدب»: صحيح، وليس في شيء من الكتب الستة، وهو في «المشكاة» (٥٨٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١) بدون زيادة «ويخدم نفسه»، وقال الألباني في تخريجه «للأدب المفرد»: صحيح، وصححه في «الصحيحة» (٦٧١)، ورواه بزيادة «ويخدم نفسه» الترمذي في «الشمائل» (٢٩٣)، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢١٩).

(٤) «السمط الثمين» (ص١٢)، ذكره فضيلة الشيخ/ محمد إسماعيل المقدم في «عودة الحجاب» (١٠٧/٢).

(*) هذا أشرف وأفضل مخلوق ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ يفعل ذلك وكان قائدًا، وزوجًا، وحاكمًا، ومعلمًا، ويرسل الجيوش، ويستقبل الوفود، ويحل مشاكل الناس، ويزور هذا، ويعطي هذا، وما شغله شيءٌ عن شيء، فسبحان من خلقه!!

والآثار في ذلك كثيرة، وهي تدل على معاونة الرجل لزوجته في حاجات البيت وإذا كان خير الناس قد فعل ذلك فكيف بمن هو دونه؟!

أما عن دور النساء فليس بقليل في إعانة الزوج على متاعب الحياة، ومن أول هذه الأشياء هو عمل المرأة في بيتها والقيام على خدمة زوجها وأولادها، فهي بذلك تتحصل على الأجر والثواب العظيم من الله تعالى.

ولقد كانت المرأة قديمًا تعمل مع الرجل بضوابط شرعية، وكانت الضرورة تستدعي ذلك في مساعدة الزوجة لزوجها.

قال علي رضي الله عنه: «لقد تزوجت فاطمة رضي الله عنها ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونضعه على الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها، ولما زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل لي معها بخميلة ووسادة آدم، حشوها ليف، ورحاءين وسقاء وجرتين، فجرّت بالرحاء حتى أثرت في يدها، واستقت بالقِربة حتى أثرت القِربة بنحرها وقَمَّتِ البيت حتى اغبرَّت ثيابُها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها»(١).

فهذه سيدة نساء أهل الجنة أبوها محمد صلى الله عليه وسلم وزوجها علي رضي الله عنه وأبناؤها الحسن والحسين رضي الله عنهما، فلقد أحاط بها الفضل وأحاطت هي بالفضل ومع ذلك انظر كيف كانت تعمل؟!

وعن أسماء رضي الله عنها أنها قالت: «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كُلَّه، وكان له فرسٌ وكنتُ أسوسه، وكنتُ أحتَشُ له وأقومُ عليه»(٢).

---

(١) «أحكام النساء» لابن الجوزي (٢/ ٩٩٢)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٠٦) بمعناه، وذكره ابن الجوزي أيضًا في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٩١) بنحو هذا المعنى.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٢).

وقالت رضي الله عنها: «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه، فكنت أعلف فرسه، وأدُقُّ النَّوى لناضحه وأستقي الماء وأخرز غربه، وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر رضي الله عنه بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني..»(١).

فلتسمع نساء المسلمين كيف كنّ النساء ولذلك كان الرجال؟!

١٩ ـ الزواج ميراث للرعاية الربانية:

والمقصود بهذه الفائدة ما يترتب عليه نتيجة للزواج من ثمرة الأولاد، فإنَّ الله يحفظ أولاد أهل الصلاح والتقوى ويسعد الولد بحفظ الله له، بسبب صلاح الآباء، فإذا كان الوالدان صالحين، نفع ذلك أبناءهم من بعدهم.

ففي قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ شاهد ودليل على صدق هذا الكلام، فقد وجد الخضر جداراً أوشك على الوقوع والانهيار، فأقامه وأصلحه وأعاد بناءه، وكان موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ قد دخلا هذه القرية وهما جائعان فأبى أهل القرية ضيافتهما، وكانا في حاجة إلى المال، ولكن الخضر أبى أخذ المال من جراء هذا العمل، ولذلك تجد موسى عليه السلام يقول للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف:٧٧)، وكانت هذه من ضمن مقاطعة موسى للخضر فيما يفعل.

ولمَّا بيَّن الخضر، ما فعل وبين سبب هذه الأشياء التي لم يستطع موسى الصبر عليها كان من ضمن ما قال له عن هذين الغلامين وسبب عدم أخذ الأجر منهما والقيام بشأنهما: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف:٨٢)، فهذا تعليل وسبب من ضمن الأسباب التي جعلت الخضر لا يأخذ الأجر منهما.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٤٧، ٣٥٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٥٠)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩١).

ومن تكون الفائدة من الزواج متحققة بالأولاد مع صلاح الآباء فمن أراد الأمن لأولاده من بعده ومن أراد حفظهم ورعايتهم فليتق الله.

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (النساء:٩)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور:٢١).

٢٠ - *الزواج يحافظ على النسب ويرفع الحسب:*

الزواج هو النظام الأكمل للحفاظ على الأنساب وعدم الاختلاط، فبما أن الإسلام يعلم فطرة الإنسان من شهوة وحاجته الفطرية لقضاء هذه الشهوة، فقد شرع له الزواج ولم يحجمه ويكبت شهوته، بل طالبه بالزواج كنظام إسلامي حتى لا تختلط الأنساب.

فبالزواج يولد المولود من أب وأم معلومين لديه، مع معرفة الأبوين له، وأمان الأب إلى أنّه ابنه، وإذا لم يكن الزواج كان الزنا وكان الأولاد الذين لا يعرف أب لهم، وليس لهم نسب، وقد تراهم في الملاجئ والشوارع، وكثير من الذين لا أب لهم، ومن أجل ذلك حرّم الإسلام الزنا، وجعله عاراً لفاعله، وأشد ما يكون من العار هو «ولد الزنا»، الذي لا قيمة له بين الناس، وإذا جاء الولد من الزنا فإنّه لا ينسب لأحد من الناس، حتى من نفس الزاني والزانية، فهو لا ينسب إليها، قال الرسول ﷺ: **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»**[1]، وهو كناية عن الخسارة لأنّ الحجر لا يأتي بخير.

---

(١) رواه البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨)، والترمذي (١١٥٧)، وابن ماجه (٢٠٠٦)، والنسائي (٣٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد أحلَّ الله الزواج من العفيفات اللاتي يحافظن على الأنساب، ولا يخنّ أزواجهنّ، وفي المقابل حرم الإسلام الزواج من الزانية، قال تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور:٣)، فالآية دليلة الصراحة على تحريم نكاح الزواني، وقد جاء في سبب نزول الآية أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة وكان بمكة بغي يقال لها: «عناق»، وكانت صديقته، قال: جئت إلى النبي ﷺ فقلتُ: يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ (النور:٣).

فدعاني فقرأها عليَّ، وقال: «**لا تنكحها**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله**»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال ابن القيم: «وأما نكاح الزانية فقد صرح الله بتحريمه في سورة النور وأخبر أنَّ من نكحها فهو زان أو مشرك، فهو إما أن يلتزم حكمه تعالى ويعتقد وجوبه عليه أولاً، فإن لم يعتقده فهو مشرك وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان، ثم صرح بتحريمه فقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾» اهـ. «زاد المعاد» (٤/٤٩٩).

قلت: وذكر كثير من أهل العلم أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ﴾. وهو قول ابن عمر، وسالم، وجابر بن زيد، وعطاء، وطاووس، ومالك بن أنس، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قال الشافعي: القول فيها كما قال سعيد بن المسيب، إن شاء الله هي منسوخة، «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/١٢١).

ورد ابن القيم قول القائلين بنسخ الآية بكلام يحسن الرجوع إليه في «زاد المعاد» (٤/٤٩٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٢)، والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٠٨)، وفي «الصحيحة» (٢٤٤٤).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أما نكاح الزانية فقد صرح الله بتحريمه في سورة «النور»، وأخبر أن من ينكحها فهو زان أو مشرك، فإنّه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه أو: لا، فإن لم يلتزمه ولم يعتقده فهو مشرك وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان، وأيضًا فإنّه سبحانه قال: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ (النور:٢٦)، وهذا يقتضي أن من تزوجهنّ خبيث مثلهن»[1] اهـ.

ومن أجل عدم اختلاط الأنساب جعل للمرأة عِدة حتى تستبرأ من وجود الولد في بطنها، وحرم كذلك نكاح الحامل وغير ذلك من التدابير الوقائية التي تمنع اختلاط الأنساب، وقد قال النبي ﷺ فيمن يخلط النسب حينما أراد رجل أن يطأ جارية وكانت حاملاً فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن ألعنه لعنًا يدخل معه قبره، كيف يورثه وهو لا يحل له، كيف يستخدمه وهو لا يحل له»[2].

وإنما كان ذلك التحريم حتى لا يشترك ماؤه مع ماء غيره فتختلط الأنساب.

إنّ الزواج نظام وضعه الله تعالى للحفاظ على نسل ونسب البشر، وبه يكون الاحترام والوقار، فيُعرف الناس ويتعارفون فيما بينهم، فتترابط الأسر والمجتمعات فيما بينهم بحب ومودة وعدم تنافر، فيُقال هذا ابن فلان! وأبوه فلان! يُعرف بنسبه لا لشيء آخر.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٤٩٩)، وذكره في تعليقه على «سنن أبي داود» المطبوع مع «عون المعبود» (٦/٣٨)، ونقله في «تحفة الأحوذي» (٩/ ٢٠)، دار الفكر.

(٢) رواه مسلم (١٤٤١)، وأبو داود (٢١٥٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

٢١ - الزواج راحة للنفس وإحساس بالذات:

وهذه الفائدة مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، فقد جاء التعبير بالسكن والسكينة وهذه محلها القلب، وبه تكون راحة النفس للإنسان التي يطمئن بها.

فالزوجان حياتهم كنفس واحدة، إذا غاب أحدهما عن الآخر فإن الواحد منهما يكون في شغف وتوتر وعدم سكون وراحة حتى يلتقيا مرة أخرى، ويجد كل منهما الآخر.

ومن ينظر إلى الحياة ومتاعبها يجد أن الرجل يجدُّ ويعاني كثيراً من أجل أهله وأولاده، وهو بعد هذا العناء يحتاج إلى راحة وسكينة لنفسه وجسده ويكون ذلك بوجود الزوجة الصالحة التي تهون عليه مشاكل الحياة ومتاعبها.

والرجل بحاجة إلى الإحساس بالذات والمرأة كذلك، إنّ الزوج بحاجة لأن يشعر بالاهتمام والسؤال عليه؛ وإنّما يكون ذلك باهتمام الزوجة به والخوف عليه والسؤال عنه ورعايته في شتى شئون حياته.

أما وجود عدم المبالاة بين الزوجين، فإنه يجعل الحياة بينهما جامدة، وقد تتحول إلى الجحيم؛ لأن الإنسان مجبول على المحاكاة والأنس بصاحب يحاكيه ويكلمه، وأفضل ما يكون ذلك حينما يكون بين أوثق ترابط تعرفه البشرية وهو الزواج.

إنَّ هناك فنونًا عديدة لجعل الحياة أكثر راحة بين الزوجين حتى تدوم المودة والمحبة بينهما، فهل عرفنا حياة النبي ﷺ وأزواجه؟ وهل عرفنا كيف كان النبي ﷺ زوجًا؟! وكيف كانت أمهات المؤمنين زوجاتٍ له؟!

٢٢ـ الزواج عزة للنفس ونضارة للوجه:

الزواج يجعل العبد عزيزاً فلا يُذل ولا يُهان إلى غيره، ويبتعد به عن الدنايا والمساوئ، لأنّه غني بامرأته، وعفيف بزوجته، فهو وإن رأى ما يثير شهوته خارج بيته لا يجرى وراءها ولا يذل نفسه إليها، ولا يذل نفسه بشؤم المعصية من النظر إلى المحارم، وما يترتب عليه من النظر أشد وأخطر!

فهو وإن شاهد واشتهى يرجع إلى بيته عزيزاً كريمًا ومعافى من الدنايا والخطايا، فما يوجد عند النساء يوجد عند زوجته، وفي قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ عبرة ودرس مستفاد، لأنّ النبي ﷺ رأى امرأة فعاد إلى زوجته وقضى معها حاجته، ثم كلم الصحابة قائلاً: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإنّ ذلك يرد ما في نفسه**»[(١)].

وثمّ شيءٌ آخر: وهو احترام الناس للمتزوج وعدم تخوينه في كثير من الأمور والعادات والتقاليد التي تعارف عليها الناس. فيُقال: يا أبا فلان! ويا أم فلان! وهذا نوع من الاحترام وهو عدم نداء الناس بأسمائهم المجردة.

أما عن نضارة الوجه فهذا محقق لكل من الزوجين ولكن للزوجة أكثر، لأنّ الله شبه النساء بالأرض، وهذه الأرض تسقى بالماء المعين الطاهر، فإن لم تسق الأرض تصبح ميتة ذليلة ليس لها نضارة الزرع.

تدبر قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (الحج: ٥)، وانظر إلى علاقة آخر الآية بأولها!!!

(١) رواه مسلم (١٤٠٣)، وأبو داود (٢١٥١)، والترمذي (١١٥٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وكذلك تتحقق نضارة الوجه في السرور الذي تدخله الزوجة على زوجها، من نظره إليها فإذا نظر إليها سرته، وكذلك من إدخال الزوج السرور على زوجته.

٢٣ ـ الزواج والذكر الحسن ولسان الصدق:

إنّ من نعم الله تعالى على العبد أن يجعل له لسان صدق بعد مماته بالذكر الحسن والثناء عليه بالترحم والدعاء له بالمغفرة، وهذا ما يتمناه الصالحون من دعوة صالحة من الناس بعد وفاتهم، وشهادة الناس الصالحين معمول بها في الشرع لأنّ الناس شهداء الله في أرضه.

وقد امتنّ الله تعالى على أنبيائه ورسله بعلو شأنهم في حياتهم وبعد مماتهم فهم يذكرون بالرحمة والسلام والتقوى وكل كمال يوصف به البشر يوصفون به فهم أهل العلو في الدنيا، والذكر الحسن بعد وفاتهم.

قال تعالى ـ بعد ذكر الأنبياء في سورة مريم ـ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (مريم: ٥٠)، وبهذا دعا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (الشعراء: ٨٤).

أما عن علاقة الزواج بهذه الفائدة فهي متحققة من الزوجة لزوجها والزوج لزوجته من الوفاء بعد الممات، وذكر محاسنه والثناء عليه والدعاء له بالرحمة والمغفرة.

ومتحقق أيضًا في الذرية التي تأتي من بعدهما من أولادهما وأولاد الأولاد من بعدهم، وبذكره يستمر ذكر الإنسان في الدنيا، ويكون له لسان الصدق فيُسترحم عليه، ويذكر بالمدح بين الناس خاصة إذا ربّى أولاده على وفق شرع

الله، فإنك تجد الناس يقولون هذا ابن فلان ـ رحمه الله ـ لقد كان أبوه، وكانت أمه، وقد يُقال هذا جده فلان، ومن عائلة فلان، فيصبح له الذكر والثناء الصالح أما من لم يتزوج فإن ذكره يموت ويدفن معه في قبره إلا من رحم الله وامتنّ عليه كالعلماء الربانيين والصالحين.

٢٤ ـ الزواج وتحقيق الواجبات:

والمقصود من هذه الفائدة أن من الواجبات والثواب ما لا يتحقق إلا بالزواج، كإعفاف العبد سواء كان رجلاً أو امرأة، وغض البصر، وتربية الأولاد في ظل الإسلام، والقيام بواجب المسئولية والرعاية تجاه الأهل، قال الرسول ﷺ: «كُلُّكُم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته»[1]، ومن تحقيق الواجبات الحفاظ على الأهل وعرضهم، حتى جعل الإسلام من يموت وهو يدافع عن عرضه شهيداً.

ومن زيادات الثواب في الزواج ويعد واجبًا صلة الأرحام بالنسبة لأهلِ زوجته والبر إلى أهلها.

ومن الواجبات معاشرة الزوجة بالمعروف من حسن للخلق والنفقة عليها والقيام بشئونها، وعدم سبها وشتمها وتقبيحها.

وهناك من الأجور والثواب ما يكون من إتيان الرجل لزوجته فهذه صدقة، واللقمة يضعها في فم زوجته صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة في وجهها صدقة، وأفضل الصدقة ما كانت على أهل البيت.

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

والزوجة تتحصل على ثواب من خلال الواجبات التي عليها من الطاعة لزوجها، فالزوج كما قال النبي ﷺ: «فإنما هو جنتك ونارك»[١]، فهو جنة المرأة أي يتسبب في دخولها الجنة والعكس، وحق الزوج على زوجته عظيم وجسيم فعلى المرأة أن تطيع زوجها في حدود ما شرع الله تعالى لا في المعصية؛ لأن طاعة الله مطلقة وطاعة غيره موقوفة على موافقتها لشرع الله والاستطاعة.

٢٥ـ الزواج علاج الهم والحزن:

وذلك يتحقق من خلال حسن الخلق والمعاشرة بالمعروف وفهم كل من الزوجين الآخر، من حيث الطباع والأخلاق والسلوكيات وإنما يتأتى ذلك من خلال المعاشرة.

إن الحياة مليئة بالهموم والمشاكل والأحزان، وهذه الأشياء من أخطر ما تُصيب العبد في الدنيا إذ تجعله عاجزاً عن أداء الطاعات والقيام بها كما أراد الله تعالى. فالقلوب في حاجة إلى من يزيل عنها حزنها، لأن الحزن يجلس العبد عن العبادة.

ولذلك نجد الرسول ﷺ يستعيذ من هذه الأشياء فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن»[٢].

فكان ولا بد أن يكون الزواج بمثابة العلاج الرباني للهموم والأحزان؛ لأنَّ كلا من الزوجين يسعد بوجود صاحبه معه، يأنس ويفرح به، ويرمي همومه

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، وقال المنذري: «رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين»، الترغيب برقم (٢٧٩٢) من حديث حصين بن محصن رضي الله عنه، وصححه الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢١٣).

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٩)، وأبو داود (١٥٤١)، والترمذي (٣٤٨٤)، والنسائي (٥٤٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وراء ظهره من أول لقاء بينهما، وكأن هذا اللقـاء هو بلسم الحياة وسر سعادتها.

لابد أن يُسر كل من الزوجين بصاحبه ويسعد به، فإذا نظر كل منهما للآخر نسي كل شيء ولا يتذكر إلا شيئًا واحدًا ألا وهو أنه رأى حبيبه وأنيسه:

مـرض الحـبـيـب فـعـدته فـمـرضتُ من حـذري عليـه
اتى الحـبـيـبُ يعـودُني فـبـرئتُ من نظري إليـه

إنّ من يريد أن يعرف الزواج علاجًا للحـزن والهم، فعليه بالنظر في موقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، وذلك لما نزل الوحي عليه ورجع خائـفًا يرتعـد...، فتدبر مـاذا قال لهـا رسول الله ﷺ؟ وبما ردّتْ عليـه؟! وكيف كانت خير زوجة لخير زوج؟!

٢٦ ـ الزواج دواء للأنانية وحب الذات(*):

وهذا الفائدة قد لا تـتحقق مع العزب الذي لا زوجة له، فهو يعـيش لنفسه ويعمل لـذاته فتجـده يأتي بالطعام الثـمين، ويأكل في أحسن الأمـاكن، ويلبس أغلى الملابس وتجد ماله كله لنفسه، فهو يعيش لنفسه لا لأحد.

أما المتزوج فشيء آخـر لقد أصبح مسئولاً عن أسـرة وأولاد وبيت يحتاجون له، ولذلك يعمل المتزوج من أجل غيـره لا من أجله، وأصبح لا يفكر في نفسه كما كـان، ولكنه يفكر في مصلحة أولاده وزوجتـه ويهتم بهم جميـعًا أكثر من نفسه، ويقدمهم عليهـا في المطعم والمشرب والملبس وفي كل شيء يستطيعه تجده يقدم أهله عليـه، ويجعل لنفسه آخـر اهتمام وربما ينسى نفسـه، وإذا سألت هل أنت متضايق من هذا وغضبان أو غير راضٍ؟ لقال لك: لا. فتمام الرضا في أن أرى أولادي سعداء والابتسامة تملأ وجوههم.

(*) لا يلزم من عدم الزواج انتفاء هذه الفوائد في غير المتزوج، ولكن تكثر هذه الفوائد في المتزوجين أكثر من غيرهم، وقد يبلغ غيرهم من هذه الفوائد أكثر ما يبلغه المتزوجون.

فتـجد عنـده الأخـلاق مـن إيثار وبـذل وعطاء مـا لا تجده عند غـيره من العزّاب، ـ وإن كـانت ليست قاعـدة ـ فالمتزوج لا يعـرف الأنانية وحب الذات، وإذا وجـد هذا الخـلق المذمـوم بالأنانيـة ـ عند متـزوج فهـو أسوأ مـا يكون من غيره من العزّاب.

إنَّ المتزوج ورث أخلاقًا حميدة كثيـرة من الزواج جعلته إنسانًا ذا قيمة، فهو مسئول عن أسرة ومسئـول عن رعايتها، وأصبح صاحب عطاء وبذل للآخرين، ولقد أصبح من أهل اليد العليا، واليد العليا هي التي تعطي، فهنيئًا له هذا الخُلق من الإيثار والبذل والحمد لله الذي جنّبه خلق الأنانية.

٢٧ ـ *الزواج حرية بلا حرج:*

إنّ من يتدبر حياة الزوجين قبل الزواج يجد أنّ المرأة كانت تعيش بدون حرية في بيت أبيها وأمها فهي محكومة بحياة مـعينة ولا تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة وهي مع ذلك في بيت أبيها.

لقد كانت المرأة في شبه ـ سجن ـ في بيت أبيهـا حتى جاء زوجها فحررها، لقد كان يحكمـها أبوها وأخوها وعمُّها وأمُّـها، لقد كان الحكام كثيـرين، فجاء الزوج كي يجعلهـا حاكمة فـي بيت هو مملكتها، وألبـسها تاج الكرامة وجـعلها ملكة تحكم، وأصبحت ذات رياسة وريادة فهي تتربع على عرش قلب زوجها.

لقـد كـانت المرأة في بيت أهلهـا تتكلم بحـســاب وتنام بحـســاب وتلبس بحساب، فلمّا أتى زوجها أصبحت تعيش في بيته كما تشاء، فهي لا تستحي أن تكلمه ويكلمها، ولا تستحي أن تجلس بأي نوع من الملابس في بيت زوجها، إنَّ الزوج هو الرجل الوحيد الذي أمنت له الزوجة. فأظهرت له ما لا يراه غيره، إن الرجل مهما عاش في بيت أمه وأبيه، والمرأة مـهما عاشت في بيت أمها وأبيها،

فإنّ كلا منهما يحتاج للآخر، وإن كان كل منهما يعيش في بيته في أفضل عيشة من الراحة من مأكل وملبس ورغد الحياة.

ولكن يبقى أنَّ هناك أشياءً وأموراً لا يصلحها إلا اجتماع الرجل والمرأة وخلو كل منهما للآخر وهذا لا يتأتى إلا بالزواج.

٢٨ ـ *الزواج ودافع تحصيل العلم:*

وهذه الفائدة مرجوة من الزواج الذي يبارك الله فيه، بفهم الزوجين كل منهما للآخر.

بعض العلماء يحث طلبة العلم على عدم التزود من الزواج وتعدد النساء، لانشغالهم بالعلم وهذا صحيح ما لم يكن هناك من الهمم العالية التي لا تشغل عن الواجبات، والزوجات التي تساعد على طاعة الله ورسوله ﷺ.

فإذا رُزق الزوج بامرأة تعينه على تحصيل العلم وإتمام دينه، فهذا خير كثير لتعاونهما على البر والتقوى؛ ولذلك يقول ﷺ عن أفضل ما يكنزه الإنسان المسلم: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة تعينه على إيمانه»(١).

وإنما يزداد الإيمان بالعلم والعمل فهذا أفضل ما تعين المرأة فيه زوجها من تحصيل العلم بعد طاعة الله ـ تعالى ـ، فبالعلم تكون الطاعة والخشية.

وإنما تتحقق هذه الفائدة من الزوجة لزوجها بعدم إهلاكه ومطالبته ما يكون فوق طاقته حتى يكون عنده وقت لتحصيل ما ينفعه، وعليها ألا تحمله همًّا ولا حزنًا، وأن تجنبه المشاكل الحسية والمعنوية، ولا تريه إلا الحسن منها، ولا يسمع منها إلا طيبًا، وعليها أن تعاونه في ترتيب كتبه، وإن كانت من أهل المعرفة

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦) من حديث ثوبان.

تُحضَّر له الأبواب، وتضبط له المراجعات، وغير ذلك من الأمور التي تيسر عليه التحصل على العلم.

وكم رأينا علماء كثيرين يشيدون بأزواجهنّ من مواقف مشهودة، وتعاون جادّة حتى أصبحوا علماء، ويكون ذلك في صحيفة حسناتهنّ.

أما عن علم المرأة فهو مشهود ومسموع في كل زمان، من أن النساء كنّ أهلاً للعلم، ومن ذلك ما روي من قصة ابنة سعيد بن المسيب حيث قالت لزوجها لما أراد أن يخرج لدرس سعيد بن المسيب قالت له: «اجلس أعلمك علم سعيد»[(١)].

٢٩ ـ الزواج في الدنيا تأهيل للزواج في الآخرة:

والمقصود من هذه الفائدة هو اجتماع الزوجين الصالحين في الجنة كما اجتمعا في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (الرعد: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: ٧٠).

وقال رسول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها ـ أو قال ـ لآخر أزواجها»[(٢)].

وعن حذيفة أنه قال لزوجته: «إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي، فإنّ المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا»[(٣)]، وهذا الأمر من عدم زواج الزوجة بعد ممات زوجها ليس شرطًا، أو وصية واجبة يُعمل بها، لكن إذا فعلتها المرأة فلم تتزوج بعد زوجها فهذا من الوفاء والورع غير الواجب عليها.

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٨٣) نقلاً عن «المدخل» للإمام ابن الحاج (١/ ٢١٥).

(٢) رواه الطبراني في «المسند» من حديث أبي الدرداء، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٩١)، و«الصحيحة» (١٢٨١).

(٣) رواه البيهقي في «سننه» (٧/ ٦٩-٧٠)، وأورده الذهبي في «السير» (٢/ ٢٠٨).

فعن جابر عن أم مبشر الأنصارية: «أن النبي ﷺ خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور ـ أي لزيد بن حارثة ـ فقالت: «إني اشترطت لزوجي ألا أتزوج بعده»، فقال النبي ﷺ: «إنّ هذا لا يصلح»[(١)].

وبذلك نخرج من هذه الفائدة بقولنا للزوجين ليحسن كل منكما للآخر ولتتعاونا على التقوى والصلاح، واعملا على رضا الله والمشاركة في طاعته، وادعوا الله أن يجمع بينكما في الآخرة، تحت مستقر رحمته، كما جمع بينكما في الدنيا، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

٣٠ ـ الزواج اختيار الله تعالى لك فلا تتردد إن كنت مستطيعاً:

إن من الإيمان أن نؤمن ونعتقد أنّ اختيار الله للعبد خير وأفضل من اختيار العبد لنفسه، وذلك لأنّ من أسماء الله تعالى: «الحكيم الخبير»، فهو حكيم عليم خبير بما ينفع خلقه ولذلك شرع لهم الطيبات والمباحات، وأحل لهم كل ما يوافق فطرتهم وينسجم مع طبيعتهم.

ومما شرعه الله تعالى لخلقه الزواج، ولقد اختاره الله لعباده فمن ملكَه الله زوجة صالحة فليفرح بذلك؛ لأنها هدية من الله إليه، ولأنَّ الله اختارها له، وليعلم أنها خير له من غيرها لأنّ الله هو الذي اختارها كي تكون زوجة وأمًّا لأولاده.

وإذا كان العبد مستطيعًا للزواج فعليه بالزواج، ولا يتردد في إحضار زوجة تُعينه على أمر دينه ودنياه؛ لأنَّ الله اختار له الزواج، فليس من منفعته أن يعيش هكذا بدون زوجة لأنّه حينئذٍ يقدم اختيار نفسه على اختيار الله تعالى.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٤)، وحسنه ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٢١٩)، وحسنه الألباني في شاهده، انظر «الصحيحة» حديث رقم (٦٠٨)، انظر «عودة الحجاب» (٢/ ٥٣٤).

لقد اختار الله الزواج لعباده حتى يشعروا بالسكينة والأمان والاطمئنان، إنَّ الرجل قد يعيش فترة من حياته بدون زوجة وأولاد، ويكون سعيدًا ولا يحتاج إلى أحد، حتى يكبر سنُّه، وتضعف قوته، فيصبح كالطفل الصغير الذي يحتاج إلى أم ترضعه وأب يرعاه، ولأنّه لم يعش أبًا يرعى أولادًا له ويحميهم ويُعينهم على مشقات الحياة ويقوم بشئونهم، فإنّه لما كبر لم يجد زوجة تقوم بحاجته، ولم يجد أولادًا يكفونه مؤنة الحياة وقسوتها، فلم يجد من يستند إليه ويعتمد عليه من البشر، ولم يجد معينًا فعاش وحيدًا غريبًا ولو تزوج لكان خيرًا له..!!.

لحظة من فضلك:

هذه الفوائد التي ذُكرت إنّما هي من النظرة الدينية المستنبطة من الزواج القائم على شرع الله ـ وهدي نبيه ﷺ؛ لأنَّ الحياة إذا سارت بموافقة طاعة الله وعبادته كانت كلها سعيدة، أما إذا خالف العبد وعصى وحاد عن الطريق المستقيم فحينئذٍ تكون الأحزان والمتاعب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤).

ولقد كانت هذه الفوائد من النظرة الإيجابية الشرعية التي من أجلها شرع الله الزواج وهي مع كثرتها إلا أنّك قد تجدها قليلة بالنسبة لمن عاش الزواج كما عاشه رسول الله ﷺ وأزواجه، فإنّك تستطيع أيها المتزوج وأنت أيتها المتزوجة، يستطيع كل واحد منكم أن يضيف فوائد أخرى كثيرة شعرها ووجدها كل منكما في زواجه السعيد.

نعلم أنَّ هناك مشاكلَ ومسئولياتٍ في الزواج قد تذهب ببعض فوائده التي تجعل المتزوج لا يشعر بالفوائد الأخرى، ولكن الكلام في هذه الفوائد

كان كما ترى؛ لأنَّ النظرة فيها كانت من ناحية أن ما تحق منفعته يتقدم على ما يتوهم مضرته.

إنَّ هذه الفوائد التي قيلت لا تتحقق ولن تكون إلا بين زوجين صالحين عرفوا الحق فاتبعوه وعلموا الباطل فاجتنبوه.

إنَّ أصل أي خلاف ومشكلة تقع بين الزوجين أساسها أنَّ أحد الطرفين أو كليهما قد خالف شرع الله!!

أضرار التبتل ومساوؤه

قد علمنا من شرع الله تعالى ـ أنّ النفع كل النفع فيما أحله الله وأباحه لنا، وإنما يكون الضرر في البقاء لمخالفة شرعه.

والتبتل وهو ترك للنكاح ليس من هدي النبي ﷺ ولا يحبه الإسلام ولا يرضى به لأهله، وذلك للأضرار الكثيرة البالغة التي تقع على المجتمع كله؛ لأنّ تارك النكاح أضر بنفسه أولاً، ثم تتابع ضرره على الآخرين من بني جنسه، وبالتالي سيصيب هذا الضرر المجتمع كله.

وإذا أردنا أن نتعرف على أضرار التبتل فعلينا أولاً بالنظر في فوائد النكاح ـ السالفة ـ لأنّ الضد يُظهر حسنه ويقويه فبالوقوف على هذه الفوائد نعرف كيف يكون العكس؟

وفيما يلي عرض لبعض أضرار التبتل ـ ترك النكاح ـ.

مضار التبتل ـ ترك النكاح ـ:

أ ـ مخالفة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها:

وفي هذه المخالفة تكون المساوئ والأضرار البالغة، وذلك لمخالفة الفطرة الطبيعية التي فُطر الإنسان عليها، وذلك لأنّ الله خلق الذكر وهو يحتاج إلى الأنثى فلا يمكن له الراحة والسكينة إلا بوجود نصف نفسه الغائبة عنه وهي المرأة، وحاجته الفطرية تنادي بذلك من شهوة وغريزة بداخل الإنسان، ومهما كان من قضاء الشهوات الأخرى فإنّه بحاجة إلى امرأة تسعده وتلبي له رغباته فهي ليست كغيرها.

ومن المعروف أنّ أخطر الأمراض الجسدية والعقلية تأتي نتيجة لمخالفة الإنسان المعتاد من الفطرة بوقوعه في المساوئ التي تخالف فطرته وطبيعته، فينتج عن ذلك أسوأ الأمراض الجسدية والعقلية.

جاء في كتاب «تحفة العروس» نقلاً عن كتاب «نحن المعمرون» وصدقني يا بني إنّ الزواج لمن أفضل الأمور التي تساعد على إطالة العمر، ويؤدي إلى حياة مستقرة منظمة.

ويقول الدكتور: هافلبرج، مدير مستشفى الأمراض العقلية بنيويورك: إن عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية نسبتهم عادة أربعة من غير المتزوجين إلى واحد من المتزوجين!

وتدل الإحصاءات التي قام بها «برتلون»، على أنّ حوادث الانتحار من غير المتزوجين أكثر منها بين المتزوجين، وأنّ المتزوجين يتصفُون عادة بالاتزان العقلي والخلقي، وحياتهم هادئة ولا يشوبها الشذوذ والسويداء اللذان يتصف بهما عدد غير قليل من غير المتزوجين، كما أنّ النساء المتزوجات مع ما يجدنه من متاعب الولادة والأمومة، ومشاكل الحياة الزوجية والمنزلية غالبًا ما يعمرن أطول من زميلاتهن اللواتي يقضين حياتهنّ عانسات(١).

وإنما كان التبتل سببًا في كثير من الأمراض العقلية لوجود العزلة والوحشة وكثرة وجود الوحدة بينه وبين نفسه فهو لا يجد مشاركًا له في حياته ومشاعره وأحاسيسه وغير ذلك من الأدوية النافعة التي توجد في صيدلية الزواج.

---

(١) «تحفة العروس» (٣٢) الإستانبولي، دار الفكر ـ الأردن.

٢ - التبتل مخالف لشرع الله وسنة النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (المائدة:٨٧)، فقد كان النبي ﷺ يحض أصحابه على الزواج ويقرأ لهم هذه الآية لينهاهم عن التبتل[١].

وقال تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ (النساء:٣).

فهذا شرعُ الله لنا ومخالفته يعد ضرراً للإنسان على الأهل في حياته الدنيا بعدم اكتسابه لمحاسن وفوائد الزواج. وقد ورد النهي من النبي ﷺ بعدم التبتل ونهى عنه أمته فقال ﷺ: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»[٢].

فهذه رهبانية ما عرفها الإسلام وما طالب أتباعه بها لأنها تخالف الفطرة؛ ولذلك قال الله عن النصارى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ (الحديد:٢٧)، وقال ﷺ لعثمان بن مظعون لما أراد أن يتبتل: «**يا عثمان إنّ الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك في أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده**»[٣].

وبهذا الحديث نهى النبي ﷺ عن التبتل، وجعله مخالفًا لشرع الله وسنة نبيه ﷺ، ورأينا كيف أنكر النبي ﷺ وغضب من الثلاثة الذين أتوا إلى بيته

---

(١) رواه البخاري (٥٠٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٧٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٤١)، و«الصحيحة» (١٧٨٢).

(٣) رواه ابن حبان (١٢٨٨)، وأحمد (٦/٢٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٩٤).

لينظروا إلى عبادته فتقالوها.. قالوا كلامًا ليس بمشروع لمخالفة سماحة الإسلام وطبيعة الإنسان وكان من ضمن ما قاله بعضهم: «وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج»، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال: «أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم لله، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «خير هذه الأمة أكثرها نساءً»[3].

إن التبتل كما رأينا في هذه الأحاديث مخالف لشرع الله وسنة النبي ﷺ، فهو مخالف لفطرة الإنسان، ولذلك شُرِع الزواج للناس، وجعله الله نظامًا قويمًا استقرار واستمرار حياة البشر ونوعهم بالتسامي والرفعة.

فأين هؤلاء - الذين يتركون الزواج وهم قادرون عليه -، من سنة النبي ﷺ وهديه؟ أين صدق المحبة؟ أين صدق الاتباع؟

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال الرسول ﷺ: «النكاح سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة، ومن كان ذا طَوْلٍ فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام فإنَّ الصومَ له وجاءٌ»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢)، والترمذي (١٠٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٨)، والنسائي (٣٢١٢) من طريق سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٤) رواه ابن ماجه (١٨٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٠٧)، و«الصحيحة» (٢٣٨٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٣ ـ التبتل يؤدي إلى ذهاب العفاف وفساد الأخلاق:

لقد عرفنا أنَّ من فوائد الزواج وأهدافه العفة سواء للزوج أو الزوجة، فالزواج عفاف للرجل فلا يقع فيما حرم الله، والمرأة كذلك، ونحن نسلم أن الإنسان مجبول بوجود شهوة فُطرها عليها لا تنفك عنه ما دام كان إنسانًا بشرًا سويًا.

والإنسان مهما ادّعى التقوى والصلاح، فإنّه بحاجة إلى إشباع شهواته وتفريغها في الحلال، وإن عاش غاصبًا على نفسه بألا يتزوج، فإنَّه يمرض بحبس الماء وفقدان الشهوات الأخرى، وتصبح أجسادهم باردة، وأشياء أخرى كثيرة من ذلك.

فإن لم يكن المرء متزوجًا فإنّه يذهب إلى الحرام كي يُشبع رغباته، ويخرج شهواته ـ ومن هنا ـ يكون الفساد بذهاب عفة الإنسان، ولو كان متزوجًا لوجد سعة فيما أحله الله له، ولكن الفلسفة الضالة جعلت الكثير يمتنع عن الزواج، ويقع في الحرام، فهو كل يوم مع امرأة يقضي شهوته، فليس في حاجة إلى الزوجة ما دام يجد لذته الواهية مع أخرى.

«وأغلب الذين لا يتزوجون وهم قادرون على الزواج يفكرون في الزنا، والزنا يبعد الإنسان قطعًا عن طريق الإيمان، فكان المسلم الذي لا يتزوج يغامر بنفسه ودينه، فلينظر أية جريمة هو غارق فيها؟ وكان الرجل من السلف إذا بلغ أولاده الحلم وتهيأت لهم القدرة على الزواج حدثهم في ذلك وعاونهم ورغبهم فيه، والتمس لهم صاحبات الدين من البيوت المطهرة والمحافظة، إن ذلك أسلوب لتطهير الحياة ودفعها في طريق كريم»[١].

---

(١) «تحفة العروس» (٣٢).

٤ ـ التبتل يضعف المسلمين ويقلل عددهم:

الذي يترك الزواج مخطئ في حق أمته؛ لأنَّ من أهداف الزواج السامية وجودَ الأولاد، وكثرة المسلمين، وتقوية شوكتهم، ولهذا يجب على من أراد الزواج أن يستصحب نية الولد في زواجه.

قال ﷺ : **«تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»**(١)، فقد دل الحديث أن النبي ﷺ يباهي بنا الأمم يوم القيامة من كثرتنا وكثرت متبعيه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبح الله تعالى»، وقال أيضًا: «تكثروا من العيال فإنكم لا تدرون ممن ترزقون».

وهذا أصل من أصول الزواج، وهو تكثير المسلمين ووجود الأولاد في الإسلام، ومن العجيب أنك ترى هذه الحملات المستوردة لنا من أهل الكفر التي تدعو إلى تحديد النسل والاكتفاء بولد وولدين فقط! ويأتون لك بالإعلانات التي تظهر في صورتها الخبيثة، صورة المرأة المريضة والهاذلة من الولادة! والأولاد الذين لم يتعلموا، ويعيشوا أسوأ معيشة! والرجل الذي يكدح ولا يسد حاجة أولاده!

وغير ذلك من الصور التي تدعو الناس إلى عدم الإنجاب والولادة؛ لأنه أمر غير حضاري! فإنا لله وإنا إليه راجعون يوم أنَّ نُحكِّمَ عقولنا وأهواءنا على حساب ديننا وشرعنا، فأهل الكفر يزيدون ويتكاثرون بل ويكافأون على كثرة الأولاد، أما أهل الحق والهدى هم الذين يأخذون بهذه الخبائث.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٤١)، و«الصحيحة» (١٧٨٢).

٥ـ التبتل من تلبيس إبليس على الناس:

من الناس من يجعل التبتل وترك النكاح عبادة بل يجعله كمال العبادة، وهذا من تلبيس إبليس عليهم؛ لأنَّهم غالوا وفرطوا في عبادتهم لبعدهم عن منهج سيد الطائعين، وخير العابدين رسول الله ﷺ.

وتحت هذا العنوان عقد ابنُ الجوزي فصلاً خاصًا في كتابه «تلبيس إبليس»، حيث قال فيه: «وقد لبّس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم النكاح فقد تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد ورأوا النكاح، شاغلاً عن طاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وإن لم يكن لهم حاجة إليه فقد فاتتهم الفضيلة.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بعض الدعاوى الباطلة لهؤلاء الصوفية في سبب تركهم للنكاح ورد عليهم وأبطل دعواهم.

ومن دعواهم قولهم: «أن التبتل عبادة»، وهذا كذب لأنّ الزواج هو العبادة الحقيقية، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: **«وفي بضع أحدكم صدقة»**، قالوا: يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **«أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر»**، قالوا: نعم، قال: **«وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»**[(١)].

ومن دعواهم الواهية قولهم: النكاح يوجب النفقة، والكسب صعبة، وهذه حجة داحضة تدعو إلى الترف عن تعب الكسب يقول ﷺ: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار أنفقته في الصدقة، ودينار أنفقتَه على عيالِك أفضلُها الدينارُ الذي أنفقته على عيالك»**[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦) والسياق له، وأحمد (٥/ ١٦٧، ١٦٨)، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٦٦)، المكتب الإسلامي.

(٢) رواه مسلم (٩٩٥)، وأحمد (٢/ ٤٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد ترك أناس من الصوفية اعتقاداً منهم أن ذلك من الزهد والورع والدين وضلوا وأضلوا؛ لأنَّهم حادوا عن طريق الهدي وسنة الرسول ﷺ، والعوام يعظمون الصوفي إذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا.

ولقد عاب ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ على أبي حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ لما قال أبو حامد: ينبغي ألا يشغل المريد نفسه بالتزويج فإنّه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شُغل عن الله تعالى.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «وإنِّي لأعجب من كلامه، أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد، أو عفاف زوجته فإنّه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى فقد منّ الله على خلقه بقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم:٢١)، وفي الحديث الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال له: «هلا تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك»[1]، وما كان بالذي ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضي الله عنها، أكان رسول الله ﷺ خارجًا عن الأنس بالله؟ وإنما يتوهم الصوفية ذلك ويتبعون خطوات الشيطان في فهمهم الخاطئ للشرع وهذه كلها جهالات بالعلم»[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٧٩)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٨)، والترمذي (١١٠٠)، وابن ماجه (١٨٦٠)، والنسائي (٣٢٢٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) «تلبيس إبليس» (٣٢٠-٣٢٣).

٦ ـ التبتل يفوت كثير من الأجر والثواب:

والمقصود بهذا؛ الثواب الغائب بسبب التبتل، وهو الذي لا يُتحصل عليه بالزواج؛ لأن الزواج باب من الحسنات لا يغلق البتة وذلك من العمل والكفاح والنفقة، التي تكون للأولاد والزوجة، فهي تعد صدقة له ما دام يحتسبها عند الله.

وتربية الأولاد وإخراج النشء الصالح الذين يُصلحون لمجتمعاتهم ويرون آبائهم، والنفع كل النفع وجود الولد بعد الموت فهو خير ميراث للميت إذا كان الولد صالحًا.

وبالنظر في السنة النبوية ـ خاصةً الأدعية ـ يجد الكثير منها مختصًا بالزوجين، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل ثم أيقظ أهله فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل ثم أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

لقد جعل الإسلام الزواج كنزًا يتحصل منه المرء على الكثير من الصدقات والأجور العالية فإن مجرد إتيان الزوج زوجته وجماعها يُعد صدقة، حتى اللقمة إذا وضعها في فمها صدقة، والتبسم في وجهها صدقة، وحبها هو الحب الذي يدخل بصاحبه الجنة ويجعلهما تحت ظل الرحمن ما دام هذا الحب يشهد له الولاء لله ورسوله ﷺ.

وبالتبتل تذهب كثير من الشعائر الإسلامية مثل الجهاد والحج، فلو لم يكن ناس فمن الذي يحج؟ ومن الذي يجاهد؟

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٩٤)، و«صحيح أبي داود» (١١٨١).

٧ ـ التبتل يسبب الذل والفقر:

أما عن فقر المال فهذا يذهب بالتبتل، لأن المتزوج يزيد رزقه برزق زوجته، ورزق أولاده؛ ولذلك يقول عمر: «عجبت لمن طلب الغنى في غير الزواج».

وأما عن الفقر الذي في غير المال فإنّك تجده في وحشة الرجل عندما يجلس وحده، ولا يجد من يهتم به، ويقوم بخدمته ومعاونته في حياته الخاصة والعامة.

إنّه فقير لأنّه يفقد الإحساس بقيمته، فليس هناك أحد يسأل عنه، وليس هناك من يخاف عليه، ليس هناك من يعطف عليه ويحن إليه، وإن وجدت أحداً يقوم بخدمته فهو بمقابل وليس لحبه والخوف عليه بالفطرة الطبيعية.

إنّ صاحب التبتل فَقَدَ السكينةَ والأمان، لعدم وجود الزوجة التي يسكن إليها فيكلمها وتكلمه، ويأنس بها وتأنس به.

وأخيراً إنّ المتبتل مهما عاش قويًا فتيًا شابًا جلداً فسيأتيه يوم تضعف فيه قوته، وتظهر غربته، وتسيطر عليه وحشته، ولا تنفعه عزوبته، فلن يجد له معاونًا ولا أحداً يسانده من زوجة وأولاد، إنّ الناس ينظرون حتى بعقولهم إلى الزواج في أقل القليل بوجود ولد يتكئ عليه أبوه عندما يكبر سنه وتضعف قوته، فهل شاهد الذين يقدرون على الزواج كبار السن كيف يُعانون من المشقة والآلام خاصة إذا لم يكن لهم أولاد؟!

٨ ـ التبتل ليس من دأب المؤمنين الصالحين:

وقد عرفنا شيئًا من هذه المضرة في عرض المخالفة لهدي النبي ﷺ في الزواج.

إنَّ المتبتل مخالف لمنهج النبي ﷺ ومن تبعه من الصالحين والمؤمنين، ولم يوصف به أحد من الأنبياء إلا القليل منهم «كيحيى وعيسى» ـ عليهما السلام ـ والأسباب معروفة في ذلك فيحيى كان حصوراً ليس له رغبة في النساء مع كمال رجولته، وعيسى ﷺ رُفع إلى السماء.

أما بقية الأنبياء فقد تزوجوا وامتنَّ الله عليهم بذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد:٣٨).

وقد كان الصالحون من السلف يخافون أن يعيشوا بدون زواج حتى لا يقعوا في المخالفة.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لو لم يبق من أجلي سوى عشرة أيام، أعلم أني أموت بعدهنّ ولي طول النكاح فيهنّ لتزوجت مخافة الفتن».

وقال شداد بن أوس رضي الله عنه: «زوجوني فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزبًا».

والإمام أحمد رضي الله عنه تزوج بعد وفاة زوجته مباشرة وقيل تزوج بعد وفاتها بيوم واحد!

والإمام سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ يزوج ابنته لأبي وداعة بعد علمه بوفاة زوجته، وكان تلميذاً له، فزوجه سعيد بابنته. فهؤلاء هم المقتدون المهتدون بالنبي ﷺ وخير الهدي هديُ محمد ﷺ.

---

(١) انظر «الإحياء» (١/ ٣٣)، فهناك هذه الآثار وما قبلها.

٩ ـ التبتل حبل من حبال الشيطان:

صاحب التبتل قريب من الشيطان، وسهل عليه أن يوقعه في الفواحش والرذائل، ويُعد صاحب التبتل حبلاً سهلاً من حبال الشيطان يُزين له الشهوات والهفوات حتى يمارسها، أما إذا تزوج العبد فقد عصم نفسه من الشيطان في عدم وقوع الفاحشة، فما أسهل التبتل، لافتراس الشيطان للعبد! وما أصعب الزواج أمام الشيطان!

وبالنظر المتأمل في قصة زينب بنت جحش ﵂ وما فعله رسول الله ﷺ معها لما رأى امرأة في الطريق، ثم عاد إلى بيتها، وأتى زينب بنت جحش ونال منها ما ينال الزوج من زوجته[1]، لأكبر دليل على أن المتزوج قد نجا من الشيطان، وفك نفسه من حباله.

١٠ ـ التبتل فناء مبكر للإنسان:

مسكين صاحب التبتل، يعيش وحده مسكينًا وحيدًا غريبًا، ويموت كذلك فهو غير متزوج وبالتالي ليس له أولاد يحملون اسمه من بعده، فلن يكون له ذِكرٌ بعد موته، فمبجرد فنائه في الدنيا يفنى ذكره من ألسنة الناس، أما المتزوج فما زال ذكره بمجرد رؤية أولاده، فيقولون أبناء فلان رحمه الله! وزوجة فلان رحمه الله! وغير ذلك من المدائح الحسنة لمجرد ذكر أولاده.

(١) هذا الأثر رواه مسلم (٣-١٤)، وأبو داود (٢١٥١)، والترمذي (١١٥٨) من حديث جابر بن عبد الله ﵁.

لماذا نتزوج؟!

هذا السؤال يتكون من كلمتين ومع ذلك يعجز الكثير من الناس أن يجيب عليه، وربما يتعجب المسئول عنه لأنَّه لم يتوقع هذا السؤال، وبذلك لا يستطيع الإجابة فوراً عن ذلك السؤال.

ولكي تكون السعادة موفورة في الزواج كان لزامًا على كل متزوج أن يسأل نفسه هذا السؤال: لماذا أتزوج؟

ولابد أن تكون الإجابة موافقة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من بعده، والإنسان العاقل هو الذي يعمل العمل وهو مدرك له عارفٌ بأسبابه، وغير العاقل الذي يعمل العمل وهو لا يعرف لماذا يعمل؟

ويستطيع من قَدِمَ على الزواج أن يجيب على هذا السؤال لماذا نتزوج؟ من خلال الفوائد السابق ذكرها مع ما يأتي من إجابة صحيحة لتضمن للإنسان حياة سعيدة إن شاء الله.

يعلم كل مسلم أنّ الله خلقه للعبادة، وسخر له كل المقومات والسُبل التي تُعينه على الوصول لهذه الغاية قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، فقد ظهر جليًا من خلال الآية أن سبب وجودنا في هذه الحياة هي عبادة الله على وفق ما شرع.

ولفظ «العبادة»، اسم جامع لكل ما يحبه الله، وكل ما أدى إلى الوصول إلى إتمام العبادة فهو عبادة ويُعد طاعة يرضاها الله تعالى.

ومعلوم أن الزواج من أفضل العبادات، إذن من أول الإجابات عن سؤال لماذا أتزوج؟ أقول أتزوج لإتمام العبادة، وأتزوج لله تعالى كي يرضى عني لفعلي

شيئًا يحبه الله ويرضاه، قال رسول الله ﷺ: **«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»**[(١)].

ومن الإجابات الأساسية لهذا السؤال لماذا نتزوج؟

أن نقول إننا نتزوج لإخراج الذرية الصالحة للأمة؛ لأن من الأهداف الأساسية للزواج استمرار النوع البشري، وخاصة إذا كانوا من المسلمين المؤمنين.

ووجود الذرية الصالحة هي السمة التي تربط بين الرجل والمرأة، فكان لا بد من هذه النية عند الزواج وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: **«لو أنَّ أحدكم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلَه قال: بسمِ الله، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رزقتنا، فإنه إن يُقدر بينهما ولدٌ في ذلك اليوم لم يضره الشيطانُ أبدًا»**[(٢)]، فقد أشار ﷺ في هذا الحديث إلى ثمرة النكاح ولقاء الزوج بزوجته من وجود الولد الصالح.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: **«إنِّي لأكره نفسي على الجماع رجاءَ أن يُخرج الله مني نسمةً تسبح الله تعالى»**[(٣)].

فمثل ما قاله عمر بن الخطاب يُعد إجابة قاطعة على سؤال لماذا نتزوج؟ فقد بيَّن أن سبب الإتيان للزوجة هو وجود نسمة أي «الولد»، توحده وتسبحه سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٦١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وله شاهد، حسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤)، وأبو داود (٢١٦١)، والترمذي (١٠٩٢)، وابن ماجه (١٩١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره في «عودة الحجاب» (٢/ ٢٣٣) نقلاً عن موسوعة «فقه عمر بن الخطاب» لمحمد رواش (ص ٦٦٠).

ومن الإجابات الصحيحة أيضًا أننا نتزوج كي نقتدي بسُنة النبي ﷺ وهديه في الزواج، ونتزوج كي نعف أنفسنا ونعف النساء أيضًا، وحتى وإن لم يكن للإنسان رغبة في الزواج - وهذا قليل - فإنه بزواجه من المسلمة يُثاب على إعفافه للمسلمات المؤمنات.

ونتزوج كي يُعين الزوج زوجته وتعين الزوجة زوجها على طاعة الله تعالى والزيادة من الحسنات.

ونتزوج كي نعدَّ مجتمعًا صالحًا لنفسه ومصلحًا لغيره.

ونتزوج لوجود السكن والسكينة، والمودة والطمأنينة والاستقرار، وكثير هي الإجابات الصحيحة لهذا السؤال لماذا نتزوج؟ تتضح لنا من خلال فوائد الزواج السالف ذكرها.

إجابات واهية ناقصة!! البعض يُجيب عن هذا السؤال لماذا نتزوج؟ بإجابات ناقصة واهية مثل قولهم: أتزوج لأنّ أبي وأمي يطلبان مني ذلك! وهذا أمر في حد ذاته بر للوالدين ولكن على الإنسان أن يتزوج امرأة يرضاها لدينه أولاً ثم لنفسه وأهله.

ومنهم من يقول أتزوج لكبر سني، وقائل آخر: أتزوج كي يتحسن وضعي الاجتماعي!، وآخر يقول: أتزوج لأن المرأة التي سأتزوجها غنية!، وآخر يقول: أتزوج لأن الناس يتزوجون! وآخر يقول: لأن المرأة التي سأتزوجها جميلة!، وآخر يقول: أتزوج حتى يكون لي عائلة عريقة!، وآخر يقول: لأن الزواج سنة الحياة!.

كل هذه الإجابات لا إثم ولا حرمة فيها ولكنها ناقصة واهية، لا تضمن لصاحبها السعادة والاستقرار إلا إذا جاءت بعد الإجابات الصحيحة أولاً.

متى نتزوج؟!

الزواج يرغب فيه العبد بفطرته، فإذا ما سألت شابًا أتريد الزواج؟ ستجد الإجابة دائمًا نعم أريد أن أتزوج الآن، ولكن السؤال الذي نطرحه الآن هو متى نتزوج؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نعرف أن الزواج مسئولية، وتكوين أسرة تتكون من زوجة وأولاد، وأن الزوج سيكون مسئولاً عن نفقتهم ورعايتهم وغير ذلك من أمور المسئولية.

وفيما يلي نضع بعضَ الإجابات عن هذا السؤال:

أولاً - البلوغ الفطري والعقلي والقدرة على تحمل المسئولية:

فالبلوغ الجسدي شرط في صحة الزواج لأنّ الرغبة في الزواج تتأتى بهذا البلوغ وغالبًا ما يبدأ التفكير في الزواج عند الشباب وهو ابن ثمانية عشر عامًا فحينئذٍ يبدأ الشاب في الرغبة بالارتباط بالزوجة التي يعيش معها ويسكن إليها.

ولكن ليس مجرد بلوغ سن الزواج يعني أنّ الشاب يصلح أن يكون زوجًا؛ لأنّ الزواج مسئولية يحتاج إلى بلوغ العقل، وقدرة الشاب على تحمل المسئولية، وأنت ترى الآن أنّ الشاب الآن ما زال يأخذ مصروفه من والده وهو ابن عشرين سنة فهل يصلح هذا أن يكون زوجًا؟

ومن الشباب من يعيش للهو واللعب وتفاهات الدنيا، وتراه كسولاً خمولاً، ولا ترى فيه أثر الرجولة وتحمل المسئولية، فمثل هذا لا يصلح أن يكون زوجًا ولو بلغ عمره ثلاثين سنة! مع أننا رأينا في صدر الإسلام الشاب صاحب الثمانية عشر عامًا يقود جيشًا ويتزوج ويتحمل المسئولية!

إنّ الشاب إذا بلغ سن الزواج فطريًا وعقليًا وامتلك الباءة حينئذٍ لا يكون له عذر في عدم الزواج.

والعجب من هؤلاء الشباب الذين يمتنعون عن الزواج بسبب الدراسة؛ خاصة إذا كانت الدراسة جامعية تستمر لأربع وخمس سنوات، وأحيانًا سبع سنوات مثل كلية الطب، فهذا ليس مبررًا لعدم الزواج وخاصة بالنسبة للفتيات، فقد يكون الزواج أفضل ما يُعين الفتى والفتاة على الاستمرار والنجاح في العملية الدراسية.

ثانيًا - امتلاك الباءة وتكاليف الزواج:

إنَّ امتلاك الاستطاعة المادية من أهم ما يلزم للشاب حتى يتقدم لخطبة فتاة، فليس من المعقول ألا يملك الشاب شيئًا من تكاليف الزواج ثم يذهب للزواج من المرأة المسلمة، فالإسلام لم يقل له ذلك، وكي يفكر الشاب في الزواج لا بد أن يكون عنده شيء من مقومات الزواج حتى يتم له هذا الأمر إن شاء الله.

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشرَ الشبابِ من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج، فإنَّه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصومِ فإنَّه له وجاء**»[(١)].

فقد وضَّح النبي ﷺ شرطَ التقدم للزواج من المسلمات؛ وهو امتلاك «الباءة»، والباءة في معناها الصحيح هي تكاليف الزواج المادية والقدرة على امتلاك المال، وليس معناها القدرة الجنسية كما يظن البعض؛ لأن الامتناع عن الزواج بالصوم لعدم وجود المال، والصوم وجاء فقط أي واقٍ وليس مانعًا.

وأنت إن سألت عن «الباءة»، في عصرنا هذا لوجدت «الباءة»، تتمثل في وجود الشقة، فلو امتلك الشاب الشقة فإنه امتلك الباءة فعلاً، ثم تأتي بعد ذلك بقية الأشياء، فالشقة هي العقبة الحقيقية أمام أكثر الشباب في عصرنا.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، وأبو داود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١)، وابن ماجه (١٨٤٥)، والنسائي (٢٢٣٩-٢٢٤٢)، (٣٢٠٧-٣٢٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ولكن لا بد من التيسير في الزواج فلا يشترط أن تكون الشقة كبيرة جدًّا ولا في منطقة كذا وكذا، قد يكون الزواج من أسهل ما يكون أمام الكثير من الشباب ولكنه ينظر ويتطلع إلى السماء وقد نسي أنه يقف على الأرض.

حلول لسهولة الحصول على الشقة:

١ - ماذا يحدث لو عاش الشاب مع والديه في الشقة؟ بالطبع الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى شروط مهمة ومنها:

- ألا يكون للشاب أخ قد بلغ الحُلُمَ، حتى لا يكون مع زوجته في الشقة.
- أن تكون الشقة فسيحة ولو بوجود حجرة كافية له ولزوجته.
- أن يوافق الوالدان على ذلك.
- أن ترضى الزوجة بأن تعيش مع أهل الزوج.

وأحيانًا نجد أنَّ الزوجة تستطيع تيسير وجود الشقة لزوجها، فقد نجد أن الفتاة وحيدة أمها مثلاً والشقة متسعة، فماذا يحدث لو تزوجت الفتاة في شقة أمها مثلاً؟ إنها بعد أن تجهد زوجها في إحضار الشقة وبعد وفاة أمها، تأتي هي وزوجها كي يعيشا في الشقة مرة أخرى.

بالطبع هذه الحلول السابقة قد يأباها الرجل أو تأباها المرأة بحجة الكرامة وعزة النفس، ولكن الكلام عن الزواج الذي يكون لله، ولمحبة الله بين المحبين الذين لا توجد بينهم هذه الدواعي لأنَّ المحب إذا قال كرامتي فاعلم أنّه لا يحب! إذا كانت في طاعة الله.

٢ - المبادرة باليسير من السكن: بعض الشباب يريد أن يعيش في شقة من خمس حجر وصالة وغير ذلك من المتطلبات، والفتاة كذلك، ونقول لكل فتى وفتاة اشتركا سويًّا في بناء الصغير حتى يصبح كبيرًا، وإذا كانت بينكما المحبة

الحقيقية التي لا تكون إلا لله فليس لكل هذه الأمور قيمة في هذه الشركة التي بينكما، فاجعلا رأس مالها الحب والمودة والسكينة.

إن الزوج في بداية حياته يحتاج إلى حجرة نوم هو وزوجته، ثم مكان يستقبل فيه ضيوفه، فماذا يحدث لو تزوج الفتى والفتاة في شقة تتكون من حجرة وصالة مثلاً، إنّ هذه الشقة مع صغر حجمها وضيق مكانها لتصبح قصراً مشيداً واسعًا تجري فيه شمس الحب بين الزوج وزوجته؛ لأن السعادة تملأ قلبهما، كما أن القصر الواسع يصبح قبراً على صاحبه إذا ما فقد السعادة التي هي نتيجة لطاعة الله.

لقد كان النبي ﷺ يعيش في حجرة واحدة، وكان له تسع نسوة، لكل امرأة منهن حجرة واحدة، وهذه الحجرة لبنتها من طين، وسقفها من جريد، وفرشها الأرض والتراب، قد لا تجد لها شبيهًا الآن في دنيا الناس، لقد كانت هذه الحجرة ضيقة حتى أن النبي ﷺ كان إذا سجد أخذ بقَدَمِ عائشة رضي الله عنها حتى يستطيع السجود على الأرض؛ فكم كان ضيقها؟ ولكنها مع ذلك كانت السعادة كل السعادة في هذه الحجرات، ولما هُدمت هذه الحجر في عهد الوليد بن عبد الملك بكى سعيد بن المسيب وقال: «ليتها تركت على هيئتها حتى يأتي الناس من بعدنا يروا كيف كان يعيش رسول الله ﷺ وأزواجه».

٣. **الجدية في العمل مع الادخار:** لا ينكر أحد قيمة العمل في حياة الإنسان لأنه مجبول على أن يعمل ليجد سعادته الحقيقية تكمل بالعمل الجاد الذي ينتج منه عزة نفسه وعدم حاجته للناس، والشاب الذي يريد الزواج لا بد أن يكون عاملاً غير متكاسل، فعليه أن يعمل ويجدَّ حتى يتحصل على المال، ولا يركن إلى الدنيا والناس متواكلاً على غيره ثم يقول إنني أريد أن أتزوج.

والإسلام لا يرضى لأتباعه أن يكونوا مستهلكين لموارد الحياة فحسب، بل يريد منهم أن يكونوا عاملين ونافعين لغيرهم، لقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ يسأله فما أعطاه ﷺ شيئًا سوى حطب، وأمره أن يحتطب ويعمل وذهب الرجل ثم عاد بعد أيام وقد عمل وكسب مالاً[1].

فانظر كيف تعامل معه ﷺ لقد علّمه أن يأكل من عمل يده.

فعلى من يرغب في الزواج أن يعمل ويجتهد، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب دينه وإسلامه، فلا يجعل حياته للدنيا، وليتخذ من عمله وسيلة، فلا يجعله غاية، وكل عمل حلال يُعد شريفًا ومحترمًا ولكن مشكلة شبابنا أنهم يريدون أن يجلسوا على المكاتب.

وحتى لو كان الشاب غنيًّا وارثًا الغنى عن أبيه فعليه أن يعمل حتى يشعر بسعادة جُهده وتعبه، يُقال أنّ رجلاً غنيًّا كان له ابن لا يعمل فهو يعيش في رغدٍ من العيش والهناء تحت ظل غنى أبيه الفاحش، وفي إحدى الأيام اجتمع الأب وابنه وقد شاهد أسدًا أتى بفريسة بعد أن تعب في الحصول عليها، ثم أكل منها وتركها، فجاء من بعده ثعلب يأكل من هذه الفريسة، فقال الولد لأبيه: انظر يا أبي لقد أكل الثعلب بدون تعب ومشقة، فقال له والده: يا بني إنما أردتك أسدًا تأكل من فضله الثعالب، ولم أردك ثعلبًا تأكل من فضل الأسود!

---

(١) جاء بنحو هذا المعنى دون ذكر قصة هذا الرجل فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»، البخاري (٢٠٧٤)، ومسلم (١٠٤٢).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أحبُلَه ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»، رواه البخاري (١٤٧١).

فعلى الشاب أن يحاول الادخار من ماله وهذا لا حرمة فيه ولا إثم بل إن الإسلام يحثك على ذلك، فقد روي في الأثر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموتُ غدًا»[١]، ولا تستقل مالاً، تدخره فإن الجبال من الحصى، وهذه الأنهار المتدفقة أصلها قطرات من السماء.

وعليك يا أخي أن تزهد في بعض مشترياتك من الملابس والمأكل والمشرب وغير ذلك مما ليس ضروريًا في حياتك، فنحن نجد الشاب يلبس أثْمَن الثياب، ويأكل أفضل الأطعمة وكل هذا حلال، ولكنه لم يتزوج وكان يكفي أي ثياب، وأي طعام، والباقي يدخره للزواج.

هذا التليفون المحمول الذي يُعدُّ من مظاهر الترف عند الكثير من الشباب مثلاً، يدفع له فاتورة من المال، كان الأولى عليه أن يمتنع عنه، ويجعل ثمنه لبنة فوق لبنة حتى يتم له المراد.

وعلى الشاب أن لا ييأس من شيء في حياته لأن اليأس يؤدي إلى انتحار العقل والتفكير، وليتق الله فيما يريد حتى يُعينه - سبحانه وتعالى - على ذلك، وليخلص النية لله في الزواج ويتوكل عليه، آخذًا بالأسباب المشروعة متضرعًا إليه في كل وقت وحين بأن ييسر له إتمام دينه وقد وعده الله بذلك.

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ حق على الله تعالى عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»[٢].

---

(١) لا أصل له، أورده الهيثمي في «زوائده» (٢/ ٩٨٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٣/ ١٨)، قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٨): لا أصل له وإن اشتهر على الألسنة، قلتُ: ينفع هذا الكلام كحكمة وليس حديثًا.

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وابن ماجه (٢٥١٨)، والنسائي (٣١٢٠)، والحاكم، وأحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٠)، و«المشكاة» (٣٠٨٩) من حديث أبي هريرة.

وقال ﷺ: «حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرَّم الله»[١].

ثالثًا. مشاورة الأهل وموافقة الوالدين:

الزواج هو ربط أسرة بأسرة، وذلك هو المفهوم الواسع للزواج، فليس هو ارتباط رجل وامرأة فحسب، بل إنّ الزواج يربط بين عائلتين، فبالزواج تصبح أم الزوجة محرَّمة تحريمًا أبديًا على الزوج فأصبحت وكأنها أمّه، ووالد الزوج كذلك بالنسبة للزوجة أصبح محرّمًا عليها تحريمًا أبديًّا فكأنه أبوها.

فلا بد من توافق العائلتين وموافقة الوالدين لكل منهما، حتى يستمر الزواج بدون عقبات وشوائب، فعلى الزوج أن يقنع والديه بهذه الفتاة ويعرفهم بها، فربما لا تصلح له من حيثُ الدين، فحينئذٍ عليه الأخذ برأيهما وإن كانت تصلح له دينيًّا، وإن لم يوافقوا عليها فهو بالخيار بأن يتركها أو يتزوجها.

وعلى الزوجة أيضًا أن تحاول إقناع والديها بهذا الزوج من حيث الدين والخلق وأنها تريد الآخرة ورضا الله في قبول الزواج منه دون النظر إلى الدنيا ومتاعها، فإذا تمت الموافقة من الأهل والوالدين فنعم الزواج ونعمت المعيشة بينهما، وإذا لم يتم فهذا قدر الله.

وعلى الشاب إذا لم يكن هناك شيء من مقومات الزواج لديه أن لا يحزن وليعلم أننا نسير في هذه الدنيا وفق ما قدره الله لنا وأن ما كتبه الله هو الذي سيكون فقد جفت الأقلام، وطويت الصحف بما كان وسيكون.

ولا تأخذه عدم القدرة على الزواج إلى اتباع خطوات الشيطان في ارتكاب الفاحشة والفجور وليستعفف، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣).

---

(١) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٥٢).

حسن الاختيار طريق الاستقرار

إنّ أجلّ غرس هو غرس الإنسان ولكي يصلح هذا الغرس لا بد من وجود ثلاثة أشياء: الأرض الخصبة، والبذور، واليد العاملة.

فالأرض الخصبة هي المرأة الصالحة، فبوجودها يكون الزرع الصالح وهم الأولاد، لأنَّ أهم ما في الزواج وجود الأولاد، ولذلك لا بد من سبق النية في إنجاب الذرية.

ونحن الآن بصدد اختيار الزوجة الصالحة، وكيفية اختيارها حتى لا تكون الخسارة الفادحة فيما بعد ذلك، أرأيت رجلاً ذهب إلى أرض صحراء جرداء لا يكون فيها أي نوع من مقومات الحياة ولا ينفع فيها زرع ثم هو يشتريها بأغلى الأثمان فدفع فيها ماله كله؟ كم يكون لوم الناس له؟ وكم يلومه أهله وعشيرته؟

إن الذي يتزوج امرأة غير صالحة، لهو أجهل وأحمق من هذا الرجل حينما تزوج امرأة بوراً، لا تصلح للزرع، وحتى إن جاء منها زرع فإنك تجده شوكًا أو حنظلاً لا يسمن ولا يغني من جوع.

وهناك حديث موضوع باطل لا يصح نسبته لرسول الله ﷺ الذي يُقال فيه: «إياكم وخضراء الدِّمن»، قيل: وما خضراء الدِّمن، قال: «المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السوءِ»[(١)].

---

(١) حديث موضوع: انظره في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للشوكاني (٣٦٢)، وفي «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٧)، و«الأسرار المرفوعة» (١٣٨، ١٣٩)، وقال الدارقطني: تفرد به الواقدي، وهو ضعيف، وذكره الألباني في «الضعيفة» (١٤)، وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني ـ حفظه الله ـ: موضوع.

فهذا حديث موضوع ولكنه ينفع كحكمة، فإنّك أحيانًا تجدْ زهرة جميلة اللون والمظهر في وسط المستنقع القذر فلا تعجب بها، فإنّها تسقى من الماء العفن.

وفيما يلي عرض بعض الشروط التي لا بد من توافرها في المرأة التي على أساسها تختار الزوجة الصالحة.

■ كيف تختارُ الزوجةَ الصالحة؟!

■ هناك وسائل أولية لاختيار الزوجة الصالحة ومنها:

١ - البحث عنها من خلال العائلة:

فيبدأ الشاب بالنظر في عائلته ويرسل طرفه(*) في بنات العائلة فهم أعرف به وهو أعرف بهم، فإذا وجد في عائلته الفتاة الصالحة التي تصلح أن تكون زوجة وأمًّا لأولاده فبها ونعمت، فهذا يسهل عليه أموراً كثيرة جدًّا.

٢ - سؤال المعارف والأصدقاء الصالحين:

فإذا لم يجد الشابُ في عائلته من تصلح أن تكون زوجة له، فعليه بسؤال من يعرفهم من الأهل والأقارب والأصدقاء الصالحين، وعليه التحري عن ذلك بنفسه، فليس من العيب أن يسأل عن الزوجة الصالحة من خلال المعارف والأصدقاء.

ثم يتحرى بعد ذلك أهل الصلاح، فإن وجد رجلاً صالحًا فله أن يسأله هل لك بنت؟ أو هل لك أخت كي أتزوجها؟ وغير ذلك من أمور البحث عن الزوجة الصالحة من طرق معهودة بين الناس تختلف باختلاف العادات والتقاليد.

(*) أقصد أنه يسأل ويبحث عن الزوجة في عائلته أولاً فربما كان في أهله من تصلح له، وبذلك تيسر عليه صعوبات كثيرة لأنه بالطبع يعرفها.

وقد يكون الزواج عن طريق العمل أو الدراسة أو مجرد رؤية أحدهما للآخر، ومثل هذه الطرق لا بد فيها من التحري والسؤال حتى لا يكون الندم بعد الزواج.

أسس اختيار الزوجة الصالحة:

عليك أخي الحبيب وأنت تبحث عن الزوجة الصالحة أن تضع في ذهنك أنك تختار أمًّا لأولادك، وشريكة حياتك وجليستك في بقية عمرك، والله تعالى لم يخلقنا عبثًا، ولم يتركنا سدًى، فقد اختار الله لك صفات الزوجة الصالحة، واختار لك رسول الله ﷺ الزوجة الصالح، فإياك ثم إياك أن تحيد قيد أنملة عن اختيار الله ورسوله ﷺ، ولا تقدم اختيارك على اختيار الشرع حتى لا تدعو ثبوراً وتفقد سروراً، وإليك يا أخي أهم الشروط التي لا بد من توافرها في الزوجة الصالحة:

أولاً ـ صلاح الدين وسمو الأخلاق:

الدين هو الأساس في اختيار الزوجة الصالحة، والدين هو الكفاءة المطلوبة بين الزوج وزوجته، فبالدين تحفظ المرأة زوجها في عرضه وماله لأنها طائعة لله تعالى، فإذا لم تكن المرأة صاحبة دين فهي خائنة لزوجها لأنها خانت ربها، والدين ثمرته الأخلاق الحميدة التي تجنب صاحبها فعل الرذائل.

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤)، فهذه بعض صفات الزوجة الصالحة، وقدم بالصلاح أولاً لأنّه إذا وجد كان غيره تبعًا له فإذا كانت المرأة صالحة كانت قانتة، حافظة لزوجها ومن قبله ربها.

فالدين هو قوام المرأة وأساس الاختيار عند الزوج إذا كان يريد الزواج لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، أما الذين يتزوجون دون النظر إلى الهدف من الزواج فهو لا ينظر إلا للأشياء الفانية البالية في المرأة وحسب.

والمرأة ذات الدين هي التي رغب فيها الإسلام وحث على الارتباط بها وجعل البركة والسعادة الحقيقية في الحصول عليها قال رسول الله ﷺ : «الدُّنيا كلُّها متاعٌ وخيرُ متاعِها المرأةُ الصالحةُ»(١) .

وبين النبي ﷺ صفات النساء التي يرغب الرجال في الحصول عليها فذكر لنا اختيار الناس ثم نصحنا بصحة الاختيار فقال ﷺ : «تُنكَحُ المرأة لأربع: لمالِها، ولحسبِها، ولجمالِها، ولدينِها فاظفر بذاتِ الدينِ تَرِبَتْ يداك»(٢) .

فقد فصل النبي ﷺ صفات المرأة التي يرغبها الرجال ومنها المال والجمال والحسب والدين.

وما تركك النبي ﷺ تختار، ولكنه اختار لك، وحضَّك على الزواج من صاحبة الدين ودعا لك ﷺ بالخير والنماء فقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». ومعنى «تربت يداك»، أي التصقت بالأرض التي منها بكل الخير والنماء، فالأرض يخرج منها الزرع والنبات والذهب وغير ذلك من أصل كل خير يأتي إلينا، وقيل: هو كناية عن الفقر.

وهذه هي الكفاءة المطلوبة وهي كفاءة الدين، قال الرسول ﷺ : «تخيروا الأكفاء لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»(٣) .

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧)، وابن ماجه (١٨٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الترمذي (١٠٨٦)، والنسائي (٣٢٢٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه بلفظ: «إنّ المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك».

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والبيهقي (٧/ ١٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٧٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١/ ٢٦٤)، وذكره الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٨)، وقال: أخرجه ابن ماجه وصححه الحاكم من حديث عائشة، وأخرجه أبو نعيم من حديث عمر أيضًا، وفي إسناده مقال، ويقوي أحد الإسنادين الآخر، اهـ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٢٨)، و«الصحيحة» (١٠٦٧).

أما بقية الأوصاف التي في الحديث فهي تأتي تبعًا للدين، وليست هي الأصل مع إباحة الزواج من أجل كل الصفات التي قالها الرسول ﷺ.

أما قوله ﷺ: «**لمالها**»، فهذا حلال لا شيء فيه، ويجوز للرجل أن يتزوج امرأة من أجل مالها ويجوز له الانتفاع بمال زوجته برضاها وعدم غشها.

فقد انتفع سيدُ الناس رسول الله ﷺ بمال زوجته خديجة، وانتفع عبد الله ابن مسعود بمال زوجته، وهذا حلال لا شيء فيه، لكن لا يكون المال هو الأصل من الزواج، بل يأتي المال بعد الزواج، فعليك بالدين أولاً ثم أضِفْ إلى الدين أي صفة بعد ذلك، وكلما ضممت صفة كلما كان الزواج أفضل وأحسن.

أما عن قوله: «**ولجمالها**» فهذا مما يعين الرجل على العفاف والسكينة لأنَّ الجمال يرد ما في نفس الرجل، فليس على الإنسان حرج إذا بحث عن الزوجة الجميلة، فقد تزوج رجل امرأة من الأنصار فقال له الرسول ﷺ: «**أَنَظَرتَ إليها**»؟ قال الرجل: «لا»، فقال الرسول ﷺ: «**فاذهب فانظر إليها فإنَّ في أعين الأنصار شيئًا**»[(١)].

وخطب المغيرة بن شعبة امرأة فقال له النبي ﷺ: «**انظُر إليها فإنه أحرى أن يؤدمَ بينكُما**»[(٢)].

فالجمال مطلوب في المرأة لأنّه يعفُّ الرجل ويمنعه من النظر إلى غير زوجته، لكن هذا الجمال لا بد أن يتحلى بالدين الذي يهذب هذا الجمال ويبعده عن الرذيلة، وبذلك يزداد الجمال جمالاً، وإذا بحث الإنسان عن الجمال في

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٧)، وابن ماجه (١٨٦٦)، والنسائي (٣٢٣٥) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٩)، و«الصحيحة» (٩٦).

حياته فسيراه لا يتجاوز عشرين دقيقة في قيمة حياته ثم بعد ذلك تتساوى جميع النساء فتكون أجملهن وأقبحهنَّ سواء إذا قضى الرجل من المرأة وطره، والمرأة إن لم تكن صاحبة دين ذلت زوجها على الفراش وكانت جنداً من جنود الشيطان يعمل على ذل الرجل وإهدار كرامته ومعصية ربه.

سُئل رجل هل تحب أن تكون امرأتك جميلة جدًّا؟ فقال الرجل: لا!.

قيل له: هل هناك أحد يكره الجمال الفتان؟! قال الرجل: إنَّ الجمال الفتانَ يعقبه دلال فتان وذل وهوان ومشاكل لا تنتهي.

إننا لا ننكر الجمال في حياة الرجال بالنسبة للزوجة، ولكن لا يكون همنا الأول الجمال فحسب بل الدين أولاً ثم الجمال.

فكم كان الجمال سببًا في شقاء كثير من الرجال، وكم كان الجمال وحده داءً أهلك صاحبه، وما أحلى جمال الروح، وجمال الكلمة، وجمال العشرة، وهذا هو السرور الحقيقي في قوله ﷺ: «إذا نظر إليها سرته»[1]، إن من تزوج للجمال فقط سيكون مصيره الهمُّ والغمُّ والحزن؛ لأنَّ الجمال يزول بعد أشهر معدودة فعندما تحمل المرأة يذهب جمالها، وقد تمرض، وسيأتي يوم وسيكبر سنها، ويتجعد وجهها ولن تبقى إلا المودة والرحمة.

أما قوله ﷺ: «ولحسبها»، فهذا مطلوب في اختيار الزوجة لكنه أيضًا يأتي بعد الدين، فالمرأة ذات الحسب تكون ذات عرق طيب يخرج ذرية طيبة

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود (١٦٦٤)، والحاكم (٢/ ٣٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٤٣)، و«ضعيف أبي داود» (٣٦٣)، وله شاهد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أي النساء خير؟» قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا في مالها بما يكره». أخرجه النسائي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨)، و«الإرواء» (١٧٨٥).

للمجتمع، فالمقصود بالحسب العراقة في الأخلاق والدين؛ بحيث تكون العائلة معروفة بالصلاح والدين والأخلاق.

واحذر يا أخي من الوردة الجميلة وسط مستنقع القاذورات والماء العكر، وهذا معنى تجده في حديث موضوع لا يصح عن رسول الله ﷺ وفيه: «إياكم وخضراء الدمن»، قيل: وما خضراء الدمن، قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء»(١).

فهذا حديث مكذوب ولكن إذا أخذناه على سبيل الحكم فإنك تجده واقعًا في حياتنا فإياك أن تختار امرأة في وسط عائلة لا تعرف إلا الرذائل والخبائث والمعاصي ولا تبالي بطاعة الله ورسوله ﷺ.

قد يقول قائل: ما ذنب الفتاة التي التزمت؟ فقد تكون الفتاة محترمة ومتحجبة وصاحبة دين فلماذا لا أتزوجها؟ وأقتلعها من هذا المستنقع؟

نقول: إنَّ الكلام وَرَدَ على سبيل الغالب، ونادراً ما تجد فتاة صالحة في وسط هذا المستنقع لأنها رضعت منه وعاشت فيه، وأقل ما يكون أنها تأثرت ببعض أخلاقهم، ولا تنس أنك تبحث عن أم لولدك، وأنَّ أهلَها سيكونون أهلاً لولدك فهذا جده، وهذا خاله، وهذه خالته، وصعب أن تغيرها كلها لأنّ طبعها سينعكس يومًا ما أثناء معاملة هذه الفتاة لزوجها فيما بعد.

وإذا كان على المرء أن يبتعد من سفاسف الحسب، فعليه أيضًا أن يتزوج القريب له في حسبه حتى تكمل له القوامة على زوجته، وحتى يشعر برجولته

---

(١) حديث موضوع: انظره في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للشوكاني (٣٦٢)، وفي «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٧)، و«الأسرار المرفوعة» (١٣٨، ١٣٩)، وقال الدارقطني: تفرد به الواقدي، وهو ضعيف، وذكره الألباني في «الضعيفة» (١٤)، وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني ـ حفظه الله ـ: موضوع.

معها، لأن الحياة الزوجية في الغالب لا تخلو من المشاكل، وقد يأتي يوم تُعيِّر الزوجة زوجها بأنها من عائلة كذا وكذا وتمنّ عليه بذلك مما يُحزن الزوج ويشعره بالذل والاستكانة، وذلك بالطبع إذا كان المرأة غير صالحة ومتدينة.

بقي أن نقول أن الدين هو الأساس في الاختيار ثم يزداد الحسن كلما ضُمت صفة أخرى للدين، فصاحبة الدين والجمال أفضل من صاحبة الدين فقط، وصاحبة الدين والجمال والمال أفضل من صاحبة الدين والجمال فقط وهكذا.

والزواج من صاحبة المال والجمال والحسب ليس حرامًا ولا ذنب ولا إثم فيه فهو جائز ولذلك أقره النبي ﷺ.

وهناك حديث ضعيف جدًّا لا يصح عن رسول الله ﷺ وفيه: **«من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلًّا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه»**(١)، فهذا حديث لا يصح سواءً من جهة المتن أو جهة السند من السند، أما من جهة المتن فهو مخالف لحديث أبي هريرة السابق وفيه: قرار النبي ﷺ على جواز الزواج من ذات الجمال والمال والحسب، وأما من جهة السند فهو سند واه وساقط.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/٢٤٥)، وانظر في «تنزيه الشريعة» (٢/٣٠٦)، و«اللآلئ الموضوعة» (٢/١٦٢)، وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٣٣٥) من حديث أنس بن مالك، وقال: رواه ابن حبان وفي إسناده: عبد القدوس يروي الموضوعات، وعمرو بن عثمان متروك. اهـ.

والحديث مردود كذلك من جهة المتن لمخالفته حديث عبد الله بن عمرو الصحيح، والصريح في جواز الزواج من ذات المال والجمال والحسب وفيه: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»** انظر تخريج رقم (٢٥١)، والحديث ذكره الألباني في «الضعيفة» (١٠٥٥)، وقال: ضعيف جدًا.

وهناك أيضًا حديث آخر لا يصح وفيه: «لا تزوجوا النِّساء لحُسنهنَّ فعسى حسنُهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهنّ على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل»(١)(*).

وخلاصة الكلام عن ذات الدين أن سعادة الإنسان لا تكون إلا بطاعة الله ورسوله ﷺ؛ ولأن عقولنا قاصرة، ولأنَّ الله خلقنا فهو أعلم بحالنا وهو أعلم بما يصلح حالنا في الدنيا والآخرة، وقد اختار الله لنا على لسان نبيه ﷺ الزوجة الصالحة فلا تقدم اختيارك ولا اختيار أحد على اختيار رسول الله ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ثانيًا ـ تزوجوا الودود الولود:

وأنت تختار الزوجة احرص على وجود هاتين الصفتين في الزوجة التي تريد الارتباط بها.

فالود هو الحب من غير مقابل، ومعناه أن يتحبب إليك المحبوب وهو غني عنك وأنت الذي تحتاج إليه، فهو لا يبغى بحبه لك مقابلاً ولذلك كان من أسمائه سبحانه الودود لأنّه يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم، فكانت المرأة الودود هي خير النساء.

قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٩)، من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠٦٠)، و«ضعيف الجامع» (٦٢١٦)، و«ضعيف ابن ماجه» (٤٠٩)، وقال: ضعيف جدًّا.

(*) عقدتُ فصلاً كاملاً في آخر الكتاب عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة في النكاح لمن أراد أن يقف عليها.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٤٩)، والنسائي (٢/ ٧١) من حديث معقل بن يسار ﷺ، وصححه ابن حبان (١٢٢٨) من حديث أنس، ورواه أحمد (٦٥٩٨)، نحوه (١٢٢٨) من حديث أنس، ورواه أحمد =

والمرأة الودود هي التي لا تجهد زوجها في العمل الدائب حتى تتحصل على متع الحياة، فلا تجهد زوجها كي تستريح هي، وأنَّى لها الراحة وزوجها يكابد ويتعب في حياته؟ فمن علامات الود أن تعيش المرأة وتتكيف على معيشة زوجها، وأن ترضى منه بالقليل ما دام لا يظلمها في ذلك، ومن صفات الودود أيضًا أن تعين زوجها على طاعة الله وهذا هو الكنز لما سُئل عنه ﷺ قال: «وزوجةٌ مؤمنةٌ تُعينه على أمر الآخرة»[1].

والمرأة الودود هي التي تفرح لفرح زوجها وتحزن لحزنه ولا تهنأ بسعادة إلا بعد سعادة زوجها، قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها قالت هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى»[2].

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «... ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العئود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غُمضًا حتى ترضى»[3].

= (٦٥٩٨)، نحوه من حديث ابن عمر، وقال الألباني: وسنده حسن في الشواهد، وقال أيضًا: حديث صحيح، انظر «آداب الزفاف» (ص١٠-٦١)، وصححه في «الإرواء» (١٧٨٤)، و«صحيح الجامع» (٢٩٤٠).

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، وأحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٨٢، ١٨٣)، وابن حجر في «الأحاديث العاليات» (رقم ١٥)، عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعًا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٧٦)، وفي «صحيح ابن ماجه» (١٥٠٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٨٠٢): «ورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي، فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل، وقد جاء هذا المعنى في أحاديث أخرى من رواية ابن عباس، وكعب بن عجرة وغيرهما» اهـ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٧)، قلت: الحديث له شواهد تدل على تحسينه منها الأحاديث التالية لهذا الحديث.

(٣) رواه النسائي في «عشرة النساء» (٢٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا رواه الدارقطني، والطبراني في «الكبير» من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، وعندهما بلفظ «... العئود التي إذا =

وقال ﷺ: «إنّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده»(١).

فقد وصفت نساء الجنة من أهل الدنيا بالودود وهي التي تتودد لزوجها، وتتحبب إليه كحال الحور العين في الجنة، فقد وصفهنّ الله بقوله: «عربًا»، في سورة الواقعة وهي المتحببة لزوجها.

أما عن الوصف بالولود فمعناه كثيرة الولادة فهي ليست بعقيمة، والوصف الزائد «العئود»، هي التي يعود نفعها على زوجها سواء بمالها أو بالحفاظ على ماله وأولاده.

وجُعلت خير النساء هي التي ترتضى بالعيش مع زوجها على حسب حاله وماله.

العلاقة بين الودود والولود:

لقد ربط النبي ﷺ بين صفتي الود والولادة في المرأة الولود؛ لأنَّ الولود يزداد حبُّ الرجل إليها لوجود الولد بينهما، فقد يتحمل الرجل المرأة من أجل الأولاد، وقد يحبها من أجل الأولاد ولذلك كان الترابط بينهما.

كيف أعرف أنَّ المرأة ولود؟

يكون هذا بالنظر في نساء عائلتها وأقاربها، فإذا عُرف أنّ أحدًا في عائلتها أو يغلب على أفراد العائلة العقم، فحينئذٍ يكون أغلب الظنّ عقم هذه الفتاة، أما

= ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٤)، و«الصحيحة» (٢٨٧).

(١) رواه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

إذا وجدت عمتها وخالتها وأختها من أهل الولادة فهي كذلك من أهل الولادة إن شاء الله.

وتستطيع أن تعرف أن المرأة «ودود»، كذلك من خلال خصال أمها مع أبيها، فعلى حسب ما وجدت أم زوجتك ستكون الزوجة لأنَّ أغلب ما يكون في المرأة يكون في ابنتها.

ثالثًا ـ التزوج من الأبكار:

البكر هي الفتاة التي لم يسبق لها الزواج من قبل فلم يطلع عليها أحد قبلك، فهذا له تأثير بالغ في الحياة الزوجية؛ لأنَّ المرأة مهما تزوجت فإنها لا تنسى أول زوج في حياتها، وقد رغب الإسلام في زواج الأبكار وحث عليه لدوام العشرة وحسن القرار بين الزوجين.

ففي حديث جابر في الصحيحين أنه تزوج امرأة فقال له رسولُ الله ﷺ: **«هل تزوجت»**، قلت: نعم، قال: **«أبكرًا أم ثيبًا»**، قلت: ثيبًا، قال: **«فأينَ أنتَ من العذارى ولِعابِها»**، وفي رواية: **«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك»**[(١)].

ففي الحديث دعوة وحث للترغيب في الزواج من الأبكار لحسن عشرتهن ولوجود الطابع الأول، قال الرسول ﷺ: **«تزوجوا الأبكار، فإنهن أعذب أفواهًا، وأنتق أرحامًا، وأرضى باليسير»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٨٠)، ومسلم (١٤٦٦) بإثره، وأبو داود (٢٠٤٨)، والترمذي (١١٠٠)، والنسائي (٣٢١٩)، وابن ماجه (١٨٦٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٦١)، والطبراني في «الكبير» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٩)، و«الصحيحة» (٦٢٣)، وزاد الطبراني في «الأوسط» (١/١٦٣)، من حديث جابر «وأقل خِبًّا»، ذكره الألباني في «الصحيحة» (٦٢٣)، وفي «صحيح الجامع» (٤٠٥٣)،=

ففي الحديث حث وترغيب للزواج من الأبكار حيثُ عذوبة الأفواه؛ وهو الجمال والمعنى الحسي والمعنوي كذلك في حسن الأخلاق وآداب الألفاظ، «وانتق أرحامًا» أي: أكثر استعدادًا للولادة والحمل. «وارضى باليسير» أي: يرضين بما عند الزوج لأنها لم تتزوج قبله، فلن تعقد مقارنة بينه وبين الزوج الأول؛ ولذلك كانت البكر أدعى لدوام العشرة والألفة لأنها لم تعرف أحدًا قبله.

ولقد كانت عائشة تفتخر بكونها البكر الوحيدة التي تزوجها رسول الله ﷺ فقالت: قلت: يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها»، يعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها[1].

رابعًا ـ أن تكون الزوجة مناسبةً للطباع والبيئات:

والمقصود أنَّ يختار الزوج المرأة التي تناسبُ طبعه حتى تتكيف وتتهيأ على ذلك، وحتى لا يشعر بالصراع الفكري بينهما؛ فلا بد من توافق الذهن والفكر بينهما، وهذا يكون نسبيًّا بينهما فليس من المناسب أن يتزوج الرجل امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وليس لعقلها دور في الحياة، ويكون هو طبيبًا أو مدرسًا في الجامعة مثلاً، أو يكون العكس، أو يأتي بها مثلاً من بيئة تختلف عن البيئة التي يعيش هو فيها فربما لا تنسجم مع هذه البيئة الجديدة فتكدر عليه معيشته.

فلابد من التوافق بين الزوجين في الكثير من جوانب مقومات المعيشة حتى تستمر الحياة بينهما، مع الأخذ في الاعتبار أن يكون الزوج أفضل في كثير من

= وفي رواية عند ابن السني، وأبي نعيم في «الطب» من حديث ابن عمر ﷺ جاء فيها: «عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواهًا، وأنتق أرحامًا، وأسخن إقبالاً، وأرضى باليسير من العمل»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٥٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٧٧) من حديث عائشة ﷺ.

هذه النواحي حتى تكتمل له القوامة، فلا يُستحسن مثلاً أن تكون الزوجة أعلى منه في الشهادات العلمية أو السن أو النسب؛ وإن كان يجوز الزواج مع وجود الفرق في كل ذلك ما دام الدين موجوداً لأن صاحب الدين يكون كفئاً لأي امرأة مهما كانت مكانتها.

ولا تنس يا أخي الحبيب وأنت تبحث عن الزوجة الصالحة، أنك في نفس الوقت تبحث عن عائلة جديدة من جد، وخال وخالة لأولادك، فلست بمعزل عنهم مهما كانت الفوارق، ولا تنس رضا الوالدين عن الزوجة التي اخترتها حتى تتم السعادة. وتستمر الحياة بدون شوائب ومعوقات، واستعن بالله ولا تعجز، وسل ربك التوفيق والسداد فقد وعد بالتيسير وهو لا يخلف الميعاد.

كيف تختار المرأةُ الزوجَ الصالحَ؟

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة وسما بها إلى موضع لم تصل إليه من قبل ولن تصل إليه من بعد، فأعلى وأفضل ما تكون المرأة إذا عاشت في ظل الإسلام فقط لا غير، وتمام حريتها الحقيقية حينما تكون أمةً لله متبعةً للرسول ﷺ، ولقد أوصى النبي ﷺ بحسن عشرة النساء. فكانت من آخر وصاياه عند الموت، وحث على الحفاظ عليهن في خطبة حجة الوداع فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم»[1].

حرية المرأة في اختيار الزوج!

بوَّب البخاري بابًا في صحيحه قال: «باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحها مردود».

(١) رواه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص١٩٩)، وقال: «وله شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٢-٧٣)، وقد خرجته في «الإرواء» (٢٠٩٠)، وصححه في «صحيح سنن أبي داود» (١٨٧٥).

للمرأة في الإسلام الحرية في اختيار الزوج وعدم الموافقة عليه، وليس لولي الأمر إجبار المرأة على الزواج من الرجل بل للمرأة الموافقة عليه من رفضه، وبذلك حفظ الإسلام للمرأة مكانتها وجعل لها حرية الاختيار.

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها أتُستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «نعم تُستأمر» فقالت: فقلت له: إنها تستحي، فقال رسول الله ﷺ: «فذلك إذنُها إذا هي سَكَتَت»[1]، وقال ﷺ: «الأيمُ أحقُّ بنفسها من وليها والبكرُ تُستأمرُ في نفسها»[2].

ففي هذه الأحاديث مفهوم واضح لحق المرأة في اختيار الزوج بدون غصب أو إكراه لها على ذلك، فقد جعل صحة الزواج وقبوله يرجع إلى إذنها، أي يستأذنها ولي الأمر فإن وافقت كان الزواج وإن لم توافق فهي حرة في عدم الزواج من هذا الرجل.

والحاصل أنه لا يجوز أن تجبر البكر البالغ في النكاح ولا تُزوج إلا برضاها، فإن وقع لم يصح العقد وهذا مذهب الأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وغيرهم وحكاه الترمذي عن أكثر أهل العلم[3].

فلا يجوز لولي المرأة أن يجبرها على الزواج من رجل تكرهه، ولذلك بوّب البخاري بابًا في صحيحه قال فيه: «باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحها مردود».

---

(١) رواه البخاري (٥١٣٧)، ومسلم (١٤٢٠)، ورواه بنحوه أحمد (٦/ ٤٥، ٢٠٣)، والنسائي (٦/ ٨٥-٨٦) بلفظ: «استأمروا النساء في أبضاعهنّ...».

(٢) رواه مسلم (١٤٢١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٣٣٩)، ملخصًا من «زاد المعاد» (٥/ ٩٥-٩٩)، الرسالة.

وأورد تحته حديث خنساء بنت خِدام الأنصارية أنّ أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّ جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت أنّ أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبيُّ ﷺ»[(٢)].

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنّ فتاة دخلت عليها فقالت إنّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله قد اخترت ما صنع أبي ولكني أردت أن أُعلم النساء من الأمر شيئًا[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥١٣٨)، وأبو داود (٢١٠١)، وابن ماجه (١٨٧٣)، والنسائي (٦/ ٨٦)، وأحمد (٦/ ٣٢٨)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٢٣٥).

فائدة: «ذهب عامة أهل العلم إلى أنَّه ليس للأب ولا لغيره إجبار البنت البالغة على النكاح، ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري، وإبراهيم النخعي ـ رحمهما الله ـ وقولهما شاذ ومردود لمخالفته سنة النبي ﷺ وقول أهل العلم».

انظر «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٣٩-٤٠)، و«المبسوط» للسرخسي (٥/ ٩)، وابن حجر في «الفتح» (٩/ ١٩٢)، و«المغني» (٦/ ٤٩٢)، و«زاد المعاد» (٥/ ٩٩)، و«ولاية الإجهاد في النكاح» لعبد الله بن جبرين (ص: ١٧-١٨).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، وأحمد (١/ ٢٧٣)، والبيهقي (٧/ ١١٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٦٥)، وابن حزم في «المحلى» (٩/ ٤٦١)، وذكره ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٤٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٢٠).

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٧٤)، والنسائي (٣٢٦٩)، وأحمد (٦/ ١٣٦)، والدارقطني (٣/ ٢٣٢-٢٣٣) من طريق عن كهمس عن عبد الله بن يريد عن عائشة، وقال البيهقي: هذا مرسل، ابن بريدة لم يسمع من عائشة، وقال البيهقي: هذا مرسل، ابن بريدة لم يسمع من عائشة، وتعقبه ابن التركماني بقوله: «ابن بريدة ولد سنة خمس عشرة، وسمع جماعة من الصحابة، وقد ذكر مسلم في مقدمة صحيحه أنَّ المتفق عليه أن إمكان اللقاء والسماع يكفي للاتصال، ولا شك في إمكان سماع ابن بريدة من عائشة، فروايته عنها محمولة على الاتصال، على أن صاحب الكمال صرح بسماعه منها» اهـ. =

وهذه أم هانئ بنت أبي طالب بنت عم رسول الله ﷺ وأخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقد خطبها الرسول ﷺ لنفسه فقالت أم هانئ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من بصري وحق الزوج عظيم فأخشى إن أقبلتُ على زوجي تعني رسول الله ﷺ أن أضيّع بعض شأني وولدي وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي، وهنا امتدحها النبي ﷺ وشكر لها ذلك وقال: **«إنَّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد، في صغره، وأرعاه على بعل. أي زوج - في ذات يده»**[(١)].

فقد امتدح النبي ﷺ هذه المرأة بسبب رجحان عقلها وفطنتها بل مدح نساء قريش كلهنّ بسبب هذه المرأة والشاهد أنّ المرأة كان لها الاختيار في الزوج ولم يكرهها ﷺ على الزواج.

وهناك أيضًا من الشواهد على حرية المرأة في اختيار الزوج ما ورد من قصة «مغيث وبريرة»، في الصحيح، فإن النبي ﷺ لما طلب من بريرة البقاء مع مغيث قالت له: يا رسول الله أتأمرني أم أنت شفيع، فقال لها الرسول ﷺ: **«بل أنا شفيع»**، فحينئذٍ قالت بريرة: ليس لي حاجة فيه. ورفضت بريرة البقاء مع مغيث[(٢)]، فلم يأمرها النبي ﷺ ولكنه خيرها فاختارت الفراق.

ومن الآثار الصحيحة عن بعض الصحابة في هذا الشأن ما ورد في قصة ابن عمر رضي الله عنه حيث قال: «توفي عثمان بن مظعون، وترك ابنة له من خويلة بنت

= وضعَّف هذا الخبر الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤١١)، وفي «ضعيف سنن النسائي» (٢٠٨)، و«غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» (٢١٧).

(١) رواه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٩، ٢٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قصة «مغيث وبريرة» في البخاري (٥٢٨٣)، وأبو داود (٢٢٣١)، والترمذي (١١٥٦)، وابن ماجه (٢٠٧٥)، والنسائي (٥٤١٧) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص، قال: وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون، ابنة عثمان بن مظعون فزوجنيها، ودخل المغيرة بن شعبة يعني إلى أمها فأبيا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ فقال قدامة بن مظعون فلم أقصر بها في الصلاح ولا في الكفاءة، ولكنها امرأة وإنما حطت إلى هوى أمها! فقال رسول الله ﷺ: «هي يتيمة، ولا تنكح إلا بإذنها»، قال فانتُزعت والله مني بعد أن ملكتُها، فزوجوها المغيرة بن شعبة(١).

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: عندنا يتيمة وقد خطبها رجل مُعدِم ورجل موسر، وهي تهوى المعدم، ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله ﷺ: «لم ير للمتحابين مثل النكاح»(٢).

فَلينظُرُ الآباءُ كَيفَ ... يكونُ تزويجُ البناتِ
يَستَأذنون البكرَ في التزويجِ ... مثلُ الثيباتِ
حَتى يَعِيشن مع الرجالِ ... منعماتٍ راضياتِ
طعمُ الحياةِ مع السجونِ ... أمرُّ من طَعمِ المماتِ(٣)

إن تعسف الآباء في تزويج البنات لاكتساب عرض من الدنيا من مال وجاه وسلطان فهذا مآله إلى الحزن والهم وموت السعادة في قلب الفتاة، وجلب الحقد والكراهية لأبيها.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٣٠)، والدارقطني في «النكاح» (٣/ ٢٣٠)، والبيهقي (٧/ ١٢٠) وإسناده حسن، رجاله ثقات عن ابن أبي فديك وهو صدوق كما في «التقريب»، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٨٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٤٧)، والحاكم (٢/ ١٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٠)، و«الصحيحة» (٦٢٤).

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٤١، ٢٤٢)، نقلاً عن «أستاذ المرأة» محمد بن سالم البيجاني (ص٢١٤).

وقد حكى العرب عن قصص آباء مع بناتهم وتأذى بناتهم بذلك العسف؛ حتى صدر منهن ما لا يُحمد من البنت في حق أبيها ومن ذلك ما حُكي أنَّ إحداهن زوجها أبوها وهي حدثة بغير إذنها فقالت:

أيا أبَتَا عَنَّيتَنِي وابتَليتَنِي   وصيَّرت نفسي في يدي من يُهينُها

أيا أبَتَا لولا التحرُّج قَدْ دَعَا   عَليكَ مجابُ دعوة يستديها

فهذه أدلة كثيرة تدل على حرية اختيار المرأة في الارتباط من الزوج الذي يعيش معها حياتها وتأنس إليه، فلا إكراه ولا إجبار في الزواج ولو حدث إجبار من الولي لابنته على الزواج فالعقد يُفسخ وتأخذ المرأة حريتها كما فعل النبي ﷺ مع من تزوجت رغم أنفها، وقد أرغمها أبوها على ذلك.

وبذلك نهى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أولياء الأمور من منع زواج المرأة إذا رغبت الزواج من الرجل الصالح أو منعها من الرجل الذي يكرمها ويحفظ دينها فقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

ملاحظة هامة:

ليس معنى حرية اختيار المرأة لزوجها مطلقة؛ فإنها تستأذن من قبول الزوج من عدمها، ولكن ليس لها أن تتزوج الفاسق والعاصي والكافر مثلاً، فإن ولي الأمر مطالب شرعًا بألا يوافق على الإنسان الذي لم تتوافر فيه كفاءة الدين، حتى ولو وافقت المرأة عليها، فإنَّ الإسلام أعطى للمرأة حرية الاختيار بشرط صلاح من تختاره وإلا فللولي منعها من الزواج.

فعلى المرأة أن تحسن الاختيار، ولا تغتر بالمظاهر من الجمال والمال وغير ذلك من الأمور التي يتظاهر بها الناس فعليها أن تختار صاحب الدين والأخلاق الحميدة.

يُحكى أنَّ أعرابية تقدم لخطبتها شاب فأعجبها جماله، ولم تفكر في أخلاقه وسلوكه، فنصحها والدها بعدم صلاحه فلم ترض، فأكد عليها على عدم قبوله فرفضت، وأخيراً تزوجته، وبعد شهر من زواجها زارها أبوها في دارها فوجد على جسمها علامات الضرب من زوجها فتغافل عنه وسألها: كيف حالك يا بنيتي؟ فتظاهرت بالرضا فقال لها أبوها: وما علامات الضرب في جسمك؟ فبكت ونحبت طويلاً ثم قالت: ماذا أقول لك يا أبتاه؟ إني عصيتك واخترته دون أن أفكر بأهمية الأخلاق وحسن المعاملة.

وكم هي القصص الواقعية في حياتنا من الفتيات اللائي تزوجن لمجرد جمال الزوج أو غناه أو سلطانه وبعد أن دخلت معه وجدته جباراً ليس عنده خلق ولا آداب، فخرجت من حرية الكرامة إلى سجن سوء الأخلاق، وأصبحت تتمنى الخروج من هذا السجن بأي ثمن وحينئذٍ يبدأ التنازل عن كرامتها ووقارها الذي باعته بثمن بخس.

عرض الرجل ابنته على الصالحين:

بوَّب البخاري بابًا في صحيحه قال فيه: «باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير»، وذكر تحت الباب قصة عمر في عرض ابنته حفصة على الصحابة وحديث زينب بنت أبي سلمة في عرضها أختها درّة بنت أبي سلمة لرسول الله ﷺ.

وهذا العرض من الأب قد يكون واجبًا أحيانًا وذلك إذا وجد الشاب الصالح لابنته، ولم يجد سواه من أهل الصلاح، فعليه حينئذٍ أن يعرض ابنته عليه ويرغبه فيها، والسعي لطلب الزوجِ الصالح لابنة الرجل كان من دأب الصالحين من قبلنا.

ففي القـرآن الكريم مثل رائع يظهر لنا حـسن الاختيار وعـرض الرجل ابنته للرجل الصالح ومن ذلك ما كان من قصة موسى وشعيب[١] ـ عليهما السلام ـ.

قال شعيب لموسى في القرآن الكريم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص: ٢٧).

فأنت ترى شُعيبًا ـ عليه السلام ـ وهو نبي من الأنبياء، وعنده المال، وساكن في بلده، ثم يطلب من رجل لا يعـرفه ولا يعرف نسـبه ولا أصله، ومع فـقره وغربته وعـدم امتلاكه لأي شيء من مـقومات الحياة الدنيـا يطلب منه أن يتزوج ابنته، فـما هو الشيء الذي جعل شعـيبًا ﷺ يطلب من موسى ويعـرض عليه الزواج من ابنته؟ إنها الأخلاق الحميـدة، والصلاح والتقوى الذي عُرفت عنه من أول لقاء المتمـثلة في القوة والأمانة كمـا قالت ابنته: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

وهذا عـمر بن الخطاب رضي الله عنه يـعرض ابنتـه حـفصـة على الصـحابة حـتى يتزوجوها وذلك لصلاحهم.

فهذا عـبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث «أنَّ عـمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأيمت حفصـة بنت عمر من خُنيس بن حـذافة السهمي، قال عـمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حـفصة، فقال سأنظر في أمري فلبثتُ ليالي ثم لقيني فـقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومـي هذا. قال عمر: فـلقيت أبا بكر فقال إن شئت زوجـتُك حفصة بنت عمر فصَمَـتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا،

(١) هذا على مذهب من قال أنه شعيب ﷺ، وقيل أنه صالح مدين وليس شعيبًا ﷺ.

وكنت أوجدَ عليه مني على عثمان فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضْتَ عَليَّ إلا أنِّي كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسولُ الله ﷺ لقَبِلتُها»(١).

فهذا عُمَر بن الخطاب القرشي صاحب النسب والمكانة والعزة، يعرض ابنته، ومن قبله من هو أفضل منه نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ وكان هذا من دأب الصالحين من بعدهم إذا علموا صلاح إنسان. فأين رجال عصرنا من هذا الهدي؟ وأين العقول السليمة والأفهام الصحيحة؟ فهلا عرضنا بناتنا على أهل الصلاح!

وهناك القصة الصحيحة عن سعيد بن المسيب في عرضه ابنته وزواجها من تلميذه أبي وداعة، فقد أخذ ابنته وذهب بها إلى هذا العبد الصالح وأدخلها داره، وقال له هذه زوجتك، وهذا من غير ميعاد سابق، وبدون شروط إلا شرط الدين والصلاح والتقوى.

قال القرطبي في تفسيره لآية القصص: وفيها عرض شعيب ابنته للزواج على موسى عليه السلام. «في هذه الآية عرض الولي ابنته على الرجل وهذه سُنَّة قائمة عرض صالح مدين «يعني شعيبًا»، ابنته على صالح بني إسرائيل «يعني موسى»، وعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ فمن الحسن عرض الرجل وليته والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداءً بالسلف الصالح»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥١٢٢)، والنسائي (٧٨/٦)، وأحمد (١٢/١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩٣/١٣).

عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح:

هكذا بوَّب البخاري بابًا في صحيحه، فيجوز للمرأة أن تعرض نفسها للزواج على الرجل الصالح، وليس هذا عيبًا في حقها بل هو من كمالها، ورجحان عقلها؛ لأنَّه العفاف بالارتباط من الزوج الصالح الذي يحفظ لها دينها ودنياها، فلا حرج عليها في ذلك ما دامت تريد وجه الله والدار الآخرة.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض نفسها قالت: يا رسول الله، آلك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقلَّ حياءها، وا سوأتاه! قال: هي خير منك، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها»[(١)].

ففي الحديث دلالة قاطعة على جواز عرض المرأة نفسها للزواج من الرجل الصالح، وذلك بالشروط المعهودة في أحكام النكاح الشرعية، وفي الحديث من الفوائد براعة وأدب المرأة في حسن العرض والسؤال وإقرار الشريعة بجواز عرض المرأة نفسها للزواج.

ولكن ليس معنى عرض المرأة نفسها للزواج لأي إنسان؛ فهذا يُذهب حياءها ولكن المقصود أن تعرض نفسها على الرجل الصالح.

من الذي تختاره المرأة زوجًا لها؟

لا بد أولاً أن يكون من أهل الصلاح والدين والأخلاق الحميدة فهذا هو الذي يحفظ المرأة ويرعاها، وأقل القليل أنه لا يظلمها، وبعيدًا عن النظرة المادية للحياة الزوجية تكون السعادة إن شاء الله تعالى في سعادة القلب لا المظاهر الدنيوية.

---

(١) رواه البخاري (٥١٢٠)، وابن ماجه (٢٠٠١)، والنسائي (٦/٧٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

لقد كان النبي ﷺ يعيش هو وأزواجه في حجر ضيقة من طين، لا يوجد لها مثيل الآن، ولكن داخل هذه الحجر كانت تعيش القلوب السعيدة بالقناعة والرضا، ومن هذه الحجر خرج النور الذي أضاء ظلمات الدنيا، ومن هذه الحجر كانت قوانين السعادة لمن أراد السعادة، ولما خَيَّر النبي ﷺ أزواجه بين البقاء في هذه المعيشة وبين التسريح وهو الطلاق والتمتع، اختار جميع نسائه البقاء في السعادة تحت طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ لأنّ هذه هي السعادة الحقيقية الباقية.

إنّ بعض المتزوجين يعيش في قصر مشيد فيه كل ملذات الحياة ومع ذلك يُرى الواحد منهم كأنّه يعيش في سجن، فمنهم من مات قلبه داخل جسد فأصبح الجسد بمثابة القبر الذي دُفن فيه هذا القبر.

اختاه عليك بصاحب الدين فالسعادة كل السعادة معه إذا أردتِ السعادة بمعنى ما يريد قلبك ودينك فإن لم تفعلي فالشقاء بعد أيام أو شهور أو سنين من نهاية بداية الزواج.

إنما يكثر الفساد في الأمة بسبب عدم الزواج من الصالحين، قال الرسول ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينَه وخُلقَه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض»[1].

فقد حثَّ النبي ﷺ على الدين والأخلاق كشرط أساسي لاختيار الزوج الصالح، وحث فيه الفتاة على قبول الزوج إذا ما توفرت فيه هذه الصفات،

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه الترمذي (١٠٨٥) من حديث أبي حاتم المزني، وليس له حديث عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠)، و«الصحيحة» (١٠٢٢)، و«الإرواء» (١٨٦٨).

وحذَّر كل الحـذر من زواج المسلمة المؤمنة بالرجل الفاسق الذي لا يعـرف طاعة الله أو لا يخشاه وحينئذٍ يكون الفساد الكبير.

فالكفاءة المطلوبة في الزوج يا أختاه هي كفـاءة الدين وقد مرَّ بنا أن شعـيبًا زوج موسى وقد كـان غريبًا طريدًا فقيرًا خـائفًا وحيدًا فأنكحـه ابنته لما تحقق من دينه ورأى من حاله.

أما عن المال والسلطان فليس لهما مـيزان في قبـول الزوج من عدمـه فعن سهل رضي الله عنه قال: مرَّ رجل عـلى رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يُسمع. قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟». قالوا: حري إن خطب أن لا يُنكح وإن شُفِّع أن لا يُشفع وإن قال أن لا يُسـمع. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملءِ الأرض مثل هذا»[1].

فقد جعل النبي ﷺ الدين فوق كل شيء فهو الميزان الذي يوزن به الناس عند الله تعالى وصاحب الدين خير من ملء الأرض من الذي لا دين له.

قال تعـالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ (النور: ٣٢)، فقـد وصف الله تعالى العـباد بالصلاح لا بشيء آخر، فـإن وجد صلاح العبـد فهو كُفء لزوجته.

وقال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢)، فليس الفقر مانعًا من الزواج، وكم رأينا من سلفنا الصالح من تزوج باليسير والقليل؟ ولربما تزوج بما يحفظه من القـرآن كما زوج النبي ﷺ رجـلاً بما معه من القرآن في قـصة

(١) رواه البخاري (٥٠٩١) من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه.

المرأة التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ، وزوج آخر وقال له التمس ولو خاتمًا من حديد، واهتدى السلف الصالح من بعدهم بهذه السُّنَّة، فهذا سعيد بن المسيب يزوج ابنته لأبي وداعة وهو الفقير الذي لا يملك شيئًا من المال، وغير سعيد كثير.

وفي حياة الصالحات مواعظ وعبر فهذه فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة بنت سيد الناس محمد ﷺ وزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم سيدي شباب أهل الجنة، فقد كانت تعيش مع عليّ تأخذ بالرحى، وتنام على الأرض وتعمل مع زوجها وهي من هي رضي الله عنها؟!

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تزوجت الزبير وكان فقيرًا، فكانت تعمل معه وتحمل الحَبَّ، وتطعم فرسه، وتقوم على شئون بيته، وكانت تقول لما أعطاها أبو بكر خادمًا: «كأنَّه أعتقني».

فأين هؤلاء النساء؟ وأين الفتيات اللائي يردن وجه الله والدار الآخرة؟ وقليل ما هنّ

افضل صفات الرجل الصالح:

إنَّ أفضل ما يوجد في الرجل الصالح الذي تختاره المرأة زوجًا لها، يخبرها به امرأة مثلها من جنسها حتى لا يكون من كلام الرجال فقد شهد شاهد من أهلها.

ففي قصة موسى وشعيب ـ عليهما السلام ـ قالت المرأة الصالحة ابنة شُعيب لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

فإذا وجدت المرأة الرجل القوي الأمين فعليها أن توافق عليه، فهذه خير خصال وصفات الرجل، فإذا وجِدَتْ القوة والأمانة وُجِدَ غيرُها من الصفات

الحميدة الباقية، لأن القوة تُعطي الهيبة للرجل في طاعة الله واتباع رسوله ﷺ وقد قال الرسول ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ»[(١)].

والأمانة قاعدة أساسية في صلاح الزوج والزوجة، والمقصود بالأمانة ذلك المعنى العام الشامل لكل ما تعنيه الكلمة من أمانة الدين والعرض والمعاملة وعدم الخيانة الحسية والمعنوية.

فذلك أفضل وصف للرجل الصالح من هذه المرأة الصالحة، فقد عرفت ابنة شعيب عليه السلام قوة موسى عليه السلام لما رفع الصخرة وسقى لهما، وعرفت أمانته حينما لم يطلب منهما أجرًا على ما فعله معهما؛ مع أنه كان في أشد ما يكون للمال وهو الفقير الغريب، وقيل عرفت أمانته لما جعلها تمشي وراءه ويمشي هو أمامها، حتى لا يقع بصره عليها، فكانت الأمانة متمثلة في عدم خائنة الأعين وعدم طلب الأجر على فعله.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه، وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحكام الخطبة في الإسلام

بعد أن عرف الرجل كيف يختار الزوجة الصالحة، وعرفت المرأة كيف تختار الزوج الصالح، يبدأ الرجل بعد ذلك في البحث عن هذه المرأة بالوسائل التي سبقت الإشارة إليها، فإذا وقعت امرأة في قلبه فعليه أن يبدأ بمقدمات الزواج والتمهيد له، وذلك قبل الارتباط بعقد الزواج كي يتعرف كل منهما على الآخر ومن أجل ذلك شرع الله الخِطبة.

والخطبة في الإسلام لها آداب وأحكام وضوابط لا بد من مراعاتها حتى يتسامى الزواج، وتتم السعادة بين الزوجين، وفيما يلي عرض بعض هذه الآداب والأحكام:

أولاً ـ معنى الخِطبة: الخِطبة ـ بكسر الخاء ـ فعل الخاطب من كلام وقصد بفعل أو قول، يُقال: خطبها يخطبها خطبًا وخِطبة، ورجل خطاب كثير التعرف في الخِطبة، أمَّا الخُطبة ـ بضم الخاء ـ فهي الكلام الذي يُقال في النكاح وغيره[1].

والخِطبة في الشرع هي طلب الزواج من المرأة بالوسيلة المشروعة بين الناس، فإن حصلت الموافقة، فهي مجرد وعد بالزواج لا يحل للخاطب بها شيء من المخطوبة بل تظل أجنبية عنه حتى يعقد عليها[2].

وهي كذلك إظهار الرغبة في الزواج بامرأة معينة وإعلام وليها بذلك، وقد يتم هذا الإعلام مباشرة من الخاطب أو بواسطة أهله، فإن وافقت المخطوبة أو أهلها فقد تمَّت الخِطبة بينهما وترتب عليها أحكامها وآثارها الشرعية[3].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣/ ١٤٣).
(٢) «الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز» عبد العظيم بدوي (٢٨٠).
(٣) «الفقة الإسلامي وأدلته» د/ وهبة الزحيلي (٩/ ٦٤٩٢).

ثانيًا - حكمة مشروعية الخِطبة: الخِطبة كغيرها من مقدمات الزواج، طريق لتعرف كل من الخاطبين على الآخر، إذ إنها السبيل إلى دراسة أخلاق الطرفين، ومعرفة طبائعهما وميولهما بالقدر المسموح به شرعًا، وهو كافٍ جدًّا، فإذا وجد القبول والتجاوب كان الإقدام على الزواج الذي هو رابطة الحياة، وهذا الإقدام يعطي الاطمئنان للطرفين إلى أنَّه يمكن التعايش بينهما بسلام وأمان، وسعادة ووئام، وطمأنينة وحُبٍّ وهي غايات يحرص عليها كل الشبان والشبات والأهل من ورائهم[١].

ثالثًا - من التي تباح خِطبتها؟ الخِطبة كما هو معلوم من مقدمات الزواج، فإذا كان الزواج بهذه المرأة حلالاً شرعًا كانت الخطبة التي هي مقدمة لهذا الزواج، وإن كان الزواج منها ممنوعًا شرعًا فخطبتها حرام، وهناك موانع من خِطبة المرأة منها؛ ألا يحرم بها الزواج شرعًا مؤقتًا كأخت الزوجة، والمعتدة، والمرأة المعتدة لها أحوال في الخِطبة فخطبتها غير جائزة بالتصريح وقد تجوز بالتعريض وذلك في مواضع نبينها فيما يلي:

أحوال المعتدة في الخِطبة:

(أ) المعتدة بسبب وفاة زوجها؛ وهذه تجوز خطبتها بالتعريض تحرم بالتصريح أثناء عدتها لانتهاء الزوجية بالوفاة، فلا يكون في خطبتها اعتداء على حق الزوج ولا إضرار به؛ والبناء بها يكون بعد انقضاء العدة. قال تعالى: ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

(ب) المعتدة بسبب الطلاق الرجعي، وهذه تَحرُمُ خطبتُها تصريحًا أو تعريضًا؛ لأنَّ لمن طلقها الحق في مراجعتها أثناء العدة فتكون خطبتها اعتداءً على

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٦٤٩٢).

حقه فهي زوجة، أو في معنى الزوجة لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ (البقرة: ٢٢٨).

(جـ) المعتدة بسبب الطلاق البائن وهذه يجوز خطبتها بالتعريض دون التصريح لأنَّ بينونتها الكبرى أعطتها الانفصال التام عن زوجها فهي كالمتوفَّى عنها زوجها[١].

الرابع. لا يخطب الرجل على خطبة أخيه: يَحرمُ على الرجل أن يتقدم لخطبة امرأة مخطوبة لغيره، فقد أجمع العلماء على تحريم الخِطبة الثانية، وذلك لورود النهي الصريح في الحديث الشريف «نهى النبيُّ ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب الرجل على خِطبة أخيه حتى يترك الخاطبُ قبله، أو يأذنَ له الخاطبُ»[٢].

وقال ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن لا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**»[٣]، ففي هذين الحديثين ورد النهي التام عن حرمة خطبة الرجل على خطبة أخيه المسلم.

قال الشافعي - رحمه الله - في معنى هذا الحديث: «إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه فليس لأحد أن يخطبَ على خِطبته، فإذا لم يعلم برضاها ولا ركونها فلا بأس أن يَخطبها، وإذا خطبها الثاني بعد إجابة الأول

---

(١) «الدر المختار» (٢/ ٣٨٠)، و«الشرح الصغير» (٢/ ٣٤٣)، و«المحلى» (٩/ ٦٨)، و«المهذب» (٢/ ٤٧)، و«الفقه الإسلامي وأدلته» (٩/ ٦٤٩٨).

(٢) رواه البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢)، وأبو داود (٢٠٨١)، والترمذي (١٢٩٢)، وابن ماجه (١٨٦٨)، النسائي (٣٢٣٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (١٧١٥) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وعقد عليها أثِمَ، والعقد صحيح لأن النهي عن الخِطبة وليست شرطًا في صحة الزواج فلا يفسخ بوقوعها» اهـ(١).

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولا يحل لمسلم أن يخطب على خِطبة مسلم سواء ركنا وتقاربا، أو لم يكن شيء من ذلك، إلا أن يكون أفضل لها في دينه وحسن صحبته، فله حينئذٍ أن يخطب غيره ممن هو دونه في الدين وجميل الصحبة ثم أورد ـ رحمه الله ـ الأثر الصحيح في حديث فاطمة بنت قيس حين خطبها ثلاثة معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد فاختار لها الرسول ﷺ أسامة بن زيد فيقول ابن حزم: فهذا رسول الله ﷺ أشار عليها بالذي هو أجمل صحبة لها من أبي جهم الكثير الضرب للنساء وأسامة أفضل من معاوية(٢).

خامسًا ـ حكم النظر إلى المخطوبة وشروطه: النظر إلى المخطوبة يكون قبل الخِطبة ويكون بعدها.

أولاً ـ النظر إلى المرأة قبل خطبتها:

يجوز شرعًا ويستحب أن ينظر الرجل إلى المرأة التي يريد خطبتها قبل الكلام عليها والذهاب إليها ويكون هذا النظر إليها بغير إذنها وليس هذا من النظر المحرم للنساء، بل هو من المستحب لأجل دوام العشرة بينهما.

وجواز النظر إلى المخطوبة عامةً قال به أكثر أهل العلم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والظاهرية، وهو قول ابن المنذر وبه قال الأوزاعي،

---

(١) «سنن الترمذي» (٣/ ٤٤٠/ ١١٣٤)، «باب ما جاء أن لا يخطب على خِطبة أخيه»، «فتح الباري» (٩/ ١٩٩) قوله: «باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع...».

(٢) «المحلى» (٩/ ١٦٥)، وحديث فاطمة بنت قيس رواه مسلم (١٤٨٠)، وأبو داود (٢٢٨٤)، والترمذي (١١٣٥).

والثوري، وإسحاق، قال ابن قدامة في (المغني): «لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها» (المغني/٩/٤٨٩).

أمَّا عن الرؤية التي تكون قبل الخطبة فقال بها الحنابلة والشافعي (انظر «الإنصاف» ٨/١٨)، و(«منهاج الطالبين» ٩٥).

وحكمة النظر للمرأة قبل خطبتها بدون إذنها وعلمها هو مراعاة شعور المرأة وأسرتها، فإذا أعجبته تقدم لخطبتها من غير إيذاء لها وإحراج لأسرتها، وإذا لم تتم الخطبة والزواج لا يُقال الفتاة خطبت ثم فسخت خطبتها، وتكثر سيرتها بين الناس مما يخدش حياءها وكرامتها.

وفي ذلك أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها:

١ ـ عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: خطبت امرأة فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها، فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟! فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئٍ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها»[1].

٢ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدُكم المرأةَ فإن استطاع أن ينظرَ إلى ما يدعوه إلى نِكاحِها فليفعل» قال فخطبت جارية، فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزوجتها[2].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٨٦)، وأحمد (٤/٢٢٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٥١٩)، ورواه الحاكم والبيهقي، كلهم من حديث محمد بن مسلمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٩)، و«الصحيحة» (٩٨)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٨٢)، وأحمد (٣/٣٣٤)، والحاكم (٢/١٦٥)، والبيهقي (٧/٨٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٦)، و«الصحيحة» (٩٩)، و«الإرواء» (١٧٩١).

٣ ـ وعن أبي حميد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته وإن كانت لا تعلم»[١].

ثانيًا ـ النظر بعد الخطبة:

وهذا النظر لا بد منه حتى يؤدم بينهما، وحينئذٍ يجوز للمرأة في أقل ما يكون أن تكشف وجهها للخاطب، وكذلك يدها، وللخاطب أن ينظر للمرأة ويتعرف عليها وفي ذلك أحاديث منها:

١ ـ عن المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[٢].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنّه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها؟» قال: لا. قال: «فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا»[٣].

سادسًا ـ مقدار ما يباح النظر إليه: ليعلم الخاطب، ولتعلم المخطوبة أنّ كلًّا منهما ما زال أجنبيًّا بالنسبة لصاحبه فلا يجوز لهما أي شيء من الخلوة، ولا السلام بالمصافحة، ولا ظهور شيء للخاطب سوى الوجه والكفين، وقد بوّب مسلمٌ بابًا في صحيحه قال: «باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٧)، و«الصحيحة» (٩٧).

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٧)، وابن ماجه (١٨٦٦)، والنسائي (٣٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٨٦٨).

(٣) رواه مسلم (١٤٢٤).

تزوجها»، إن هذا الكلام صار غريبًا في عصر اعتاد الناس فيه معصية الله بجهلهم، فقد رأينا الخاطب يمشي مع مخطوبته، يده في يدها، كاشفة الشعر أمامه، وربما خلا بها، وهذا عند الكثير أمر عادي وهين، ولكنه عند الله كبير، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥).

يحكي لي أحد المسلمين أنَّه كان سيخطب فتاة هي ابنة خاله وكانت تدعي الصلاح والتقوى وتتظاهر بهذه الأشياء أمامه، وقد كلمها أنه سيخطبها، وحدثت أمور وخُطبت هذه الفتاة لغيره، وفجأة ينكشف المستور، فقد علم أنَّ هذه الفتاة ذهبت إلى الكوافير، وخلعت حجابها ومن قبله خلعت حياءها، وفعلت في نفسها ما فعلت، فأصبحت شيطانة تتزين لشيطان مثلها، ووضعت الروائح ولبست ملابس خليعة تظهر عورتها، ثم جعلت خطيبها يُمسك بيدها ويلبسها الدبلة وتلبسه الدبلة و. . . و. . . و. . . . . !!؟؟

إن الإسلام حفظ للمرأة حياءها ومكانتها فليست الخطبة إلا مجرد وعد بالزواج فقط، والخطبة لا تحل شيئًا للزوج فهو ما زال أجنبيًا عنها فهل يفهم المسلمون الإسلام؟

ما الذي يراه الخاطب من المخطوبة؟

أكثر الفقهاء على أن للخاطب ينظر إلى من يريد خطبتها في حدود الوجه والكفين فقط؛ لأنَّ رؤيتهما تحقق المطلوب من الجمال وخصوبة الجسد. فالوجه يدل على الجمال، والكفان يدلان على خصوبة البدن.

وأجاز أبو حنيفة النظر إلى قدميها.

وأجاز الحنابلة النظر إلى ما يظهر عند القيام بالأعمال وهي ستة أعضاء: الوجه، والرقبة، واليد، والقدم، والرأس، والساق.

وبالجملة فللخاطب النظر إلى مخطوبته بما يحسنها في نظره، ويجعل لنفسه قبولاً إليها، دون التجاوز الشرعي، بحيث لا يكون النظر للشهوة والتلذذ والعورات، وله أن يُرسل امرأة تعرف منها ما لا يستطيع معرفته الرجل، بأن يرسل أمه أو أخته لتعرف من المحاسن ما لا يستطيع الرجل الوقوف عليه.

رؤية المخطوبة للخاطب وحقها في ذلك:

ظاهر الأحاديث الواردة في الرؤية تدل بلفظها على أن الرؤية تكون من الخاطب للمخطوبة، وليس هناك أحاديث تخص المخطوبة برؤيتها للخاطب وهذا لا يمنع من جوار رؤية المخطوبة للخاطب؛ لأنَّ ما يخاطب به الرجل غالبًا تخاطب به المرأة، وإذا ما كان هناك تخصيص في الأحكام فلا بد فيه من دليل يخصصه إذ أن الأصل في الأدلة العموم.

فكما يجوز للرجل النظر إلى المرأة المراد نكاحها، فكذا للمرأة الحق في أن تنظر إلى الرجل عند إرادة النكاح مثل الرجل[1]، ونستطيع أن نؤكد حق المرأة في رؤية الخاطب بما يلي:

١ ـ أن الأصل في الأدلة العموم، لأنَّ ما يخاطب به الرجل تخاطب به المرأة غالبًا إلا ما كان من تخصيص، وهذا عام في الأمور الشرعية.

٢ ـ أن الزواج عقد من العقود الهامة التي يقصد منها الدوام والاستمرار، فلا بد أن يكون العاقدان كلاهما معًا على معرفة تامة بما هما مقدمان عليه.

٣ ـ أن الرسول ﷺ قد نص على العلة التي من أجلها شرع النظر وذلك في قوله ﷺ: «فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»، وفي قوله ﷺ: «فإن في أعين

(١) «روضة الطالبين» (٧/ ٢٠)، «مغني المحتاج» (٣/ ١٢٨).

الأنصار شيئًا»، وهذه العلة مشتركة بين الرجل والمرأة فيثبت الحق للمرأة من طريق القياس(١).

٤ ـ أن المرأة وإن كانت في الأصل محلًّا للمتعة فإنها هي الأخرى تتمتع بالرجل، ولذلك فإنها تتطلع إلى صفات ترغبها في الرجل كما أنه هو يتطلع إلى صفات يرغبها فيها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح إنهن يحببن ما تحبون»(٢).

سابعًا ـ تحريم الخلوة بالمخطوبة: سبق أن عرفنا أن الخاطب أجنبي عن المخطوبة، ويأخذ حكم الرجل الغريب في كل شيء حتى يتمَّ له العقد والزواج.

فالخطبة ليست زواجًا، وإنما هي مجرد وعد بالزواج، فلا يترتب عليها شيء من أحكام الزواج، وبناءً على ذلك تحرم الخلوة بالمرأة المخطوبة حتى يُعقد عليها، ولا يجوز الخروج معها بلا محرم، وغير ذلك من الأمور المحرمة.

قال رسول الله ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة لا تحل له، فإنَّ ثالثهما الشيطان»(٣)، وقال ﷺ: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»(٤)، وقال ﷺ: «لا تَلجِوا على المغيبات؛ فإنَّ الشيطان يجري في أحدكم مجرى الدم»(٥)، وقال ﷺ: «لا يدخلنَّ رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل، أو اثنان»(٦).

(١) «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٣٧٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١٥٨)، وانظر كتاب «أحكام النظر للمخطوبة» د/ الحسون.

(٣) رواه الترمذي (٢١٦٥)، في جزء من حديث «باب ما جاء في لزوم الجماعة»، وابن ماجه (٢٣٦٣)، من حديث عمر بن الخطاب، ورواه أحمد (٣/ ٤٤٦، ٣٣٩) من حديث عامر بن ربيعة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٦ - ٣)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه الترمذي (١١٧٢)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٦) رواه مسلم (٢١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ورواه الترمذي بنحو هذا المعنى (٢٧٧٩)، «باب ما جاء في النهي عن الدخول على النساء»، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: «نهانا رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بغير إذن أزواجهن».

فليس لأحد حجة بعد هذه الأحاديث في جواز الخلوة بالمرأة الأجنبية، فالبعض يدَّعي حفظها وصحبتها، ومن هنا يكون الفساد العريض.

ولا يجوز شرعًا خروج الخاطب مع خطيبته بدون محرم إلى الأماكن العامة، ومن أشهرها عندنا في مصر «البُرج»، و«كورنيش النيل» فبمثل هذه الأمور تتأثر سمعة الفتاة عند الناس وخاصة إذا فُسخت الخِطبة.

ثامنًا ـ الاستخارة في الزواج: يُستحب لمن أراد الزواج والتقدم لخطبة امرأة أن يصلي ركعتين من دون الفريضة، ويدعو بدعاء الاستخارة، وهذه الاستخارة تكون بعد وجود الشروط الأساسية في اختيار الزوجة الصالحة، ثم مشاورة أهل التقوى والصلاح، فإن تمَّ له ذلك صلَّى صلاة الاستخارة؛ وهي طلب الخير من الله والدعاء بالتوفيق فيما يحبه ويرضاه.

فعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول: **«إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجله ـ فيسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر شر لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجلة أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»**، قال: **«ويسمِّي حاجته»**[(١)].

---

(١) رواه البخاري (١١٦٢)، (٦٣٨٢)، والترمذي (٤٨٠)، وابن ماجه (١٣٨٣)، والنسائي (٣٢٥٣) من حديث جابر بن عبد الله ﵄.

ويقول هذا الدعـاء الرجل والمرأة، كذلك ويكون بعد التسليم وقـبل التسليم فأيهـما فعل فصـحيح، ولا يشتـرط أن تكون هناك علاقة بين الاستـخارة وبين الرؤيا في المنام، فلا يلزم من الرؤيا حكم شرعي، فمتى وجِدَ انشراح في الصدر فليقدم عليه وإلا فلا إقدام.

تاسعًا ـ العدول عن الخطبة وأثره: الخِطبة ليست عـقدًا، وليست بلازم للزواج ويجوز العـدول عنها؛ لأنها بمثابة الوعـد ولكن ليس من الأدب والأخلاق نقض هذه الخطبة بدون سبب مقبول شرعًا وعرفًا.

فإذا فُسخت الخِطبة فلا يترتب على ذلك أحكام شرعية إلا ما كان من جواز التقدم لخطبتها من غير هذا الخاطب بعد تركه لها، أما ما قدمه الخاطب من ذهب فله أن يأخذه ،سواء كان هالكًا أم قائمًا فإن هلك أخذ قيمته.

وأما الهدايا التي أحضرها الخاطب لمخطوبته فهي هبة عند الأحناف، ويجوز أخذها إذا كان مما يستمر ويحفظ ولم يستهلك.

أمـا إذا استُـهلك كالطعـام والملبس فليس له أخـذه، وذهب الحنابلة إلى أن الهدايا قبل العقد يرجع بها الخاطب وتُردُّ عليه.

وذهب الشـافـعـيـة أن للخـاطب الرجـوع بما أهـداه؛ لأنه إنما أنفق لأجل تزوجها؛ فيرجع إن بقي، فإن هلك لا ترد قيمته له.

وقال المالكية: إن كان العدول من جـهة الخاطب فلا يرجع بشيء، وإن كان العدول من جهة المخطوبة استرد الخاطب ما أهداه.

والحق في هذه المسألة أن الهدايا منها ما يمكن رده فهذا يأخذه الخاطب، ومنها ما استُهلك لا يمكن رده فهذا لا يأخذه الخـاطب، وللعرف مقياس في هذه الأمور

فعلى حسب ما تعارف عليه الناس فيما بينهم يُعمل به في هذه المسألة ما دام لا يخالف هذا العرف حكم الشرع.

عاشرًا. دبلة الخطوبة وبدعتها: هذا ما يُسمى في عرفنا «بدبلة الخطوبة» لا نعرف لها أصلاً في الإسلام فهي من البدع الجديدة الداخلة على المسلمين.

وهي عادة سيئة منقولة عن النصارى فليست من الإسلام في شيء، فإنهم يعتقدون أنّ في الإصبع الذي تكون فيه «هذه الدبلة»، عِرقًا يوصل للقلب، ولذلك يكتبون اسم الخاطب على الدبلة حتى يصل اسمه إلى القلب فلا يخرج منه أبدًا، وهذا اعتقادهم الخاطيء وتحريفهم للدين في عدم الزواج وحرمته إلا من زوجة واحدة فقط[1].

فإياك يا أخي أن تقع في هذه البدعة فلا تشترِ دبلة لا لخطيبتك ولا لنفسك ولا تتشبه بغيرك[2].

وأخيرًا ننصح الخاطب والمخطوبة بالذهاب إلى الطبيب للفحص الطبي للتأكد من الخلو من الأمراض التي تسبب الإعاقة بين الزوجين في إنجاب الأولاد ولمعرفة الأمراض المتوارثة بينهما حتى يُخرجا لنا جيلاً صحيحًا لهذه الأمة فهذا الفحص ليس حرامًا بل هو مباح إن شاء الله تعالى حتى يقف كل من الخاطب والمخطوبة على معرفة حقيقة صاحبه حتى تدوم وتستمر السعادة بينهما «فلا ضرر ولا ضرار».

---

(١) انظر «آداب الزفاف» للألباني (ص١٤٠-١٤٢)، فقد بسط القول في حكم خاتم الخطبة أو الدبلة.

(٢) هذا الأمر يلزم فيه الحكمة، لأنّ عادة الناس طاغية في مثل هذا بوجوب شراء دبلة الخطوبة فنرجو التنبه إلى عدم التشدد في منع وجودها، فإن أمكن بلا مشاكل فهذا خير، وإن لم يتمكن الخاطب من ذلك فلا شيء عليه إن شاء الله تعالى؛ لأنها ليست من المحرمات.

دعوة إلى تيسير الزواج

إن الزواج عبادة يصل بها العبد إلى مرضات الله تعالى، وهذه العبادة يسَّرها الله على خلقه، فيستطيع أكثر الناس الزواج ولكن إذا فهموه بمعناه الديني لا الدنيوي، إنّ العبد الذي يريد الزواج للعفاف، والطاعة لله ورسوله ﷺ فهو الموفق إن شاء الله تعالى لأنّ الله وعد ذلك العبد بإعانته على هذه الطاعة.

لقد كان الزواج في صدر الإسلام والقرون الصالحة من بعده من أيسر ما يكون على الخلق؛ لأنهم كانوا يتزوجون لله، ولم تكن للدنيا مكانة في قلوبهم كما هو الحال الآن، ولقد شرع الإسلام المهر للمرأة ولكنه لم يُعيِّنه فكلٌ على حسب حاله، فقد جعل الإسلام المهر تقديراً للمرأة وحفاظًا عليها، لا قيمة لها؛ لأنها ليست سلعة تُباع وتشترى، ولو كانت المرأة قيمتها في مهرها فكم يكون قيمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ التي تزوجت من علي رضي الله عنه بأقل ما يكون من مهر تزوجت به امرأة في تاريخ النساء وهي سيدة نساء أهل الجنة.

فيا أولياءَ الأمور يسِّروا الزواج على شباب المسلمين ولا تطالبوهم بما هو فوق طاقتهم، واجعلوا مهر ابنتكم صلاح دين الرجل وسمو خلقه، ولتعلم الفتاة المؤمنة أنّ مهرها وقيمتها الحقيقية إنما يكون في حسن معاملة الزوج لها، ولو عقلت النساء لعلمت أن مهرها يكون بعد الزواج لا قبل الزواج وذلك في صلاح زوجها وحسن معاشرته لها.

ما قيمة أن يعطي الرجل المرأة المهر الغالي، ويدفع لها الملايين والآلاف من الأموال، ثم هو يعاملها معاملة الوحوش لا يتقي الله فيها، هل تنفعها هذه الأموال؟ هل أكرمها بهذا المال؟ إنها بعد ذلك تتمنى أن تفارقه ولو قدمت له وزن الأرض ذهبًا.

تيسير الإسلام للزواج:

لقد رغب الإسلام في التيسير والتسهيل للزواج، وجعل حقيقة الارتباط بين الزوجين في صلاح كل منهما للآخر في الدين والأخلاق، ولم يجعل الإسلام المهر والصداق عقبة في الزواج، فيجوز تأجيل المهر بعد الزواج ويجوز أن يكون مهر المرأة تعليمها، ولم يحدد الإسلام قيمة المهر للنساء، وبذلك يسر الإسلام الزواج ولكنه طالب المرأة أن تحرص على أن تأخذ مهر الدين والأخلاق.

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**خير النكاح أيسره**»(١)، وفي رواية: «**خير الصداق أيسره**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ من يُمنِ المرأةِ تيسيرَ خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها**»(٣).

وقال ﷺ: «**يمن المرأة خفةُ مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها**»(٤).

فقد جعل النبي ﷺ خير الزواج ما كان فيه اليُسر والتسهيل وعدم المغالاة وجعل هذا من بركة الزواج ويُمنها وتقريب للأرحام.

---

(١) رواه أبو داود (٢١١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٠٠)، و«الصحيحة» (١٨٤٢).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٨٩)، وابن حبان (١٢٦٢)، والحاكم (٢/ ١٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٧٩)، و«الإرواء» (١٩٢٤) من حديث عقبة بن عامر.

(٣) رواه ابن حبان (١٢٥٦)، وأحمد (٦/ ٧٧)، والبيهقي (٧/ ٢٣٥)، والحاكم (٢/ ١٨١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٣٥)، و«الإرواء» (١٩٨٦).

(٤) رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٨٤٢)، انظر الشاهد السابق.

إنّ الإسلام لم يمنع المرأة حقها في المهر، فقد أوجب على الرجل المهر للزوجة سواءً كان قليلاً أو كثيراً، ولا يجوز للرجل أن يأخذ هذا المهر منها مرة أخرى ولا الأخذ منه إلا بإذنها ورضاها.

فلا نقول تزوجوا النساء بدون مهر لأن هذا حق أوجبه الله لها، ولكن نقول يسروا هذا المهر على المسلمين، وحقها في المهر واجب في الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء:٤)، وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:٢٥)، وقوله تعالى: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء:٢٤).

ومن السنة: حديث أنس في قصة زواج عبد الرحمن بن عوف أنّه قال لرسول الله ﷺ: تزوجت امرأة، فقال لي: «ما أصدقتها»، قال: وزن نواة من ذهب، فقال: «بارك الله لك أولم ولو بشاة»[1].

وعنه رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ أعتق صفية وجعل عتقَها صَدَاقَها[2].

فقد أوجب الإسلام المهر على الرجل ولو كان شيئًا يسيراً كما قال النبي ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد»[3].

المهم أن يُسمّي الرجل لها مهراً، ولا يجوز للرجل أخذ هذا المهر منها بعد ذلك إلا بطيب خاطرها ورضاها، قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

---

(١) رواه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧)، وأبو داود (٢١٠٩)، والترمذي (١٠٩٤)، والنسائي (٣٣٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٧١)، و(٥٠٨٦)، ومسلم (١٤٢٧)، بإثره (١٣٦٥)، وأبو داود (٢٠٥٤)، والترمذي (١١١٥)، وابن ماجه (١٩٥٧)، والنسائي (٣٤٤٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (١٤٢٥)، وأبو داود (٢١١١)، والترمذي (١١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٩)، والنسائي (٣٢٠٠) من حديث سهل بن السهل الساعدي رضي الله عنه.

﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، فلا يكون أخذ مهرها ناتجًا عن الخوف والخجل قال ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[(١)].

التحذير من إضاعة حق المرأة في مهرها:

لقد حرص الإسلام على حماية المرأة في حق تملكها للمهر وتوعَّدَ رسول الله ﷺ من يضيع هذا الحق بأشد الوعيد:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أعظمَ الذُّنوب عند الله، رجلٌ تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقَها وذهبَ بمهرها»[(٢)].

والحالة الوحيدة التي تعطي فيها المرأةُ مهرها هي حالة الخُلع وذلك جائز بأن تطلب المرأة مفارقة زوجها مقابل ما تبذله من مال له بسبب كراهية تؤدي إلى تضييع حقوق الزوج وحسن معاشرته[(٣)].

---

(١) رواه ابن حبان (١١٦٦)، وأحمد (٥/ ٤٢٥) من حديث أبي حميد الساعدي بلفظ: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه»، وذلك لشدة ما حرم رسول الله ﷺ من مال المسلم على المسلم»، ورواه الدارقطني (٣/ ٢٦)، من حديث حنيفة الرقاشي، والبيهقي (٦/ ١٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٦٢)، و«الإرواء» (١٤٥٩)، و«المشكاة» (٢٩٤٦).

(٢) رواه البيهقي، والحاكم (٣/ ٨٢)، وقال: صحيح على شرط البخاري، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٦٧)، و«الصحيحة» (٩٩٩).

(٣) الخلع: هو الافتداء إذا كرهت المرأة زوجها فخافت أن لا توفيه حقه أو خافت أن يبغضها فلا يوفيها حقها، فلها أن تفتدي منه ويطلقها، إن رضي هو، ولها أن تفتدي بجميع ما تملك، انظر «المحلى» (٩/ ٥١٣-٥١٧). وأول خلع وقع في الإسلام هو ما كان من حبيبة بنت سهل وزوجها ثابت بن قيس رضي الله عنهما حيث قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إني لا أعتب على ثابت بن قيس في دين ولا خلق ولكني لا أطيقه، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟». قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ لقيس: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة». رواه البخاري (٥٢٧٣) وما بعده، وأبو داود (٢٢٢٩) والترمذي (١١٨٥).

نماذج عملية لتيسير الزواج في الإسلام:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب يومًا عن مغالاة المهور فقال: «لا تغالوا في صدقات النساء، فإنَّ ذلك لو كان مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله، لكان أولاكم به رسول الله ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أُصدقت امرأة من بناته، أكثر من ثنتي عشرة أوقية»(١).

فهل سمع المتشددون في مغالاة المهور هذا الحديث وهل فقهوا مكانتهم بجانب مكانة النبي ﷺ وأزواجه وبناته رضي الله عنهن.

من تكون ابنته بجانب بنت رسول الله ﷺ؟ وكم تكون من يتزوجها بجانب أزواج النبي ﷺ؟ فلو كانت المهور وكثرتها منقبة تُمدح به المرأة لكان الأولى به أزواج النبي ﷺ وبناته، ولكن علو المهر ومغالاته لتعبير حقيقي عن خيبة المرأة التي ترفع من شأن نفسها بالمال كحال السلع المبتاعة.

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ: «وفي هذا النص من أمير المؤمنين رضي الله عنه إبطال صريح لما يتوهمه الذين لا يفقهون من أن غلاء المهور مكرمة لها في الدنيا إذ لو كان كذلك لكان أحق الناس بهذه المكرمة رسول الله ﷺ الذي تزوج وزوّج بمهر لا يتجاوز اثنتي عشرة أوقية، ومن الأمور المسلمة أن الشرف والمكرمة إنما يكون في البذل والعطاء والمسامحة والتيسير على الآخرين، وليس في الأخذ والطلب منهم، والتشديد عليهم، وهذا هو شأن الفضلاء والكرماء، لا يرون كثرة الصداق في نفوسهم شيئًا، وإنما همٌّ الكريم اختيار الكفء لموليته، الذي يتقي الله فيها وهذا هو النكاح الجدير باليمن والبركة» اهـ(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والنسائي (٣٣٤٩)، وابن حبان (١٢٥٩)، وأحمد (١/ ٤٠)، والحاكم (٢/ ١٧٥)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٩٢٧).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٠٣-٣٠٦).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشًّا قالت: «أتدري ما النَّشُّ»؟ قلت: لا، قالت: «نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم»[1].

فهذا خير خلق الله كلهم أجمعين، وأفضلهم وأكرمهم على الإطلاق هكذا تزوج وبمثل هذا كان مهره لأزواجه، والله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها، وأراد أن يدخل بها قال له رسول الله ﷺ: «أعطها شيئًا» قال: ما عندي شيء، قال: «أين درعك الحُطمية»؟ فأعطاها درعه[2].

إنني أسأل كل فتاة من أنت بجانب سيدة نساء أهل الجنة، فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأسأل كل أب وولي أمر المرأة من تكون ابنتك ومن تكون وليتك بجانب فاطمة بنت محمد ﷺ؟

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٦)، وأبو داود (٢١٠٥)، وابن ماجه (١٨٨٦)، والنسائي (٣٣٤٨).
- النَّشُّ = ٢٠ درهمًا = ٢٠ X ٢,٩٧ = ٥٩,٤ جرامًا.
- الأوقية = ٤٠ درهمًا = ٤٠ X ٢,٩٧ = ١١٨,٨ جرامًا.
- النواة =٥ دراهم = ٥ X ٢,٩٧ = ١٤,٨٥ جرامًا.
انظر «عودة الحجاب» (٢/ ٣٠٦)، نقلاً عن «المقادير الشرعية» (ص١٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٢١٢٥، ٢١٢٦)، والنسائي (٣٣٦١)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٥٥)، وقال عبد القادر الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، وذلك في «جامع الأصول» حديث رقم (٤٩٩٤) (٧/ ٢١)، دار الفكر.
والحُطمية: درع تكسر السيوف، وقيل: العريضة الثقيلة، وقيل: إنها منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال له حُطمة بن محارب، كانوا يعملون الدروع، انظر «عون المعبود» (٦/ ١٢٨)، «جامع الأصول» (٧/ ٢١).

يا الله! أفضل امرأة في زمانهـا، وسيدة نساء أهل الجنة، وأم أبيها وحبيبته المقربة إلى قلبـه، وأم سيدي شـباب أهل الجنة هذا مـهرها، وهذا صداقـها درع حُطمية، ليس أموالاً طائلة وليس ذهبًا وليس قصراً مشيداً!!!

لقد جعل النبي ﷺ مـهرها الحقيقي في زواجهـا من هذا الرجل العملاق المبـشـر بالجنة وهو يمشي علـى الأرض، إنَّه علي بن أبي طـالب ﷺ إنَّه لما صلحت الأرض وصلح الماء والأيدي العـاملة كان الزرع والحصـاد الطيب الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

وهذا عبد الرحـمن بن عوف ﷺ الذي أصبح فيمـا بعد من أغنياء وأثرياء الصـحابة، لما تزوج في بـداية أمره تزوج بوزن نواة من ذهب قـومت بخـمسـة دراهم ودعا لـه النبي ﷺ بالبركـة فكانت الدعوة المستجـابة بأن أصبح عـبد الرحمن بن عوف بعد ذلك من أثرياء الصحابة.

عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ النـبيَّ ﷺ رأى على عبد الرحـمن بن عوف أثـر صُفـرة فـقـال: «ما هذا» ؟ قـال: يا رسول الله إني تزوجـت امـرأة من الأنصار، قال: «كم سُقت إليها» . قال: زنة نواة من ذهب، قال: «بارك الله لك اولم ولو بشاة»[(١)].

امـرأة مهـرها الإسلام: خطب أبو طلحة أم سُـليم «الرميصـاء» قبل أن يسلم فقـالت: أما إني فـيك لراغبـة وما مثلـك يُرد، ولكنك رجل كافـر، وأنا امرأة مسلمة لا يحل لي أن أتزوجك.

فقال: ما دهاكِ يا رميصاء؟

قالت: وما دهاني؟

---

(١) رواه البـخاري (٥١٥٥)، ومـسلم (١٤٢٧)، وأبو داود (٢١٠٩)، والتـرمذي (١٠٩٤)، والنسـائي (٣٣٥١).

قال: أين أنت من الصفراء والبيضاء «يريد الذهب والفضة».

قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني عنك شيئًا، أما تستحي أن تعبد خشبة من الأرض تجرها حبشي بني فلان؟ إن أنت أسلمت فذلك مهري، لا أريد الصداق غيره.

قال: ومن لي بالإسلام رُميصاء؟

قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فاذهب إليه. فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ وكان جالسًا في أصحابه فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غُرةُ الإسلام بين عينيه»، وأسلم أبو طلحة أمام النبي ﷺ وأخبره بما قالت الرميصاء فزوجه إياها على ما شرطت[(١)].

وقال أنس رضي الله عنه تزوج أبو طلحة أم سُليم فكان صداق ما بينهما الإسلام: أسلمت أم سُليم قبل أبي طلحة فخطبها، فقالت: إني أسلمت فإن أسلمت نكحتك. فأسلم فكان صداق بينهما[(٢)].

ما أعقلها من امرأة هذه المرأة إنّها «الرميصاء» التي رآها النبي ﷺ في الجنة قال ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فسمعتُ خَشفةً فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذه الرُّميصاءُ بنت ملحان أمُّ أنس بن مالكٍ»[(٣)].

بل إنَّها أخذت مهراً لا تتحصل عليه امرأة في الدنيا إنه أغلى مهر وأثمن صداق عُرف لدينا إنه الإسلام لقد طلبت المرأة الإسلام من الرجل فكان أغلى مهر في الإسلام.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩-٣٠)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٤٢٧)، و«جامع أحكام النساء» (٢/ ١٠١٢)، والنسائي (٦/ ١١٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٩)، و مسلم (٢٤٥٦-٢٤٥٧).

امرأة مهرها تعليم القرآن: لقد وصل من يسر الإسلام في الزواج أنّه رخص للفقير والمعسر الذي لا يمتلك صداقًا ولا مالاً أن يتزوج بما معه من القرآن فهذا يكون صداقه فسبحان من رفع أهل القرآن في الدنيا والآخرة.

عن سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئتُ أهبُ لك نفسي. فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعَّدَ النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأتِ المرأة أنَّه لم يقض فيها شيئًا، جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: **«هل عندك من شيء؟»**، فقال: لا، والله يا رسول الله!، فقال: اذهب إلى أهلك، فانظر هل تجد شيئًا؟»، فذهب ثم رجع، فقال: لا، والله! ما وجدتُ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: **«انظر ولو خاتمًا من حديد»**، فذهب ثم رجع فقال: لا، والله! يا رسول الله ولا خاتم من حديد، ولكن هذا إزاري ـ قال سهل: ما له رداء ـ فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: **«ما تصنع بإزارك؟ إن لَبِسْتَهُ لم يكن عليها من شيء، وإن لَبِسَتْهُ لم يكن عليك منه شيء»**، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا فأمر به فدُعِيَ، فلما جاء قال: **«ماذا معك من القرآن؟»**، قال: معي سورة كذا وسورة كذا، (عدَّدها)، فقال: **«تقرأهنَّ عن ظهر قلبك»**، قال: نعم، قال: **«اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**[(١)].

وقد جاء هذا الحديث من عدة روايات أخرى كلها صحيحة تدور حول هذا المعنى في جواز زواج المعسر بما معه من القرآن وذلك هو الشاهد من الحديث.

---

(١) البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (١٤٢٥) واللفظ له، وأبو داود (٢١١١)، والترمذي (١١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٩)، والنسائي (٣٢٠٠).

عاقبة مغالاة المهور وتعسير الزواج

هل يستوي من تزوج بيُسر وسهولة مع من وجد مشقة في إحضار المهر وتعسير الزواج حتى أجهد نفسه وأتعب جسده؟

هل تستوي فتاة أراحت خطيبها وسهلت عليه أمور الزواج مع فتاة طالبت وأرادت، وأرادت؟ ويا ليتها أرادت دينًا ولكنها تريد حطام الدنيا.

أيهما ستُحمد عقباها بعد الزواج وتكون أسعد وأهنأ مع زوجها؟

هل تستوي عائلة يسرت، وأبٌ سهَّل وأم أعانت على تسهيل وتيسير الزواج بعدم تكليف الرجل فوق ما لا يطيق؟ مع عائلة طالبت الزوج بأشياء وأشياء وعسرت عليه حتى عمل وعمل كي يرضيَ رغباتهم؟

إن العائلة التي تتشدد على الزوج خسرت كثيراً وكثيراً خسرت الاحترام من هذا الزوج، وخسروا نصيبًا كبيراً من سعادة ابنتهم لأنّ الرجل سيتعامل معها على وفق الطباع التي عرفها عنها قبل الزواج من المادية والأنانية.

خسروا كذلك صلة الرحم مع ابنتهم لأنّ مثل هذا الزوج يريد الزواج من الفتاة ثم لا يعود لأهلها مرة أخرى، فهل عقل الناس الفوائد الراجحة في يسر الزواج كي تستمر الصلة بين الناس، قال الرسول ﷺ: **«إنّ من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»**(١).

(١) رواه ابن حبان (١٢٥٦)، وأحمد (٦/ ٧٧)، والبيهقي (٧/ ٢٣٥)، والحاكم (٢/ ١٨١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٣٥)، و«الإرواء» (١٩٨٦).

فمن العلماء من قال تيسير الرحم للولادة، ويجوز أيضًا تيسير رحمها أي باستمرار العلاقة وصلة الأرحام بينهما وبين أهلها وذلك بما يكون من حب الزوج لأهلها.

البعض يظن أن مغالاة المهور من الرفعة للمرأة وزيادة التمسك بها، وهذا فهم خاطئ جداً، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: «من أول شؤم المرأة كثرة صداقها».

فمن ظنّ أن كثرة مهر المرأة وصداقها يعني صونها واحترامها؛ فقد اعتقد زورًا ومهره هذا يكون بورًا وصاحبته تدعو ثبورًا. يقول خائبهم:

مهر الفتاة إذا غلا صون لها	من أن يبُتَّ عشيرها تطليقَها
يَهوى الفِراقَ وخَاف من إغرامِه	فَأدَامَ في أسبَابِه تعليقَها
ولربما وَرِثَتْه أو سَبَقَتْ بِهَا	أقدار ميتَتِها فكَان طليقَها

إنّ المغالاة في المهر تثير الحقد والغضب والعداوة في نفس الخاطب كما بين ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، وإنّ من أراد أن يكون نكاح ابنته ميمونًا عظيم البركة فعليه أن يسعى إلى ذلك بتيسير الزواج تصديقًا لقول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: «إنّ أعظم النكاح بركةً أيسرُه مؤنة»[(١)]، وليعلم الآباء الذين ينظرون إلى بناتهم نظرتهم إلى السلع المبيعة والذين يتوهمون أن في رفع مهور بناتهم ضمانًا لمستقبلهن، ليعلم هؤلاء أن الذي يكره زوجته ويريد طلاقها لا يمكن أن تقف مشكلة المال في وجهه، إذا كان ميسور الحال وإلا فربما زين الشيطان له أن يعضلها فيضر بها حتى تفتدي نفسها منه،

(١) رواه أحمد (٦/ ٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٩٦)، وابن معين في «تاريخه» (٤/ ١٠٢)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١/ ٢٠٢) من حديث عائشة ﵂.

أو خداعها بالمكر والخلابة فيعود الحال إلى نقيض ما قصده أبوها، بشؤم المغالاة في المهور والزواج[(١)].

والنبي ﷺ لا يحب كثرة المهور ولا يرضاه فقد جاء رجل من الصحابة يستعينه فقال رسول الله ﷺ: «**على كم تزوجتها؟**». قال: على أربع أواق، فقال له النبي ﷺ: «**على أربع أواق! كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه**»[(٢)].

إذن فمقصد السعادة الحقيقية في الزواج هو تيسيره حتى يتمكن الشباب منه، فقد كثر العزاب في بيوتنا، وأصبحت الفتيات اللائي يجلسن في البيوت كثيرات وكثيرات وربما كانت الواحدة منهن تدعو على ولي الأمر لتعطيلها عن هذا الزواج، فالقصدَ القصدَ والتيسيرَ التيسيرَ في الزواج والمهور يا أولياء الأمور.

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «والقصد في المهر أحب إلينا، وأحب أن لا يزيد في المهر على ما أصدق رسول الله ﷺ نساءه وبناته وذلك خمسمائة درهم»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والمستحب في الصداق مع القدرة واليسار أن يكون جميع عاجله وآجله لا يزيد على مهر أزواج النبي ﷺ وبناته وكان ما بين أربعمائة إلى خمسمائة بالدراهم الخالصة نحو من تسعة عشر ديناراً فهذه سنة رسول الله ﷺ من فعل ذلك فقد استنَّ بسنة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ١٩٣-١٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «الأم» (٥/ ١٤٣).

رسول الله ﷺ في الصداق قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان صداقنا إذا كان فينا رسول الله ﷺ عشر أواق ـ وطبق بيديه ـ وذلك أربعمائة درهم»(١).

«فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هنّ خير خلق الله في كل فضيلة، وهنّ أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو أحمق جاهل وكذلك صداق أمهات المؤمنين وهذا مع القدر واليسار، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة».

«وقد كان السلف الصالح الطيب يرخصون الصداق، فتزوج عبد الرحمن ابن عوف في عهد رسول الله ﷺ على وزن نواة من ذهب قالوا: وزنها ثلاثة دراهم وثلاث، وزوّج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين، وهي من أفضل أيم في قريش بعد أن خطبها الخليفة لابنه فأبى أن يزوجها له وزوجها لأبي وداعة تلميذه»(٢).

هكذا كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم في شأن المهر والزواج، ثم خلف من بعدهم خلف سيطر على أفكارهم النظرة التجارية، فتراهم يغالون في المهور والزواج، حتى لا يكاد يخرج بعضهم من عقد زواج إلا وهم يتحدثون عن المهر، وكم بلغ من الأرقام القياسية؟! وكأنَّهم خرجوا من حلبة سباق أو مزايدة.

وترى بعضهم إذا خطب إليه الرجل ابنته أو موليته أخذ يُحدُّ شفرته ليفصل ما بين لحمه وعظمه فإذا قطع منه اللحم وهشم العظم وأخذ منه كل ما يملك

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٠٥٣)، والنسائي (٦/ ١١٧)، وابن حبان (٤٠٩٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ١٩٤-١٩٥).

سلمها له، وهو في حالة بؤسٍ وفقر شديدين محملاً بأوزار الديون، والتي من لوازمها الهموم والغموم التي تكدر عليه صفوه، فتذله بالنهار وتقض مضجعه بالليل، ويغلي بنارها قلبه، ولا يزال به حتى تجعل القوي ضعيفًا والسمين نحيفًا كما قيل:

والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً ويشيب ناصيةَ الصبيْ ويُهرمُ

إنَّ المغالاة في المهور والزواج وعدم التيسير فيه أنتجت أسوأ العواقب، فتركت البنات العذارى عوانس وأيامى في بيوت آبائهنّ يأكلن شبابهنَّ، وتنطوي أعمارهن سنة بعد سنة، وتعذر النكاح على جمهور الشباب بل تعسر، فعزفوا عنه رغم رغبتهم فيه وحاجتهم إليه، وفي هذا مضادة لمقاصد الشريعة التي رغبت في النكاح والتناسل وبهذا يُعلم مدى شؤم مخالفة مَن هديُه خيرُ الهدي ﷺ في الدنيا والآخرة[1].

إنّ الأب وولي الأمر الذي يمنع ابنته من الزواج بحجة المهر وعدم كثرته إذا جاء الرجل الصالح الكفء لها في الدين والأخلاق، إنه رجل غاش لرعيته، ظالم لهذه المرأة على إثم وذنب عظيم لا تغفره له هذه المرأة ولا يغفره له الله إلا إذا تاب وأناب.

والسؤال الآن لمن يدفعون أموالاً باهظة في الزواج ولربما كانت في أرض بور لا تصلح أصلاً هذه المرأة للزواج فمنهم من يقول: مهرها مليون جنيه! وآخر يقول: قصر وسيارة، ومبلغ في البنك! وآخر وآخر..

هل ستلد هذه المرأة ذهبًا أو لؤلؤًا؟

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٣١٠).

لا والله إنّ مثل هذه المرأة ستلد شوكًا يضر الناس والمجتمع، وهل رأيت العنكبوت إلا وهو ينسج خيوطه على القاذورات؟

فليعقل العاقلون، وليتنبه الغافلون، وليهتد الضالون، وليفهم الخاطئون، أن الزواج سهل ميسور يسره الله على العباد، فلا نبدل شرع الله، ولا نهتدي بغير هدي رسول الله ﷺ.

حقيقة المهر

حقيقة المهر الغالي للمرأة هو صلاح الدين وسمو الأخلاق فمهرها حسن المعاملة ورعايتها وحفظها وعدم ظلمها، وأن يتقي الرجلُ اللهَ فيها فهي عوانٌ عنده.

وليس المهر في المال فإنّ هذه صورة واجبة في الزواج، ولكن الحديث الآن عن المرأة نفسها هل هي سلعة تباع وتشترى؟

بالطبع لا، فهي نفس وروح في حاجة إلى من يكرمها ويعزها ويرفعها، وهذا لا يتأتى بالمال ولكنه يتأتى بحسن الخلق وطيب المعاشرة.

جلس فقيه المدينة ـ سعيد بن المسيب ـ يومًا في المسجد وكان يلقي درسًا عن التيسير في المهور وأنّ خير النساء أقلهنّ مهرًا، فسأله رجل من عُرض المجلس، فقال: يا أبا محمد إنّ رجلاً يُلاحيني في صداق ابنته ويُكلفني ما لا أطيق، فما أكثر ما بلغ إليه صداق أزواج رسول الله ﷺ وصداق بناته؟

قال الشيخ ـ سعيد بن المسيب ـ روينا عن عمر رضي الله عنه كان ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول: «ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ»، وتكلم الشيخ عن خير النساء في الرخص للمهور وحسن الوجوه.

فصاح السائل: يرحمك الله يا أبا محمد كيف يتأتّى أن تكون المرأة الحسناء رخيصة المهر، وحسنها يغليها على الناس وتكثر رغبتهم فيها فيتنافسون عليها؟

قال الشيخ: انظر كيف قلت، أهم يساومون في بهيمة لا تعقل وليس لها من أمرها شيء؟ أم أنّها بضاعة من مطامع صاحبها يُغليها على مطامع الناس؟

إنّما أراد رسول الله ﷺ أنّ خير النساء من كانت على جمال وجهها في أخلاق كجمال وجهها، وكان عقلها جمالاً ثالثًا، فهذا إن أصابت الرجل الكُفء فيسرت عليه ثم يسرت ثم يسّرت، إذ تعتبر نفسها إنسانًا يريد إنسانًا لا متاعًا يطلب مشتريًا، وهذه لا يكون رخص القيمة في مهرها، إلا دليلاً على ارتفاع القيمة في عقلها ودينها، أما الحمقاء فجمالها يأبى إلا مضاعفة الثمن لحسنها أي لحمقها؟ وهي بهذا المعنى من شرار النساء وليست من خيارهنّ.

ولقد زوج رسول الله ﷺ بعض بناته على عشرة دراهم، وجرّة ماء، ووسادة من أُدم حشوها ليف، وأولمَ على بعضِ نسائه بمُدَّين من شعير وعلى أخرى بمُدَّين من تمر، ومُدَّين من قمح.

وما كان به ﷺ الفقر ولكنّه يُشَرِّع بسنته ليُعلِّمَ الناسَ من عمله هذا أنَّ المرأة للرجل نفس لنفس لا متاع لشاريه، والمتاع يُقَوَّم بما بُذل فيه إن غاليًا وإن رخيصًا، ولكنّ الرجل يُقوَّم عند المرأة بما يكون منه، فمهرها الصحيح ليس هذا الذي تأخذه قبل أن تُحمل إلى داره، ولكنه الذي تجده منه بعد أن تُحملَ إلى داره، مهرها معاملتها تأخذ منه يومًا فيومًا فلا تزال بذلك عروسًا على نفس زوجها ما دامت في معاشرته.

أما ذلك الصداق من الذهب والفضة فهو صداق الداخلة على الجسم لا على النفس، أفلا تراه كالجسم يهلك ويبلى، أفلا ترى هذه الغالية إن لم تجد النفس في زوجها قد تكون عروس اليوم ومطلقة الغد.

وما الصداق في قليله وكثيره إلا كالإيماء إلى الرجولة وقُدرتها، فهو إيماء ولكن الرجل قَبِلَ، إنَّ كل امرئٍ يستطيع أن يَحمل سيفًا، والسيف إيماء إلى القوة غير أنه ليس كل ذوي السيوف سواءً، وقد يحمل الجبان في كل يد سيفًا، ويملك في داره مائة سيف، فهو إيماء ولكن البطل قَبِل.

مائة سيف يمهرها الجبان قوته الخائبة، لا تُغني قوته شيئًا، ولكنه كالتدليس على من كان جبانًا مثله ويوشك أن يكون المهر الغالي كالتدليس على الناس، وعلى المرأة كي لا تعلم ولا يعلم الناس أنّه ثمن خيبتها، فلو عقلت المرأة لباهتِ النساء بيُسر مهرها، فإنها بذلك تكون قد تركت عقلها يعمل عمله وكفَّت حماقتها أن تُفسدَ عليه.

فصاح رجل في المجلس: أيها الشيخ أفي هذا من دليل أو أثر؟

قال الشيخ: نعم، أما من كتاب الله فقد قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء:١)، فهي زوجةُ حين تجده لا حين تجد ماله، وهي زوجة حين تكمله لا تنقصه، وحين تلائمُه لا حين تختلف عليه، فمصلحة المرأة زوجة ما يجعلها من زوجها؛ فيكونان معًا كالنفس الواحدة، على ما ترى للعضو من جسمه يريد من جسمها الحياة لا غيرها.

وأما من كلام رسول الله ﷺ فقد روينا: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**[1].

فقد اشترط الدين على أن يكون مرضيًا لا أي الدين كان، ثم اشترط الأمانة، وهي مظهر الدين كله بجميع حسناته، وأيسرها أن يكون الرجل للمرأة أمينًا وعلى حقوقها أمينًا وفي معاملتها أمينًا، فلا يبخسها ولا يُعنتها، ولا يسيء إليها لأنَّ كل ذلك جرح في أمانته، فإن ردَّت المرأة هذا الرجل صاحب الدين والأمانة من أجل المال ـ تقدم إليها بالمهر والمال من ليس هذا خلقه وصفته هكذا،

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه الترمذي (١٠٨٥) من حديث أبي حاتم المزني، وليس له حديث عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠)، و«الصحيحة» (١٠٢٢)، و«الإرواء» (١٨٦٨).

فوقعت الفتنة وفسدت المرأة بالرجل، وفسد هو بها وفسد النسل بهما جميعًا وأُهمِلَ من لا يملك، وتعنّست من لا تجد، ويرجع المهر الذي هو سبب الزواج سببًا في منعه، ويتقارب النساء والرجال على رغم المهر والدين والأمانة فيقع معنى الزواج ويبقى المعطَّل منه هو اللفظ والشرع.

هل علمت المرأة أنها لا تدخل بيت زوجها إلا لتجاهد فيه جهادها، وتبلو فيه بلاءَها؟ وهو يُقوّم مال الدنيا ويكفي بحقها فيما تعمل وتجاهد، وهي أم الحياة ومنشئتها وحافظتها؟ فأين يكون موضع المال ومكان التفرقة في كثيره وقليله والمال كله دون حقها[1].

(١) «وحي القلم» (١/١٠٧-١٠٩).

أغرب من الخيال

طلب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خِطبة وزواج ابنة سعيد بن المسيب ـ فقيه المدينة ـ لابنه ولي العهد الوليد بن عبد الملك فما رأيك في هذا العرض من أمير المؤمنين لهذا العالم؟ وماذا كان ردّ سعيد بن المسيب على رسول الملك وأمير المؤمنين، لنقرأ هذا الموقف معًا من الكتاب الأدبي الإسلامي القيم ـ وحي القلم ـ.

لما جاء رسول عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيب وأخبره بطلبه في خطبته ابنته لولي العهد، رفض سعيد بن المسيب وأبى أن يزوج ابنته لولي العهد، وحينئذٍ خاف هذا الرسول على سعيد من أمير المؤمنين في عدم تنفيذ طلبه هذا وبدأ تخويفه بعاقبة هذا الرفض وما عساه أن يفعل معه أمير المؤمنين.

وبعد قليل تكلم أبو محمد ـ سعيد بن المسيب ـ فقال: يا هذا أمَّا أنا فقد سمعتُ وأمّا أنت فقد رأيت وقد روينا أنّ هذه الدنيا لا تعدل ولا تساوي عند الله جناح بعوضة، فانظر ما جئتني أنت به، وقسه إلى هذه الدنيا كلها فكم ـ رحمك الله ـ تكون قد قسمت لي من جناح البعوضة..؟ ولقد دُعيتُ من قبلُ إلى نيف وثلاثين ألفًا لآخذها فقلت: لا حاجة لي فيها، ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم، وها أنا ذا اليوم أُدعى إلى أضعافها وإلى المزيد معها؛ أفأقبض يدي عن جمرة ثم أمرها لأملأها جمرًا؟ لا، والله، ما رغب عبد الملك لابنه في ابنتي، ولكنه رجل من سياسته إلصاق الحاجة بالناس ليجعلها عقادة لهم فيصرفهم بها، وقد أعجزه أن أبايعه، فانظر فإنك ما جئت لابنتي وابنه ولكنك جئتَ لتخطبني أنا لبيعته.

قال الرسول: أيها الشيخ دع عنك البيعة وحديثها، ولكن من عسى أن تجد لكريمتك خيراً من هذا الذي ساقه الله إليك؟ إنّك لراع وإنّها لرعية وستُسأل عليها وما كان الظنّ بك أن تُسيء رعيتها وتبخس حقها، وأن تعضلها وقد خطبها فارسَ بني مروان، وإن لم يكن فارسهم فهو ولي عهد المسلمين وإن لم يكن هذا ولا ذاك فهو الوليد بن أمير المؤمنين وأدنى الثلاث الشرف فكيف بهنّ جميعًا وهنّ جميعًا في الولد؟

قال الشيخ: أما إني مسئول عن ابنتي فما رغبت عن صاحبك إلا لأني مسئول عن ابنتي وقد علمت أنت أن الله يسألني عنها في يوم لعل أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين وألفافهما لا يكونون فيه إلا وراء عبيدها وأوباشها ودعّارها وفجّارها يخرجون من حساب الفجرة إلى حساب القتلة، ومن حساب هؤلاء إلى الحساب على السرقة والغصب إلى حساب أهل البغي إلى حساب التفريط في حقوق المسلمين، ويخسف يومئذ عبيدها وأوباشها ودعّارها وفجارها في زحام الحشر، ويمشي أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين ومن اتصل بهما وعليهم أمثال الجبال من أثقال الذنوب وحقوق العباد.

فهذا ما نظرت في حق الرعاية لابنتي لو لم أضنّ وأبخل بها على أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين لأوبقتُ وملكتُ. لا والله ما بيني وبينكم عمل وقد فرغت مما على الأرض فلا يمر السيف مني في لحم حي[1].

هكذا فليكن الآباء وأولياء الأمور:

قد رأينا كيف كان موقف سعيد بن المسيب مع رسول عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، ورفضه لطلبه في زواج ابنته لولي العهد، ولكن قد يقول

---

(١) «وحي القلم» للرافعي (١/١٠٧-١٠٩).

قائل لعله زوجَّها لرجل ميسور وغني أو قريب، وأقل ما يكون الرجل الذي سيوافق عليه سعيد بن المسيب أنه من عِليَة القوم وأشرفهم، خاصة إذ تقدم إليها من قبلُ ولي العهد.

ولكن ليس هذا ولا ذاك يا سادة إن سعيد بن المسيب هو العالم الفقيه في زمانه كان يعيش لله لا للدنيا، ورأينا هذا في رفضه لآلاف الدنانير والدراهم أن يأخذها من آل مروان، والعجب كل العجب حينما تعلم أن سعيد بن المسيب زوّج ابنته لأحد تلاميذه، وقد كان فقيراً ليس من الملإ ثم العجب أنّ سعيدًا هو الذي يعرض ابنته عليه كي يتزوجها، وإليك القصة كما أوردها أهل السير في كتبهم.

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي ـ أي زوجتي ـ فشُغلت بها.

فقال: فهلا أخبرتنا فشهدناها؟

قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة غيرها؟

فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟!

فقال: إن أنا فعلت تفعل.

قلت: نعم.

ثم حمد الله تعالى وصلَّى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة.

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر فممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفتُ إلى منزلي واسترحتُ وكنتُ وحدي صائمًا، فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزاً وزيتًا فإذا بالباب يُقرع

فقلتُ: من هذا؟ قال: سعيد. قال أبو داعة: ففكرتُ في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم يُر منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد فقمت وخرجتُ، وإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه بدا له فقلت: يا أبا محمد هلاّ أرسلت إليّ فآتيك؟

قال: لا، أنت أحق أن تؤتى.

قلت: فما تأمرني.

قال: رأيتك رجلاً عزبًا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثمّ دفعها إلى الباب وردّ الباب فسقطت المرأةُ من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح فناديت الجيران فجاءوني، وقالوا: ما شأنك؟

قلتُ: زوجني سعيد بن المسيب ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها لك ثلاثة أيام.

فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكثتُ شهرًا لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته فسلّمت عليه فردَّ عليَّ ولم يكلمني حتى انقضَّ من في المسجد، فلمّا لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟

قلت: هو على ما يُحب الصديق ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي.

وهناك رواية أخرى للقصة وفيها أنّ أبا وداعة لما أراد أن يخرج لدرس سعيد ابن المسيب في اليوم التالي ويترك زوجته، قالت له: إلى أين تريد؟ فقال: «مجلس سعيد أتعلم العلم»، فقالت له: «اجلس أعلمك علم سعيد»[1].

التعليق على القصة:

انظر - رحمك الله - إلى صنيع سعيد بن المسيب من زواج ابنته من رجل فقير لا يملك سوى درهمين أو ثلاثة، ويأبى أن يزوجها من ولي العهد ابن أمير المؤمنين، ومع ذلك عالمة وجميلة وأحسن ما تكون من فتاة قرشية.

تُرى ما الذي جعل سعيد بن المسيب يفعل هذا؟ والجواب هو أن هذا الرجل أراد وجه الله والدار الآخرة ورفض الدنيا بحذافيرها، فمهما وصل من قيمتها فهي لا تساوي شيئًا عند الله، وحتى لو امتلكها ولي العهد فكم تساوي هذه الدنيا وما ملكه ابن أمير المؤمنين بجانب جناح البعوضة فكل ما عنده من حذافير الدنيا لا يُساوي عند الله جناح بعوضة.

لقد زوّج سعيد ابنته لأبي وداعة وهو يعلم خُلق الرجل ودينه فهو تلميذه النجيب، وسعيد عالم وفقيه زمانه؛ فما كان له أن يظلم ابنته أو أن يضع الشيء في غير موضعه فقد حفظ ابنته وحفظ رحمها، وحفظ قبل كل ذلك دينها يوم أن زوّجها من الرجل الصالح الكفء لكل امرأة تريد الدار الآخرة.

لقد فقد أبو وداعة زوجته بموتها وأصبح عزبًا فلما عرف سعيد بذلك سارع بزواج ابنته إياه، وهو يعرف فقره وحاجته، وأبو وداعة لم يطلب الزواج ولم يفكر فيه لفقره ولم يتصور أنّ أحدًا من الناس سيزوجه، فلما سمع من ابن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٣٣/ ٢٣٥)، و«حلية الأولياء» (٢/ ١٦٧-١٦٨)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ١٣٨)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٢٨٨).

المسيب كلمة «أنا»، أي أنا أزوجُك فهذه الكلمة «أنا، أنا، أنا، بثها الجو في أُذن طالب العلم الفقير فحسب كأنَّ الملائكة تنشد نشيدًا في تسبيح الله بلحن: أنا، أنا، أنا...».

وخرجت الكلمة من فم الشيخ ومن السماء لهذا المسكين في وقت واحد وإنها كلمة زوجته إحدى الحور العين.

فلما وافق سعيد وجاء بابنته إلى بيت أبي وداعة قام يطير من الفرح وليس يدري من فرحه ما يصنع، وكأنه في يوم جاءه من غير هذه الدنيا يتعرف إليها بهذا الصوت الذي لا يزال لحنُه في أذنيه «أنا، أنا، أنا..». والخير في الآباء يتبعه الخير في الأبناء، لقد كانت البنت من أجمل نساء قريش وهذا الجمال يُزينه الحياءُ، وازدادت المرأة جمالاً بحيائها وليس هذا فحسب بل ارتفعت بعلمها حتى أنها قالت له لما أراد الخروج لدرس سعيد: «اجلس أعلمك علم سعيد»، يقول أبو وداعة: فوالله لقد كانت المسألة تقف أمام الفقهاء فكنت أرجع إليها فأجدها عندها!!

وسعيد بن المسيب كغيره من العلماء، لا بد له من الابتلاء بمثل واحد من الظلمة الذين لا يخلو منهم عصر ولا زمان، فقد توعد عبد الملك سعيدًا، ولكن سعيدًا ما كان يخاف إلا الله، فلم يزل عبد الملك يحتال لسعيد ويتتبع سقطاته حتى وقعت به المحنة فضربه عامله على المدينة خمسين سوطًا في يوم بارد وصبَّ عليه جرّة ماء، وعرضه على السيف، وطاف به الأسواق عاريًا، ومنع الناس أن يجالسوه أو يخاطبوه، وبهذه الوقاحة وبهذه الرذيلة وبهذه المهانة ظلم عبدُ الملك، وحسابه لا يعلمه إلا الله يوم أن يقف أمام الله فيسأله عن ذلك. وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[1].

---

(١) «وحي القلم» (١/ ١١٠-١١٤).

آداب الزفاف والبناء في الإسلام

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، عجيب هذا الدين ما ترك لنا شيئًا إلا ودلنا على خيره ونهانا عن شره.

وإذا كان الإنسان صنعة الله ـ تعالى ـ، والله صانعه وخالقه، فهو سبحانه وحده الحكيم الخبير بما ينفع هذا الإنسان وبما يضره.

إنّ الذي يعيش في ظل الإسلام حري به أن يسعد دنيا وآخرة معًا؛ لأنّ الإسلام يقود الناس إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وهو أيضًا يقودهم إلى دخول جنة الدنيا قبل جنة الآخرة المتمثلة في طاعة الله ـ تعالى ـ.

لو فكَّرت قليلاً في هذا الدين الذي تعتقده وتدين به، لوجدته دينًا وافق فطرة الإنسان فقد رسم الإسلام لنا الحياة السعيدة وهو إذ يجعل لنا منهجًا نسير به للوصول إلى الجنة، فهو كذلك جعل لنا منهجًا نسعد به في الدنيا، فنسود الدنيا والناس، ونصبح أعزة متقدمين في كل شيء بشرط أن نعمل بهذا الدين في مجال الحياة والمعاملات؛ بمعنى أن نتخذ الإسلام منهج حياة.

إنَّك إذا أردت منهجًا لأي عمل في حياتك فستجد لذلك العمل هديًا ودليلاً في كتاب أو سنة رسول الله ﷺ، ويكون كذلك بالاستنباط منهما أو القياس عليهما.

لكل شيء في حياتك ذكر وقول من عند الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، وما عليك إلا أن تتبع الهُدى حتى تسعد وتفوز في الدنيا والآخرة، وإياك أن تحيد عن منهج الخالق وهدي رسوله ﷺ، فحينئذٍ يكون التخلف والذل والهوان

كمـا هو الحال في عـصرنا، فـأمتنا من أذل الناس على وجـه الأرض ونحن من العالم الثالث أو المتخلف كما يقولون وكل هذا مما عملته أيدينا.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: ٣٦).

إنَّمـا قدمت بهـذه المقـدمة لمـوضوع «آداب الزفـاف»، كي يعلم كل مـسلم ومسلمة أن الإسلام ما غفل عن أدنى الأمور، وما ترك لنا شيئًا إلا وقد جعل لنا فيـه هديًا وسنة كي نؤجر عليها، فـما بالك بشيء هو من أهم الأمور في حـياة الإنسان خاصة؛ ألا وهو الزواج الذي سيترتب عليه وجود الذرية.

قالت اليـهود يومًـا لسلمانَ الفـارسي ﷺ: لقد علمكم نبـيكم ﷺ كلَّ شيء حتى الخراءة، قـال: «أجل نعم، لقد نهانا أن نستقبل القـبلة لغائط أو بول أو أن نسـتنجي باليمين، أو أن نـستنجي بأقل من ثلاثة أحـجار أو أن نسـتنجي برجيع أو بعظم»[1].

فانظر - رحمك الله - لـقد تعجب اليهود من هذا الديـن، فالخراءة التي هي من قضاء الحـاجة علَّمنا النبيُّ ﷺ كيف نقضـيها، وجعل لنا فـيها هديًا وسنة متبعة. فما بالك بما هو فوق ذلك وأعلى منه؟!

لك أن تتـحيـر وتسأل نفـسك كيف يعـيش غـير المسلمين؟ وكـيف يهنأون ويسعدون؟ وهم على غير الإسلام ولم يعـرفوا النبي محمدًا ﷺ، ولـم يهتدوا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والترمذي (١٦)، وابن ماجه (٣١٦)، والنسائي (٤١).

بهديه؟ فكم أنت في نعمة فارعها، واشكر ربك عليها، واعمل بها، وعش فيها تهنأ وتسعد في الدنيا والآخرة!!

ومن منطلق فهم المقدمة السابقة نعرف آداب وأحكام الزفاف والبناء في الإسلام، فلكي يهنأ الزوجان، ويعيشا في الجنان، ويتحصنا من الشيطان فلا سبيل لهما إلا باتباع آيات القرآن وهدي النبي العدنان ﷺ.

كثير هم من يتزوجون لكن ذلك الزواج ما لم يكن فيه هديُ الكتاب والسنة، فهو زواج جسد من جسد والجسد خُلق من تراب ومآله الأخير سيكون ترابًا أيضًا، وبذلك تكون الحياة بينهما حياة أرضية يطأ عليها الشيطان وجنوده، وكل يعلم أن الحيوان إنَّما يأتي الأنثى من الحيوانات لشهوة فقط، ولا ينبغي للإنسان أن يكون مثل ذلك البهيم لأنَّ الله كرَّم الإنسان وفضله.

أما الزواج الذي اتخذ من القرآن سبيلاً والسنة ماءً سلسبيلاً، فذلك هو الذي يثمر زهور السعادة ولذة العبادة، فهو زواج جعل منهجه القرآن والسنة، واتخذ ذلك المنهج عمليًّا من حياة الرسول ﷺ مع أزواجه، واتخذ من كلامه وهديه في الزواج واللقاء وآداب الزفاف قانونًا يضمن له السعادة طعمًا وذوقًا ولونًا.

ذلك لأنَّ هذا الزواج كان ارتباطًا بين روح وروح، وبين نفس ونفس فهو مخالف لزواج الأجساد فلم يجعل من الجسد غاية وهدفًا يقوم الزواج من أجلها، والنفس والروح أيًّا منهما قد خُلق من السماء هذه الروح أصلها من السماء فلما ارتبطت الروح بروح أخرى كانا يعيشان في السماء فهي عزيزة مكرمة وذلك من أصل رفعتها.

فهيا أخي الحبيب اجعل القرآن في يمينك والسنة في يسارك، وادخل إلى الزواج بهذين الهديين حتى تسعد وتهنأ وإياك إياك أن تُهمل واحدًا منهما فهما سلاحك الذي تحمي به نفسك من شياطين الإنس والجن.

والآن هيا بنا لندخل حديقة الإسلام نقطف منها ثمار السعادة ونستنشق منها عبير الآداب الإسلامية في الزفاف والبناء:

الأدب الأول . إعلان الزفاف وإشهاره بالدُّف:

يقولون إنَّ ليلة الزفاف هي «ليلة العمر»، وهذا الكلام قد يكون حقيقيًّا وإن كان فيه نظر ولكنّ السعادة تختلف من إنسان إلى آخر على حسب همته ومكانة عقله ونفسه.

يُمكن أن تكون ليلة الزفاف من أحلى ليالي العمر بالتقاء الأحبة، وسكون النفس واجتماع القلوب وإطفاء لوعة الاشتياق، ولكن هذه السعادة التي تكون في ليلة الزفاف مشروطة باتباع الهدى النبوي فيها فإن لم يكن الإنسان فيها متبعًا فقد يكون سعيدًا ولكن ما أقصر سعادته! ولا بارك الله في سعادة يعقبها ندم.

ومن آداب الزفاف أن يُعلن بين الناس سفر قلب الرجل إلى قلب امرأة بالزواج، وعلى الناس أن يأتوا لهذا المسافر كي يودعوا وحشته ووحدته، وأيضًا هذا الإعلان بمثابة إدخال الفرح والسرور على الزوجين وبقية الأهل والأحباب.

قال رسول الله ﷺ: «أَعلنوا النِّكاحَ»(١).

---

(١) رواه ابن حبان (١٢٨٥)، وابن ماجه (١٨٩٥) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ورواه الترمذي (١٠٨٩) بلفظ: «أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدُّف» من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو ضعيف بهذا اللفظ وإنما يصح منه الجملة الأولى فقط «أعلنوا النكاح»، لوجود شاهد لها في الحديث اللاحق له، ورواية الترمذي فيها عيسى بن ميمون الأنصاري كان يضعف الحديث وهو غير عيسى بن ميمون الذي يروي عن ابن أبي نجيح التفسير فهو ثقة. =

وقال ﷺ: «فصلُ ما بينَ الحلالِ والحرامَ الدُّف ورفع الصوت في النِّكاح»[1].

إن الإسلام ليس دين الأحزان والأكدار، بل هو دين السعادة كل السعادة ولكن بالفهم الخاطئ يجعل الناس من الدين حزنًا ونكدًا، إذا ما سمعوا قرآنًا يُتلى في البيوت قالوا من الذي مات؟! وإنما جُعل القرآن لاطمئنان القلوب وسرورها.

إنَّ الإسلام يُلائم فطرة الإنسان، والإنسان في ليلة الزفاف يحتاج إلى الفرح والسرور، ومن أجل ذلك أباح الإسلام الغناء «المباح» والضرب بالدّف حتى يُعلن النكاح، ولكن يا أخي الحبيب القول بإباحة الغناء في هذه الليلة له شروط عديدة تخرجه من الفسق والفجور والحقيقة أن الغناء أكثره حرام فلا يُقال حلاله حلال، وحرامه حرام لأنَّ ذلك من التلبيس على الناس.

إنَّ من أول شروط الغناء المباح ألا يكون فيه موسيقى، فالموسيقى كلها حرام لا توجد موسيقى حلال وموسيقى حرام، ثم الضرب بالدف يكون بين النساء

= قال الألباني ـ رحمه الله ـ: «وسنده حسن ورجاله ثقات معروفون غير ابن الأسود فقال أبو حاتم: «شيخ»، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٤٥)، وصححه الحاكم، وكذا ابن دقيق العيد بإيراده إياه في «الإلمام بأحاديث الأحكام» (١/ ١٢٢)، وقد اشترط في المقدمة أن لا يورد فيه إلا ما كان صحيحًا» اهـ. انظر «آداب الزفاف» (ص١١١/ ١١٢).

قلت: كلام الألباني في تحسينه للحديث من رواية ابن حبان والطبراني في «الكبير والأوسط» من حديث عبد الله بن الأسود عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مرفوعًا، وليس من رواية الترمذي لأن روايته فيها ضعف بسبب عيسى بن ميمون الأنصاري فهو ضعيف.

وحسن الألباني الحديث من الروايات الأخرى، انظر «صحيح الجامع» (١٠٧٢)، و«صحيح ابن ماجه» (١٥٤٩).

(١) رواه الترمذي (١٠٨٨)، وابن ماجه (١٨٩٦)، والنسائي (٣٣٦٩) من حديث محمد بن حاطب الجُمحي ﷺ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٠٦)، و«الإرواء» (١٩٩٤)، و«صحيح ابن ماجه» (١٥٥٨)، وانظر «آداب الزفاف» (ص١١١)، المكتب الإسلامي.

فقط لا بين الرجال وحتى فيما بين النساء يكون للجواري «البنات الصغيرة»، فقد كانت الحرة قديمًا يمنعها حياؤها وأدبها أن تفعل ذلك، وبذلك يكون الضرب بالدُّف في النكاح لإظهار البهجة والسرور وإعلان النكاح، فاحذر أخي أن تحول هذا الهدي إلى خطوات الشيطان. خدعك من يقول فرقة إسلامية تزف العروسين لأنهم ما يلتزمون هدي الإسلام في ذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله: «يا عائشة أما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرّ ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدُفهن ويُغنين ويَقُلن:

نحنُ جوار من بني النجار يا حبذا محمدٌ من جار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله يعلم إنّي لأحبكنّ»[(٢)].

ففيما سبق دليل على جواز الضرب بالدُّف والغناء بشروطه الصحيحة ما لم يكن مخالفًا للشرع.

فعن الربيِّع بنت معوِّذ قالت: جاء النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة عُرسٍ، وعندي جويريات لنا يضربن بالدُّف ويندُبن مَن قُتل من آبائي الذين قتلوا يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ، فقال: «دعي هذه وقولي الذي كنتِ تقولين»[(٣)]، وفي رواية: «أما هذا فلا تقولوه ما يعلم ما في غد إلا الله»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥١٦٢)، والحاكم (٢/ ١٨٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٤١).

(٣) رواه البخاري (٥١٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٥٩)، والبيهقي (٧/ ٢٨٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٨٩٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٥١).

والكلام عن مخالفة هذا الأدب في الزفاف سيأتي تفصيله ـ إن شاء الله ـ عند الكلام عن موضوع «ليس من الإسلام» من هذا الكتاب.

الأدب الثاني ـ التجمل والتزين:

وهذا الأدب مشترك بين الرجل والمرأة، وخاصة ما يكون بينهما في ليلة الزفاف ويجب أن يستمر تزين المرأة لزوجها والزوج لامرأته حتى تدوم المودة والسعادة بينهما.

ولا يحسبنَّ الرجل أنَّ التزين خاص بالمرأة وحدها وإن كان التزين فيها أجمل وأكمل في نفس الرجل، فالرجل مطالب أيضًا أن يتزين لزوجته لأنَّها تحب منه ذلك كما يحب هو منها ذلك الجمال، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني رسول الله بعد متوفَّى خديجة وأنا ابنة ست وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع، وجاءني نسوة وأنا ألعب على أرجوحة مجمَّمة فهيأتني وصنعتني ثم أتين بي إليه ﷺ»[(١)].

وكذلك قصة زواج النبي ﷺ من صفية بنت حيي أنّ أم سُليم جهزت صفية رضي الله عنها وزينتها لرسول الله ﷺ ثم أهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروسًا[(٢)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها لها عليّ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أي زينة من غير مأثم[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (٩٤٣٥)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤٨/٢)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٣٦٥) «باب النكاح» (٨٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨٨/٣).

وسُئلت عائشة رضي الله عنها بأي شيءٍ كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: «بالسواك»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحدَّ المغيبة وتمتشط الشعثة»[2].

ما أعظم الإسلام! وما أحسن الشرع! ففي هذه الأحاديث دلالة وترغيب في تزين الزوجين كل منهما للآخر، وإذا تأملت هذين الحديثين لوجدت غاية عظيمة، ففي حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك، وهذا لتعطير فمه كي يقبل أزواجه فيكون في أحسن حالة من التزين والرائحة الجميلة.

وفي الحديث الثاني نهيٌ من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل على أهله وهو قادم من سفر دون أن يعلمها، وهذا النهي ليس للتحريم ولكنه نهيٌ حتى لا يحرى الزوج شيئًا يكرهه من زوجته، فيفر منها لغيرها وحتى لا يقع بصره على ما يكره.

ولذلك بيَّن صلى الله عليه وسلم سبب النهي فقال: «حتى تستحدَّ المغيبة»، أي التي غاب عنها زوجها فتزيل الشعر المأمورة بإزالته ـ وهو شعر العانة ـ وفي هذا ما يكون من الجمال والزينة التي تُرغِبُ الزوج في زوجته.

«وتمتشط الشعثة»، أي تتنظف من الوساخة والقذارة وتمشط شعرها، فربما دخل عليها زوجها وهي في حالة يُستحسن للزوج ألا يراها فيها.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٩)، (٥٠٨١) بنحوه، ومسلم (١٩٢٨)، وأبو داود (٢٧٧٦-٢٧٧٨)، والترمذي (٢٧١٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فالزينة أدعى لدوام العشرة بين الزوجين، ويجب أن تستمر هذه الزينة في بقية أيام الزواج كله، وبذهاب الزينة بين الزوجين يكون الجفاء والغربة بينهما لأنّ كلًّا منهما يقع بصره في الخارج على ما ليس موجوداً عند صاحبه ومن هنا تبدأ مشاكل الزواج.

جاء في كتاب (تحفة العروس): «إن الزينة أدعى لشهوة الرجل وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة! والنساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع»[1].

وقال ابن الجوزي: «إنّ المرأة تحظى عند زوجها بعد تمام خلقها وكمال حسنها بأن تكون مواظبة على الزينة والنظافة، عاملة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلي واختلاف الملابس ووجوه التزيين بما يوافق الرجل ويستحسنه منها في ذلك، ولتحذر كل الحذر أن يقع بصر الرجل على شيء يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة أو مستنكرة حتى لا تطمع نفسه في غيرها»[2].

دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز زوجٌ أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا ـ تريد الخلاص منه ـ يا أمير المؤمنين، فعرف كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليغتسل ويأخذ من شعره ويقلم أظفاره، فلما حضر أمَره أن يتقدم من زوجته فاستغربته ونفرت منه، ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها، فقال عمر: هكذا فاصنعوا لهن فوالله إنهنَّ ليحببن أن تتزينوا لهنَّ كما تحبون أن يتزيَّنَّ لكم».

فلتحرص المرأة خاصّة على التطيب والتزيُّن لزوجها؛ لأنَّ هذا من حسن التبعل، فلتلبس أحسن الملابس، ولتضع أفضل أنواع العطور، ولتعلم وهي تفعل

(١) «تحفة العروس» (١٠٣).

(٢) «أحكام النساء» (٧٢٦/٢).

ذلك أنها تتعبد إلى الله بهذا التزين لزوجها، فلها أجرها وثوابها، والحذر كل الحذر من مخالفة الشرع في التزين من النمص ونتف الحواجب وتغيير خلق الله تعالى، وقص الشعور والتشبه بالرجال.

جمال الرجل وزينته في اللحية:

إذا كان الرجل مطالبًا مثل المرأة بالزينة والجمال، فإنّ أفضل ما يتجمل به الرجل ويتزين به لزوجته هو إعفاء اللحية، فهي من سنن الفطرة كما حدث بذلك رسول الله ﷺ، فسبحان من جمّل الرجال باللحى، فلماذا يحلقها الرجال ويشبّهون بالنساء؟ فكم يخسر الرجل من جماله ورجولته عند المرأة بحلقها، جاء في كتاب (تحفة العروس): إعفاء اللحية من وسائل جمال الرجال قبل أن تمسخ الفطرة في العصور المتأخرة، ألا ترى أن الأسد أجمل من صاحبته، والديكُ أجمل من الدجاجة، والطاووس أجمل من زوجته، والطير أجمل من الطيرة، وكل ذلك لوجود الشعر في وجوهها، واللحية من أقوى العوامل في تنشيط الجنس، فهي تساعد على إفراز هرمونات الذكورة في الدم، وبعكسها يفتقد الرجل كثيرًا من هذه الهرمونات إذا حلقها، ويجعله يفرز هرمونات الأنوثة بالدم بسبب التشبه بالنساء، ومن المشهور قوة الشيوخ الجنسية «الملتحين»، على غيرهم، ومما يذكر أنَّ من عوامل إثارة المرأة ورغبتها في الرجل وجود اللحية وهذا واقع لمن يعرف ذلك[1].

والسؤال الآن لكل رجل مسلم لماذا تحلق لحيتك؟ أليس لك في رسول الله ﷺ قدوة تتأسى به؟ لقد كان رسول الله ﷺ أجمل الناس وأحسنهم وجهًا، حتى أنّ الواحد من الصحابة كان يخرج ليعقد مقارنة بين القمر في ليلته

(١) «تحفة العروس» (١٠٥).

المضيئة وبين وجه رسول الله ﷺ، ثم يقول فوالله لوجه رسول الله ﷺ أجمل وأحسن من القمر.

وقد كان ﷺ ذا لحية كثيفة جميلة، فلِمَ الحيدُ والابتعاد عن هديه؟! فلو عقل الرجال ما يكون من أثر حلق اللحية والخسارة المحققة في حلقها ما حلقوها!، قد تجد البعض يقول: أحلقها للضرورة ولعدم المشاكل، وهو يتوهم ذلك وربما لا تكون هناك مشاكل أصلاً ولا ضرورة، ولكن هوى نفسِه يأبى أن يكون رجلاً فتشبه بالنساء!!

الأدب الثالث. وجوب الوليمة:

الوليمة اسم للطعام الذي يكون في العُرس، وهي سنة عند جمهور أهل العلم، وقال بوجوبها الشافعي ومالك ولعله الأرجح وذلك للأدلة الآتية:

لما خطب علي فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «إنه لا بُد للعُرس من وليمة»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى رسول الله ﷺ وبه أثر صفرة فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنّه تزوج امرأة من الأنصار قال: «كم سقت إليها»؟ قال: زنة نواة من الذهب، قال رسول الله ﷺ: «أوْلِمْ ولو بشاة»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٥٩)، والطبراني (١/ ١١٢)، قال الألباني: وإسناده كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٨٨) لا بأس به، ورجاله ثقات رجال مسلم، غير عبد الكريم بن سليط، وقد روى عنه جماعة من الثقات، وأورده ابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٨٣)، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول. اهـ. انظر «آداب الزفاف» (ص٧٢)، وصححه كذلك في «صحيح الجامع» (٢٤١٩) من حديث بريدة بن الحصيب.

(٢) رواه البخاري (٢٠٤٨)، ومسلم (١٤٢٧)، وأبو داود (٢١٠٩)، والترمذي (١٩٣٣)، وابن ماجه (١٩٠٧)، والنسائي (٣٣٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. =

ففي الحديث أمر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالوليمة ويجوز أن تكون «الوليمة»، من أي طعام تيسر. ولو لم يكن فيه لحم، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثًا يبني بصفية بنت حيي، فدعوتُ المسلمين إلى وليمته، فما كان فيها من خبز ولا لحم، أمر بالأنطاع فألقى بها من التمر والأقط والسمن فكانت وليمته»[1].

وتستحب أن تكون الوليمة ثلاثة أيام بعد البناء لأنه هو المنقول عن النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه: «تزوج النبي ﷺ صفية وجعل عتقها صداقها وجعل الوليمة ثلاثة أيام»[2].

وجوب إجابة الدعوة للوليمة:

يجب على من دُعي إلى الوليمة أن يحضرها لقوله ﷺ: «شرُّ الطعام **طعام الوليمة يُمنعها من يأتيها ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يَجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[3].

= وذكر الألباني في «آداب الزفاف» (٧٧-٧٨) تخريجات أخرى للحديث منها: البيهقي (٧/ ٢٥٨)، وأحمد (٣/ ١٦٥، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٧١)، وابن سعد (٣/ ٢/ ٧٧)، والدارمي (٣/ ١٠٤، ١٤٣)، وكذا مالك (٢/ ٧٦-٧٧)، وقال - رحمه الله -: وقد خرجت الحديث من طوق أربع عن أنس، وذكرت له شاهدًا من حديث عبد الرحمن نفسه في كتابي «إرواء الغليل» (رقم ١٩٨).

(١) رواه البخاري (٥١٥٩) والسياق له، ومسلم (١٣٦٥) كتاب «النكاح»، وأبو داود (٣٧٤٤)، والترمذي (١٠٩٥)، وابن ماجه (١٩٠٩)، والنسائي (٣٣٨٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى بسند حسن، انظر «الفتح» (٩/ ١٩٩)، وهو في «صحيح البخاري» (٥١٥٩) بمعناه، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٧٤).

(٣) رواه البخاري (٥١٧٧)، موقوفًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو في حكم المرفوع كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٥٣)، ورواه مسلم (١٤٣٢)، والبيهقي (٧/ ٢٦٢) من حديث أبي هريرة أيضًا، ولكن الحديث عندهما جاء مرفوعًا.

ففي الحديث دليل على وجوب تلبية الدعوة فمن لم يُجب فقد عصى الله ورسوله ﷺ، ومعلوم أن المعصية تكون في ترك الواجب وليس في ترك المندوب، وفي الحديث أيضًا التحذير من دعوة الأغنياء وتخصيصهم بالوليمة دون الفقراء.

ومما يدل على تلبية الدعوة قوله ﷺ: **«إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها»**[١].

وينبغي إجابة الدعوة لمن عُين لها، أما إن كانت الدعوة عامّة فلا وجوب عليه، وإذا دُعي وعُين للدعوة وجب عليه التلبية والذهاب إلى الداعي وإن كان صائمًا، وله أن يفطر إن كان متطوعًا في صيامه لا سيما إذا لحّ عليه الداعي.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا دُعيَ أحدُكم إلى طعام فليُجب فإن كان مفطرًا فليطعم، وإن كان صائمًا فليُصلِّ. يعني الدعاء»**[٢].

وقال ﷺ: **«إذا دُعي أحدُكم إلى طعام فليُجب فإن شاء طَعم وإن شاء ترك»**[٣].

ولا يجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية الله ـ تعالى ـ إلا أن يقصد إنكارها ومحاولة إزالتها، وإلا وجب الرجوع وعدم حضور الوليمة، وفيه أحاديث منها:

---

(١) رواه البخاري (٥١٧٣)، ومسلم (١٤٢٩)، وأبو داود (٣٧١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٤٣١)، وأبو داود (٣٧١٩)، والبيهقي (٧/ ٢٦٣)، واللفظ له من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وكذا الترمذي (٧٨٠)، قال الألباني: «وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود عند الطبراني (٣/ ٨٣/ ٢)، وابن السني (٤٨٣)، وإسناده صحيح كما بينته في «الإرواء» (٢٠١٣)» اهـ. انظر «آداب الزفاف» (ص٨٣)، وهو في «صحيح الجامع» (٥٣٩)، و«الصحيحة» (١٣٤٣).

(٣) رواه مسلم (١٤٣٠)، وأبو داود (٣٧٢٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وانظر «آداب الزفاف» (ص٨٤-٨٦)، فهناك بحث يجدر الرجوع إليه في هذه المسألة.

عن علي ﷺ قال: صنعت طعامًا فدعوتُ رسول الله ﷺ فجاء فرأى في البيت تصاوير فرجع، فقلت: يا رسول الله، ما أرجعك بأبي أنت وأمي؟ قال: «إنّ في البيت سترًا فيه تصاوير وإنّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تصاوير»(١).

وعلى هذا جرى عمل السلف الصالح ﷺ فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو «أن رجلاً صنع له طعامًا فدعاه فقال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم، فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة ثم دخل»(٢)، وقال البخاري: «ودعا ابن عمر أبا أيوب فرأى في البيت سترًا على الجدار فقال ابن عمر: غلبنا عليه النِّساء، فقال: من كنت أخشى عليه فلم أكن أخشى عليك فوالله لا أطعم لكم طعامًا فرجع»(٣).

ما يُستحب لمن حضر الدعوة:

يستحب لمن حضر الدعوة وأكل منها عدة أمور منها:

أولاً- الدعاء لصاحب الدعوة بعد الفراغ منها، وفيه أحاديث:

(أ) **«اللهمَّ اغفر لهم وارحمهم وبارك لهم فيما رزقتهم»**(٤).

(ب) **«اللهمَّ أطعم من أطعمني واسقِ من سقاني»**(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٣٥٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣١٥/١/٣٩/٢)، والزيادة له بسند حسن، ذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٨٩)، وصححه الألباني أيضًا في «صحيح الجامع» (١٩٦٣).

(٢) رواه البيهقي (٧/٢٦٨)، وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/٢٠٤)، وعلقه أبو بكر المروذي في كتاب «الورع» (١/٢٠)، ذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٩٣).

(٣) ذكره البخاري في «صحيحه» معلقًا، كتاب «النكاح» «باب هل يرجع إذا رأى منكرًا في الدعوة؟»، انظر «الفتح» (٩/١٥٧)، دار الريان.

(٤) رواه مسلم (٢٠٤٢)، وأبو داود (٣٧١١)، وأحمد (٤/١٨٨)، والنسائي (٣/٦٦)، وابن حبان (٥٢٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٧٧)، وقال الألباني في تحقيقه له: صحيح الإسناد، والحديث رواه عبد الله بن بسر ﷺ، وذكره الألباني كذلك في «آداب الزفاف» (ص٩٤).

(٥) رواه مسلم (٢٠٥٥)، وأحمد (٦/٢، ٣، ٤) من حديث المقداد بن الأسود ﷺ.

(جـ) «أكل طعامَكم الأبرارُ، وصلَّت عليكم الملائكة وأفطَر عندكم الصائمون»[(١)].

ثانيًا ـ الدعاء للزوجين بالخير والبركة وفيه أحاديث:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ كان إذا رفّأ الإنسان إذا تزوج قال: «بارك اللهُ لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[(٢)].

(ب) يدعو لهما بهذا الدعاء «اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في بنائهما»[(٣)].

(جـ) أو يقول: «على الخير والبركة، وعلى خير طائر»[(٤)]. أي على أفضل خير ونصيب، وطائر الإنسان بنصيبه.

ثالثًا ـ عدم طول المكث عند الزوجين فعلى من حضر الوليمة إذا كانت في البيوت أن لا يطول مكثه عندهم.

رابعًا ـ استحباب الهدية للعروسين:

وهذه الهدية متعارف عليها في عُرف الناس وكل على حسب تقاليده وعادته بشرط أن توافق الشرع.

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٣٦)، والنسائي (٢٩٦)، وابن ماجه (١٧٤٧)، وابن حبان (٥٢٩٦)، وأحمد (٣/١٣٨) من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه، ومن حديث عبد الله بن الزبير عند ابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٣٧).

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٢٩)، و«صحيح ابن ماجه» (١٥٤٦).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٠-٢١)، والطبراني في «الكبير» بسند حسن، كما قال الألباني في «آداب الزفاف» (ص١٠٢)، وهو من حديث بريدة رضي الله عنه في قصة زواج علي رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري (٥١٥٦)، ومسلم (٤/١٤١) من حديث عائشة وهو من كلام النسوة لها لما بنى بها رسول الله ﷺ.

فعندنا في مصر مثلاً تسمى «النُقطة»، فتقوم النساء والرجال «بنقطة» العروسين وهذه تكون بالمال، لأن العروسين أكثر ما يحتاجون إليه في أول أيامهم هو المال فالزوج تعب كثيراً حتى يجهز شقته ويأتي بالأثاث، والزوجة كذلك في تجهيزها، وهو سيجلس في بيته أيامًا بلا عمل، فالمال يُعدُّ لدى الكثير من أفضل الهدايا.

ويمكن إحضار تلكم الهدايا التي تُسعد الزوجين من الأشرطة الدينية التي تتحدث عن حقوق الزوجين، ومفتاح السعادة بينهما، وحسن العشرة، ومعرفة هدي النبي ﷺ في الزواج، وكذلك الكتب التي تتحدث عن هذه المواضيع، وخاصة إذا كان الزوجان ممن تزوجوا بدون فهم وعلم لأحكام الزواج وآدابه في ظل الإسلام.

وقد تكون الهدية طعامًا يُهدى للزوجين في ليلة الزفاف وفي ذلك حديث: قال أنس: تزوج النبيُّ ﷺ فدخل بأهله فَصَنَعتْ أمُّ سُليم حسيسًا فجعلته في تور فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بَعَثَت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا من قليل يا رسول الله، قال: فقال: «ضعه»، ثم قال: «اذهبْ فادعُ لي فلانًا وفلانًا وفلانًا ومن لقيتَ»، وسمَّى رجالاً. قال: فدعوت من سمَّى ومن لقيتُ. قال ـ الجعد أبو عثمان ـ قلت لأنس كم كان عددهم؟ قال: زهاء ثلاثمائة[1].

(١) رواه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨)، (٩٤)، والترمذي (٣٢١٨)، والنسائي (٣٣٨٧).

قبل أن تقطف الثمرة!

إذا اعتبرنا واعتقدنا أن الزواج هو ارتباط روح بروح، وقلب بقلب، كان لزامًا علينا أن نتسامى بهذه العلاقة السامية بين الزوج وزوجته، ونكرر بأنَّ الإسلام لم يترك شيئًا إلا وقد بيَّنَ لنا فيه هديًا سواءً كان من الكتاب أو من السنَّةِ المطهرة.

والعاقل هو الذي يقطف الثمرة دون أن يُصيبها بضرر يُذهبُ عبيرَها ورائحتها الطيبة، فلابد من التعامل معها برفق، وليلة الزفاف ـ البناء ـ، هي أهم ليلة في حياة الزوجين، وخاصة عند المرأة لأنَّ المرأة تأخذ الطابع الأول عن زوجها، فإما تُحبه وتدوم مودتها له على أساس المعاملة في هذه الليلة، وإما أن تكرهه وتندم على الارتباط به بسوء معاملته إياها في هذه الليلة حتى لو أحسن لها بعد ذلك.

وزمام الأمر في الليلة الأولى يكون بيد الرجل غالبًا، ونادرًا ما تشترك المرأة مع زوجها في ذلك لشدة حيائها، وعلى الرجل أن يكون حكيمًا، وليعلم أنّه يتعامل مع قلب وروح فليرسل قلبه وروحه إلى قلبها وروحها أولاً حتى يستأذن بالدخول عليها فإن أذنت فليدخل وإلا فليتنظر قليلاً، فيوشك أن تفتح له، فإن أبى ودخل بدون إذنها فالويل له، لأنَّ حياته ستكون مشوهة بالحزن والشقاء معها؛ لأنَّه سيتعامل مع جسد ميت وحجارة جامدة مما يفقده اللذة والسعادة الحقيقية المرجوة من الزواج. فاحذر أخي أن تبدأ حياتك بسوء معاملة لا يُحمد عقباها فيما بعد.

إن المرأة الزوجة الفتاة يعتريها الخوف والقلق في هذه الليلة من ذلك الرجل الغريب، وعلى الرجل العاقل الحكيم أن يُحسن استقبالها، ليذهب خوفها وروعها، ولا يتأتى ذلك إلا بالفهم الصحيح لشرع الله.

فليس من الحكمة أن تكون بداية الحياة بين الزوجين مبنية على الاغتصاب والإكراه من الزوج لزوجته، فعليه أن يتمهل ويتخذ الأسباب التي تجعل من زوجته ريشة في مهب الريح يأخذ بها كيفما شاء مع رغبتها الكاملة في ذلك.

وفيما يلي توضيح لبعض الأساليب والآداب التي تكون بين الزوجين بعد الدخول إلى عش الزوجية.

إنَّ كثيراً من الناس لا يفهم حسن المعاملة وآدابها في الزواج، وما أكثر جهل المرأة والرجل كذلك لهذه الآداب! وذلك لجهل أم الزوجة بهذه التعاليم، وجهل الزوج أيضًا، وما تعارف عليه الناس أكثره لا أصل له في الإسلام، بل هي عادات وتقاليد أكثرها فاسدة وخاطئة يتوارثها الناس، والزوج بجهله يُقلد فيسمع ما يقوله له السفهاء فيفعله مع أنّه الضرر والشرر المستطير.

وآداب اللقاء بين الزوجين يستحي الكثير من الناس أن يتكلم فيها، فلا تسمعه في المساجد ولا في حلقات التعليم، مع أنَّه من الدين مادام موافقًا لشرع الله كتابًا وسنة، ومعلوم أنّه لا حياء في العلم، وإنما كمال الحياء في الدين.

فإن لم يعلم الزوج كيف يتعامل مع زوجته من خلال الإسلام، والزوجة كذلك فمن أين سيعلم؟ هل من كلام أهل الضلال؟ أم من الأقلام الخليعة الداعية إلى فساد الأخلاق كما يفعل الكثير من المتزوجين حينما يذهب ليشاهد فيلمًا كي يتعرف على كيفية المعاملة مع الزوجة؟!

والسؤال الآن ما الأمور التي ينبغي معرفتها عند لقاء الزوج بزوجته وما شروط قطف الثمار الزكية في ليلة الزفاف والبناء؟!

أولاً. ملاطفة الزوجة عند الدخول بها: أول ما يبدأ به الزوج هو أن يُشعر الزوجة بالأمن معه وبعدم غربتها؛ بأن يؤنس وحشة الغربة التي بينهما، وهذا يتأتى في أول لقاء بينهما بالكلمة الطيبة والملاطفة منه إليها بأن يُقدِّم لها شرابًا حلواً، أو لبنًا، ونحوه.

فعن أسماء بنت يزيد ﵂ قالت: «إني قينتُ عائشة لرسول الله ﷺ، ثمَّ جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلى جنبها، فأتى بعُس لبن فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضتْ رأسها واستحيت. قالت أسماء: فانتهرتها، وقلتُ لها: خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئًا»[1].

وعن أمِّ سلمة ﵂: «أنَّ النبي ﷺ لما تزوجها فأراد أن يدخل عليها سلَّمَ»[2].

إنَّ مجرد أنس الزوجة بزوجها بداية تضمن للزوج استمرار السعادة ـ إن شاء الله ـ بينه وبين زوجته؛ لأنَّ الأنس مفتاح يفتح به الزوج قلب المرأة لاستقباله، وإذا كان القلب سيد وملك الأعضاء فإنَّه بامتلاكه لقلبها أصبح يمتلك كل ما فيها امتلاك الرغبة والحب لا امتلاك الاعتداء والإكراه.

---

(١) قال الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢٠)، أخرجه أحمد (٦/٤٣٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٨) مطولاً ومختصراً بإسنادين يقوي أحدهما الآخر، وأشار المنذري إلى تقويته (٤/٢٩)، ورواه الحميدي أيضًا في «مسنده» (٢/٦١)، وله شاهد من حديث أسماء بنت عميس عند الطبراني في «الصغير»، و«الكبير»، و«تاريخ أصبهان» لأبي الشيخ (٢٨٢-٢٨٣)، وكتاب «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢/٢٦) اهـ.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص١٩٩).

ومما ينبغي أن يتعلمه الزوج في هذه الليلة هو السحر الحلال، وهو يُعدُّ الكلمة الطيبة التي تكون كالماء الزلال للمرأة يروي بها ظمأ الغربة والوحشة والخوف عندها، وهذا السحر الحلال أفضل ما يكون عندما يخرج من بين شفتي المرأة ونادرًا ما يكون هذا منها في أول ليلة بينها وبين زوجها، فهل عقل الرجال وأحسنوا هذه الملاطفة قبل فعل أي شيء؟ أم تغافلوها فكان ما كان مما لا يُحمد عقباه؟!

بعض الرجال ـ هداهم الله ـ يتعامل مع المرأة في أول ليلة بحمق وغُشم، ممَّا يضيع ويفوت عليه لذات الحياة والسعادة بقية عمره بعد ذلك.

يقول ابن حزم وهو يحدث عن رجل كان ببغداد «أنَّه تزوج بفتاة وأحبها فلما كانت ليلة الزفاف استعجل أمره فرأت الفتاة كبر عضوه فتغيرت منه وأبت الرجوع إليه حتى الموت»، فكان استعجال أمره سببًا في فسخ العرس وحل الروابط، ولو انتظر صاحبنا حتى لانت فتاته وهدأ غزاله لقرت عينه وسعدت حاله.

وقد حدَّثني بمثل ذلك أحدهم عن بعض أصحابه أنَّه تزوج بفتاة فلما بنى ودخل بها تعرَّى أمامها وأظهر لها كل شيء كيوم ولدته أمُّه بطريقة تُرهب من يراه؛ فلما رأته الفتاة أُغمي عليها، فما أفاقت إلا بعد أن اتصل بأهلها وأخذوها إلى المستشفى، وبعد إفاقتها أبت الرجوع إليه مرة أخرى، وهكذا انتهت العلاقة بينهما دون أن يمسها، وإنما كان ذلك بحمقه وجهله، أما الفتاة فهي تعيش في حالة يُرثى لها، وأصبحت معقدة بعُقدة الزواج، فهي تأبى الزواج من أي رجل لاعتقادها السابق فيما رأته من الرجل الأول!

قد يظن بعض الرجال أنّه من الرجولة أن يأتي الزوجة في أول ليلة حتى يثبت رجولته وكبرياءه معها، ولكنه في الحقيقة أثبت شيئًا آخر أثبت حمقه وجهله وغباءه وخيبته يوم أن خسر زوجته كامرأة وإنسانة وقلب وروح وما كسب منها إلا الجسد الميت.

ثانيًا. الدعاء للعروس بالبركة: ومما ينبغي أن يفعله الزوج في هذه الليلة بعد ملاطفتها والأنس به أن يدعو الزوج لزوجته ويسأل الله بركتها وخيرها.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فليأخذ بناصيتها وليُسمِّ الله عزَّ وجلَّ، وليدعُ بالبركة، وليقل: اللهمَّ إني أسألك من خيرها وخير ما جَبَلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جَبَلتها عليه»**[(١)].

فهذه هي سنة النبي ﷺ عند البناء بالزوجة بأنْ يضع الزوج يده على مقدمة رأس عروسه، ويدعو بهذا الدعاء، وما أحلى الحياة إذا بدأت بالعبادة!!

والحذر كل الحذر من الدجالين والكُهان الذين يُلقّنون الأزواج كلامًا من وحي الشياطين، أو يستخدمون حجابًا من طلاسم وكتابات شيطانية، فلا يبدأ الزوج حياته بمعصية الله، وعليه أن يهتدي بنبيه فإنَّ خير الهدي هدي نبينا محمدٍ ﷺ.

والمتأمِّل في وضع اليد على جبهة المرأة وناصيتها وهي مقدمة شعرها يعلم أنّ الناصية هي زمام الأمر في الشيء، فمن امتلك الناصية وأمسك بها استطاع أن يقود بها ما يشاء.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩١٨)، والحاكم (٢/ ١٨٥)، والبيهقي (٧/ ١٤٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٧٠)، وذكره في «آداب الزفاف» (ص٢١).

لأنها تتعلق بالوجه الذي يعبر عن عزة وكـرامة الإنسان ورفعته، وفيه يكون الجمـال فكأن وضع اليد من الزوج علـى جبهـتهـا نوع من طلب السعـادة بهذا الجمال وطلب الإحاطة بخير المرأة بأن يلتمس منها أفضل ما فيها وأن يحظى منها بالرفعة والكرامة كناية عن علو وكرامة هذه الناصية، والله أعلم.

ثالثاً ـ صلاة الزوجين ركعتين معاً قبل اللقاء: وهذا الأدب من تمام السعادة بين الزوجين، وأدعى لاستـمرار المودة بينهما، وهناك اسـتحباب عـام في الشرع أن يجعل الرجل نصيبًا من صلاته ـ النوافل ـ في البيت مع أهله.

إنَّك إذا تدبرت المعنى المسـتفـاد من الصـلاة لعلمتَ أنَّ فيـها سـرًّا وهو أنَّ الصلاة في معناه اللغوي الدعاء وهي أيضًا تعني الصلة بين العبد وربه.

والزوجان بصـلاتهما هذه كأنّهـما يرجوان ويدعـوان الله تعالى بدوام الصلة بينهمـا على وفق شرع الله ـ سبحـانه وتعالى ـ ولأنَّ الرغبة حـقيقية بينـهما في ذلك، كانت البداية بالصـلاة التي هي أعظم عبادة بعد الشهـادة، لتكون العلاقة بينهما والترابط كارتباط الصلاة بالدين.

والرجل إذا صلَّى بزوجتـه يجعلها من خلفـه، ويصـلي ركعتين بهـا ويدعو فيهمـا بما شـاء من حضور بركتها، ورجاء الصلاح فيها. وفي ذلك آثار صحيحة عن السلف:

عن شقـيق قال: جاء رجل يقـال له: أبو حريز فقـال: إنِّي تزوجت جارية شابة بكراً، وإنِّـي أخاف أن تفركني ـ أي تبـغضني ـ فـقال عبـد الله «يعني ابن مسعود»: «إنَّ الإلف من الله، والفرك من الشيطان، يريد أن يكرِّه إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتك فـأمرها أن تصـلي وراءك ركعـتين، وقل اللهم بارك لي في

أهـلي وبارك لهـم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمـعت بخير، وفرِّق بيننا إذا فرَّقت إلى خير»[١].

وعن أبي سعيـد مولى أبي أسيـد قال: «تزوجت وأنا مملوك فـدعوت نفرًا من أصحـاب النبي ﷺ فيهم ابن مـسعود وأبو ذر وحـذيفة، قال: وأقـيمت الصلاة، قال: فذهب أبو ذر ليتقدم، فقالوا: إليك! قال: أوكذلك؟ قالوا: نعم، قال: فـتقـدمـتُ بهم وأنا عـبد مملوك وعلمـوني فقـالوا: إذا دخل عليك أهلك فصلِّ ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك، وتعوذ به من شره ثم شأنك وشأن أهلك»[٢].

رابعًا ـ التسمية عند الجماع: وبعد هذا التـمهيد من ذهاب الوحـشة من عند الزوجة واستـحضار الألفة من الزوج لزوجـته، والأنس منها له، فقـد أصبحت الزوجةُ مهـيأة نفسيًـا لقبول الزوج بـعد المقدمات والمداعبة والقـبلات التي تُهيئ النفوس للجماع بينهما، فإنَّما يأتي الجـماع كنتيجة لكل هذه الوسائل التي قدَّمها الزوج لزوجتـه، فإن لم تستجب له زوجـته فالحـذر من إتيانها دون أن تتهـيأ له نفسيًـا أولاً.

وقبل أن نتحدث عن الدعاء في الجماع نذكر الزوجين أنَّ مجرد لذة الزوجين بهذه الشهوة عبادة يؤجران عليـها إذا وجدت النية الصالحة في ذلك والتي يترتب عليها وجود الذرية الصالحة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٢/ ٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٤٦٠) وسنده صحيح، ذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١١/ ٤)، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢٢).

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور - أي المال الكثير - بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أوليس قد جعل الله ما تَصدَّقون، إنَّ بكل تسبيحةٍ صدقة، وبكل تكبيرةٍ صدقة، وبكل تهليلة صدقة، والنهي عن المنكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟». قالوا: بلى، قال ﷺ: «فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»[1].

فمع كمال اللذة والفرحة بقضاء الشهوة مع أبلغ السُّرور يكون مع كل ذلك الأجر والثواب من الله فلله الحمد والمنَّة.

وهكذا الإسلام يجعل من العادات عبادات، ويجعل من المباحات التي يفعلها الإنسان عبادة يُثاب المرء عليها، فالعبادة في الإسلام ليست مقصورة على الخشوع والصلاة والزكاة وغيرها من العبادات المعروفة ولكنها تتعدى إلى غير ذلك لتشمل كل حياة الإنسان إذا سبقته نيته الخالصة لله - سبحانه - في هذا العمل.

فنعمت اللذة لذةً تفرح صاحبها في الدنيا ويصل بها إلى الجنة في الآخرة، وبئست اللذة التي تفرح صاحبها في الدنيا ثم تدخله النار يوم القيامة، فلا بارك الله في لذة يعقبها ندم.

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦) والسياق له، والنسائي (٧٨/٢) من «عشرة النساء»، وأحمد (١٦٧/٥، ١٦٨، ٧٨)، قال السيوطي - رحمه الله -: «وظاهر الحديث أن الوطء صدقة وإن لم ينو شيئاً» اهـ. نقله الألباني عن «إذكار الأذكار»، وانظر «آداب الزفاف» (ص٦٦).

فأين العقلاء الذين يفهمون ما في الزواج من عبادة يحتسب المرء فيها لذته، ويثقل بها ميزانه بهذه الطاعة كي يدخل جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

ما يقوله الزوج عند الجماع:

علينا أن نسأل ما هدي النبي ﷺ وسنته في هذا الأمر؟ لأننا ندين الله بهذا الزواج، فعلينا أن نسير بشرع الله فيها وقد ثبت عنه ﷺ أنّه كان يدعو بهذا الدعاء عندما يأتي أهله ولنا فيه أسوة حسنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنّ أحدَكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهمَّ جنبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإن قُضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبداً»**(١).

فانظر ـ رحمك الله ـ حتى في هذا المكان جعل الإسلام لنا فيه ذكرًا وهديًا، وفي الحديث لفتة لطيفة وبليغة ألا وهي وجود النية عند الجماع بإنجاب الذرية الصالحة.

وهذا الدعاء جهله الكثير من الأزواج، وتغافلوا عنه فأصاب أولادهم الشيطان واشترك معهم فيه، فأصبح الأولاد كما نرى ملوثين بالأخلاق، والذي تسبب لهم في ذلك هو الأب عندما غفل عن مثل هذا الدعاء.

---

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤)، وأبو داود (٢١٦١)، والترمذي (١٠٩٢)، وابن ماجه (١٩١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حتى....!!

حتى يستكمل الإنسان أسباب السعادة في زواجه وخاصة في ليلة الزفاف، فلا بد عليه أن يأخذ بأسبابها.

حتى يستطيع الإنسان أن يسبح في بحر الحب والزواج؛ فعليه أن يتعلم السباحة حتى لا يغرق في ظلمات البحر وتهلكه أمواجه.

حتى تكون ليالي الزواج كلها كأول ليلة تمامًا فما على الإنسان إلا أن يفهم معنى «التقاء الرجل والمرأة».

حتى لا تحدث المشاكل الزوجية بين الرجل والمرأة فما على الرجل إلا أن يفهم أنّه يتعامل مع ذلك المخلوق «الجميل»، اسمه الأنثى أو المرأة أرق مخلوق، له إحساس، وكذلك على المرأة أن تتفهم أنَّ الرجل عندها طفل كبير قد ملكته، فبكلمة تسعده وبكلمة تحزنه، ونظرة واحدة منها لزوجها بعين الرضا تجعله في الجنة يرتع فيها، فما عليها إلا أن تُطعمه حبها ومودتها كي تدوم عشرتها.

حتى يتحصل الزوج على المرأة الإنسانة، فما عليه إلا أن يستخدم مفتاح الملاعبة والمداعبة فحينئذ يهنأ بالحياة السعيدة معها، وكأنَّه في الجنة، فعليه أن يفهم كيف يعامل هذا المخلوق الجميل؟

فنُّ المداعبة والملاعبة بين الزوجين:

ما زلنا نتحدث عن عظمة الإسلام ويسره وموافقته للفطرة البشرية، والحديث الآن بصدد موضوع يجهله الكثير والكثيرات، مع أنَّ السنة لم تترك لنا شيئًا إلا وقد بينته لنا، وإنما يُقال مثل هذا الكلام للزوجين خاصة في ليلة

الزفاف، وكذلك في بقية أيام الزواج الجميلة، فهيا بنا نقطف هذه الثمار الزكية من كلام خير البرية:

قال جابر رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ في غزوة؛ فلما رجعنا وكنا قريبًا قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بعُرس!

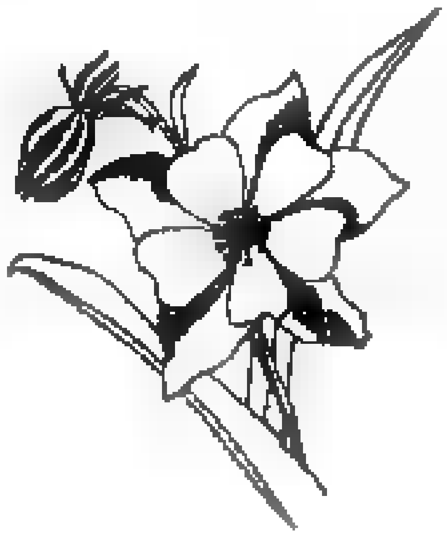

فقال رسول الله ﷺ: «أتزوجت يا جابر؟».

قلت: نعم، قال: «أبكرًا أم ثيبًا؟».

قلت: بل ثيّب.

قال: «فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»[(١)]، وفي رواية أن الرسول ﷺ قال لجابر: «ما تزوجت» فقال جابر: «ثيبًا»، فقال رسول الله ﷺ: «مالك وللعذارى ولِعابها»[(٢)].

قال الحافظ في الفتح: «وفيه إشارة إلى مص لسانها ورشف شفتيها، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل وليس هو ببعيد كما قال القرطبي» اهـ[(٣)].

وقال ابن القيم: «ومما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها»، ففي الحديث شواهد ودلائل على حسن معاملة المرأة ومداعبتها قبل اللقاء لما لأثر هذه المداعبة من وجود المتعة والانسجام بين الزوجين.

ثم انظر ـ رحمك الله ـ إلى هذه اللفتة الطيبة منه ﷺ حيث قال: «هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك» فقد حثّ ﷺ على الزواج من الأبكار لأنهنّ أدعى

(١) رواه البخاري (٥٠٧٩، ٥٣٦٧)، ومسلم بإثر (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٨)، والترمذي (١١٠٠)، وابن ماجه (١٨٦٠)، والنسائي (٣٢١٩، ٣٢٢٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٠٨٠)، ومسلم (١٤٦٦) باب «استحباب نكاح البكر».

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٢٥).

لدوام المحبة والمودة بينهما؛ لأنَّ البكر ما سبق لها اللقاء مع رجل قبل هذا الزوج، ولم تذق وطئًا قبله، فإن في فضِّ البكارة من هذا الزوج للمرأة التأثير البالغ في سر دوام العلاقة بينهما، لأنّ المرأة لا تنسى الرجل الأول في حياتها أبدًا.

إنّ الملاطفة والمداعبة لمن أهمِّ دواعي الترابط بين الزوجين، خاصة في أول ليلة، فلا بد أن يُسبق الجماع بهذه المقدمات والمداعبات حتى تتهيأ نفس المرأة والرجل كذلك لهذا اللقاء بكل سهولة ويسر.

وفنُّ المداعبة مشترك بين الرجل والمرأة، وإن كان الغالب إتيانه من الرجل ثم تشاركه المرأة بعد ذلك فتسهل عليه أشياء كثيرة كان سيفعلها، وبهذا المح ﷺ بقوله: «تُلاعبُها وتُلاعبُك»، فقد جعل منها دور المشاركة حتى تتم اللذة بينهما.

أما إذا قام بهذا الدور الرجل وحده فإنّه يشعر وكأنه يتعامل من جماد وجسد ميت بلا حراك، وفي حالة بقاء الزوجة في جمود التصرف كما تفكر بعض النساء أنَّ يتصرفن في مثل هذه الحالات والمواضع، فإذا تركت زوجها وحده في هذا العمل فإن كثيراً من الاعتبارات تُفقد وتذهب سُدى، لأنَّ التعبير عن الحبِّ ناقص إذا لم يكن هناك الشوق والرغبة المشتركان، كما أن اللقاء الجنسي نفسه يفقد روعته وكماله ومتعته لأنَّ جمود الزوجة يقضي على أجمل ما فيه.

أهمية المداعبة والملاطفة:

إنَّ جمود العواطف وتبلد الأحاسيس عند الكثير من الأزواج أدَّى إلى المشاكل التي من أثرها تُهدَمُ البيوتُ، خاصة ونحن نعيش في عصر الفتن وكثرة الشهوات، وبعد معرفة الفتاة للجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة والانفتاح الإعلامي الغاشم كان ولا بد من إثارة المداعبة والملاعبة بين الرجل والمرأة في الزواج وعند اللقاء من وقت لآخر.

ومما ينبغي على الرجل خاصة أن يعلم أنَّ العلاقة بين الزوجين ليست مجرد التقاء جسد بجسد فهذا شأن الحيوانات، ولكن اللقاء بينهما لا بد أن تكون فيه الرغبة والمحبة بينهما، والأفضل عدم التقيد بالروتين بين الزوجين فلهما الحرية الكاملة عن التعبير لذلك الحبِّ بأي طريقة مشروعة ومن ذلك فنُّ المداعبة والملاعبة

إنَّ المرأة في أول علاقة بينها وبين زوجها تشعر بالخوف وعدم الاطمئنان لرهبة الموقف وغربة الرجل عنها، والعاقل هو الذي يزيل هذه الوحشة ويُحوِّلُها إلى أنس، فيزيل الخوف ويحوله إلى مودة ورغبة.

وهذا لا يكون إلا بفنِّ الملاعبة والملاطفة من الزوج لزوجته.

وإهمال الملاعبة دليل الغباوة والحماقة لأنَّ الملاعبة من غريزة اللذات ولذتُه لا تقل عن لذات الجماع!

إنَّ الحيواناتِ البهيمة التي لا تعقل عندما تلتقي الأنثى بالذكر تراهم لا يغفلون هذا الفن بينهما والأولى بذلك هو الإنسان.

وتأتي أهمية الملاعبة والملاطفة بين الزوجين في كونها تسهل عملية اللقاء بينهما فهناك بعض الغدد التناسلية عند المرأة في الجهاز التناسلي تفرز سائلاً لزجًا يعمل على ترطيب المهبل مما يسهل الجماع بدون آلام.

فعلى الإنسان واجب مزدوج عليه أن يثير الغرام في نفس محبوبته وأن يفتن لُبَّها ويشغف قلبها حتى يُثير عواطفها إلى حد الاستعداد التام للمضاجعة[1].

وعليه أن يصنع هذا في كل لقاء بينهما وكأن كل مرة زواج جديد!!

---

(١) «تحفة العروس» (٩٩) مجدي محمد الشهاوي، بتصرف.

كيف...؟!

غريزة المرأة وحياؤها خاصة في أول ليلة تأبى عليها أن تستسلم وتذعن للرجل، فلا بد من التمنع والتدلل الذي قد يكون له فائدة لإثارة ما عند الرجل، ولا يظنٌ إنسان أن المرأة ستقبل الوضع الجديد بكل سهولة ويسر وترضى منه ذلك بدون مقدمات أو في أسرع وقت فكان ولا بد معرفة الكيفية.

كان النبي ﷺ يُنادي عائشة بقوله: «يا عائش» وهذا تصغير لاسمها يُسمَّى تصغير الترخيم وشأنه الحبُّ والمودة، قال لها ﷺ يومًا: «يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام»، قالت عائشة رضي الله عنها: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وهو يرى ما لا أرى[(١)].

وقالت رضي الله عنها: «كنت أشرب وأنا حائض - أي من إناء النبي ﷺ - فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب، وأتعرَّق العرقَ وأنا حائض ثم أناوله النبيَّ ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ»[(٢)].

وشأن المداعبة لا بد فيه من التغيير والتلوين بعدة طرق، خاصة التي تحبها المرأة من الرجل، وكلٌّ على حسب حاله وطبعه، فأول ما يكون في فن المداعبة النظرات المعبرة عن الحب والمودة، ثم الكلام وهو السحر الحلال بينهما ولابد من التخلص من الروتين الجامد بينهما أثناء العلاقة، فما أحلى الكلمةَ والهمسة ثم اللمسة، وذلك مما له الأثر البالغ في تمام السعادة بينهما.

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧)، وأبو داود (٥٢٣٢)، والترمذي (٢٦٩٣)، وابن ماجه (٣٦٩٦)، والنسائي (٣٩٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم (٣٠٠)، وأبو داود (٢٥٩)، والنسائي (١/٤٨).

وأهم ما يكون بينهما في شأن المداعبة هو رسول الحب «القُبلة»، فهذه رسالة من الرجل للمرأة يُعبر فيها عن استسلام قلبه إلى قلبها، وما أكثر نفور الزوجات بسبب غياب هذا الرسول.

سُئلت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته، قالت: «بالسواك»[1].

وفي حديث آخر تُخبرُ فيه عن النبي ﷺ فقالت رضي الله عنها: «كان يُقَبلُ وهو صائمٌ ولكنه كان أملَكَكُم لإربه»[2].

وفي هذه الأحاديث دلالة على وجود هذا الرسول بين الزوجين فقد كان يستاك ﷺ ليقبل أزواجه وهو في أحسن صورة، فأين هؤلاء الرجال الذين تركوا هدي نبيهم ﷺ.

جاء في كتاب (تحفة العروس): «قالت ماري ستوب، الخبيرة النفسية وهي تعبر عن رغبة بنات حواء بصراحة مكشوفة: على الرجل أن ينادي شفتيها بشفتيه! وإذا لمس من عروسه هذا الاستسلام وتلبية ندائه فعليه عندئذٍ أن ينتقل بشفتيه وألا يحصر نشاطهما على شفتيها، فيمزج لعابه بلعابها وهذا من العوامل التي تثير وتنشط الشعور الجنسي بذلك ولا بأس بل من الضروري الانتقال بشفتيه إلى أمكنةٍ أخرى مثل الأذن والعنق والجيد»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، وأبو داود (٢٣٨٢)، والترمذي (٧٢٩)، وابن ماجه (١٦٨٧).

(٣) «تحفة العروس» (ص١٦١).

استمرار المداعبة بعد الجماع!!:

إياك أن تشعر المرأة بأنك كنت تريدها لقضاء حاجتك فقط، فهذا مما يُسبب كراهية المرأة للرجل، فما أحلى أن يُشعر الرجل زوجته أنَّه يحتاجها ويحبها حتى بعد الجماع وهذا مما يزيد الأُلفة والمودة بينهما، لأنَّ الزوجة حينئذٍ تشعر بقيمتها كإنسانة برفع الرجل لها في هذه المكانة.

فليفهم الرجال قيمة وأهمية المداعبة بعد اللقاء حتى يكسب زوجته، وإلا سيخسر المرأة إنسانة إذا أهمل هذا الخُلق، نقل صاحب كتاب (تحفة العروس) كلام أحد المتخصصين في العلاقة الزوجية حيث قال: «الملاعبة بعد الجماع لها أهمية كبرى في العلاقات الجنسية ومن المؤسف أنّها لا تنال إلا الإهمال فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعد بعد الجماع مباشرة، ولا سبب لذلك إلا الجهل والإهمال، فيدير الرجل وجهه ويستغرق في النوم بينما تشعر الزوجة بهبوط تلهفها تدريجيًا فيحرِم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية، كما يُفسد على زوجته استمتاعها بمشاركته تلك اللحظة وحنانها الجميل، وحاجتها الأكيدة إلى المداعبات والقُبلة والكلمات الحلوة التي تطلبها المرأة أكثر من الاستمتاع الجسدي.

لذلك يجب على الزوج الاستمرار في إمتاع زوجته ومداعبتها بعد إشباع رغباته، ويكفي أن يمنحها كلمة حب أو قبلة أو لمسة رقيقة أو عناقًا»[1].

المداعبة عبادة مباحة:

يظنُّ البعض عدم جواز الخوض في مداعبة زوجته كثيرًا حتى لا تذهب مروءته ورجولته معها وهذا غير صحيح.

---

(١) المصدر السابق (ص١٦٠).

قال رسول الله ﷺ: «كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: مُلاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»(١).

وفي رواية: «كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميَهُ بقوس، وتأديبَه فَرَسَه، وملاعبتَهُ أهلَه، فإنهنَّ من الحق»(٢).

(١) أخرجه النسائي في «عشرة النساء» رقم (٥٢)، والطبراني في «الكبير»، والبزار وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ١٧٠) من حديث جابر بن عبد الله وجابر بن عمير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٣٤)، و«الصحيحة» (٣١٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، وابن ماجه (٢٨١١)، والنسائي (٣١٤٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، ويشهد له حديث (٣١٥) في «الصحيحة».

ما يجوز بين الزوجين

هناك أمور يظنّها البعض حرامًا أو مكروهة وذلك بسبب عدم المعرفة، والتقليد الأعمى بدون فهم أو دليل، أو الاعتماد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فعلى كل إنسان يعبد الله ـ تعالى ـ أن يتحرى الصدق والصحة والتثبت مما يفعل حتى لا يقع في حرام أو بدعة، ومن أهم ما يكون في ذلك أن ينظر عمن يأخذ عنه هذا الدين قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ: «إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم»(١).

وها نحن نتكلم الآن عن الأمور المباحة بين الزوجين:

أولاً ـ جواز التجرد من الثياب عند الجماع:

يجوز شرعًا بلا تحريم أو كراهة أن يرى الرجل امرأته كلها على أي حالة كما ولدتها أمها، والمرأة كذلك بالنسبة للرجل، ولكن المطلوب هو الوسيلة والأسلوب الصحيح في هذه الرؤية حتى لا يقع نظر أحدهما على شيء يكرهه في الآخر.

فجائز شرعًا أن يرى الزوج عورة زوجته، وللزوجة مثل ذلك سواء كان ذلك في الجماع أو غيره ما داما في خلوة لا يراهما أحد.

ولم يصح عن النبي ﷺ حديث في النهي عن التجرد من الثياب عند الجماع، فكل الأحاديث الواردة في ذلك إما موضوعة أو ضعيفة جدًا لا يصح الاستدلال بها، ودليل جواز التعري لكل من الزوجين أمام الآخر ما يلي:

---

(١) أورده مسلم في «المقدمة» «باب بيان أنَّ الإسناد من الدين».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد بيني وبينه تختلف أيدينا فيه، فيبادرني حتى أقول: دع لي، دع لي. وهما جنبان»(١).

ففي الحديث جواز نظر الزوج إلى عورة زوجته، وهذا الشاهد مستنبط من الحديث لأنَّه لا يُعقل أنَّهما كانا يغتسلان بالملابس، ولا يعقل أنَّ كلًّا منهما كان يغض بصره عن الآخر! فقد كانا يغتسلان وقد تجردت الثياب.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: **«احفظ عورتَك إلا من زوجتِك أو ما ملكت يمينُك»**، قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ إن كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: **«إن استطعتَ أن لا يرينَّها أحداً فلا يرينها»**.

قلت: يا رسول الله! فإن كان أحدنا خاليًا؟ قال: **«فالله أحقُّ أن يُستحى منه من الناس»**(٢).

وهذا شاهد آخر فقد نهى النبي ﷺ عن ظهور العورة إلا من الزوجة فهي المخلوق الوحيد المستثنى من رؤية العورة، وكذلك الزوجة بالنسبة للزوج، وهذا المعنى مستنبط كذلك من قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)، وذلك لامتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه، وانضمام الجسد إلى الجسد تشبيهًا بالثوب. فلا يجوز لمخلوق على الإطلاق أن يرى عورة الآخر إلا ما كان من الزوجة لزوجها أو الزوج لزوجته. وأما غير ذلك فلابد من ضرورة تبيح هذا المحظور.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٠)، ومسلم (٣٢١).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩)، وابن ماجه (١٩٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣)، وقال في «آداب الزفاف» (ص٤٠): سنده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. اهـ.

أحاديث لا تصح في عدم التجرد من الثياب:

١ ـ «إذا جامع أحدُكم زوجتَه أو جاريتَه فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى»(١).

فالنظر في متن الحديث يتبين كذبه ووضعه لأنَّه كيف يحل للرجل الاستمتاع بفرج المرأة وفي نفس الوقت يحرم عليه النظر إليه!

٢ ـ «إذا أتى أحدُكم أهله فليستتر، ولا يتجرد تجرد العَيْرَيْن»(٢).

٣ ـ وعن عائشة قالت: «ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ قط، أو ما رأيت فرج النبي ﷺ قط»(٣).

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/٥٠٧)، وانظره «تنزيه الشرعية» (٢/٢٠٩)، و«تذكرة الموضوعات»، للفتني (١٢٦)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٠)، و«الميزان» (١٢٥٠)، وأورده الألباني في «الضعيفة» برقم (١٩٥)، وقال: موضوع، وقال فيه: «والنظر الصحيح يدل على بطلان الحديث، فإن تحريم النظر بالنسبة للجماع من باب تحريم الوسائل، فإذا أباح الله تعالى للزوج أن يجامع زوجته فهل يعقل أن يمنعه من النظر إلى فرجها؟! اللهمَّ، لا، ويؤيد هذا من النقل حديث عائشة قالت: «كنتُ أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد بيني وبينه». وإذا تبين هذا فلا فرق حينئذٍ بين النظر عند الاغتسال أو الجماع فثبت بطلان الحديث» اهـ.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٢١) عن عتبة بن عبد السلمي، وهو حديث ضعيف، ضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٤٢١)، و«الإرواء» (٢٠٠٩)، و«آداب الزفاف» (ص٣٧-٣٩)، وقال فيه: «وفيه سنده الأحوص بن حكيم، وهو ضعيف، وبه أعله البوصيري وفيه علة أخرى، وهي ضعف الراوي عنه الوليد بن القاسم الهمداني، وضعفه ابن معين وغيره، وقال ابن حيان: «انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم، فخرج عن حد الاحتجاج به»
ولهذا جزم العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٤٦) بضعف سنده، وأخرجه النسائي في «عشرة النساء» (٧٩/١)، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (١٣/١٠)، وابن عدي (٢/١٤٩، ٢/٢٠١)، عن عبد الله ابن سرجس، وقال النسائي: حديث منكر وصدقة بن عبد الله (يعني أحد رواته) ضعيف. اهـ.

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٢٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٤٢٢)، و«آداب الزفاف» (ص٣٧) وقال فيه: أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص٢٧)، ومن طريقه أبو نعيم (٢٤٧/٨)، =

فكل هذه الأحاديث تدور بين الوضع والكذب والضعف الشديد، فلم يصح حديث قط في النهي عن التجرد بين الزوجين.

ثانيًا ـ حرية الوضع الجسدي أثناء الجماع:

يجوز للرجل أن يأتي زوجته في قبلها «الفرج» من أي جهة شاء من خلفها أو من أمامها لقوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، أي: كيف شئتم مقبلة ومدبرة ومستلقية، ما دام الإتيان سيكون في موضع الولد وهو قبلها الذي يُزرع فيه المني لابتغاء الولد، ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة من خلفها، المهم أن يأتيها في قبلها ـ فرجها ـ بأي كيفية وفي ذلك أحاديث منها ما يلي:

* عن جابر رضي الله عنه قال: «كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته في دبرها كان الولد أحول»، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[(١)].

= والخطيب (١/ ٢٢٥)، وفي سنده بركة بن محمد الحلبي، ولا بركة فيه فإنه كذَّاب وضاع، وقد ذكر له الحافظ ابن حجر في «اللسان»، هذا الحديث من أباطيله.

وله طريق آخر عند ابن ماجه (١/ ٢٢٦، ٥٩٣)، وابن سعد (٨/ ١٣٦)، وفيه مولاة لعائشة وهي مجهولة، ولذلك ضعف سنده البوصيري في «الزوائد» اهـ.

قال ابن حزم في «المحلى» (٩/ ١٦٥): «ومن العجب أن يبيح بعض المتكلفين من أهل الجهل وطء الفرج ويمنع من النظر إليه، ويكفي من هذا قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥-٦). فأمر ـ عزَّ وجلَّ ـ بحفظ الفرج إلا على الزوجة، وملك اليمين، فلا ملامة في ذلك، وهذا عموم في رؤيته ولمسه ومخالطته.

وما نعلم للمخالف تعلقًا إلا بأثر سخيف عن امرأة مجهولة عن أم المؤمنين ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط.

وآخر: في غاية السقوط عن أبي بكر بن عياش وزهير بن محمد ـ كلاهما عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ـ وهؤلاء ثلاث الأثافي، في الديار البلاقع، أحدهم: يكفي في سقوط الحديث، اهـ.

(١) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥)، وأبو داود (٢١٦٣)، والترمذي (٢٩٧٨)، وابن ماجه (١٩٢٥)، وابن حبان (٤١٥٤)، والدارمي (١١٣٢).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان هذا الحيّ من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا ويتلذذون منهنّ مقبلات ومدبرات ومستلقيات؛ فلما قَدِمَ المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم بامرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى شرِيَ[1] أمرهما؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات؛ يعني بذلك موضع الولد»[2].

* وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، يعني: صمامًا واحدًا[3][4]، أي موضع القُبُل.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ هلكت، قال: «وما أهلكك؟» قال: حَوّلتُ رحلي الليلة[5]، قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا، قال:

---

(١) شري: أي عظم وتفاقم.

(٢) رواه أبو داود (٢١٦٤)، والحاكم (٢/ ١٩٥)، والبيهقي (٧/ ١٩٥)، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢٩)، وقال: سنده صحيح، وكذا «صحيح سنن أبي داود» (١٨٩٦).

(٣) أي مسلك واحد وهو موضع الفرج.

(٤) رواه الترمذي (٢٩٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٠٥)، والبيهقي (٧/ ١٩٥)، وصحح إسناده الألباني في «آداب الزفاف» (ص٣١)، وقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم» اهـ.

(٥) كنّى برحله عن زوجته، أراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها، لأنّ المجامع يعلو المرأة ويركبها ممّا يلي وجهها، فحيث ركبها من جهة ظهرها كنّى عنه بتحويل رحله.

فأُنزِلتْ عليه هذه الآية: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾: أقبل وأدبر واتقِ الدبر والحيضة»[١].

فللزوج أن يجامع زوجته بأي كيفية ما دام يأتيها في موضع الولد، والحديث عن أفضل أوضاع الجماع تكلم عنه ابن القيم - رحمه الله - في (زاد الميعاد) وخلاصته أن أفضل وضع للجماع هو موضع الافتراش وهو أن يعلو الرجل زوجته مفترشًا لها، ولهذ سميت المرأة فراشًا كما قال ﷺ: «الولد للفراش»[٢]، وهذا للوضع من تمام قوامة الرجل.

ويجوز أي وضع غير الوضع السابق والأفضل التجديد في الوضع، وعلى الكيس أن يتخير الوضع المناسب بجسده وهيئة زوجته الجسدية والصحيَّة ولذلك اختلفت الأوضاع لاختلاف الأجساد وليس من العيب أن يسأل الزوج زوجته عن الوضع الذي ترتاح له لأنّ هذا أدعى لدوام الألفة بينهما وعدم الملل من اللقاء.

قال صاحب كتاب (تحفة العروس)، وقد قال أحد الأطباء: «أخبرتني إحدى الزوجات أنها تكاد تُسحق تحت ثقل زوجها ولعله يكون كالفيل بل تكاد أحيانًا تختنق!! ولا تبرأ من هذا الكابوس المزعج إلا بعد ساعات من كل جماع، لأنَّ زوجها يأبى أن يتخذ وضعًا آخر غير هذا الوضع الذي يعتقد أنّه الوضع الطبيعي الجائز شرعًا.

ومما زاد الطين بلّة أنه كان يجهل أنّه يجب عليه أن يلقي ثقله على مرفقيه لا على جسم زوجته!!»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٩)، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» (٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٠٨)، والترمذي (١١٥٧)، وابن ماجه (٢٠٠٦)، والنسائي (٣٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «تحفة العروس» (ص١٢٩-١٣١).

ثالثًا ـ جواز القبلة بلا نقض للوضوء:

القُبلة وإن كانت حارَّةً لا تنقض وضوءاً، ولا تفسد صومًا، فمن الناس من يعتقدُ أنَّ القبلة تنقض الوضوء وكذلك تفسد الصيام، وهذا مما ليس من الإسلام في شيء، وهو اعتقاد خاطئ ليس له دليل صحيح، والدليل على جواز القبلة من المتوضئ مع ثبوت وضوئه وكذلك الصيام ما يلي:

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ النبي ﷺ قَبَّلَ بعضَ نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قال: قلتُ: من هذا إلا أنتِ! قال: فَضَحِكَتْ»[1].

وعنها رضي الله عنها أيضًا قالت: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يُقَبِّلُ ويُباشِرُ وهو صائم، وكان أملككُم لإربه»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ النبي ﷺ كان يُقَبِّلُ في شهر الصوم»[3].

ولكن ينبغي على الزوج الذي لا يملك إربه؛ ألا يُقدِمِ على فعل المباشرة والتقبيل حتى لا تؤدي للجماع؛ فيفسد صومه أو يُنقض وضوءه، والأحاديث فيها دلالة الإباحة في التقبيل وعدم تأثيرها في نقض الوضوء أو إفساد الصيام وذلك لمن ملك نفسه.

---

(١) رواه أبو داود (١٧٨)، والترمذي (٨٦)، وابن ماجه (٥٠٢)، والنسائي (١٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٩٧)، و«المشكاة» (٣٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، وأبو داود (٢٣٨٢)، والترمذي (٧٢٩)، وابن ماجه (١٦٨٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٢٨)، ومسلم (١١٠٦)، وأبو داود (٢٣٨٤)، وابن ماجه (١٦٨٣)، والترمذي (٢٧٢٧).

رابعًا - جواز النوم بعد الجماع بلا غُسل:

يجوز النوم بعد الجماع لكل من الزوجين بلا غُسل أو وضوء، ولكن الأفضل لهما الوضوء أو الغسل ما تيسر لهما ذلك لأنه يساعد على النشاط وعدم التبلد والكسل، خاصةً إذا أراد الرجل أن يعود للجماع مرة أخرى.

- فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتى أحدُكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ وضوءه للصلاة»**[١]، وفي رواية: **«فإنّه أنشطُ للعود»**[٢].

- وعن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يأكل، أو ينام وهو جنب، غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة»[٣].

- وعن عبد الله بن قيس قال: سألت عائشة، قلتُ: كيف كان رسول الله ﷺ يصنع في الجنابة؟ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[٤].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٨)، وأبو داود (٢٢٠)، والترمذي (١٤١)، وابن ماجه (٥٨٧)، والنسائي (٢٦٢)، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٣٥)، وكذا في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٢١٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «الطب» (٢/ ١٢)، وكذا ابن حبان والحاكم وغيرهم، وانظر «صحيح سنن أبي داود» برقم (٢١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٥) بنحوه، وأبو داود (٢٢٣)، وابن ماجه (٥٩١، ٥٩٤)، وأحمد (٦/ ٣٦، ١٩٢)، والبيهقي (١/ ٢٠٠، ٢٠٣)، ورواه البخاري كذا بنحو هذا المعنى (٢٨٨)، وصححه الألباني في الروايات الأخرى في «صحيح الجامع» (٤٦٦٠)، و«صحيح أبي داود» برقم (٢١٨).

(٤) رواه مسلم (٣٠٧)، وأبو داود (٢٢٥)، والترمذي (١١٩)، وابن ماجه (٥٩١)، والنسائي (٢٥٥)، وانظر البخاري (٢٨٦، ٢٨٨).

- وعن أبي رافع ﷺ: أنّ النبي ﷺ طاف ذات يوم على نسائه، يغتسل عند هذه، وعند هذه فقلت له: يا رسول الله! ألا تجعله غسلاً واحدًا؟ قال: «هذا أزكى وأطيب وأطهر»(١).

تنبيه: الوضوء الذي يكون بين الجماعين أو بعد الجماع لا يصح به شيء من العبادة من صلاة وغيرها، ولكنه وضوء بمثابة إعادة النشاط والحيوية والنظافة فقط.

خامسًا ـ جواز العزل:

العزل: هو نزع الرجل بعد الإيلاج لإنزال المني خارج فرج المرأة منعًا للحمل وعدم الولادة، وحكمه الجواز مع الكراهة كما قال النووي في شرحه لصحيح مسلم، وفي جواز العزل أحاديث كثيرة متفق عليها بين البخاري ومسلم وهي كذلك في بقية كتب السنة ومنها ما يلي:

١ ـ عن جابر ﷺ قال: «كنا نعزل والقرآن ينزل» زاد إسحاق، قال سفيان: «لو كان شيئًا يُنهى عنه لنهانا عنه القرآن»(٢).

٢ ـ وعنه ﷺ: «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنّ لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا(*) وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل. فقال: «اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قُدّر لها»، فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إنّ الجارية قد حبلت، فقال: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قُدّر لها»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٢١٨)، والنسائي (٢٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٥)، وفي الباب عن أنس بن مالك ﷺ، بلفظ: «أنّ رسول الله ﷺ كان يطوف على نسائه في غسل واحد»، رواه البخاري (٢٨٤)، ومسلم (٣٠٩)، والترمذي (١٤٠)، وابن ماجه (٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٠٧-٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠)، والترمذي (١٣٧)، وابن ماجه (١٩٢٧).

(*) سانيتنا: أي أجامعها وأكره حملها مني الولد.

(٣) رواه مسلم (١٤٣٩)، وأبو داود (٢١٧٣)، وأحمد (٣/ ٣١٢، ٣٨٦)، والبيهقي (٧/ ٢٢٩).

وإذا أراد الرجل أن يعزل فينبغي عليه أن يستأذن زوجته في ذلك لما فيه من فوات لذتها وإشباع شهوتها؛ فإن لم توافق فعلى الزوج أن يلبي رغبة زوجته في ذلك، وإن كان العزل جائزًا إلا أنّه مكروه.

قال ابن حجر في (الفتح ـ ٩/ ٢١٨): «اختلف السلف في حكم العزل قال ابن عبد البر: لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها لأنَّ الجماع من حقها، ولها المطالبة به، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل» اهـ.

ومِمَّا يجعل العزل مكروهًا وتركه أولى؛ أنه يفوت مقصدًا من مقاصد الزواج العظيمة وهو زيادة المسلمين ومكاثرتهم.

الوصايا الذهبية

خيرُ ما يُهدى للعروسين والزوجين الوصية الصالحة بحسن العشرة، والمعاملة الصالحة بينهما، فإن استطاع إنسان أن يوصي الزوج أو الزوجة بذلك فليفعل فقد قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولعامة المسلمين»(١).

وأفضل ما كان من الوصية هي المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩).

وقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَعٍ أعوج، وإنَّ أعوج شيءٍ في الضِلَع أعلاه، فإن ذهبْتَ تُقيمه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»(٢).

وقال ﷺ في خُطبة الوداع: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عوانٌ عندكم»(٣)، وخير الناس من كان محسنًا لأهله وزوجته قال ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقاً، وخيارهُم خيارهُم لنسائهم»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٣٦)، والنسائي (٤١٩٩) من حديث تميم الداري رضي الله عنه، ورواه البزار، والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصحح كل هذه الروايات الألباني ـ رحمه الله ـ، انظر «صحيح الجامع» (٣٤١٧)، و«الإرواء» (٢٦)، و«غاية المرام» (٣٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨)، والترمذي (١١٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٨٧) (٢٦١٠)، وابن ماجه (١٨٧٣) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وصححه ابن القيم في «الزاد» (٤/٤٦)، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص١٩٨)، و«الإرواء» (٢٠٩٠).

(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٢)، وفي «الصحيحة» (٢٨٤)، وقال في «آداب الزفاف» (ص١٩٩): «قلت: وهو حسن الإسناد عن أبي هريرة وشطره الأول صحيح جاء من طرق صحيحة عنه ﷺ» اهـ.

وقال: «خيركم، خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»[(١)].

وصايا الأهل للنساء:

عن أسماء بن خارجة ـ رحمه الله ـ أنّه زوج ابنته؛ فلما أراد أن يهديها إلى زوجها أتاها فقال: يا بنية إن النساء أحق بأدبكِ مني، ولابد من تأديبك، كوني لزوجك أمةً يكن لكِ عبدًا، ولا تدني منه فيملكِ، ولا تباعدي منه فتثقلي عليه ويثقل عليكِ، وكوني كما قلتُ لأمّكِ:

خُذي العفوَ مني تَستديمي مودتي ... ولا تنطقي في ثورتي حين أغضَبُ
فإنّي رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلبَثِ الحبُّ يَذهَبُ

- وقيل أنّه قال لها: كوني لزوجك في بعض أحيانه أقربَ من شسع نعله، وفي بعض أحيانه أبعد من الثريا.

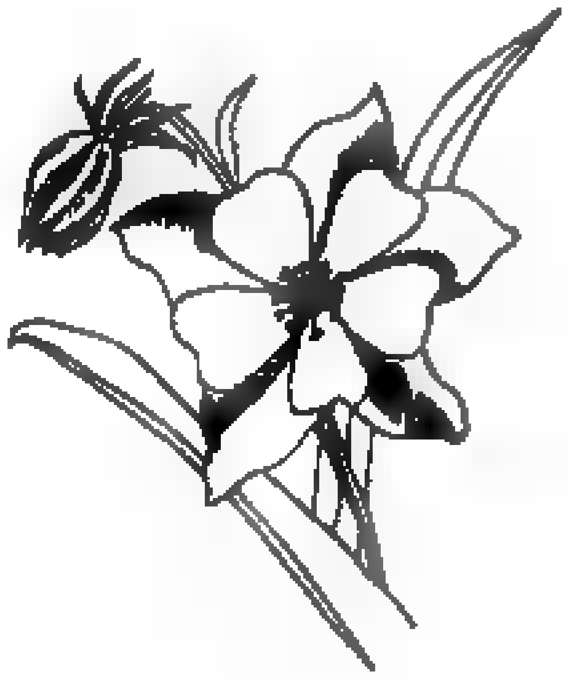

- وعليك بالطيب، وأطيب الطيب الماء.
- وإياكِ والغيرة فإنها مفتاح الطلاق.
- ودعي المعاتبة فإنها نُورة
- ولا تنطقي في فوره حيث الغضب، فإني رأيت الود في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب أن يذهب[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٩)، والترمذي (٣٨٩٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) من حديث عائشة ﵂، ورواه الطحاوي في «المشكل» (٣/ ٢١١) من حديث ابن عباس، وحسّن إسناده الألباني في «آداب الزفاف» (ص١٩٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٧١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٣٨)، والغزالي في «الإحياء» (٢/ ١٢٠).

وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: «إياكِ والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياكِ وكثرة المعاتبة فإنه يورث البغضاء، وعليكِ بالكحل فإنّه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء، وحسن الحُلي: الكحل»[1].

وأوصى آخر ابنته فقال لها: «اعلمي أنّ أهلك الذين هم أهلُكِ بعد اليوم الذين تُمسين وتصبحين فيهم، أطيعي زوجك إذا أمركِ، وائتِهِ إذا دعاكِ، وكوني له أمةً يكن لكِ عبدًا»[2].

وصية اب لبناته الأربع:

عن أبي عبيدة قال: زوّج رجل من العرب أربع بنات له، فزار أولهنّ فقال: كيف تَرين بعلكِ يا بنية؟ قالت: السهل بأرض محل، إن سألتُ أُعطَى، وإن سكتُّ ابتدأ من غير مَنٍّ ولا أذى، فقال: أي بنية رزقته بحدكِ لا بكدكِ.

ثم زار الثانية فقال: أيُّ بعلٍ بعلك؟

فقالت: جبار عنيد، من الخيرات بعيد، لا توقد له نار ولا يأمن له جار.

فقال: أي بنيةٌ صُبَّتْ عليكِ بليةٌ فليكن الصبرُ منكِ سجيةٌ، حتى تأتيك المنية.

ثم زار الثالثة فقال: كيف زوجك؟

فقالت: ذو خلق نزق وشر علق، يجود لي في الغنى، ويحرمني إذا افتقر.

فقال: أي بنية تذمين وتحمدين، وكذا الدهر يكون حين وحين، ويحمل الغَثّ والسمين.

ثم زار الرابعة فقال: أي بعلٍ بعلك؟

---

(١) «أحكام النساء» (٢/ ٧٢٥)، و«الغاية والنهاية» (١٦٤/ ٤٥)، و«تحفة العروس» (٩١).

(٢) «أحكام النساء» (٢/ ٧٢٤)، و«الغاية والنهاية» (ص١٦٣، ١٦٤/ ح٤٤).

فقالت: ذو خلق جميل، ورأي أصيل، مقبل على أهله، متكرم في رحله.

فقال: أي بنية رزقته ماجداً فامنحيه ودَّكِ وألطفيه جهدك[١].

تُرى ماذا يحدث لو كان الآباء مثل هذا الأب؟!

الوصايا العشرة هدية لكل زوجة:

قالت أمامة بنت الحارث التغلبية لابنتها أمُّ إياس بنت ابن مُحلّم عند زفافها إلى ملك كندة ـ الحارث بن عمرو الكندي:

أي بُنية، إنَّ الوصية لو كانت تُترَك لفضل أدبٍ أو مكرمةِ حسب لتركتُ ذلك منك ولزويتُها عنك، ولكنَّها تذكرة للغافل، ومعرفة للعاقل، أي بُنيّة: لو استغنتِ امرأة لغنى أبيها لكنتِ أغنى الناس، ولكننا خُلقن للرجال وخُلق الرجال لنا، أي بُنيَّة، ؛ إنَّكِ قد فَارقتِ الجو الذي منه خَرَجتِ، والعشَ الذي فيه درجتِ، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه؛ أصبح بملكه عليكِ مليكًا لكِ فكوني له أمةً يكن لكِ عبدًا.

واحفظي مني عشر خصال تكن لك دركًا وذكرًا:

أما الأولى والثاني ـ فالصحبة له بالقناعة والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة، فإنّ القناعة راحة القلب، وفي المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة ـ فالتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منكِ على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، واعلمي أن الكُحلَ أحسنُ الحسن الموجود، وأنّ الماء أطيبُ الطيبِ المفقودِ.

(١) «أحكام النساء» (٢/ ٧١٧-٧١٨).

وأما الخامسة والسادسة ـ فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإنَّ حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة ـ فالاحتفاظ ببيته ومالِه، والرعاية لحشمه وعياله فإنَّ أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة ـ فلا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنَّكِ إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيتِ أمره أوغرتِ صدره.

ثم اتقي يا بُنية الفرح لديه إذا كان ترحًا، والكآبة إذا كان فرحًا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشدَّ ما يكون لك إكرامًا، تكوني له أكثر إعظامًا، وأشدُّ ما تكونين له موافقة أطول ما تكونين مرافقة.

واعلمي يا بُنية أنّك لن تَصلي إلى ما تُحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاكِ وهواه على هواك فيما أحببتِ وكرهتِ، والله يخير لكِ ويحفظك، ثم ودَّعتها وأهدتها لزوجها[1].

وصية ام معاصرة لابنتها قبل الزفاف:

جاء في كتاب (تحفة العروس) أنَّ امرأة معاصرة أوصت ابنتها قبل زفافها فقالت لها: «يا بنيتي، أنتِ مقبلة على حياة جديدة، حياة لا مكان فيها لأمّكِ وأبيكِ، أو لأحد من إخوتك .. ستصبحين صاحبةً لرجل لا يريد أن يشاركه فيكِ أحد حتى لو كان من لحمك ودمك.

(١) «المصدر السابق» (٢/٧١٩-٧٢٢).

يا بنيتي، كوني له زوجة وأمًّا، اجعليه يشعر أنَّك كل شيء في حياته وكل شيء في دنياه، اذكري دائمًا أنَّ الرجل أي رجل - طفل كبير - أقل كلمة حلوة تسعده، لا تجعليه يشعر أنَّه بزواجه منك قد حرمك من أهلك وأسرتك، فإنَّ هذا الشعور قد يحزنه، فهو أيضًا قد ترك بيت والديه وترك أسرته من أجلك، ولكن الفرق بينه وبينك هو الفرق بين الرجل والمرأة؛ فالمرأة دائمًا تَحِنُّ إلى أسرتها وبيتها الذي ولدت ونشأت وكبرت وتعلمت فيه - ولكن لابد لها أن تُعَوِّد نفسها على هذه الحياة الجديدة، لابد لها أن تُكَيِّف حياتها مع الرجل الذي أصبح لها زوجًا وراعيًا وأبًا لأطفالها، هذه هي دنياكِ الجديدة.

يا بنيتي، هذا هو حاضرك ومستقبلك، هذه هي أسرتك التي شاركتما أنت وزوجك في إنشائها، أما أبوك فهو ماض، إنني لا أطلب منكِ أن تنسي أباك وأمك وإخوتك؛ لأنَّهم لن ينسوك أبدًا يا حبيبتي، وكيف تنسى الأمُّ فلذة كبدها؛ ولكنني أطلب منكِ أن تُحبي زوجك وتعيشي معه وتسعدي به» اهـ[1].

وللرجال نصيب من الوصية:

سبقت إشارات كثيرة في هذا البحث من الوصايا للرجل في حسن المعاملة والملاطفة مع زوجته، والكلام الآن عن الرجل من حيث وصية الناس له؛ خاصة الأقارب والأهل وأهل الخبرة الذين يتزينون بالكتاب والسنة والعمل بهما.

خطب عثمان بن عبسة بن أبي سُفيان إلى عمه عتبة ابنته، فأجلسه بجانبه وأخذ يمسح على رأسه ثم قال: «أقرب قريب، خطب أحب حبيب، لا أستطيع له ردًّا ولا أجد من إسعافه بُدًّا، و قد زوجتكها وأنت عليَّ أعز منها، وهي ألصق

---

(١) «تحفة العروس» (ص٩٣-٩٤).

بقلبي منك، فأكرمها يُمدَحْ على لساني ذكـرُك، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك، وقد قربتك مع قربك فلا تبعد قلبي عن قلبك»[(١)].

أيها الزوج العروس:

لا تنشـغل طويلاً عـن أهلك، واعلم يا أخـي أن الجلوس إلى عـروسك وملاطفتـها ليس وقتًا ضائعًـا، لا سيما إن كانت المحـادثة تسير في طريق هادف نحو قصد محدود؛ إنك بذلك تُفَهِّم زوجك وتتيح لها أيضًا الفرصة أن تفهمك؛ وهذا الفـهم هو الخطوة الأولى للمـعـاشـرة الحسنة، وكـم رأينا في واقع الناس أزواجًا يقضون العشر والعشرين من السنين ولا يفهم أحدهما الآخر، وكان ذلك سببًا من أسباب النكد والشقاق.

إنَّك يا أخي بجلوسك إلى أهلِك ومـحادثتِك إياهـا تفسح المجـال لتقنعـها بكثـير من آرائك التي تبـدو غريبة بـاديَ الأمر، والكلام أول مرة لا يـترك الأثر المطلوب ولا يلمس الإنسـان نتـيـجتـه؛ ولكن التكرار وحـسن اخـتـيـار الوقت المناسب، والأسلوب المناسب في عـرض الفكرة، وضرب الأمثلة الكثـيرة لا بُدَّ من أن يترك أثرًا كبيرًا في الإنسان.

واعلم يا أخي أنَّ الحديث الطويل الهادف غير الممل والمؤانسـة المهذبة الممتعة يملآن الحياة الزوجية بالقوة والنماء أو فضل الغذاء ولتضع نصب عينيك، ما رواه عقبة بن عامر ﷺ قال رسول الله ﷺ : «ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديبُ الرجل فرسه، ورميةُ بقوسه ونبله، ومداعبةُ أهله»[(٢)].

---

(١) «المصدر السابق» (٩٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، وابن مـاجه (٢٨١١)، والنسـائي (٣١٤٦)، وأحمـد (١٧٣٠٠)، وصححـه الألباني في «الصحـيحة» (٣١٥)، وفي حديث آخـر قال ﷺ : «كل شيء ليس من ذكـر الله ـ عزّ وجلّ ـ فهو لغو ولهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبـة الرجل امرأته، وتأديب =

وما أحلى الكلام مع العروس الزوجة بما يحببها في زوجها، فله أن يتلطف معها، بل له أن يكذب عليها في جمالها فليقل ما شاء من الكلام الطيب حتى لو كان بالنقل من غيره، وما أحلى الشعر في ذلك:

يقول ابن القيم:

يا صورة البدر لا والذي ... صوّر ليس البدر يحاكيكِ
مُنِّي علي العين ولا تبخلي ... بنظرةٍ فالعين تفديكِ
وإن تحرَّجتِ لهذا فكم ... قد سبَّحَ الرحمنَ رائيكِ
هذا بهذا فارتجي أجر من ... إن غِبتِ عنه ظَلَّ يبكيكِ[1]

= الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»، رواه النسائي في «عشرة النساء» (٥٢)، والطبراني في «الكبير»، والبزار، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ١٧٠): «إسناده جيد»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٣٤)، وفي «الصحيحة» (٣١٥).

(١) «روضة المحبين» (٢٠٥)، دار ابن رجب.

ليس من الإسلام!!!

على العاقل الكيِّس في هذه الحياة أن ينظر في أقواله وأفعاله؛ فإن وافقتْ الدينَ عَمَلها، وإن لم توافق دينه فالواجب عليه أن يجتنبها، لأنَّ الحياة كلها من المفروض أن يكون كل ما فيها لله، فكان ولابد أن ننظر عن المنكرات والمخالفات والمعتقدات الفاسدة الواهية التي تكون في الزواج وقد اعتاد الناس فعلها مع أنَّها حرام يأثم فاعلها بارتكابها ومع ذلك لا يُبالي أكثر الناس بفعلها، بل يتباهون بفعل المعاصي، ويُقابلون نعم الله عليهم بكفرها وعدم شكرها على الوجه الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى.

ونحن كما ترى أيها الأخ الحبيب لم تعد لنا شخصية وصفة تميزنا من غيرنا، فنحن مقلدون لغيرنا في فسادهم ودنو أخلاقهم، فما عرفنا منهم سوى الفساد والإفساد، ويا ليتنا أخذنا عنهم الأشياء الأخرى.

أصبحت أمتنا كالذي يقودها مالكها بعد أن يمسك بعنانها، فهي تسير وراءه بدون تفكير أو تدبير، فانظر رحمك الله إلى بيوتنا وأعمالنا وكلامنا وملابسنا وعاداتنا وتفكير عقولنا، ثم أُريد منك إجابة عن هذا السؤال بعد النظر في كل ما مضى مع التأمل في شوارع المسلمين وملابس بنات المسلمين، والآن أقول لك ما الفرق بيننا بين مظاهر حياتنا ومظاهر حياة غيرنا؟ ما الفرق بيننا وبين سلوك وأخلاقيات غيرنا؟!

وسنعرض فيما يلي بعض هذه المنكرات والمحرمات التي ليست من الإسلام في شيء، ولكنها مستحدثة جاءتنا من الغرب والشرق فاتبعناها وضللنا الطريق، وإذا

أردنا أن نعود إلى ديننا فليس لنا سوى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، قال الرسول ﷺ: **«تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»**[(١)].

أولاً - جلوس العروسين في المنصة «الكوشة»:

ما تكاد ترى عُرسًا إلا وفيه من هذا المنكر ما هو معروف ومشهور بين الناس، فهذا الأمر لا ينكره أحد بل يفتخرون به بين الناس، إننا نسأل أين الحياء؟ أين الدين؟ أين الرجولة؟ أين الشرف؟ كل هذه الأشياء صلينا عليها الجنازة ودفنَّاها في مقابر بعض العصاة هداهم الله تعالى.

هل يصح أن تجلس العروس وهي في كامل زينتها، قد خلعت ثوب حيائها وأصبحت عارية من الفضيلة فقد وضعت المساحيق التي سحقت الحياء والوقار من وجهها؟

وهذا الزوج الذي أصبح ديوثًا لا مروءة ولا رجولة عنده، إنَّه من أول يوم يفقد رجولته عندما جعل من زوجته معرضًا للأبصار والذئاب من الشباب والرجال ينظرون إليها ويتأملون جمالها فأي عقل هذا؟! وأي رجولة هذه؟ قال الرسول ﷺ: **«ثلاثةٌ قد حرَّم اللهُ عليهم الجنَّةَ: مدمنُ خمرٍ، والعاقُّ، والديوثُ الذي يقرُّ في أهله الخَبَث»**[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣)، ومالك في «الموطأ» كتاب «القدر» حديث رقم (٣) من حديث أبي هريرة وابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧)، و«الصحيحة» (١٧٦١)، و«المشكاة» (١٨٦).

(٢) رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم من حديث ابن عمر ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٢)، و«حجاب المرأة المسلمة» (ص٦٧).

فهذه المنصة التي يجلس عليها العروسان لا تجوز البتة لما فيها من المحرمات الظاهرة والباطنة من تبرج سافر للمرأة، ودياثة الزوج، والفساد المترتب على ذلك من رقص وغناء ومزامير.

وهذه المنصة ليست من الإسلام في شيء، فهل يوجد أثر أو خبر أن أحداً من الصحابة أو السلف وقبلهم سيدهم ومعلهم نبينا محمد ﷺ فعل هذه الفِعلة؟! بالطبع لا وألف لا.

ولكننا تائهون متبعون لأعدائنا؛ لأنَّ هذا المنكر وهذه المنصة المشينة أتتنا من عند الكفار من عاداتهم وتقاليدهم في الزواج، فَلِمَ الاتباع لغير هدي نبينا محمد ﷺ وقد كفانا سبحانه وتعالى مؤنة كل ذلك بأن جعل الهداية والتوفيق والفلاح في اتباعه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

وقد حذرنا ﷺ من اتباع أهل الكفر بقول: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ تبعتموهم»، قيل يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟. أي فمن غيرهم[1].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ: «من الأمور المنكرة التي استحدثها الناس في هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء يجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال، ولا يخفى على ذوي الفطر السليمة والغيرة الدينية ما في هذا العمل من الفساد الكبير، وتمكُّن الأجانب من مشاهدة النساء الفاتنات المتبرجات، وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، فالواجب منع ذلك

---

(١) رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، وأحمد في «مسنده»، وابن ماجه (٣٩٩٤)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٤، ٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والقضاء عليه؛ حسمًا لأسباب الفتنة وصيانةً للمجتمعات النسائية، مما يخالف الشرع المطهر، وإنِّي أنصح جميع إخواني المسلمين بأن يتقوا الله ويلتزموا شرعه في كل شيء، وأن يحذروا كل ما حرم الله عليهم، وأن يبتعدوا عن أسباب الشر والفساد في الأعراس وغيرها؛ التماسًا لرضا الله سبحانه وتعالى، وتجنبًا لأسباب سخطه وعقابه»[1].

وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: ما حكم ما يفعله بعض الناس في حفلات الزواج حيث يقومون بزفِّ العروسين أمام النساء ويجلسونهم في منصة «الكوشة»، أو ما يُسمَّى بالتشريعية، والعروس ينظر إلى النساء وهنّ ينظرن إليه، ونرجو الدليل على ذلك؟ جزاكم الله خيراً؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ بما يلي: هذا العمل حرام ولا يجوز لأنّ قيام الرجل هو وزوجته أمام النساء في هذه المناسبة يثير الفتنة بلا شك، ويبعث كوامن الشهوة وربما يكون فيه ضرر على الزوجة نفسها فإنّ الرجل قد يرى من النساء اللاتي أمامه من هي أجمل من امرأته وجهًا وأحسن منها خلقة، فيزهد في زوجته التي كان قد أقبل عليها وهو يظنها أجمل وأحسن النساء.

فالواجب الكف عن هذا وأن تبقى الزوجة في مكان، ويدخل عليها الزوج وحده، ولا بأس أن يدخل معه أهله إذا أرادوا أن يباركوا له في نفس الغرفة بدون أن يكون جالسًا إلى جنب زوجته يحدثها ويخاطبها أو يفعل ما يفعله بعض السفهاء من إعطائها حلاوة أو ما أشبه ذلك، وكل هذه من عادات ليست من عادات المسلمين وإنَّما هي من العادات المستحدثة بها أعداء الإسلام إلى المسلمين فاستمرءوها واستساغوها»[2].

---

(١) «فتاوى إسلامية» (٣/ ١٨٨) لابن باز.

(٢) «فتاوى علماء البلد الحرام» (ص٦٤٤).

وخلاصة القول أن المنصة «الكوشة» التي يجلس فيها العروسان أمام الناس حرام ولا تجوز شرعًا وفعلها إثمٌ مُبين، والحلال والصحيح أن تجلس المرأة في بيتها بين نساء مثلها والرجل يجلس مع رجال مثله ثم يذهب الرجل لإحضار زوجته مع عدم وجود النساء في هذا الوقت ثم يأخذها إلى بيتها ومملكتها وهي بيت الزوجية.

ثانيًا ـ الذهاب إلى «الكوافير» والزينة المخالفة:

سبق الكلام بأن الزينة من الأمور التي ينبغي أن تكون بين الزوجين، وحثَّ الإسلام المرأة خاصة أن تتزين وتتجمل لزوجها فهذا أرجى لدوام العشرة بينهما، ولكن هناك ضوابط لهذا التزين حدود، وقد نظَّمه الشرع فللمرأة أن تتزين لزوجها خاصة ليلة الزفاف، فقد صحَّ عن عائشة هذا عند زواجها من رسول الله ﷺ، وجهزت أمُّ سليم ﵂ السيدة «صفية بنت حيي» لرسول الله ﷺ كذلك.

ولكن: هذا التزين يكون في البيت ومن النساء للنساء مع عدم فعل ما حرَّمه الله من النمص ونتف الشعر والحواجب، وغير ذلك من الأمور المحرمة، ولا يصح الذهاب لهذا المكان الخبيث المشبوه الذي تدخله المتبرجات والسافرات.

هذا «الكوافير» دخيل على أمتنا من صنع اليهود جعلوه لزينة النساء كي يفتتن بهنّ الرجال، والكوافير حرام شرعًا لما فيه من الدياثة، وخلع للمروءة؛ فالمرأة تذهب إلى الرجل في الكوافير فيُمسِك شعرها ووجهها ورقبتها ويدها، فأي رجولة من زوج هذه المرأة؟ وأي نخوة عنده؟ هل ماتت؟ أين الغيرة؟ أين الرجولة؟ وكيف تسمح امرأة بهذا لنفسها؟ وحتى لو كان في الكوافير امرأة فهو أيضًا لا يجوز لأنَّه مكان مشبوه أكثر من يدخله المتبرجات الفاسقات هداهنَّ الله تعالى.

فعلى الرجـال منع النسـاء من الذهاب إلى هذا المكـان الخبيث، وعـدم اتباع التقاليد الفاسدة والافتتان بما في هذا المكان من التجمل والتزين الخبيث.

والكوافير مهـما كان فيه من الجمال والزينة إلا أنَّـه لا يجوز وما تفعله المرأة في الكوافير تستطيع بعض النساء المؤمنات الصـالحات فعله في البيت بلا حرج، ويجب التنبيه على محظورات هذا الكوافير والتزين فيه فيما يلي:

١ ـ ما يـكون في الكوافيـر من لبس «الباروكـة»، أحيـانًا، ووصل الشـعر والنّمص بنتف شـعر الوجه والحـاجبين فكل من فعل ذلك ملـعون، واللعن هو الخروج من رحـمة الله إلى سخطه، قـال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشـمات والمستوشمات والمتنمصات؛ والمتفلجات للحُسن المغيرات لخلق الله»[١].

وقال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[٢].

٢ ـ ما يتـرتب على الذهاب إلى «الكوافـير» من الفتن التي تأتي تـترى من تبرج المرأة وسفورها وخروجهـا بين الرجال في هذه الصورة التي تجلب الشهوة، وربما حُسِـدتْ المرأة على جمـالها فذهب جـمالها في هذه الليـلة، وأيضًا جَلْب غـضب الله على الرجل الديوث الذي لا يغـار على أهله، فـقد ذهبت مـروءته وغيرته، فأين هذه الغيرة وقد جعل الزوجة معرضًا يُشاهده الناس؟

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٦، ٥٩٤٣)، ومسلم (٢١٢٥)، وأبو داود (٤١٦٩)، والترمذي (٢٧٨٢)، وابن ماجه (١٩٨٩)، والنسائي (٣٤١٦، ٥٠٩٩، ٥١٠٨) عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود.

الواشمة: من تقوم بعمل «الوشم» وهو غرز الإبرة ونحوها في الجلد حتى يسيل الدم، ثم حشوه بالكحل.

المستوشمة: هي التي تطلب الوشم.

المتنمصة: هي التي تطلب إزالة الشعر من الوجه أو الحاجب.

المتفلجات للحسن: هي التي تطلب الفلج وهو فرجة ما بين الثنايا والرباعيات وهي الأسنان.

(٢) رواه البـخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤)، وأبو داود (٤١٦٨)، وابن مـاجه (١٩٨٧)، والنسـائي (٥٢٥١)، والترمذي (١٧٥٩) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

٣ ـ الإسراف والتبذير الحرام الذي يكون في غير موضعه فهذا المال كان أحرى بالعروسين أن يدخراه لحياتهما بعد الزواج، أو إدخاله في شيء من جهاز الشقة.

٤ ـ إفساد النساء للنساء فالزوجة تذهب إلى «الكوافير» فترى النساء وتتعلم منهنَّ أشياء تُفسد على الرجل معيشته، فالمرأة صاحبة الكوافير مثلاً جاهلة بالدين، فقد تتعلم منها عادات وتقاليدَ الجاهلية، وأيضًا قد ترى المرأة عورة المرأة وهذا لا يجوز، قال ﷺ: «لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة»(١).

ومما يتعلق بالتزين المُحرَّم بالنسبة للرجال كذلك ما يلي:

حلق اللحى وهذا لا يجوز شرعًا: فبعض الرجال يجعل من تزينه حلق لحيته، ولا تكاد ترى أحدًا في يوم زواجه إلا وهو يحلق لحيته، والناس يحثونه على ذلك، وربما فعل الأشياء المحرَّمة من النَّمص الذي هو محرَّم على النساء فما بالك بالرجال؟ وحلق اللحية لا يجوز البتة سواء كان في الزواج أو في غيره.

إنّ من تمام زينة الرجل وجود اللحية فيه، والحق أنّ النساء العاقلات يحببن وجود اللحية في وجه الرجل.

وحلق اللحية مخالف لهدي النبي ﷺ حيث قال: «خالفوا المشركين وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٣٣٨)، وأبو داود (٤٠١٨)، والترمذي (٢٧٩٣)، وابن ماجه (٦٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩)، وأبو داود (٤١٩٩)، والترمذي (٢٧٦٣)، والنسائي (١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ : «أَعْفُوا اللُّحى، وجُزُّوا الشوارب، وغيِّروا شيبكم، ولا تشبَّهوا باليهود والنصارى»[(١)].

وحلق اللحى فيه تشبه ظاهر بالنساء، وليس من الرجولة أن يتشبه الرجل بالمرأة، فلا يجوز حلق اللحى لأنها مخالفة لأمر النبي ﷺ وفيها تشبه بالكفار والنساء، فهي زينة الرجال وتمييز لهم عن النساء، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ.

ثالثًا ـ الغناء والرقص والموسيقى والزغاريد:

إذا أُطلقت كلمة «الغناء» مباشرةً فهو حرام، خاصَّة غناء عصرنا، والمستثنى منه هو ما وافق الشرع في الزفاف والأعياد والأفراح من الأناشيد، والشرط فيه يكون بدون موسيقى، لأن كل الموسيقى حرام، وأن يكون الغناء بين النساء والجواري والأطفال، ولا يجوز استخدام أي شيء من الآلات سوى الدُّف الذي أجازه لنا الشرع وما عدا ذلك لا يجوز إذا صاحبه موسيقى وعزف ونساء وغير ذلك من الأمور المرفوضة والمردودة شرعًا.

أما ما يحدث في أفراحنا اليوم فحدِّث ولا حرج، فأنت لا تعرف هل هؤلاء الذي يتزوجون مسلمون أم غير مسلمين؟ لم نعد نرى فرحًا وعُرسًا يرضي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والحصول عليه أصبح كالكبريت الأحمر.

أفراحنا أكثرها فسق وفجور وسفور، ورقص وغناء فاحش، وشرب خمور، واختلاط نساء برجال، بل ورقص الرجال مع النساء، والسهر طيلة الليل على مزامير الشيطان، ومحاربة الواحد الديان.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٦٧)، و«حجاب المرأة المسلمة» (ص٩٤-٩٧).

زواج هذا بدايته فكيف تكون نهايته؟!

يا سادة! علينا أن نعلم ونفهم ديننا وإسلامنا، حتى نسعد في الدنيا والآخرة، هذا الدين لم يترك لنا شيئًا إلا وقد بينه لنا، فإذا أردنا أن نفرح ونتزوج فلابد أن نرجع في ذلك كله إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيهما فقط النجاة.

فإذا تحدثنا عن الغناء فهو حرام وذلك للأدلة الآتية:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (لقمان:٦)، قال ابن مسعود «والله إنه الغناء».

وقال ﷺ: **«ليكونن في أمتي قوم يستحلون الحرَ والحرير، والخمر والمعازف»**[1]، المراد بالمعازف آلات اللهو والموسيقى.

وقال ﷺ: **«نُهيتُ عن صوتينِ أحمقينِ فاجرينِ، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة»**[2].

وقال ﷺ: **«صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة، مزمار عند نغمة، ورنة عند مصيبة»**[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٩٠)، وأبو داود (٣٦٨٥)، وأورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٧٥٠٧) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، ووصله الطبراني في «الكبير» (٣٤١٧) (١٠/ ٢٢١)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٤٦٦)، و«الصحيحة» (٩١).

(٢) رواه الترمذي (١٠٠٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩)، والطحاوي في «شرح الآثار» (٤/ ٢٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٨٠٤).

(٣) أخرجه البزار مرفوعًا (٧٩٥)، والضياء، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه البزار ورواته ثقات من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٨٠١)، و«الصحيحة» برقم (٤٢٨)، و«تحريم آلات الطرب» (ص٥٢).

وأمَّا الرقص فهو خلاعة وفسق سواءٌ كان من الرجال أو من النساء، إنَّ الذي يرقص تراه يتخبط كأنَّ الشيطان قد مسه فهو يتخلع ويتخبط، والأدهى من ذلك في الكلام عن الرقص حينما ترى المرأة ترقص أمام الرجال، فكم تكون الإثارة والفتنة؟ وماذا نقول للرجال الذين يرقصون مع النساء في هذه الأفراح؟ نقول لهم رحم الله المروءة والرجولة والحياءَ فهذه مصيبة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن الأمور المكروهة كذلك ما نسمعه في أفراحنا ونجاح أولادنا في المدارس من «زغاريد»، ورفع صوت المرأة بها فهذه من عادات الجاهلية وليست من الإسلام، إذا كانت المرأة ممنوعة من الأذان، والأذان شعيرة من شعائر الإسلام فهل يُعقل أن تُمنع عنه ويجوز لها أن ترفع صوتها بالزغاريد.

وخلاصة القول أنَّ الموسيقى بجميع أنواعها حرام شرعًا والغناء المباح نوع واحد فقط هو ما كان من الكلام والأناشيد الموافقة لشرع الله بدون موسيقى وآلات طرب إلا الدف فقط، وأن يكون هذا الغناء بالدف بين النِّساء دون الرجال، والرقص كله حرام سواء كان من الرجال أو النساء، ولو كانت بين النساء لأنه مخل بكرامة وحياء المرأة الحرة، والزغاريد لا تجوز حفاظًا على سمعة وحياء المرأة ورقص النساء بين النساء لا تفعله الحرة وإن كان بعض العلماء أجاز ذلك.

رابعًا . لبس دبلة الخطوبة:

لبس الدبلة أو الخاتم للخطوبة والزواج بدعة لم تعرف في الإسلام فهي بدعة مستحدثة وافدة على أمتنا من عند أهل الكفر، فالزوج يلبس دبلة الخطوبة وتلبسها خطيبته مقلدين في ذلك النصارى، فهي منقولة من عندهم اعتبارًا من

عقيدة التثليث الشركية الكفرية، ولهم اعتقاد أن هناك عرقًا في الإصبع الذي تكون فيه الدبلة يصل إلى القلب مباشرة ولذلك يكتبون الأسماء عليها.

فعلى المسلم تجنب هذه البدع والخرافات وألا يتشبه بهؤلاء الكفار فإنّ من تشبه بقوم فهو منهم.

قال ابن عُثيمين ـ رحمه الله ـ: «لبس الدبلة للرجال أو النساء من الأمور المبتدعة وربما تكون من الأمور المحرمة، ذلك لأنّ بعض الناس يعتقدون أنّ الدبلة سبب لبقاء المودة بين الزوج والزوجة، ولهذا يُذكر لنا أن بعضهم كتب على دبلته اسم زوجته، وتكب هي على دبلتها اسم زوجها، لأجل أن يكون الرجل مضطجعًا لاسم زوجته والمرأة مضطجعة لاسم زوجها، وكأنهما اعتقدا سببًا لم يجعله الله سببًا لا قدرًا ولا شرعًا، فما علاقة هذه الدبلة بالمودة أو المحبة؟! وكم من زوجين بدون دبلة وهما على أقوى ما يكون من المودة والمحبة، وكم من زوجين بينهما دبلة وهما في شقاء وعناء وتعب، فهي بهذه العقيدة الفاسدة نوع من الشرك، وهذه العقيدة تشبه بغير المسلمين؛ لأنّ هذه الدبلة متلقاة من النصارى، وعلى هذا فالواجب على المؤمن أن يبتعد عن كل شيء يخل بدينه.

أما لبس خاتم الفضة للرجل من حيث هو خاتم لا باعتقاد أنّه دبلة تربط بين الزوج وزوجته فإن هذا لا بأس به، لأنّ الخاتم من الفضة جائز للرجال والخاتم من الذهب حرام عليه لأنّ النبي ﷺ رأى خاتمًا في يد أحد أصحابه ﷺ فطرحه وقال: «يَعمَدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من النار فيضعها في يده»[1]»[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٥٠)، والطبراني (٣/ ١٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «صحيح الجامع» حديث (٨١٠٩)، و«آداب الزفاف» (١٤٣).

(٢) «فتاوى منار الإسلام» (٣/ ٧١٣) الشيخ ابن عثيمين، و«البدع والمحدثات» (ص٤٧١).

وقال ابن باز ـ رحمه الله ـ: «لا نعلـم لهذا العمل أصلاً في الشرع، والأولى ترك ذلك سواء كانت الدبـلة من فضة أو من غيرها، لكن إذا كـانت من الذهب فهي حرام على الرجل؛ لأنَّ الرسول ﷺ نهى الرجال عن التختم بالذهب» اهـ[(١)].

وقال الألباني ـ رحمه الله ـ: «لبس الخاتم الذي يسمونه بـ «خـاتم الخِطبة» فهذا مع ما فيه من تقليـد الكفار أيضًا لأنّ هذه العادة سرت إلينا من النصـارى، ففيه مخالفة صريحة لنصوص صـحيحة تحرم خاتم الذهب على الرجل، ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهـم، عندما كان العروس يضع الخاتم عـلى رأس إبهام العروس اليسـرى ويقول: باسم الأب ثم ينقله واضـعًا له رأس السبـابة ويقول: الابن ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: الروح القدس، وعندما يقول آمين يضعه أخيراً في التبصر حيث يستقر»[(٢)].

خامسًا ـ النهي عن فضّ غشاء البكارة بالإصبع:

وهذه من عـادات الجاهليـة التي ملأت بلادنا وسـيطرت على عقـولنا، وهي موجودة خـاصة عندنا في مصر، وهي عادة تصـيب المرأة بالذهول والخوف بسبب الضرر البالغ الذي يقع عليها، ثم الأضرار الجسدية التي تصيب الجسم بعد ذلك.

وفضّ البكارة بالإصـبع لا يجوز شرعًـا سواء كان من الـزوج أو من النساء فهي كحالة الاغتصاب الذي استساغه الناس، فكم هي من عملية وحشية يُنتهك بها عرض المرأة بشكل حيواني، فهي تُعامل كالحيوان وليست كامرأة وإنسانة ذات روح ونفس، وكل هدفهم من جراء هذه العملية هو خروج الدم من البكارة حتى يفتخروا ويتظاهروا بهذا الجهل بين الناس.

---

(١) «فتاوى إسلامية» لابن باز (٢/ ٢٨٠).

(٢) «آداب الزفاف» (ص ١٤٠-١٤١).

إنَّ فضَّ البكارة بالإصبع ليس من عمل بني آدم العقلاء الشرفاء الفضلاء، ولكنه من فعل السفهاء والأغبياء، وقد ينزل لها دم من فضِّ البكارة فهل يُقال إن المرأة ليست عذراء وشريفة؟ بالطبع لا، إنَّ الإحصائيات تقول: إنَّ ٣٠ % من الفتيات لا ينزفن عند أول اتصالٍ مع الزوج، وذلك لصلابة الغشاء لأنَّ بعض النساء يولدن بدون غشاء للبكارة أصلاً، قد يزول بسبب مرض أو حركات سابقة من المرأة من ضربها أو ممارستها للرياضة.

وناهيك عن فضِّ البكارة بالإصبع ما يعقب ذلك من أمراض، وإذا خرج الدم يخرج بطريقة تذهل من يراه لكثرته، وإنَّما كانت كثرة هذا الدم من جراء الجرح الذي سببه الإصبع، ثم ما يترتب على ذلك من التسلخات والتمزقات التي تحتاج إلى علاج بعد ذلك، وهناك أضرار أخرى تصاب بها المرأة.

وهناك بعض الحالات التي يكون الغشاء فيها «مطاطي»، ففي هذه الحالة يصعب إزالته بالطريقة الفطرية «الجماع»، وحينئذٍ تذهب المرأة للطبيبة لإزالته.

وينصح بعدم الجماع بعد فض البكارة لوجود الألم عند المرأة، فعليه أن يكون ذا عقل وفهم لهذا الأمر فليتنبه. ومن المنكرات في الأمر ذاته ما يفعله السفهاء من الناس بنشر هذا الدم على الناس والغناء بالشرف والعفة ولو كان الأمرُ كذلك فلِمَ هذا العمل العفن؟

وخلاصة القول أن فض غشاء البكارة يكون بالطريقة الطبيعية الفطرية بعد فعل المداعبة والملاعبة، حتى تأنس المرأة بالرجل وتسكن إليه وحينئذٍ يكون اللقاء الإنساني.

سادسًا ـ تحريم جماع المرأة في الدُّبر:

يحرم على الزوج أن يُجامع زوجته في دبرها، لأنَّ ذلك مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقد أحلَّ الله للزوج أن يأتي زوجته بأي طريقة

بشرط أن يكون الجماع والإيلاج في المكان الذي يأتي منه الولد وهو فرج المرأة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما الدُّبر فلم يبح قط على لسان نبي من الأنبياء، ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دُبرها فقد غلط عليه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ملعون من أتى امرأته في دُبرها»**[1] اهـ»[2].

وقال ﷺ: **«إنَّ الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهنَّ»**[3].

وقال ﷺ: **«لا ينظر اللهُ إلى رجل جامعَ امرأته في دبرها»**[4].

وقال ﷺ: **«من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد»**[5].

---

(١) رواه أبو داود (٢١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٨٨٩)، و«المشكاة» (٣١٩٣)، و«صحيح سنن أبي داود» (١٨٩٦)، وانظر «آداب الزفاف» (ص٣٣).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٢٣)، وابن حبان (١٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، والبيهقي (٧/ ١٩٦)، وذكره ابن حزم في «المحلي» (٩/ ٢٢١)، وصححه، من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٥٢)، و«الإرواء» (٢٠٠٥)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٧٤)، وانظر «آداب الزفاف» (ص٣٢).

(٤) رواه الترمذي (١١٦٦)، وابن حبان (١٣٠٤)، وأحمد (٢/ ٢٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٨٠٢)، و«المشكاة» (٣٣٩٤)، وانظر «آداب الزفاف» (ص٣٣).

(٥) رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٩٢٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٩٤٢)، و«الإرواء» (٢٠٠٦)، وروى النسائي (ق٧٧/ ٢)، وابن بطة في «الإبانة»، (٦/ ٥٦)، عن طاوس قال: سُئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها؟ فقال: هذا يسألني عن الكفر.
قال الألباني: «سنده صحيح»، انظر «آداب الزفاف» (ص٣٤).

وقال ابن مسعود: «محاشّ - أي أدبار - النساء حرام»[(١)].

علة تحريم الوطء في الدبر:

قال ابن القيم: قد دلت الآية: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، على تحريم الوطء في الدبر من وجهين:

أحدهما - أنّه أباح إتيانها في الحرث، وهو موضوع الولد، لا في الحُشّ الذي هو موضع الأذى، وموضع الحرث هو المراد من قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية.

وإذا كان الله حرَّم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض، فما الظنُّ بالحُشّ الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدًا من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان، ثم بسط الكلام - رحمه الله - في أسباب حرمة الجماع في الدبر في عدة نقاط وهي:

(١ - للمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبُرها يُفوِّت عليها حقها، ولا يقضي وطرها، ولا يُحصِّل مقصودها.

٢ - الدُّبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يُخلق له، وإنّما الذي هُيِّئَ له الفرج، فالعادلون عنه إلى الدُّبر خارجون عن حكمة الله وشرعه.

٣ - وقوع الضرر بالرجل ولهذا يَنْهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم، لأنّ للفرج خاصية اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه، والوطء في الدُّبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته الأمر الطبيعي.

---

(١) ذكر ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٢٤٨) بنحوه.

٤ ـ يضر من وجه آخر وهو إحواجُه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة.

٥ ـ فإنّه محل القذر والنجو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه.

٦ ـ فإنّه يضر بالمرأة جداً لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع، منافر لها غاية المنافرة.

٧ ـ فإنه يحدث الهم ويغم والنفرة عن الفاعل والمفعول ولا بد.

٨ ـ فإنه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضِدَّها، كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضًا وتلاعنًا.

٩ ـ فإنه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم، فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله وعدم نظره إليه، فأيٌّ خير يرجوه بعد هذا وأيٌّ شر يأمنه؟ وكيف حياة عبد قد حلَّتْ عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه.

١٠ ـ فإنّه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو حياة القلوب فإذا فقدها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن، وحينئذٍ فقد استحكم فساده.

١١ ـ فإنَّه يحيل الطباع عما ركبها الله ويُخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئًا من الحيوانات، بل هو طبع منكوس وإذا نُكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى، فيستطيب حينئذٍ الخبيث من الأعمال والهيئات، ويُفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

١٢ ـ فإنه يورث من الوقاحة والجُرأة ما لا يورثه سواه.

١٣ ـ فإنه يورث المهانة والسِّفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

١٤ ـ فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم إياه واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحسِّ، فصلاة الله وسلامه على من سعادة

الدنيـا والآخرة في هديـه واتباع مـا جاء بـه، وهلاك الدنيا والآخـرة في مخالفة هديه وما جاء) اهـ[1].

رحم الله الإمام ابن القيم على جملة توضيح هذه الأخطار والأضرار المترتبة على مخالفة شرع الله والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليه، فقد نهانا النبي عن فـعل مثل هذه الموبقـات فهل أنتـم منتهـون؟! وهذا السؤال يُقـال لكل من سولت له نفسه بأن يعمل ذلك القبيح المستهجن.

سابعًا ـ تحريم إتيان الحائض:

جماع المرأة الحائض حرام شرعًـا، ومن ثَمَّ يأتي الضرر والأمراض، وحرمته ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع..

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، فقد قـال الله تعالى: ﴿هُوَ أَذًى﴾، فما بالك بالفاعل والمفعـول إذا كان مجرد «الحيض» أذىً بنفـسه فقط والنهي من الله على التحريم وذلك في قـوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، ولكل شيءٍ في شرع الله حكمة علمناها أم جـهلناها، وقد ظهر جليًّا وجود الأضرار البالغة من إتيان الحائض.

ففي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى حائضًا أو امرأةً في دبرها أو كاهنًا فصدَّقه فيما يقول فقد كفَرَ بما أُنزل على مُحمدٍ**»[2].

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٢٥١-٢٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمـذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمـد (٩٢٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصحـحه الألباني في «صحـيح الجامع» برقم (٥٩٤٢)، و«الإرواء» (٢٠٠٦)، وروى النسائي (ق٧٧/ ٢)، وابن بطة فـي «الإبانة»، (٦/ ٥٦)، عن طاوس قال: سُئل ابن عبـاس عن الذي يأتي امرأته في دبرها؟ فقال: هذا يسألني عن الكفر.
قال الألباني: «سنده صحيح»، انظر «آداب الزفاف» (ص٣٤).

وعن طاووس قال: سُئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها؟ فقال: **«يسألني هذا عن الكفر»**[(١)].

وأجمع أهل العلم على حرمة إتيان الحائض، وهومعلوم من الدين بالضرورة ولا خلاف في ذلك.

أضرار جماع الحائض:

أول هذه الأضرار جلب غضب الله وسخطه على فاعل هذا العمل؛ لأنَّ فعله هذا يُعد مِّن الكبائر فهو مخالف لأمر الله، ثم إذا تحدثنا عن الأضرار الجسدية فحدِّث ولا حرج: فإنَّ المرأة في أثناء الحيض «الدورة الشهرية» تكون معرضة للكثير من الأمراض التناسلية التي تكون سهلة الانتقال إلى الزوج، لأنَّ الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة هو أقرب وسيلة لانتقال الأمراض والأوبئة المشهورة، وبذلك ينتقل الأذى من المرأة إلى الرجل بكل سهولة، وفي أثناء الحيض يكون المهبل أكثر ما يكون صلاحًا لنمو الجراثيم وتكاثرها.

والالتهابات المهبلية تصيب المرأة بصعوبة التبول، خاصة أثناء مدة الحيض وجماعها في هذه الحالة يزيد من ألمها وضررها.

والجماع أثناء الحيض قد يُسبب العقم بتكراره في هذه المدة، وذلك لزيادة الالتهابات التي تسبب انسداداً في قناتي فالوب مما يؤدي إلى العقم، والرجل كالمرأة في الإصابة بالضرر والأمراض كذلك، لأنَّ المرأة في أثناء الحيض يكون فرجها مليئًا بالدم المصاحب بالجراثيم والبكتريا التي تصيب الرجل بالأمراض، وخاصة المثانة والبروستاتا والحويصيلتين المنويتين مما يؤدي إلى الضعف الجنسي،

---

(١) رواه النسائي (٢/ ٧٧)، وابن بطة في «الإبانة» (٦/ ٥٦)، ذكره الألباني في «آداب الزفاف» وقال: سنده صحيح (ص٣٤).

ويمتد مفعول المرض بالنسبة للرجل في شعوره بصعوبة التبول وحرقانه مع الصديد والإفرازات المصاحبة لذلك.

إنَّ دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل، قد يُحدِث التهابًا صديديًّا، وينشأ عن ذلك عقم الرجل، وقد يُصابُ «بالزهري» إذا كانت جراثيمه في دم المرأة.

وعلى الجملة فقرابها في هذه المدة قد يُحدِثُ العقم في الذكر أو في الأنثى، ويؤدي إلى التهابات أعضاء التناسل فتضعف صحتها، ومن ثمَّ أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة، كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير»[(١)].

حكم من أتى الحائض:

علمنا أن وطء الحائض حرام باتفاق جمهور العلماء، ومن فعل هذه الكبيرة فعليه التوبة والندم والاستغفار حتى يغفر الله له، وعليه كذلك أن يتصدق بدينار أو نصف دينار كفارة لما حصل منه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: فيمن يأتي امرأته وهي حائض: «يتصدق بدينار أو نصف دينار»[(٢)].

---

(١) «تحفة العروس» (١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٤)، و(٢١٦٨)، وابن ماجه (٦٤٠)، والنسائي (٢٨٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٥٢٣)، وفي «آداب الزفاف» (ص٥٠)، وفي «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٦)، والحديث رواه الترمذي بإسنادٍ ضعيف بلفظ: «يتصدق بنصف دينار» فهو ضعيف بهذا اللفظ، والله أعلم.

وعنه رضي الله عنه قال: «إذا كان دمًا أحمر فدينار، وإن كان دمًا أصفر فنصف دينار»[(١)].

فهذه كفارة من أتى المرأة الحائض، وعليه كذلك التوبة والاستغفار على هذا الفعل، والكفارة تقدر الآن على أن الدينار يساوي أربعين جنيهًا، والنصف يساوي عشرين جنيهًا يتصدق بهم على الفقراء.

لا يجوز جماع الحائض إلا بعد الطهر:

لا يجوز وطء المرأة وجماعها بعد انقطاع الدم مباشرة إلا بعد غسلها فليس مجرد انقطاع الدم مجوز في إتيانها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: فقوله: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، هو صفة فعلهنّ، فلا يجوز وطء المرأة التي انقطع حيضها إلا بعد الغسل ومن جامعها قبل الغسل ففيه الكفارة كذلك.

متى يجوز إتيانها إذا طهرت؟

إذا طهرت المرأة من الحيض يجوز للزوج إتيانها بعد أن تغتسل هذه المرأة، وهذا الغسل لا يشترط فيه أن يكون غسلاً كغسل الجنابة وهو تعميم الجسد بالماء مع النية؛ لأنَّ الآية مطلقة في حكم الطهارة، فيجوز أن تكون هذه الطهارة بالغسل العام أو الوضوء، أو غسل الفرج وموضع الدم فقط، فإن فعلت المرأة أي نوع من هذه جاز للزوج أن يجامعها وتكون المرأة بذلك قد تطهرت.

---

(١) رواه الترمذي (١٣٧)، عن ابن عباس موقوفًا، ورواه أبو داود (٢٦٥)، و(٢١٦٩) بلفظ: «إذا أصابها في أول الدم فدينار، وإذا أصابها في انقطاع الدم فنصف دينار»، والحديث يصح موقوفًا «صحيح سنن أبي داود» (٢٣٨).

قال الألباني ـ رحمه الله ـ في (آداب الزفاف ـ ص: ٥٣-٥٧): «فإذا طهرت المرأة من حيضها وانقطع الدم عنها، جاز له وطؤها بعد أن تغسل موضع الدم منها فقط، أو تتوضأ، أو تغتسل، أي ذلك فعلت جاز له إتيانها لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

ثم اعلم أننا إنَّما خيّرنا بين «أن تغسل الدم، أو تتوضأ، أو تغتسل»، لأنَّ اسم «التطهر»، يقع على كل هذه الأمور الثلاثة، وبالجملة فليس في الدليل ما يحصر معنى قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، بالغسل فقط فالآية مطلقة تشمل المعاني الثلاثة السابقة فبأيها أخذت الطاهر حلت لزوجها ولا أعلم في السنة ما يتعلق بهذه المسألة سلبًا أو إيجابًا غير حديث ابن عباس وهو حديث ضعيف، اهـ.

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ في (المحلى ـ ٩/ ٢٣٨-٢٤٠): «إذا رأت الحائض الطهر فإن غسلت فرجها فقط أو توضأت فقط، أو اغتسلت كلها، فأي ذلك فعلت حل وطؤها لزوجها إلا أنها لا تصلي حتى تغتسل كلها بالماء.

ثم قال: واتفق عطاء وقتادة فقالا جميعًا في الحائض إذا رأت الطهر فإنها تغسل فرجها ويصيبها زوجها.

وروينا عن عطاء أنها إذا رأت الطهر فتوضأت حلَّ وطؤها لزوجها، وهو قول أبي سليمان، وجميع أصحابنا، وقال ـ رحمه الله ـ: فإنَّه لا بيان في شيء من هذا في الآية ـ أي العنوان الكامل ـ فالواجب علينا الرجوع إليها ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

فوجدناه ـ عزَّ وجلَّ ـ لم يبح وطء الحائض إلا بوجهين اثنين وهما أن تطهر وتتطهر لأنَّ الضمير في «تطهرن» راجع بلا خلاف ـ ممن يحسن العربية ـ إلى

الضمير الذي في ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾، راجع إلى الحيض فكان معنى ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾، هو انقطاع الحيض وظهور الطهر، لأنّه لم يضف الفعل إليهنّ وكان معنى ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾، فعلاً يفعلنه، لأنّه ردَّ الفعل إليهنَّ، فوجب حمل الآية على مقتضاها وعمومها، لا يجوز غير ذلك ولا يجوز تخصيصها ولا الاختصار على بعض ما يقع عليه لفظها دون كل ما يقع عليه بالدعوى الكاذبة، فيكون إخباراً عن مراد الله تعالى بما لم يخبر به ـ عزّ وجلّ ـ عن مراده وهذا حرام، ونحن نشهد بشهادة الله ـ عزّ وجلّ ـ أنه تعالى لو أراد بعض ما يقع عليه اسم ﴿ تَطَهَّرْنَ ﴾، دون سائر ما يقع عليه لأخبرنا به، ولبيَّنه علينا ولما وكلنا إلى التكهن والظنون.

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأنعام:١١٩)، فقد فصَّل لنا ـ عزّ وجلّ ـ ما حرَّم علينا من وطء الحائض، وأنَّه حرام ما لم يطهرن، فصح أن كل ما يقع عليه اسم «الطهر»، بعد أن «يطهرن» فقد حللن به، والوضوء تطهر بلا خلاف، وغسل الفرج بالماء تطهر كذلك، وغسل جميع الجسد تطهر، فبأي هذه الوجوه تطهرت التي رأتِ الطهر من الحيض فقد حلَّ به لنا إتيانها وبالله تعالى التوفيق» اهـ[١].

ما يجوز أثناء الحيض:

لقد كرّم الإسلام المرأة ولم يزدرها حتى في أثناء استغناء الرجل عنها وعدم الرغبة فيها وهي حائض، ومع ذلك حثَّ الإسلامُ على معاملتها وملاعبتها حتى لا تشعر بعدم إنسانيتها مع زوجها، فالحرام أثناء الحيض هو الوطء في الفرج فقط ويجوز للرجل ما عدا ذلك بأن يتلذذ بالمرأة في غير المواضع المنهي عنها.

---

(١) «المحلى» (٩/٢٣٨-٢٤٠).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاح»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر إحدانا إذا كانت حائضًا أن تتزر، ثم يضاجعها أو يباشرها»[٢]، فيجوز للزوج الاستمتاع بزوجته أثناء الحيض على أي وجهٍ كان ما عدا الفرج.

بل وصل الأمر في الإسلام من تكريمه للمرأة بأنها تجلس مع الرجل أثناء الحيض وتؤاكله وتضاجعه وهذا لم يكن موجوداً ومعروفًا عند السابقين فالمرأة في الجاهلية وعند اليهود إذا حاضت تركها الرجل فلا تأكل ولا تشرب ولا تنام معه.

عن عائشة قالت: «كنت أشرب من الإناء وأنا حائض، ثُمَّ أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فِيَّ»[٣].

وعنها رضي الله عنها قالت: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض، فيقرأ القرآن»[٤]، وكان يقول لها صلى الله عليه وسلم: «إنَّ حيضَتَكِ ليستْ في يدِكِ»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢)، وأبو داود (٢١٦٥)، والترمذي (٢٩٧٧)، وابن ماجه (٦٤٤)، والدارمي (١٠٥٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر «آداب الزفاف» (ص٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (١٩٣)، وأبو داود (٢٧٣)، والترمذي (١٣٢)، وابن ماجه (٦٣٥)، والدارمي (١٠٣٧)، وأحمد (٣/٢٠٣-٢٠٥).

(٣) رواه مسلم (٣٠٠)، وأبو داود (٢٥٩)، وابن ماجه (٦٤٣)، والنسائي (١/١٤٩).

(٤) رواه البخاري (٢٧٩)، ومسلم (٣٠١)، وأبو داود (٢٦٠)، وابن ماجه (٦٣٤)، والنسائي (١/١٩٧).

(٥) رواه مسلم (٢٩٨)، وأبو داود (٢٦١)، والترمذي (١٣٤)، وابن ماجه (٦٣٢)، والنسائي (١٧١).

ثامنًا ـ تحريم نشر أسرار الجماع واللقاء بين الزوجين:

اللقاء بين الزوجين ميثاق غليظ أخذه الله عليهما، والزوج لباس لزوجته والزوجة كذلك لزوجها، ومن السفاهة والخيبة والحمق ما يفعله بعض الجهال من نشر أسرار الجماع وما يكون من العلاقة بينهما وهذا يقع من الرجال والنساء على سواء.

فإننا نسمع من بعض الرجال؛ ما يحكيه بعضهم من جمال زوجته، ولون شعرها، وطريقة جماعها، وقد يصف ما دار بينهما وكيفية الاستمتاع بزوجته، وكيف يفعل وكيف هي معه وماذا تقول؟ إلى غير ذلك مما يقول السفهاء من الناس.

وأكثر ما يكون ذلك بين النساء فقد تحكي امرأة لأخرى كيفية جماع زوجها لها، وعمله معها وغير ذلك مما لا يجوز نشره وبثه وإذاعته بين الناس، فما بين الرجل وزوجته لا يجوز البتة خروجه عن حجرة النوم.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدُهما سر صاحبه»**[(١)].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟!**

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧)، وأحمد (٣/٦٩)، وأبو نعيم (١٠/٢٣٦-٢٣٧)، وابن السني (٦٠٨)، والبيهقي (٧/١٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وانظر تعليق الألباني ـ رحمه الله ـ على الحديث في «آداب الزفاف» (ص٧٠-٧١).

فأرمّ القوم، فقلت: إي، والله يا رسول الله إنّهن ليفعلن وإنّهم ليفعلون! فقال ﷺ: «فلا تفعلوا فإنّما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»[(١)].

إنّ الرجل الذي يصف زوجته للناس وخاصّة ما كان بينهما من أمور الجماع واللقاء لهو رجل أحمق بالفعل، لأنّه لو فهم ما يفعل لامتنع عنه، فقد يشتهي زوجته أحد من المستمعين فيعمل على إفساد زوجته عليه حتى يخلو بها، وربما وجد لذلك قبولاً عن زوجة الأحمق، وكذلك المرأة لا تصف زوجها وجماعها لغيرها فربما وقعت الشهوة والفتنة في قلب امرأة أخرى، ولذلك نهى النبي ﷺ أن تصف المرأة امرأة أخرى لزوجها.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُباشر المرأةُ المرأةَ تنعتها لزوجها حتى كأنّه ينظرُ إليها»[(٢)].

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «واعلم أنّه إنّما نُهِيَ عن هذا لأنَّ الرجل إذا سمع وصف المرأة تحركت همته واشتغل قلبه، والنفس مولعة بطلب الموصوف بالحسن، فربما كانت الصفة داعية إلى تطلب الموصوف بالحسن وربما وقع من اللهج بالطلب لذلك ما يُقارب العشق»[(٣)].

وإفشاء السر فيما يكون بين الزوجين يسبب البغض والكراهية من الزوج لزوجته حتى قال أحدهم لزوجته التي تفشي سره:

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٥٦)، وله شواهد يرتقى بها إلى الصحة أو الحسن ذكرها ـ الألباني في «آداب الزفاف» (ص٧٢)، المكتب الإسلامي.

(٢) رواه البخاري (٥٢٤٠)، وأبو داود (٢١٥٠)، والترمذي (٢٧٩٢)، وأحمد (١/ ٣٨٧، ٤٣٨، ٤٤٠).

(٣) «أحكام النساء» لابن الجوزي (٢/ ٦٣٧).

تنحَّي فاجلس مني بعيداً ... أراح الله منك العالمينا
أغِرْ بالاً إذا استودعت سراً ... وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوءٍ ... وموتك قد يَسُرُّ الصالحينا

تاسعًا. هجر المرأة فراش زوجها:

وهذا حرام شرعًا إذ يُفوِّتُ مقصود النكاح أصلاً، وعلى المرأة أن تلبي رغبات زوجها وإن كانت على التنّور.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا دعا الرجلُ زوجتَه فلتأتِه وإن كانت على التَّنُّور»**(١)، وقال ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(٢)، وقال ﷺ: **«ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمَّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان»**(٣).

جاء في كتاب (تحفة العروس) للشهاوي: إنَّ صبر الرجل على الجماع أضعف من المرأة، وداعي الجماع عنده دائم ومستمر، لما يجرُّه عليه النظر لشياطين الإنس من النساء، وامتناع المرأة عن زوجها بغير عذر كبيرة تستوجب اللعن من الملائكة، وتستوجب غضب الله تبارك وتعالى.

وامتناع المرأة عن زوجها يمثل طعنًا له في رجولته وهدمًا لكبريائه فيغضب ويشتد غضبه، وهذا ما يؤدي إلى التماسه لأتفه الأسباب فيجعل منها سببًا للشجار والخلاف والشقاق فتتصدع الحياة الزوجية وتنقلب السعادة إلى شقاء(٤).

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٠)، وابن حبان (١٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٢٢-٢٣)، والبيهقي (٧/ ٢٩٢) من حديث طلق بن علي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤)، و«الصحيحة» (١٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦)، وأبو داود (٢١٤١)، وابن حبان (٤١٦١)، وأحمد (٢/ ٤٣٩، ٤٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٧)، و«المشكاة» (١١٢٢).

(٤) «تحفة العروس» للشهاوي (٤٢-٤٣).

ومن أجل هذا الحق للزوج لم يُجز الإسلام للمرأة أن تصوم صيام النفل إلا بإذن زوجها فإن أبى فلا يجوز لها الصيام.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل للمرأة أن تصومَ وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره**»(١).

عاشرًا ـ الفهم الخاطئ بعدم خروج الزوج من بيته لمدة أسبوع:

لقد اعتاد الناس أن يجلسوا في بيوتهم بعد الزواج لمدة أسبوع وإذا خرج الزوج قبل الأسبوع لامه الناس، وربما عاتبوه على ذلك، فهذا مما ليس في الإسلام من شيء.

أمَّا الحديث الذي فيه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ للثَّيبِ ثلاثًا وللبكرِ سبعًا**»(٢).

وقول أنس ﷺ: «**إذا تزوج البكر على الثَّيِّب أقام عندها سبعًا، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثًا**»(٣).

لا يعني ذلك عدم خروج الزوج إلى الصلاة من جمعة وجماعات، بل المقصود والمفهوم من الحديث المكث عند الزوج إيناسًا لوحشتها، وليس الزواج عذرًا يمنع أو يجيز لصاحبه عدم النزول إلى الصلاة وأداء الواجبات وعدم الخروج، فهذا مما ليس له أصل في الإسلام، فيجوز للرجل الخروج بل يجب الخروج للصلاة، وله الخروج إلى الأسواق والعمل والجلوس مع غيره.

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه بنحوه ابن ماجه (١٩١٧)، وأبو داود (٢١٢٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٦٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٥٢١٣)، ومسلم (١٤٦١)، وأبو داود (٢١٢٤) عن أبي قلابة عن أنس بن مالك.

حادي عشر ـ بدعة شهر العسل:

مساكين هم من يعتقدون ويفعلـون ذلك فقد جعلوا الزواجَ شهراً واحداً من العسل والفرحـة والسرور مع أنّ الإسلام جعل من الزواج حياة سـعيدة ما دامت تسير وفق شرع الله تعالى.

لأنَّ الله جعل بينهم مودة ورحـمة، وإذا كان شـرط الزواج أن يكـون أبديًّا فلا بد أن تكون المودة والمحبة كذلك، وهذه البـدعة أتتنا من بلاد الغرب فليست من الإسلام في شيء، فهو أمر ليس من الإسلام خاصة ما كان فيه من الإسراف وإضاعة المال خصوصًا إذا كان يُقضى في باريس أو لندن!

ثاني عشر ـ ليس من الرجولة:

هناك أمور يفـعله بعض الأزواج مع أزواجهنَّ اعتـقاداً منهم بأنها من كـمال الرجولة عندهم وفيما يلي عرض بعضها بإيجاز:

١ ـ ليس من الرجولة إكراه المرأة على الجماع في أول ليلة وإظهار شهامته عليها فلا ينبغي أن يبدأ الزوج أول ليلة في حياتها مع زوجته بالاغتصاب.

٢ ـ ليس من الرجولة سبُّ المـرأة وضربها وإهانتهـا ومعاملتـها كمـعاملة «سي السيـد» فللمرأة حـقوق على الزوج، والزوج لم يرتق من درجـة إلى درجة بزواجه من المرأة فهو ليس ضابطًا في الشرطة.

٣ ـ ليس من الرجولة إرهابُ المرأة وتخويفها بأن يُرهبَ الزوج زوجته حتى ينال احترامها بل نال بذلك حقارته عندها.

٤ ـ ليس من الرجـولة عـدم أكل المرأة مع زوجهـا هي وأولادها إلا بعـد أكل زوجها.

٥ ـ ليس من الرجولة عدم مساعدة المرأة ـ عند الحاجة والضرورة كمرضها ـ في شئون البيت فبعض الرجال لا يضع يده في خدمة ومساعدة زوجته في البيت فأين مثل هذا من سيد الناس كلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان في حاجة أهله ويقوم بشئونهم.

٦ ـ ليس من الرجولة عدم الإذن للزوجة في زيارة أهلها وأقاربها إلا بسبب شرعي كوجود المفسدة المترتبة على هذه الزيارة.

٧ ـ ليس من الرجولة الامتناع عن مجامعة الزوجة بحجة أنَّه يستطيع الاستغناء عنها.

٨ ـ ليس من الرجولة منع من سؤالها لزوجها عن حاله ومكان خروجه.

٩ ـ ليس من الرجولة وصف الزوجة للأقارب والأصحاب وخاصة ما حدث بينهما في ليلة الزفاف.

١٠ ـ ليس من الرجولة إحضار الزوجة كي تسلم على الجالسين من الرجال بحجة أنهم «إخوان الزوج».

١١ ـ ليس من الرجولة عرض الصور في الشقة أمام الحاضرين أو عرض الصور كي يشاهدوه.

١٢ ـ ليس من الرجولة الإسراف في عملية الجماع والمواقعة في بداية أيام الزواج لأنّ ذلك يؤثر على الزوجين فيما بعد وخاصّة الرجل.

الزواج حقوق وواجبات وآداب

إن الزواج حياة وشركة بين طرفين هما الزوج والزوجة، وهذه الشركة لا يمكن لها الاستقرار والنجاح إلا بتوافق الطرفين وإنَّما يتأتى هذا النجاح بأن يقوم كل طرف منهما بواجبه تجاه الآخر وبأن يعرف ماله وما عليه.

وهذه الشركة رأس مالها الحب والمودة، وغرسها الإخلاص، وعطاؤها الإيثار والفداء والتضحية، وتربتها الرضا والقناعة، وشمسها الوضوح والصراحة، وسماؤها السكينة والطمأنينة، وبابها القبول وحسن الاختيار، وطعامها السلوى، وشرابها الماء السلسبيل، وربحها وكسبها سعادة الدارين، وحقيقة ثمرتها رضا الله تعالى، والجائزة والمكافأة جنات عرضها السموات والأرض.

إنَّ الحقوق التي تكون بين الزوجين لا نريدها أن تكون بالشكل القانوني والدستوري أو الأكاديمي، إنّ من أكمل الحقوق بين الزوجين وأشرفها ألا يَشعرَ أحدهما بفقد حقه من الآخر، وألا يستدعي أحدهما الآخر بأن يطالبه بحقه الضائع لديه، فإنّ طالب أحدُهما الآخر بحقها فهذه أول نقيصة بينهما، لأنّ من علامات المحبة أن لا تحوج حبيبك أن يطالبك بما يريد، فإن أحوجته لذلك فهذا من نقائض حقيقة المحبة بينهما.

وفي العلاقة بين الزوجين معنى كمال النفس وتهذيبها، فلم يعد أحدٌ أستر للزوجة من زوجها، وبذلك وصلت العلاقة بينهما إلى درجة لم يصل إليها اثنان على وجه الأرض من الناس، ولا تعتبر الحقوق التي بين الزوجين بما يُعنيه قانون البشر الوضعي ومعتقداتهم الناقصة، ولكن هذه الحقوق تكون باعتبار الشرع المأخوذ من الكتاب والسنة، وبهما الهداية والكفاية والمنَّة، والحقوق والواجبات

والآداب تكون مشتركة بين الزوجين، ومنها ما يكون خاصًا بالزوج ومنها ما يكون خاصًا بالزوجة.

وقد أكدّ القرآن هذه العلاقة والحقوق بين الزوجين المشتركة فقال سبحانه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة:٢٢٨).

فهذه الآية نصت على الحقوق التي بين الزوجين، فعلى الزوجة حق ولها واجب، والزوج له حق وعليه واجب، فلهنَّ من الواجب مثل ما عليهنَّ من الحقوق والآداب تجاه زوجها، وقد عمَّت الآية حقوق الزوجية بإيجاز فَصَّلَته لنا السنة النبوية المطهرة، سواءً كان ذلك بقول النبي ﷺ ووصاياه للزوجين وحسن المعاملة والمعاشرة بينهما، أو بفعله هو ﷺ مع أزواجه، وذلك من خلال سيرته وحياته مع أزواجه وأهل بيته، أو بما يقرره من عمل بعض الصحابة وفعلهم مع نسائهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة:١٩)، أي بيان القرآن وبيانه إنما يكون في سنة النبي العدنان ﷺ، والحقوق التي تكون في الحياة الزوجية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً ـ حقوق مشتركة بينهما.

ثانيًا ـ حقوق خاصة بالزوج.

ثالثًا ـ حقوق خاصة بالزوجة.

أولاً - الحقوق والآداب المشتركة بين الزوجين

الحق الأول - غض الطرف عن الهفوات والأخطاء:

على الإنسان العاقل أن يتجاهل ويتغافل المساوئ بأن يكون متغابيًا وليس غبيًا، حتى لا يغتمَّ ويصاب بالهمِّ، ويسعد في حياته، ولا يُطلب من الإنسان أن يكون غبيًا ولكن المطلوب منه أن يكون عارفًا بمن يُسيء إليه ويخطأ في حقه، ثم يصنع من نفسه أنّه لا يفهم وكأنه لم يعلم ذلك مثل ما كان يفعله ﷺ.

فقد صحَّ أنَّ المشركين كان يسبُّون رسول الله ﷺ فيقولون: «قَبَّحَ الله مذممًا ولعن الله مذممًا»، وهم يقصدون بذلك رسول الله ﷺ، فكانوا يقلبون اسمه «محمد» إلى ضده «مذمم»، وكان يعلم ﷺ أنه هو المقصود ومع ذلك كان يقول ﷺ: **«ألا تَعجبونَ، كيف يصرِف الله عني شتمَ قريش ولعنَهم»؟!** قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **«يشتمون مذممًا وأنا مُحمد، ويلعنون مذممًا وأنا محمد»**[(١)].

فإذا كان هذا التجاهل للكافر فما بالُك بالمسلم، وخاصة إذا كان ذلك بين الزوجين، إن على الزوج أن يغض طرفه عن مساويء زوجته ويتحملها، ولابد له من الصبر والحلم والأناة خاصة وأنّه يعاشر ويحاكي هذه الزوجة الحياة الباقية له في هذه الدنيا.

وعلى الزوجة مثل ذلك فيجب عليها أن تتجاهل هفوات وأخطاء زوجها فلكل جواد كبوة ولكل إنسان زلة، وإذا كان هناك الحب والمودة بين الزوجين

(١) رواه البخاري (٣٥٣٣)، والنسائي في «الطلاق» وأحمد (٢/ ٢٤٤، ٣٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان من العيب أن تقع عين المحب على عيوب حبيبه، فإذا وقعت عينُك على مساوئ حبيبك، فعليك بلوم نفسك إذ كيف يتسنَّى لها أن تقع وتشاهد ما لا يحبه القلب!

قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1]، إذن كلنا ذو خطأ وهفوات، فعلينا أن نتسامح ويغفر بعضنا لبعض، هذا فيما بين الناس فماذا عن الزوجين، قال الشاعر:

إذا كُنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِبًا ... صَديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُه
فَعِشْ واحدًا أو صِلْ أخاكَ فإنَّه ... مقارِفُ ذنبًا مرة ومجانِبُه
إذا أنتَ لم تَشرَبْ مِرارًا على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه
مَن ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها ... كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

وقال آخر:

مَن ذا الذي ما ساءَ قط ... ومَن له الحُسنى فقط؟!

وقال آخر:

أرى كلَّ إنسانٍ يَرى عَيبَ غيرِه ... ويَعْمَى عَنِ العَيبِ الذي هو فيه

إنَّني أنصح كل مسلم ومسلمة خاصة الزوجين أن يطلعوا على شمائل النبي ﷺ خاصة في خُلُقِ الحلم والأناة والعفو والصفح والإعراض عن مساوئ الآخرين، ونقول لابدَّ من الخطأ والزلل والهفوات بين الزوجين مهما كان، فذلك من طبيعة البشر، فعلينا أن ننتبه ونستعد لذلك، ونحاول علاج هذه الهفوات.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣-١٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥١٥)، و«المشكاة» (٢٣٤١).

وأرى أن الحبَّ والمودةَ إذا كانت بين الزوجين متبادلة فلن تكون هناك مشاكل أصلاً، وحتى إذ وجدت كان الحبُّ لها بالمرصاد بل قد يرى المُحبُّ عيوبَ حبيبه محاسن ومدائح يُمدح عليها!!

وعلى كل من الزوجين أن يفهم طبيعة الآخر متى يغضب؟ متى يحلم؟ متى يرضى؟ وأن يستخدم كل منهما الطرق المناسبة لهدوء غضب الآخر وثورته وانفعاله، وهذا العلاج طبيعته الحقيقية هي المرأة والزوجة فليس من معالج ولا طبيب يداوي المريض بهذا الداء الغضب من لمسة الزوجة الطبيبة الحانية، وذلك بالكلام والسحر الحلال وبالأشياء الأخرى الحلال التي أعطاها الله للمرأة.

وهناك موقف للسيدة عائشة رضي الله عنها في حسن تعاملها مع زوجها سيدنا محمد ﷺ، فقد حدث أنها خرجت وراءه ذات ليلة تظنّ أنه ذاهب إلى بعض أزواجه، وكان قد خرج ﷺ للبقيع يدعو ويستغفر لأهل البقيع، فلمَّا رَجَعَتْ وهي مسرِعة ونامَت على سريرها أتى رسولُ الله ﷺ فلما رآها على حالتها وشدة النفس من جراء جريها وسرعتها، وكلمها وكلمته وعرف مرادها من خروجها فنهرها وضربها في صدرها، فلما علَمَتْ منه ذلك، ورأتْ غضبَه غَيَّرت الحوار معه وقالت: «كيف أقول لهم يا رسول الله»؟ قال قولي: «**السلام على أهل الديار المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لزوجته: «إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى رضَّيتُك وإلا لم نصطحب».

---

(١) رواه مسلم (٩٧٤)، والنسائي (٤/٩٣) من حديث محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب، عن عائشة رضي الله عنها.

وعن شعيب بن حرب، أنه أراد أن يتزوج امرأة فقال لها: «إني سيئ الخلق»، فقالت له: «أسوأ منك خُلقًا من أحوجك أن تكون سيئ الخلق»، فقال لها: «إذًا أنت امرأتي وزوجتي»(١).

الحق الثاني. المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان:

لا يُعقل أن يكون الزوج مهمومًا والزوجة مسرورة والعكس كذلك، فإذا اعتقدنا أن الزوج والزوجة نفس واحدة وبنية لا تنفك المحبة بينهما البتة، كيف أفرح وصاحبي مهموم، وإن فرح صاحبي فلابد من إظهار السرور مني له حتى وإن كنت مهمومًا، فلا أظهر همي له حتى لا يهتمَّ ويغتمَّ، قال الشاعر:

مَرِضَ الحَبيبُ فَعُدتُه فَمَرِضتُ مِنْ حَذَرِي عَليهِ
أَتى الحَبِيبُ يَعودُنِي فَبَرِئتُ مِن نَظَرِي إليهِ

دخل عمر ﷺ على رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ فوجدهما يبكيان وذلك في غزوة بدر بعد أن قبل ﷺ الفداء في أسرى بدر ونزول العتاب من الله. قال عمر: يا نبي الله أخبرني من أي شيءٍ تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيتُ وإلا بكيتُ لبكائكما(٢).

فما أجمل الحياة إذا التفَّت القلوب وتوحدت المحبة بين الزوجين فلا يوجد هناك سرور وفرح للزوج وآخر للزوجة، بل فرحهما وسرورهما واحد وكذلك همومهما وأحزانهما واحدة، قال أبو الشيص:

وقف الهوى بي حيثُ أنتَ فليس لي مُتأخَّر عنه ولا مُتقَدَّمُ

(١) «أحكام النساء» (٨٢)، دار الكتب العلمية.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٧٦٣)، وأبو داود (٢٦٩٠)، والترمذي (٣٠٨١).

وأَهَنْتَني فَأَهَنْتُ نَفسي جاهِداً ... مَا مَنْ يَهُونُ عَليكَ مِمَّن يُكْرَمُ
أَشبهتَ أعدائي فَصِرتُ أُحِبُّهم ... إذا كان حظِّي منك حظِّي مِنهمُ
أَجِدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حباً لذكركَ فَليَلُمني اللُّوَّمُ

الحق الثالث ـ التعاون على البر والتقوى ونصح كل منهما الآخر:

إنَّ من أفضل ما يتحصل عليه الزوجان هو طاعة الله وبره وكسب رضاه في زيادة الطاعة، ولابد من وجود هذه النية بأن ينوي الزوج الزواج بامرأة تعينه على أمر دينه وزيادة طاعته لربه والزوجة كذلك، وقد بين ﷺ أنَّ أفضل ما يتخذه الرجلُ «زوجة مؤمنة تعينه على أمر دينه»، فالزواج تشجيع وحث على إقامة شعائر الله سبحانه والاجتهاد في ذلك إنما يكون بتعاون الزوجين في ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن ابت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحتْ في وجهه الماء»[1]، وقال ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ـ ركعتين جميعاً، كتبا في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[2].

وصحَّ أنَّ امرأة حبيب أبي محمد انتبهت ذات ليلة وزوجها ـ حبيب ـ نائم فأنبهته في السحر وقالت: «قم يا رجل فقد ذهب الليل، وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قُدَّامنا ونحن قد بقينا»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجه (١٣٣٦) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٢٣٠).

(٣) رواه أبو داود (١٣٠٩)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٨١)، والحاكم (٢/ ٤١٦)، وصححه على شرط الشيخين عن أبي سعيد الخدري، وقال الألباني: وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، والذهبي، والنووي، والعراقي، اهـ. انظر «المشكاة» (١/ ٣٩٠).

الحق الرابع. حفظ السر:

وهذا الحق متبادل بينهما فلا يجوز للزوج ذكر امرأته بسوء أمام الناس، ولا ذكر معايبها وأسرارها، خاصة أسرار الفراش، والزوجة مأمورة كذلك بحفظ ما بينها وبين زوجها؛ لأنَّ عيوب زوجها تُعدّ عيوبها، وكذلك مساوئه، ويحرم عليها إفشاء سره مهما كان، وخاصة ما كان في مخدع الفراش، قال تعالى: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ (النساء: ٣٤)، والحفظ هنا جامع لحفظ غيبة الأزواج في النفس والمال والعرض وكل شيء يمكن حفظه بينهما.

فالصالحة عابدة لله تعالى، تُعين زوجها على تطبيق الإسلام على نفسه وعلى أسرته، وأما حفظ الغيب فهو واجب على كلا الزوجين لكنه في حق المرأة آكد وأقوى، لأن الخطر في تساهله عظيم جدًا يهدد بأفظع النتائج الدينية والدنيوية، ويدمر الأسرة، فالمرأة الصالحة حافظة لزوجها في غيابه من عِرض فلا تزني، ومن سر فلا تفشي، ومن سُمعةٍ فلا تجعلها مضغة في الأفواه»[(١)].

قال ﷺ: **«إنَّ من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»**[(٢)].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنَّها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال قعود فقال: **«لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»**؟! فأرمَّ القوم فقلت: إي، والله يا رسول الله! إنّهنّ ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: **«فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»**[(٣)].

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٧٢).

(٢)، (٣) سبق تخريجهما.

الحق الخامس ـ المبيت في الفراش والإعفاف:

إنَّ من ضمن أهداف الزواج الأساسية الإعفاف عن الحرام، ومن أجل ذلك كان التشريع بالزواج وحرمة العلاقة بغيره، والإعفاف واجب على المرأة تجاه زوجها وكذلك الزوج يجب عليه أن يعفَّ زوجته، ولا يجوز لأحد من الزوجين أن يمتنع عن فراش صاحبه وتلبية رغبته في هذا الحق، وهذا الحق متبادل بينهما ولكنه أخص بوجوبه من المرأة لزوجها؛ لأنَّه أكثر ما تكون الرغبة في ذلك من الزوج، ويجب على المرأة أن تلبي رغبة زوجها مهما كان من شأنه وحاله مادام طلبه لا يجلب حرامًا أو ضررًا شرعيًّا.

قال الرسول ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح»**[١].

وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»**[٢].

وقال ﷺ: **«إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»**[٣].

وكذا يحرم على الزوج أن يتعمَّد هجر زوجته بلا سبب شرعي مباح، فهو مأمور بأداء حقها بقدر حاجته وقدرته، ولا يجوز له الامتناع عن جماعها إذا تضررت المرأة من ذلك، وفي قصة عثمان بن مظعون أن النبي ﷺ نهاه عن

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦)، وأبو داود (٢١٤١)، وابن حبان (٤١٦١)، وأحمد (٢/ ٤٣٩، ٤٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري بنحوه (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٥/ ١٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (١١٦٠)، وابن حبان (١٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٢٢-٢٣)، والبيهقي (٧/ ٢٩٢) من حديث طلق بن علي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤)، و«الصحيحة» (١٢٠٢).

التبتل وزجره على ذلك، وفي قصة عبد الله بن عمرو مثل ذلك، وحديث الرهط الثلاثة، ومن أجل ذلك كانت هناك مدة الإيلاء إذا لم يجامع الزوج زوجته بعد هذه المدة وتضررت الزوجة من ذلك حقٌّ لها طلب الطلاق.

الحق السادس. تزيُّن الزوجين:

كما يُحب الزوج أن تتزين له زوجته فهي أيضًا تحب منه ذلك، لأنَّ الطباع جُبلت على حب الزينة والجمال، وهذا الحق لكلا الزوجين وإنما تختص به المرأة أكثر من الرجل لأنّ دواعي الزينة في المرأة أجمل وأظهر من الرجل.

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)، قال ابن عباس رضي الله عنه: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليّ»[1].

والإسلام أباح الزينة والتجمل في الملبس والشكل مادام ليس هناك إسراف وكبر ومخيلة.

قال ﷺ: «من كان له مال فليُرَ عليه أثره»[2]، وقال ﷺ: «كُلْ ما شئتَ، والبسْ ما شئتَ ما أخطأتك اثنتان: سرف، ومخيلة»[3].

والزينة سواء للرجل والمرأة ولكن الإسلام أفسح الطريق للمرأة أكثر من الرجل لأنَّ داعية الجمال فيها أكمل، ولذلك أحلَّ أشياء حرمها على الرجال مثل الحرير والذهب كي تتجمل به لبعلها، والزينة من أسباب المودة والألفة بين

(١) «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي (٣/ ٨٨).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٩٤)، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الطيالسي وأحمد والنسائي والحاكم، وهو من حديث أبي حازم.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا (١٠/ ٢١٦)، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٢١٧)، رقم (٤٩٣٠).

الزوجين، ولذلك كان لابد منها لاستمرار العلاقة الطيبة بينهما، والتزين قد يكون بالماء فقط، والمقصود به النظافة إن لم تكن هناك سعة لشراء الطيب والروائح.

فأين أُولاءِ النسوة من هذا السحر الحلال في الزينة والجمال للزوج، فمن النساء من يراها زوجها بطبيخها وغسيلها وعليها رائحة الطعام وبول الأولاد وملابس عمل البيت وغير ذلك من الأمور التي تسبب تنافر الزوج من زوجها والفرار منها.

ثانيًا ـ حقوق الزوج على زوجته

كل حق يُقابله واجب، هـذه القاعدة لابد أن تكون أمـام كل إنسان يُطالب بحقه من الآخر، فنسأله هل أديت واجبك نحوه أولاً؟

إنَّ الحقوق التي بين الزوجين ليست ديكتاتورية وإجبارية بمعنى قانون البشر بل لا بد من سبق قبول القلب وحبه لذلك حتى تُؤَدَّى على أتمِّ وجه، وهذه الحقوق شريعتها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وليست من القانون الوضعي البشري الناقص، ولذلك كان لها الكمال وأكبر الأثر في حسن المعاشرة بين الزوجين واستقامة الحياة وسعادتها في إقامة هذه الحقوق والحدود.

والحديث سيكون الآن عن حقوق الزوج على زوجته في إطار ما أوجبه الشارع الحنيف بدون حيد عن العدل المستطاع من المرأة لزوجها، والمرأة إذا كانت مطيعة لربها وفاهمة لسنة نبيها ﷺ فإنها لا تشعر بالتكاليف أثناء أداء هذه الحقوق تجاه زوجها بل تراها تسعد وتجد أكمل السرور عندما تؤدي ما أوجبه الله عليها.

وهذه الحقوق يجب على المرأة معرفتها حتى تؤديها لزوجها بدون تكلف أو تصنع، فلا تشعره بأنها تؤدي ذلك بنوع من الروتين، بل من تمام حقه عليها ألا تشعره بذلك أصلاً، وأن تكون حياتها معه حياة بدون تكلف ولا تجعله يطالب بحقه فإن أحوجته لذلك فقد أضاعت أول حقوقه وهو سؤالها عن حقه!

ولعل امرأة تسأل الآن ما الحقوق التي تجب عليَّ تجاه زوجي حتى يرضى الله عني، وتتم لي سعادتي؟!

الحق الأول ـ معرفة مكانة الزوج وقدره بالنسبة للزوجة:

إنّ الزوج هو أولى الناس بالمرأة، ومكانته عندها مقدَّسة، فلا يوجد أحد على وجه الأرض حتى أقرب الأقربين إليها من أب وأم وأخ، أولى بها من زوجها، ومكانة الرجل بالنسبة لزوجته وصلت إلى درجة العبادة التي قد يكون الرجل سببًا في دخول امرأته الجنة وكذلك في دخولها النار، فالزوج جنة المرأة ونارها ورضاه من رضا الله وسخطه عليها يُسبب سخط الله عليها، وفي ذلك من الأخبار والأحاديث الصحيحة الكثير منها ما يلي:

١ ـ عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدِّي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»**(١).

قال الشيخ/ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ: «ولما كانت الصلاة أسمى أنواع العبادات والسجود فيها ذروتها فقد اعتبر الشرع مكانة الزوج بالنسبة لزوجته أنها بمستوى سجودها له، وكاد أن يأمرها بالسجود له لولا أنّه لا ينبغي السجود لغير الله ـ سبحانه وتعالى ـ»(٢).

٢ ـ وعن حصين بن مُحصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال: **«أي هذه: أذات بعل؟»** قلت: نعم، قال: **«كيف**

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان (١٢٩٠ ـ موارد)، والبيهقي (٧/ ٢٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٩٥)، و«الإرواء» (١٩٩٨).
(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٤٤٤).

انت له»؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: «فانظري اين انت منه فإنما هو جنتك ونارك»[(١)].

فما أعظم حق الزوج! إذ ارتبط رضاه بدخول الجنة وسخطه بدخول النار، وذلك في المعروف والطاعة فقط.

٣ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ ابنتي هذه أبت أن تتزوج، فقال لها رسول الله ﷺ: «اطيعي اباك»، فقالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ قال: «حق الزوج على زوجته ان لو كانت به قرحة فلمستها، او انتثر منخراه صديداً او دماً ثم ابتلعته ما ادت حقه»، قالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً، فقال النبي ﷺ: «لا تنكحوهنّ إلا بإذنهنّ»[(٢)].

٤ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، والطبراني في «الأوسط» (١٨٧٠)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١)، والنسائي في «عشرة النساء»، وابن سعد (٨/ ٤٥٩)، ذكره الألباني «آداب الزفاف» (ص٢٠٣)، وقال: إسناده صحيح.

(٢) رواه البيهقي (٧/ ٢٩١)، وابن حبان (١٢٨٩ ـ موارد)، والدارقطني (٣/ ٢٣٧)، وقال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد، ورواته ثقات مشهورون.
وصححه الألباني من طريق الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨٩)، بلفظ «حق الزوج على زوجته ان لو كانت به قرحة فلحستها ما ادت حقه»، انظر «صحيح الجامع» (٣١٤٨).

(٣) عزاه الهيثمي في «المجمع» إلى الطبراني في «الكبير»، وقال: «وفيه عبيدة بن سليمان الأغر، لم أعرف لأبيه من معاذ سماعًا، وبقية رجاله ثقات» اهـ. (٤/ ٣٠٩)، انظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٩)، و«الصحيحة» (٢١٦٦).

٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان»[(١)].

فالرجل ليس كالمرأة وحق الزوج على زوجته أعظم من حق والديها عليها فقد انتقلت طاعة الوالدين إلى طاعة الزوج فلم يعد للوالدين طاعة على الزوجة إلا بعد إذن وموافقة زوجها.

رويَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقًا على المرأة»؟ قال: «زوجها»، قلت: فأي الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: «أمه»[(٢)].

فذالك فضل الله يؤتيه من يشاء وذلك بتكليف الله للرجل من الحقوق والواجبات وبما أعطاه من القدرة على ذلك، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤).

الحق الثاني. الطاعة وحسن المعاشرة:

والمقصود بالطاعة هنا تلكم الطاعة الموافقة لطاعة الله ورسوله ﷺ بأن تلبي المرأة رغبات زوجها مادامت كانت حلالاً وإن كانت هي له كارهة، ومن الطاعة عدم مخالفته في معروف على الإطلاق، أما إذا طلبها في معصية أو

---

(١) رواه ابن ماجه (٩٧١)، وابن حبان (٣٧٧)، و(١٧٥٤)، وله شاهد عند الترمذي (٣٦٠)، وحسن الألباني هذا الشاهد في «صحيح الجامع» (٣٠٥٧)، و«المشكاة» (١١٢٢).

(٢) رواه الحاكم (٤/ ١٥٠)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال المنذري في «الترغيب»: رواه البزار والحاكم، وإسناد البزار حسن. اهـ. (٣/ ٥٣)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع» (١/ ٣٠٤).

أمرها بشيء خالف كـتاب الله وسنة نبيه ﷺ فلا يجب عليهـا طاعته عند ذاك لقوله ﷺ: «لا طَاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق»(١).

وإن آذاها بسبب امتناعها عن دعوته إياها لفـعل المعصية فلها الأجر والثواب وعليه الإثم والعتاب، وهنيئًا للمرأة بطاعتها لزوجها فهي بذلك نالت الجنة وهي تمشي على الأرض سواء جنة السعادة والرضـا في الدنيا أو الجنة الآخرة والآخرة خير وأبقى.

عن عـبد الرحـمن بن عـوف ﷺ قال رسـول الله ﷺ: «إذا صلَّت المرأةُ خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أيِّ أبواب الجنة شئتِ»(٢).

وعن أبي هريرة قيل لرسول الله ﷺ: «أي النساء خير؟» قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»(٣).

ورويَ أنَّه ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عزَّ وجلَّ - خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١/ ٩٤)، والحاكم من حديث عمران، والحاكم بن عمرو الغفاري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٢٠)، و«الصحيحة» (١٧٩).

وفي رواية أخرى من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لبشر في معـصيـة الله إنَّما الطاعة في المعروف»، رواه البـخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٤٠)، وأبو داود (٢٦٢٥)، والنسائي (٢/ ١٨٧).

(٢) رواه ابن حبان (١٢٩٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، ورواه أحمد (١٦٦١) من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأبو نعيم (٦/ ٣٠٨) من حديث أنس بن مالك، وقـال الألباني: حديث حسن أو صحيح وله طرق، انظر «آداب الزفاف» (ص٢١٤)، وصححه في «صحيح الجامع» (٦٦٠).

(٣) عزاه في «مشكاة المصابيح» إلى النسائي والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الألباني: إسناده حسن، انظر «المشكاة» (٢/ ٢٧٦).

(٤) رواه ابن ماجه (١٨٥٧)، وضـعفه الألباني في «المشكاة» (٣٠٩٥)، وانظر «الصحـيحة» (٣/ ٤٥٥)، و«الضعيفة» (٤٤٢١)، و«ضعيف الجامع» (٤٩٩٩)، و«ضعيف ابن ماجه» (٤٠٨).

وفي عدم طاعة الزوج في رغباته بالمعروف يكون هلاك الزوجة وخسرانها بغضب الله عليها إذا لم ترض زوجها بطاعتها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبدٌ أبق عن مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**»[(١)].

فانظري أيتها المرأة أعظم عبادة وهي الصلاة موقوف قبولها على رضا زوجك فكم يكون قدره عندك؟!

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ اللهُ، فإنَّما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقَك إلينا**»[(٢)].

إنَّ الإصرار على مخالفة الزوج يُخشِن صدره، ويجرح كرامته ويُسيء إلى قوامته، فيبادلها ذلك ممانعة لما تحب ومخالفة لما ترغب، قال الشنفري الشاعر الجاهلي الصعلوك مخاطبًا زوجته:

إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنه ... ولم أنكر عليكِ فطلِّقيني

فأنت البعلُ يومئذٍ فقومي ... بسوطك لاَ أبًا لكِ فاضربيني

ومن صفات المرأة الصالحة أنها تبادر إلى رضا زوجها إذا غضب منها، وفي ذلك يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة**؟ قلنا: «بلى يا رسول الله»،

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ١٧٣)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦)، و«الصحيحة» (٢٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٩٢)، والصحيحة» (١٧٣).

قال: «ودود ولود إذا غضبت أو أُسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغُمضٍ ـ أي لا أنام ـ حتى ترضى»[(١)].

فلتعلم المرأة عظم حق الزوج عليها حتى تهنأ وتسعد فليس بعد حق الله ورسوله إلا حق الزوج.

قال شيخ الإسلام: «وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج»[(٢)].

ومن تمام طاعة الزوج أن تكون معه حيث كان فحياتها تكون بحياة زوجها ومكانها هو مكانه أينما كان، مادام كان هناك الأمان فهي أينما كان هو، ولا يجوز طاعة الوالدين على حساب الزوج بل طاعة الزوج تُقدم على طاعة أبويها، لأنّ الجنة والنار عند زوجها، وليس عند والديها فليس للوالدين حق الطاعة في الأوامر والنواهي لأن هذا الأمر اختص به الزوج عن غيره من الناس مهما كانوا بشرط أن يكون هذا الحق موافقًا لشرع الله تعالى، وإذا كان الرجل طائعًا تقيا ربه، لا يظلم وطلبت منه المرأة الطلاق بدون سبب يمنع الحياة بينهما فهذا من سوء فهمها وخسران مآلها.

---

(١) رواه الطبراني في «الصغير»، و«الأوسط»، وقال المنذري في «الترغيب»، وورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي، فإني لم أقف له على جرح ولا تعديل، وقد روي هذا المتن من حديث ابن عباس، وكعب بن عجرة وغيرهما. اهـ. (٣/ ٧٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» تحقيق رقم (٢٨٧): لا بأس به في الشواهد، والله أعلم، انظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٤٩)، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٤) من حديث كعب بن عجرة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٧٥).

قال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[١]، وفي حديث آخر: «المختلعات والمنتزعات هن المنافقات»[٢].

أما إذا طلب الزوج من زوجته فعل المعصية كترك الصلاة وخلع الحجاب والتبرج وقطع الأرحام والفطر في نهار رمضان والجلوس مع الأصدقاء وشرب الخمر وغير ذلك من الأمور المحرمة فلا تطيعه في ذلك البتة وإن كان فيه أذاها؛ فإن في ذلك أجرها وثوابها وعلى زوجها الإثم والوزر، قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»[٣].

الحق الثالث ـ أن لا تهجر فراش زوجها:

يجب على المرأة أن تلبي رغبة زوجها في حق الفراش كلما أرادها على ذلك وإن لم تكن هي راغبة، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وابن حبان (١٣٢٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، والحاكم (٢/ ٢٠٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، كلهم من حديث ثوبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٦)، و«الإرواء» (٢٠٣٥).

(٢) رواه الترمذي (١١٨٦)، من حديث ثوبان بلفظ: «المختلعات هنَّ المنافقات»، ورواه أحمد (٩٣٥٨)، من حديث أبي هريرة، وكذا النسائي (٦/ ١٨٦)، والحديث ضعفه بعضهم، وقد صححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» (٦٦٨١)، و«الصحيحة» (٦٣٢)، وذكر له شواهد. و«المنتزعات»، هنَّ اللاتي ينتزعن أنفسهنَّ بما لهنَّ من كنف أزواجهنَّ من غير رضى منهم، وقوله: «هنَّ المنافقات»، أي أنها كالمنافقات في أنها لا تستحق دخول الجنة مع من يدخلها أولاً، والله تعالى أعلم، انظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٥٣).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٤٠)، وأبو داود (٢٦٢٥)، والنسائي (٢/ ١٨٧) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٥١٩٤) بنحو هذا المعنى، ومسلم (١٤٣٦)، وأبو داود (٢١٤١)، وأحمد (٢/ ٢٥٥، ٣٤٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فليس هناك عذر يمنع المرأة من عدم تلبية رغبة زوجها في الاستمتاع بها حتى أثناء الحيض فإنه يجوز له عند ذلك أن يستمتع بها بعيداً عن موضع الولد من فوق إزار.

قال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح»[(١)].

وهذا الحق أوجبه الشرع على المرأة تجاه زوجها؛ لأنه من مقاصد الزواج الأساسية ومن أجلها شُرع، والزوجة حصن الرجل عن الوقوع في المعاصي والرذائل والفواحش، ومهما كان من حالة المرأة فلابد من تلبية رغبة زوجها إلا في حالة شرعية تمنع مثل الحج والعمرة أو شدة المرض الذي يمنع من اللقاء لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[(٢)]، قال ﷺ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع»[(٣)].

فلتحذر المرأة أن تمنع نفسها من زوجها لأنّ ذلك مما يسبب لعن الملائكة المترتب عليه غضب وسخط الله عليها، وكم يكون الفساد المتوقع من عدم تلبية رغبة الزوج في الفراش؟ فإنه قد يذهب لغيرها فيزني ويفعل الفاحشة فتكون بذلك قد خسرت كرامتها بخيانة زوجها لها مع غيرها، وقد يتزوج غيرها فتسخط عليه مع أنّها السبب في كل ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦/ ١٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر تخريج ما قبله.

(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٣)، وابن ماجه (٢/ ٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه أيضًا من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، والحديث تكلم فيه كثير من أهل العلم، فهو بين الحسن والضعيف، وانظر الحديث في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب. وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥١٧)، و«الصحيحة» (٢٥٠)، و«الإرواء» (٨٩٦)، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير (٦/ ٦٤).

(٣) انظر الحديثين السابقين.

الحق الرابع ـ أن لا تصوم نفلاً إلا بإذنه:

وهذا من تمام حقه في الاستمتاع بها في أي وقت شاء، وصيامها قد يفوت عليه هذا الحق إذا كان نفلاً، ويحق له شرعًا أن يُفسد صوم زوجته بالجماع في غير صيام الواجب ولا إثم عليه في ذلك، قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»**[1].

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «وسبب هذا التحريم أنّ للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ولا بواجب على التراخي فإن قيل: فينبغي لها الصوم بغير إذنه، فإذا أراد الاستمتاع بها جاز ويفسد صومها، فالجواب أن صومها يمنعه من الاستمتاع في العادة، لأن المسلم يهاب انتهاك الصوم بالإفساد، ولاشك أنّ الأولى له خلاف ذلك إذ لم يثبت دليل كراهته، نعم لو كان مسافراً فمفهوم الحديث في تقييده بالشاهد يقتضي جواز التطوع لها إذا كان زوجها مسافراً، فلو صامت وقدم أثناء الصيام فله إفساد صيامها ذلك من غير كراهة وفي معنى الغيبة أن يكون مريضًا بحيث لا يستطيع الجماع»[2].

وهناك قصة امرأة صفوان بن المعطل وفيها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليتُ، ويفطرني إذا صمتُ، ولا يُصلي الفجر حتى تطلع الشمس! فسأل النبيُّ ﷺ صفوانَ عما قالت فقال: يا رسول الله، أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها.

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٢)، (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦)، وأبو داود (٢٤٥٨)، وابن ماجه (١٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/ ١٢٤)، بتصرف.

فقال ﷺ : «لو كانت سورة واحدة لكفت الناس»، قال: وأما قولها: يفطرني إذا صمتُ فإنها تنطلق تصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر! فقال ﷺ : «لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها»[(١)].

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «عن رجل له زوجة تصوم النهار وتقوم الليل وكلما دعاها إلى فراشه تأبى عليه وتقدم صلاة الليل، وصيام النهار على طاعة زوجها فهل يجوز؟».

فأجاب ـ رحمه الله ـ: «لا يحل لها ذلك باتفاق المسلمين بل يجب عليها أن تطيعه إذا طلبها إلى الفراش، وذلك فرض واجب عليها وأما قيام الليل وصيام النهار فتطوع فكيف تقدم مؤمنة النافلة على الفريضة؟!»[(٢)].

وقال الحافظ في (الفتح ـ ٩/ ٢٩٦): «وفي الحديث أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير، لأنَّ حقه واجب والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع»[(٣)].

الحق الخامس. أن تحفظ عرضه وشرفه:

يجب على المرأة الحفاظ على نفسها بألا تفرط في عرض زوجها وشرفه، فلا تأتي الفاحشة ولا بأسبابها، فلا تتبرج ولا تخاطب أجنبيًّا ولا تجالسه ولا تأذن لأحدٍ في بيته إلا بإذنه فعليها أن تحفظ نفسها فلا تزني ولا تفشي له سراً.

قال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٥٩)، وابن حبان (٩٥٦)، وأحمد (٣/ ٨٠)، والحاكم (٢/ ١٢)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧/ ٦٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٧٤).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٢٠٧).

وسُئِلَ النبي ﷺ عن خير النساء فقال: «إذا نظرت إليها سرتك وإن أقسمت عليها أبرتك، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها»[(١)]، وقال ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»[(٢)].

وقال ﷺ: «خير نسائكم الودود الولود، المواتية المواسية إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[(٣)]، وقال ﷺ: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله -عزَّ وجلَّ- عنها ستره»[(٤)].

وقال ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله -عزَّ وجلَّ-»[(٥)].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن سلام واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٩٩)، و«الصحيحة» (١٨٣٨)، وفي رواية «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالف في نفسها ولا ماله بمكروه»، رواه أحمد (٢/ ٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨)، والنسائي (٦/ ٥٦)، والبيهقي (٧/ ٨٢)، والحاكم (٢/ ١٦١، ١٦٢)، وصححه من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٨)، و«الصحيحة» (١٨٣٨)، و«المشكاة» (٣٢٧٢).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البيهقي (٧/ ٨٢)، عن أبي أذينة الصدفي رضي الله عنه، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣٠)، و«الصحيحة» (١٨٤٩).

(٤) رواه أحمد (٦/ ٤١)، والحاكم (٤/ ٢٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٣٧٥٠)، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وفي رواية أخرى من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٨)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٦).

(٥) رواه أحمد (٦/ ١٩٩، ٢٦٧)، والحاكم (٤/ ٨٨)، وابن ماجه (٣٨١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧١٠)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥).

وعن فضالة بن عبيد مرفوعًا: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه، ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم»(١).

الحق السادس. حفظ ماله وحسن التصرف فيه:

يجب على المرأة أن تحافظ على مال زوجها ولا تتصرف فيه إلا بإذنه، ولا تنفق منه إلا برضاه، قال ﷺ: «ولا تنفق امرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها»، قيل: ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا»(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لها أن تُطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام»(٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجر بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك لا يُنقض بعضهم أجر بعض شيئًا»(٤).

قال البغوي ـ رحمه الله ـ: «وحديث عائشة خارج على عادة أهل الحجاز أنهم يطلقون الأمر للأهل والخادم في الإنفاق والتصدق مما يكون في البيت إذا حضرهم السائل أو نزل بهم الضيف فحضهم على لزوم تلك العادة كما قال

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، وابن حبان (٥٠)، والحاكم (١/ ١١٩)، وأحمد (٦/ ١٩)، عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في «الأدب المفرد»، وفي «صحيح الجامع» (٣٠٥٩)، و«الصحيحة» (٥٤٢).

(٢) رواه الترمذي (٦٧٠)، وابن ماجه (٢٢٩٥)، وأبو داود (٣٥٦٥)، وأحمد (٥/ ٢٦٧)، والبيهقي (٤/ ١٩٣) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٥٩).

(٣) رواه أبو داود بنحوه (٣٥٤٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ورواه البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٠٢٤)، وأبو داود (١٦٨٥)، والترمذي (٦٧١، ٦٧٢)، وابن ماجه (٢٢٩٤)، والنسائي (٥/ ٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

لأسماء رضي الله عنها: «لا توعي فيوعي اللهُ عليكِ»، وعلى هذا يخرج ما صحَّ عن عُمير مولى آبي اللحم قال: كنت مملوكًا، فسألت رسول الله ﷺ: أتصدق من مال مواليَّ بشيء؟ قال: «نعم والأجر بينكما نصفان»[(١)].

وقال ﷺ: «إذا أنفقتِ المرأةُ من كسب زوجها من غير أمره فله نصف الأجر»[(٢)]، والمقصود تقدير القيمة بغير معرفته، لكن التصدق معهود لها فيه التصرف مسبقًا بعلمه والعادة بينهما في ذلك.

أما إذا لم يوافق الزوج على إخراج ماله وتصدقت الزوجة من ماله زوجها بدون إذنه فحينئذٍ تأثم، قال ﷺ: «لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها»[(٣)].

وقال ﷺ: «لا يجوز لامرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها»[(٤)].

وقال ﷺ: «ليست للمرأة أن تنتهك شيئًا من مالها إلا بإذن زوجها»[(٥)].

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: «وهذا الحديث رقم (٧٧٥)، وما أشرنا إليه مما في معناه يدل على أن المرأة لا يجوز لها أن تتصرف بمالها الخاص بها إلا بإذن زوجها، وذلك من تمام القوامة التي جعلها ربنا تبارك وتعالى له عليها، ولكن

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٥)، وابن ماجه (٢٢٩٧)، والنسائي (٥/ ٦٣) عن عمير مولى آبي اللحم، وانظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٨٨)، و«شرح السنة» (٦/ ٢٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥٣٦٠)، ومسلم (١٠٢٦)، وأبو داود (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٤٧)، وأحمد (٦٦٨١)، والنسائي (٥/ ٦٥، ٦٦)، والبيهقي (٦/ ٦٠)، عن ابن عمرو، وصححه العلامة أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١١/ ١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٢٦)، و«الصحيحة» (٨٢٥)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٣٢).

(٤) رواه أبو داود (٣٥٤٦)، وأحمد (٧٠٥٨)، والحاكم (٢/ ٤٧)، وصححه، والبيهقي (٦/ ٦٠)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٢٥)، و«الصحيحة» (٨٢٥).

(٥) رواه الطبراني في «الكبير»، وتمام في «الفوائد» من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وانظر التخريج في الحديث السابق، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٢٤)، و«الصحيحة» (٧٧٥).

لا ينبغي للــزوج إذا كان مسلمًــا صادقًا ـ أن يسـتغل هذا الحكم فـيتجبر على زوجته ويمنعـها من التصرف في مالـها فيما لا خـير عليهما منه، ومـا أشبه هذا الحق بحق ولي البنت التي لا يجـوز لها أن تزوج نفسـها بدون إذن وليهـا، فإذا أعضلها رفعت الأمر إلى القاضي الشرعي لينصفها، وكذلك الحكم في مال المرأة إذا جار عليـها زوجهـا فمنعهـا من التصرف في المشـروع في مالها، فـالقاضي ينصفـها أيضًا فلا إشكال على الحكـم نفسه، وإنّمـا الإشكال في سوء التـصرف به، فتأمل» اهـ[1].

الحق السابع. أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

يجب على الزوجة أن لا تأذن بدخول أحد في بتيها إلا بإذن زوجها وخاصة إذا كـان مكروهًا لدى الزوج، وإذا كان عـادة الناس وجـود حجـرة مخـصصـة للضيوف بعيدًا عن الاختـلاط إدخاله لأن الغالب موافقة الزوج على ذلك، وهذا مشروط بعدم كراهية الزوج له.

قال ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[2]، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه أتى بيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في حاجة، فلم يجد عليًا فرجع ثم عاد فـلم يجده، مرتين أو ثلاثًا فجاء عليٌّ فقال له: أما استطعت إذ كانت حـاجتك إليها أن تدخل؟ قال: «نُهينا أن ندخل عليهنّ إلا بإذن أزواجهنّ»[3].

---

(١) «الصحيحة» (٢/٣٣٨) حديث رقم (٧٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥١٩٢)، (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦)، وأبو داود (٢٤٥٨)، وابن ماجه (١٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) عزاه السـيوطي في «الجامع الصغيـر» للطبراني في «الكبـير» من حديث عـمرو بن العـاص، وعزاه الألباني للخرائطي في «مكارم الأخـلاق»، وقال: «وإسناده صحيح»، وصححـه في «صحيح الجامع» (٦٨١٣)، و«الصحيحة» رقم (٦٥٢).

وقال ﷺ: «فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون»[(١)].

ومما يُأسف له أن الناس تهاونوا في مثل هذه الأمور فقد يأتي أخو الزوج ويدخل بيت أخيه بدون وجود محرم وهذا لا يجوز شرعًا مهما كان وإن أتى أخو الزوج من أبعد الأماكن.

قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»، قالوا: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[(٢)].

فانظر إلى التعبير عن «الحمو»، أقارب الزوج غير المحارم مثل أخيه، وابن عمه، وأقربائه الآخرين سمّاه ﷺ «الموت»، لأنه مظنة الأمن وهو مع ذلك أكثر ما يكون منه الفساد.

إنَّ بيت الزوج هو مملكته فلا يدخل فيه أحد إلا بإذنه وإن كان أقرب الأقربين للزوجة، وهذا الحكم سواء كان الزوج حاضرًا أو غائبًا فإن لم يأذن لأحدٍ بدخول بيته فلا يدخل فيه وإن كان غائبًا.

ومن تمام هذا الحق أن لا تتكلم مع أحدٍ في بيتها إلا بعد إذنه وذلك من غير المحارم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «نهى عن أن تكلم النساء ـ يعني في بيوتهن ـ إلا بإذن أزواجهنَّ»[(٣)].

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص، وللحديث شواهد في الصحيحين منها حديث جابر الطويل في حجة الوداع عند مسلم وغيره، حديث رقم (١٢١٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢)، والترمذي (١١٧١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) عزاه الألباني للخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وقال: إسناده ضعيف، ويشهد له حديث عمرو بن العاص المتقدّم آنفًا برقم (٥٢٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٨١٣)، و«الصحيحة» (٦٥٢).

وهذا النهي علته عدم وقوع الفاحشة بسبب ما يزينه الشيطان من الكلام والنظر إلى المرأة، والمرأة إن فعلت ذلك كسبت رضا زوجها ودوام محبته ومودته لها.

رويَ أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لما مرضت أتاها أبو بكر يستأذن فقال عليٌّ: «يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليكِ»، فقالت: «أتحب أن آذن له»؟ قال: «نعم».

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ قلتُ عَمِلَتِ السنةُ ﵂، فلما تأذن في بيت زوجها إلا بأمره، قال فأذنت له فدخل عليها يترضاها حتى رضيت[1].

الحق الثامن. أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

لا يجوز للمرأة الخروج من البيت ولو إلى زيارة والديها إلا بعد إذن زوجها، فإن لم يأذن لها حَرُم عليها الخروج، وإن مرض أحد والديها فأرادت الزيارة كان ولابد من الإذن أولاً فإن أذن ذهبت وإلا فلا، لأنَّ طاعة زوجها واجبة تقدم على كل المندوبات، ولكن لا يمنعها زوجها من زيارة أهلها لأنّ في ذلك قطيعة للرحم..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولا يحل لأحد أن يأخذها إليه ويحبسها عن زوجها سواء كان ذلك لكونها مرضعًا أو لكونها قابلة أو غير ذلك من الصناعات، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله، ومستحقة للعقوبة»[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/١٢١)، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (١٠/٢٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/٢٨١).

ولتعلم المرأة أن جلوسها في بيتها خير من خروجها، وكذلك صلاتها في بيتها خير من مسجدها، إلا للتعلم وحضور الجمع والجماعات فذلك جائز ولا يجب عليها، قال ﷺ: «**إذا خرجت المرأة من بيتها استشرفها الشيطان وإنها لتكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها**»(١).

إنّ المرأة إذا خرجت من البيت كانت بمثابة الحبل السهل لوصول الرجال إلى معاصي الله ونواهيه، وأسهل ما يكون على الشيطان تزيين صورة المرأة وفتنتها للرجال وإن كانت منتقبة ومتحجبة، والمرأة إذا خرجت كانت كالقنبلة النووية توشك أن تنفجر فتدمر أمّة بأسرها وأقل ما فيها الخوف من الضرر الواقع منها على الرجال، ويجوز للمرأة الخروج للمساجد وعلى الرجل أن يأذن لها بذلك استحبابًا، وليس على الوجوب فإن لم يأذن لها بالخروج إلى المساجد فلا إثم ولا لوم عليه في ذلك إن علم مصلحتها في عدم خروجها من حيث الفتنة والمعصية.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**»(٣).

والنهي في هذه الأحاديث للكراهة فلا يَحرُم عليه منعها من الخروج إلى المساجد.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه المنذري في «الترغيب» (٢٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الترمذي بلفظ (١١٧٣)، بلفظ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٩٠)، و«الإرواء» (٢٧٣)، و«المشكاة» (٣١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (٧٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الشيخان كما تقدم في الحديث السابق، والنسائي واللفظ له (٢/ ٤٢).

الحق التاسع ـ خدمة الزوج وتهيئة أسباب معيشته:

إلى كل امرأة تبحث عن حريتها في العمل فهذا هو عملها وكرامتها وشعورها بذاتها، لأنّ الله فطرها على ذلك فهي زوجة مربية قيمتها وكرامتها في خدمتها لزوجها وأولادها، ولها في ذلك الأجر والثواب الذي ربما لا تجده في كثير من العبادات، فمن حق الزوج على زوجته أن تقوم بخدمته في عمل البيت ورعاية شئونه من طبخ وإعداد الطعام وكنس وفرش وتنظيف للبيت، فهي تكفي زوجها مؤنة وتكاليف هذه الأعمال، ولا تقل امرأة هل اشتراني له خادمة؟ لأن العلاقة بين الزوجين ليست كذلك، كما يجب على الزوج ألا يعامل زوجته على أنها كذلك إن كان زوجًا حقًّا.

قال رسول الله ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»[(١)].

وفي حديث حصين بن محصن: أنّ عمته قالت أتيت النبي ﷺ في بعض الحاجة فقال: «أي هذه! أذاتُ بعل»؟ قلت: نعم، قال: «كيف أنتِ له»؟ قلت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه»، قال: «فانظري أين أنتِ منه فإنما هو جنتُك ونارُك»[(٢)].

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: «قلت: والحديث ظاهر الدلالة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها وخدمتها إياه في حدود استطاعتها، ومما لاشك فيه أن

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو جزء من حديث طرفه «ألا كلكم راعٍ...».

(٢) رواه ابن شيبة (٧/ ٤٧)، وابن سعد (٨/ ٤٥٩)، والنسائي في «عشرة النساء»، وأحمد (٤/ ٣٤١)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ١٧٠)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١)، وابن عساكر (١٦/ ٣١)، وإسناده صحيح، كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال المنذري (٣/ ٧٤): رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين، ذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص٢١٣-٢١٤).

من أول ما يدخل من ذلك الخدمة في منزله وما يتعلق به من تربية أولاده ونحوه ذلك»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زَفُّوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه»[(٢)].

قال ابن حبيب في (الواضحة): «حكم النبي صلى الله عليه وسلم بين عليٍّ رضي الله عنه وبين زوجته فاطمة رضي الله عنها حين اشتكيا إليه الخدمة فَحكَمَ عَلَى فاطمة بالخدمة الباطنة خدمة البيت، وحكَمَ على عليٍّ بالخدمة الظاهرة، ثم قال ابن حبيب: والخدمة الباطنة العجين والطبخ والفرش وكنس البيت واستقاء الماء وعملُ البيت كله»[(٣)].

قال الحافظ في الفتح: قال الطبري: «يؤخذ من حديث عليٍّ رضي الله عنه في شكوى فاطمة أنَّ كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز وطحن وغير ذلك أن ذلك لا يلزم الزوج إذا كان معروفًا أنّ مثلها يلي ذلك بنفسه، ووجه الأخذ أنّ فاطمة لما سألت أباها الخادم فلم يأمرها زوجها أن يكفيها ذلك إما بإخدامها بخادم أو باستئجار من يقوم بذلك، أو يتعاطى ذلك بنفسه، ولو كانت على الزوج لأمره به، كما أمرها بالصداق قبل الدخول»[(٤)].

إنَّ المرأة التي تعيش في بيتها بلا خدمة لزوجها ولأولادها تَفقِدُ كثيرًا من معاني السعادة وصفات الفطرة، حتى وإن كان لها خادم فعليها أن تشارك في شئون بيتها، خاصة في إعداد الطعام لأنَّ الزوج يريد أن يأكل من يد زوجته،

---

(١) «آداب الزفاف» (ص٢١٤).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/٤٩٩)، نقله عن «المرأة المسلمة» لوهبي غاوجي (ص١٥٠)، ورواه ابن أبي شيبة بنحوه عن أم حُميد في «المصنف» (٤/٣٠٥-٣٠٦).

(٣) نقله عنه في «زاد المعاد» (٥/١٨٦)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/٥٠١).

(٤) «فتح الباري» (٩/٥٠٦-٥٠٧).

وإلى كل امرأة تظنّ أنّ كرامتها ومكانتها لا تسمح لها بالخدمة وإعداد الطعام وغير ذلك لأنها فلانة بنت فلان، وهي، وهي، نقول لها مَن أنتِ يا هذه بجانب سيدتك وبنت سيدك فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟!

قال عليٌّ رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه الليل، ونضعه على الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها، ولما زوّجها رسول الله ﷺ أرسل بي معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحاءين وسقاء وجوتين، فجرَّت بالرحاء حتى أثَّرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقَمَّتِ البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتى دنَّست ثيابها»[(١)].

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس وكنت أسُوسُه وكنت أحتَشُّ له، وأقوم عليه»[(٢)].

وكانت رضي الله عنها تعلف فرسه، وتسقي الماء، وتخرز الدّلو، وتعجن، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ»[(٣)]، وفي رواية أن أبا بكر أرسل إليها جارية فقالت: «حتى أرسل إليَّ أبو بكر جارية فكفتني سياسة الفرس فكأنَّما أعتقني»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/١٠٦) بمعناه، وابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/٩٩٢)، مكتبة أولاد الشيخ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٣٥٢)، وصححه ابن القيم في «الزاد» (٥/١٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/٣٤٧)،وصححه ابن القيم في المصدر السابق (٥/١٨٧).

(٤) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٥٠)، وأحمد (٦/ ٣٤٧، ٣٥٢).

فخدمة المرأة لزوجها واجبة ومحتمة عليها تجاه زوجها وشئون بيتها والأدلة على ذلك كثيرة فليست الخدمة من الأمور المستحبة أو المندوبة بل هي من الواجبات التي تأثم المرأة بتركها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب على الزوجة خدمة زوجها ورعاية أولادها وتدبير أمور المنزل والمعيشة فيه، من طبخ وفرش وعجن وتنظيف وما إلى ذلك، وعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة هذا هو الصواب في رأي العلماء»(١).

الحق العاشر. أن تتزين لزوجها:

كم يسعد الإنسان من رؤية منظر جميل؟ إن الإنسان يفرح عندما يرى الأشجار وهي مثمرة وأوراقها منسقة بالزهور المزينة، ويفرح كذلك عندما يرى الورد وقد تلون بألوانه الجميلة، وكم ترتاح أعصابه عند رؤية الأرض الخضراء، وجريان الأنهار وعليها غصون الأشجار؟

وكم تكون سعادته إذا أرخى الليل سدوله،ورأى القمر في أكمل هيئته وقد أحاطت به النجوم من كل مكان؟ وكم تكون بهجته إذا استيقظ على تغاريد الطيور فهي نغمات الطبيعة التي تبث في روحه النشاط والهمة؟ وكم يكون الهدوء والسكينة عند وجود الرائحة الطيبة فعندها تسكن النفس وترتاح المشاعر؟

كل هذه الأمور لا تساوي شيئًا بجانب المرأة الجميلة المتزينة، لأنَّ جمال كل ما في الطبيعة لا يعادل جمال المرأة الحسناء صاحبة الدين والزينة والطهارة.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ٩٠).

فما أسعد الرجل فيما يرى معجزة السعادة في الزوجة النظيفة المتزينة المتعطرة؛ وإنَّ زينتها ذهابٌ لهموم الزوج، وعطرها نسيم في نسيان متاعبه، وابتسامتها بلسم يداوي جروح الحياة، ومقابلتها وكلامها الحلو له حياة بلا متاعب وإن كان يحمل فوق رأسه جبال المشقة، فجمالها نور البيت، وابتسامتها سكينة القلب، وكلامها ماء الحياة، واستقبالها جنة الدنيا، وزينتها استمرار السعادة، فهذه هي المرأة الصالحة.

قال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[(١)].

وقال ﷺ: «خيرُ النِّساء من تَسرُّك إذا أبصرتَ، وتطيعك إذا أمرتَ، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالها»[(٢)].

والإسلام قد أباح الزينة للمرأة ووسع لها في ذلك ما لم يأذن به للرجل، فقد أحل لها الذهب والحرير والزينة المباحة، وجعل الزينة سلاحًا تستطيع المرأة بها أن تمتلك قلب الرجل وتسعده بها وذلك أرجى لدوام العشرة بينهما.

فأين أولاء النسوة من هذه الزينة التي هي من السحر الحلال الذي يجعل الرجل محبًا لزوجته؟، والمرأة الجاهلة هي التي تتجاهل مثل هذه الأمور، فهي في بيتها مهملة في حق زوجها فلا يراها إلا مبتذلة من رائحة الطعام وملابس

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٨)، وابن ماجه رقم (١٨٥٥)، والبيهقي (٧/ ٨٠)، والنسائي (٦/ ٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٢) عزاه السيوطي في «الجامع» للطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩٩)، وفي رواية أنه ﷺ قال: «خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»، رواه أحمد (٢/ ٢٥١، ٤٣٢)، والنسائي (٢/ ٧٢)، والحاكم (٢/ ١٦١) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩٨)، و«الصحيحة» (١٨٣٨)، و«المشكاة» (٣٢٧٢).

المطبخ، وعدم تنظيف نفسها، وقد يراها بشعر غير منسق فطلعها كرؤوس الشياطين فمثل هذا يُخشى عليه الصرع، ومن الزوجات من لا تتزين إلا إذا خرجت من بيتها، وكأن الزوج يشتري الملابس لغيره، وهذا لا يجوز شرعًا ولكن كثرت الدياثة في عصرنا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيهما أحق بالزينة زوج المرأة أم الناس الذين لا يحق لهم مشاهدتها وهي في زينتها!؟ وصدق من قال: «قرد في البيت وغزال في الشارع»، نعم بعض النساء كذلك في البيت تؤذي زوجها بشكلها البذيء والمهين، وإذا خرجت تراها غزالاً جميلاً حتى أن الزوج قد لا يعرفها!!

فاتقي الله يا أمة الله واحفظي حق زوجك ومن أجله تجملي وتزيني، واعلمي أنَّك بذلك تطيعين الله طاعة قد يكون فيها من الثواب ما لا يكون في غيرها، واحذري إهمال الزينة لزوجك فإنَّه خريف الأشجار ويدخل على الحياة الزوجية البوار.

الحق الحادي عشر. أن لا تطالبه بما لا يستطيع وأن تتحلى بالقناعة:

يجب على الزوجة أن تفطن لحالة زوجها من حيث متطلباتها، فلا تطالبه بأشياء ليست في قدرته واستطاعته، ولا تحوجه إلى هلاك نفسه حتى يلبي لها حاجاتها، لأنَّ ذلك يحزنه ويؤلمه ويشعره بإهانة كرامته أمام زوجته إذا عجز عن تلبية رغباتها، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧).

فعلى المرأة أن تتحلى بالرضا والقناعة، وأن تعيش مع زوجها على قدر حاجته ومعيشته، وذلك من علامات صلاح المرأة وحسن خصالها، وعليها أن تنظر إلى الدنيا نظرة المرتحل وليس المقيم.

قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[١].

ففي أمور الدنيا لا تبالي المرأة الصالحة بها أتت أم ذهبت، أما في أمور الآخرة فهي مطالبة بحملها والتنافس فيها والسعي إلى الحصول على أعلى الدرجات فيها، قال ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل، نساء قريش أحناه على ولد في صغر، وأرعاه على زوج ذات يد»[٢].

فقد مدح رسول الله ﷺ نساء قريش بسبب رعايتهن للأولاد، وصبرهن على أزواجهن في الحالة المادية والعيش معه على ما كان من معيشته، وعلى المرأة المسلمة أن تتأسى بأمهات المؤمنين اللائي كنّ خيرَ النساء.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما شبع آلُ محمد من خُبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ»[٣].

وعن عروة بن الزبير أنّ عائشة رضي الله عنها قالت له: «والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار»، قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٠) بنحوه، ومسلم (٢٩٦٣)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤١٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومعنى الإزدراء أي الاحتقار.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٣٨٣) بنحوه، ومسلم (٢٩٧٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري (٦٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢)، ومعنى «منائح» أي جمع «منيحة»، وهي الشاة والناقة.

فهكذا كانت حياة أفضل مخلوق خلقه الله تعالى وهكذا كنَّ النساء في المعيشة مع أزوجهنَّ، إنّ من أفضل ما يمتلكه المرء غنى النفس وإن كان لا يملك شيئًا من فوت الدنيا فهو غني بقناعة نفسه لأنّ القناعة كنز لا يغنى، أما إذا فقد المرء قناعة النفس فهو فقير وذليل وإن ملك حذافير الدنيا، قال رسول الله ﷺ : «لو أنّ لابن آدم واديًا من ذهب لتمنى أن يكون له اثنان، ولن يملأ عينه إلا التراب ويتوب الله على من تاب»(١).

وقال بعض الصالحين: «يا ابن آدم إذا سلكت سبيل القناعة فأقل شيء يكفيك، وإلا فإن الدنيا وما فيها لا تكفيك»(٢).

وخير الكلام كلام الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١)، وفي قصة قارون عظة وعبرة لكل من طلب الدنيا وتباهى بها ولم يشكر لله فأصابه الكبر بذلك، فلنرضَ بما قسمه الله لنا بعد أن نعمل ما علينا من العمل في تحصيل أبواب الرزق.

قد ترى المرأة في عصرنا همها بطنها ولبسها ورضا نفسها، وتعلقها بالمظاهر الترابية الفانية، فإن كانت المرأة كذلك فهي من أغبن الناس وأسوئهم على الرجل، وقد أساء هذا الزوج عندما اختارها زوجة، فهو بين أمرين إما أن يطلقها ويسرحها بعد تعليمها وتفهيمها، وإما أن يصبر عليها ويدخل الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أنَّ النبي ﷺ خطب خطبة فأطالها وذكر فيها من أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو إسرائيل أنّ امرأة الفقير

---

(١) رواه البخاري (٦٤٣٩) بنحوه، ومسلم (١٠٤٨)، والترمذي (٢٣٣٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٤٩٥).

كانت تكلفه من الثياب أو الصِّيغ ـ ما تكلَّفُ امرأة الغني»[1]، وقد يكون انشغال المرأة بمظاهر الدنيا من ذهب وحرير وملبس ومطعم معوقًا لتقليل درجاتها في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «أُريتُ أنّي دخلتُ الجنة، فإذا أعالي أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين، وإذا ليس فيها أقل من الأغنياء والنساء فقيل لي: أما الأغنياء فإنهم على الباب يُحاسبون ويُمحصون، وأما النساء فألهاهنّ الأحمران الذهب والحرير»[2].

وقال ﷺ: «ويل للنساءِ من الأحمرين: الذهب والمعصفر»[3].

ومع جواز الذهب والحرير للنساء إلا أنّه كان يحثُّ أهله على التقلل والبعد عنهما، قال ﷺ: «إن كنتم تُحبون حليةَ الجنة وحريرَها فلا تلبسوها في الدنيا»[4]. وقد يكون هذا خاصًا بهنَّ لحثهنَّ على الآخرة.

الحق الثاني عشر ـ أن تحسن تربية الأولاد بحلم ورحمة:

يجب على المرأة أن تحسن تربية أولادها وهذا من حق الأولاد عليها، ومن قبلهم حق زوجها، لأن حسن التربية يُفرح الزوج، وعدم الإحسان إلى الأولاد

---

(١) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٠٨)، وقال الألباني: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، انظر السلسلة الصحيحة» رقم (٥٩١).

(٢) عزاه في «الترغيب والترهيب» إلى أبي الشيخ ابن حبان وغيره من طريق عبد الله بن زمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه (٣/ ١٠١)، ويشهد له الحديث الذي بعده.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٤٦٤)، والديلمي في «الفردوس» (٥/ ١١٥)، والبيهقي في «الشعب» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٣٨)، و«الصحيحة» (٣٣٩).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٤٦٣)، والنسائي (٨/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ١٩١)، وأحمد (٤/ ١٤٥) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٣٨)، و«الصحيحة» (٣٣٨)، و«المشكاة» (٤٤٠٤).

قد يؤذي الـزوج فيكون بذلك إثم المرأة وهلاكـها، قـال رسول الله ﷺ: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنّما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا»**(١).

فـعلى المرأة أن لا تَغـضب على أولادها خـاصة أمـام زوجـها، ولا تدعـو عليهم، ولا تسـبهم، ولا تؤذيهم فلعل ذلك يؤذي زوجـها، ومن أهم مـا تقوم المرأة في بداية التربيـة هو إرضاع الطفل فإنّ رضاع الأم لولدها له أكـبر الأثر في الحنان والارتباط بينهما وأكمل اللذة عند المرأة عندما تحتضن طفلها لترضعه.

والرضاع من المرأة لولدها واجب وفيها أجر عظيم إذا استحضرت المرأة النية في ذلك، وفي ضيـاع هذا الحق يكون الجـفـاء والتبـاعـد الوجـداني بين الأم وأولادها، وقـد تُعاقب بتـركه، قـال رسول الله ﷺ: **«بينمـا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي»** الحديث وفيه: **«ثم انطلقا بي، فإذا أنا بنساء تنهش ثَديهُنَّ الحياتُ، قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهنّ ألبانهنّ»**(٢).

فكم تكون العواقب الوخيمة من ترك هذا الواجب من الأم لأولادها من فقد الأم لفطرتها وطبيعتها التي فطرها الله - تعالى - عليها؟!

ومن تمام حسن التربية من الأم ألا ترفع صـوتها بسخط على أولادها خاصة بحضرة زوجها ولا تدعو عليهم ولا تضربهم، قال رسول الله ﷺ: **«ولا تدعوا على أنفـسـكم، ولا تدعـوا على أولادكم، ولا تدعـوا على خـدمـكم، ولا تدعـوا على**

---

(١) رواه الترمذي (١١٧٤)، وابن مـاجه (٢٠١٤)، وأحمد (٥/ ٢٤٢) من حديث مـعاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٩٢)، و«الصحيحة» (١٧٣).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٤٨٧١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٨٦)، وابن حبـان (١٨٠٠)، والحاكم (١/ ٤٣٠)، وصـححـه الألباني في «صـحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٤٢٠).

أموالكم، **لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»**[(١)] ، وعليها أن تربي أولادها على الطهارة والنظافة والعفة والشجاعة والزهد في سفاسف الأمور وملاهي الحياة كي ينشئوا مسلمين يعيشون بالإسلام وللإسلام، يكثر اللهُ - تعالى - بهم الخير في المجتمع ويتباهى بهم وبأمثالهم رسول الله ﷺ غداً.

وعليها أن تراعي الأمور الآتية حتى تنجح العملية التربوية:

أولاً - أن لا تتصرف أمام أبنائها بصورة توحي بأنَّ سياستها التربوية تخالف سياسة الأب.

ثانياً - أن لا تعترض المرأة على زوجها أثناء تأديب أولاده بحضرتهم، فإن كان ولا بد فلها أن تبدي رأيها في أمور التربية على انفراد به، وعليهما الخروج بسياسة تربوية محددة.

ثالثاً - أن تحرص على الصدق مع زوجها، وتصارحه بالحقيقة في أمورها كلها، وأن تعلمه بالأحداث التي تتم في غيبته، ولا تتستر على أخطاء أولادها الجسيمة والتي يجب معرفة الأب بها.

رابعاً - أن لا تأذن ولا تعطي ولدها عند غياب أبيه ما منعه منه.

خامساً - أن لا تبدي الزوجة أمام أبنائها أي إشارة رفض أو ضجر من بعض عادات الأب أو تصرفاته، وأن تحذر أن تُخطِّئ أقواله وأفعاله، أو أن تنتقص منه، أو أن تتظلم لأولادها منه قبالتهم[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٢)، وهو جزء من حديث جابر الطويل عند مسلم (٣٠٠٦)، وكذا ابن حبان (٢٤١١)، وهو في «صحيح الجامع» (٧٢٦٧).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٢١).

الحق الثالث عشر - أن تحفظ شعوره وكرامته:

لا خير في امرأة انتقصت زوجها أمام الآخرين، وعملت على إحراجه وإهانة كرامته، لأنَّ كرامة الزوجة من كرامة زواجها؛ فالمرأة كرامتها ممثلة في كرامة زوجها وإهانتها وانتقاصها لزوجها إنما هو في الحقيقة إهانة لها، وهذا الواجب كان ولابد أن تكتسبه المرأة من والديها وخاصة أمها، لأنّ الأم أقرب ما تكون إلى ابنتها، ومن أكبر الخسائر للمرأة أن لا تجد الأم العاقلة!!

وقد سبق في هذا الكتاب فصل بعنوان (الوصايا الذهبية) وفيه وصايا الآباء والأمهات للعروس فلتراجع.

إنَّ الزوجة التي يندب إليها هي الهينة اللينة العفيفة، التي تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش عليهم ولا تُهمل داراً، ولا تؤذي جاراً، ولا تنفث ناراً.

«وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا صالحًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته، وتجتنب كل ما يؤذيه، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه أوجب ذلك ملالته، وبقي ذلك في نفسه، فربما وجد فرجته فتركها أو آثر غيرها فإنّه قد يجد وقد لا تجد هي، ومعلوم أن الملل للمستحسن قد يقع فكيف للمكروه»[1].

ألا فلتعلم الزوجة أنَّ رفعة زوجها من رفعتها، فعليها ألا تخبر بتقصيره نحوها، أو قلة اليد، أو حتى سوء المعاملة، لأنَّ ذلك من صفات المرأة الحمقاء.

وهناك أمثلة تدل على مدى رجحان عقل المرأة وعلو فهمها لطبيعة الرجل من حيث رجولته ومروءته، فلا تعمل على خدش حيائه، وذهاب مروءته بين الناس.

---

(١) «أحكام النساء» (٢/٧٢٦)، «الإرواء في شرح جامع أحكام النساء» تحقيق وشرح عبد المنعم إبراهيم.

فعن زينب ـ امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدَّقن يا معشر النساء ولو من حُليكنَّ»، قالت: «فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنّك رجل خفيف اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فائته فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم»؟ فقال لي عبد الله: «بل ائتيه أنت»، قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ، وقد أُلقيتْ عليه المهابة قالت: فخرج علينا بلال، فقلنا له: «ائتِ رسول الله ﷺ فأخبره: أن امرأتين بالباب يسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن»، قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟»، قال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟»، قال: «امرأة عبد الله»، فقال رسول الله ﷺ: «لهما أجران أجر القرابة، وأجر الصدقة»[(١)].

الشاهد من الحديث هو قولها لبلال: «ولا تخبره من نحن»، وفي ذلك ظهور فضل هذه المرأة في حفاظها على كرامة وحياء زوجها لأنها ستعطي زوجها مالاً وتتصدق عليه، وربما هذا ينقص الرجل عند الناس، فأرادت أن تعطيه دون أن يعلم أحد بذلك، فرضي الله عنهما، وهكذا فلتكن النساء.

وعلى المرأة أن تعرف ما يحبه زوجها فتأتيه وما يكرهه فتجتنبه فهذا أرجى لدوام العشرة بينهما.

فعن أسماء بنت أبي بكر زوج الزبير بن العوام رضي الله عنها أنها كانت تحمل النوى على رأسها، فرآها رسول الله ﷺ فدعاها لتركب معه دابته فأبت لتذكرها

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠)، والترمذي (٦٣٥)، والنسائي (٢٥٨٣) عن زينب امرأة عبد الله.

لغيرة الزبير. تقول رضي الله عنها: «فجئت يومًا والنوى على رأسي فدعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إخ، إخ»، يستنيخ ناقته ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنّي قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشدُّ عليَّ من ركوبك معه ﷺ»[1].

فانظر - رحمك الله - إلى تصرف أسماء لما تذكرت غيرة الزبير فأبت أن تحرج مشاعره مع أنَّ الذي ستركب معه هو رسول الله ﷺ الذي لا يوجد عنده أدنى الشك ومع ذلك أبت الركوب لوجود الرجال الذين يسيرون معه.

وهناك قصة امرأة حكاها فضيلة الشيخ العلامة/ أبو إسحاق الحويني - حفظه الله - وسدد خطاه في شريطه (لماذا كثر الطلاق في بلاد المسلمين؟).

يقول - حفظه الله - في هذه القصة: «أنه قابل أحد أصحابه فوجده يبكي فقال له الشيخ: لماذا هذا البكاء؟ قال له إنّ زوجتي مريضة، فقال له الشيخ: لا عليك هذا البكاء على المرأة، فقال الرجل للشيخ: إنك لا تدري مكانة هذه المرأة عندي وأنا سأحكي لك موقفًا واحدًا في حياتنا الزوجية:

قال الرجل: بَدَأتُ حياتي عاملاً صغيراً عند مقاول كبير، وكنت أتفانى في العمل بجدية وإخلاص، فلما رآني المقاول على هذه الحالة جعلني رئيسًا للعمال فأصبحت أجِدُّ في العمل حتى أحضرتُ له المقاولات، وزاد العمل والمال وكبرت المقاولات، وقد جعلني هذا المقاول بمثابة يده اليمنى فأصبح لا يتصرف إلا بي ويعتمد عليَّ في كثير من أعماله.

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٤٧، ٣٥٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٥٠).

وكان لهذا المقاول بنت وحيدة فأراد هذا المقاول أن يزوجها فنظر في الرجال فلم يجد أفضل مني واختارني زوجًا لابنته، وقال إنني لن أجد أفضل منك زوجًا لابنتي، وتزوجنا وكانت زوجتي تعيش عيشة الرخاء والتنعم من المأكل والملبس وغير ذلك من أشكال الغنى عند أبيها.

وكنا نأتي عند أبيها المقاول فنجد أفضل أنواع الأطعمة الشهية فكانت زوجتي لا تأكل هذا الطعام الذي لا تأكله في بيتنا وتقول لوالديها: إنّ زوجي أطعمني هذا، وعندنا ذلك الطعام، وزوجي لا يحوجني لشيء فكانت تأبى الأكل من الطعام بحجة أنها تأكله في بيت زوجها والحقيقة أن زوجها لا يأتي لها بهذا.

فجاء أبوها إليّ يومًا وقال: يا بني خفف من الطعام في بيتك حتى تأكل البنت عندنا، وقصّ عليه ما تفعله المرأة عندما تأتي إلي بيت أبيها، فكم يكون قدر هذه المرأة؟ أليس مثل هذه يحق البكاء عليها؟ أليس مثل هذه يحق للزوج أن يحزن لمرضها وأن يغتم لحزنها؟!

الحق الرابع عشر: أن تشكر له وتعترف بفضله:

يجب على المرأة أن تشكر لزوجها ما يجلبه لها من طعام وشراب وملبس وغير ذلك من الأمور الحسية والمعنوية والشكر يكون بأكثر من طريقة، قد يكون بكلمة طيبة أو نظرة حانية، ولتحذر المرأة أن تكفر عشرته ونعمته عليها، فإن في ذلك شقاءها وهلاكها، قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه**»[1].

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٠٩)، وقال: «رواه البزار بإسنادين والطبراني وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح» اهـ، وقال المنذري «رواه النسائي بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» اهـ (٣/ ٧٨)، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٧٣٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٩).

فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: «مرّ بي النبي ﷺ، وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا، وقال: «إياكنّ وكفر المنعَّمِين»، فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعَّمين؟ قال: «لعل إحداكنّ تطول أيِّمتُها من أبويها ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول ما رأيت منك خيراً قط»[(١)].

وقال ﷺ: «يا معشر النساء تصدقنّ فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقلن: «وبم ذلك يا رسول الله»؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»[(٢)].

وقال ﷺ: «من لم يشكر الناس لا يشكر الله»[(٣)]، إن المعروف يؤثر في الحيوانات ويظهر الوفاء منها لدى الإنسان الذي يُحسن إليها فكيف إذا كان هذا المعروف يُهدى للإنسان؟!

الحق الخامس عشر- أن تحسن معاملة والديه وأقاربه:

إنَّ من الآداب التي لابد من توافرها في الزوجة الصالحة أن تحسن لأهل زوجها، وتقدم رضا زوجها على رضا نفسها، وأن تُكرم أقاربه خاصة والديه، لأنَّ في ذلك أكبر الأثر في تقوية الروابط بين الزوجين وعدم بث المشاكل بينهما، وعلى المرأة العاقلة أن تكسب كل الناس خاصة أم زوجها، وتتودد إليها وتتحبب لها وأن تعمل على كسب رضاها.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٧، ١٠٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» وكذا في «السلسلة الصحيحة» (٨٢٣)، وقال: إسناده جيد.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكذا مسلم (٧٩)، وابن ماجه (٤٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الترمذي (٢٦١٣)، وأحمد ومسلم كذلك (٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر «صحيح الجامع» (٧٩٨٠)، و«الإرواء» (١٩٠).

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه أبو داود (٤٨١١) من حديث أبي هريرة، وكذا الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٤١)، و«الصحيحة» (٤١٧).

ولتعلم المرأة أنَّ الزوجَ مطالب شرعًا بأن يقدم رضا والديه على رضا زوجته، أما الزوجة فهي مطالبة بتقديم رضا زوجها على رضا والديها، وعليها كذلك إن كانت صالحة ألا تحوج زوجها إلى معصية والديه فإن في ذلك العذاب والهوان لزوجها فإن كانت تحب زوجها فلتتقي الله فيه.

وإذا كانت المرأة تزعم حبَّ زوجها ومودتها له، فإنَّ من علامات حبها أن تحب ما يحب وتكره ما يكره، ومن علامات مودتها كذلك أن تشكر لوالديه لأنهما السبب في وجوده في الدنيا بعد الله تعالى، والمرأة في برها لأهل زوجها مثابة ومأجورة من عند الله تعالى، فعليها أن تتأدب بآداب الإسلام وتتحلى بأخلاقه، قال ﷺ: «**ليس منا من لم يُجلَّ كبيرَنَا، ويرحم صغيرَنا، ويعرف لعالمنا حقَّه**»[(١)].

وإذا كانت المرأة تعتقد أنَّ زوجها يقدم رضاها على بر والديه فلتعلم أنه ليس بصالح أو فاضل.

يقول الدكتور محمد الصباغ: «إنَّ على الزوجة الفاضلة أن لا تنسى منذ البداية أنَّ هذه المرأة التي قد تشعر أنها منافسة لها في زوجها هي أم هذا الزوج، وأنه لا يستطيع مهما تبلّد فيه إحساس البر أن يقبل إهانةً توجه إليها فإنها أمه التي حملته في بطنها لتسعة أشهر، وأمدته بالغذاء من لبنها، ووقفت على الاهتمام به حياتها حتى أصبح رجلاً سويًا.

واعلمي أيتها الزوجة أنَّ زوجك يحب أهله أكثر من أهلكِ، كما أنك تحبين أهلك أكثر من أهله، فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو انتقاصهم أو أذيته

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، والحاكم (١/ ١٢٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٦).

فيهم، فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك. إن تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريط في احترامه وإن لم يقابل الزوج ذلك في بادئ الأمر بشيء، فلن يسلم حبه إياها من الخدش والنقص والتكدير.

إن الرجل الذي يحب أهله ويبر والديه إنسان صالح فاضل جدير بأن تحترمه زوجته وترجو فيه الخير[١].

حكى ابن الجوزي عن عابدة كانت تصلي بالليل لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: «قم ويحك! إلى متى تنام؟ قم يا غافل قم يا بطَّال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، برَّ أمَّك صل رحمك لا تقطعهم، فيقطع الله بك»[٢].

فلتجعل المرأة من أم الزوج أمًّا لها ولتعمل ليوم ستصبح فيه أمًّا لولد يتزوج امرأة مثلها.

الحق السادس عشر. توقيره وكف اللسان:

إذا فهمت المرأة دينها عرفت قدر زوجها، فهو جنتها ونارها فأيهما شاءت عملت له مع زوجها، إنَّ احترام المرأة لزوجها لمن دلائل سمو أخلاق المرأة وحسن طباعها وهو كذلك دليل على حسن حسبها ونسبها، والمرأة عليها أن تعلم أنَّ كرامة زوجها من كرامتها وأكثر النساء إهانة وازدراءً من الناس هي المرأة صاحبة اللسان البذيء والخلق الفاحش من سبِّها لزوجها وعدم احترامه وتوقيره، إن الطباع والأخلاق أكثرها يكون جبليًا، ومنها ما يكون مكتسبًا من البيئة

(١) «نظرات في الأسرة المسلمة» (ص٨٧-٨٨)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/٥٠٨).
(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٥١٠) نقلاً عن «صفة الصفوة» (٤/ ٤٣٧) لابن الجوزي.

والمعاشرة وأحسنها ما كان من الدين، وأخلاق المرأة مع زوجها لابد أن تكون مأخوذة من آداب الإسلام ومكارم الأخلاق الإسلامية، ومنها ما تكون جبلية منها لزوجها بدون تكليف أو تصنع.

ومن احترام المرأة لزوجها أن لا تشعره بالنقص وأن لا تفضحه أمام الآخرين، وأن لا ترفع صوتها عليه، وأن تطيعه فيما يقول في غير معصية، وأن ترفع من شأنه أمام أقاربه وأقاربها، وأن تناديه بأحب الأسماء إليه وتوقره في ذلك بأن تكنيه مثلاً تقول له: يا أبا محمد، يا أبا عبد الله، حتى وإن لم يكن له ابن فعليها أن تكنيه بما يحب من الولد.

وهناك الاحترام الوجداني بأن لا تشعره أنه يتعامل مع جسد بلا روح، وجماد بلا إحساس، فقد تلبي المرأة رغبات زوجها ولكنه مع ذلك لا يشعر بالسعادة، لأنّ المرأة قريبة جسداً بعيدة روحًا وقلبًا وشعوراً فمن أين تكون السعادة؟!

قالت سارة زوجُ إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (هود: ٧٢)، فانظر كيف عبرت عن زوجها بقولها ﴿بعلي﴾، أي سيدي، وكثير هذا التعبير في القرآن مثل: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ (النساء: ١٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

الحق السابع عشر: أن يلي تأديبها إذا نشزت:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٤).

المرأة الناشز هي المرأة العاصية المتمردة غير المطيعة لزوجها، والنشوز معناه: العصيان.

ومن أمثلة النشوز: امتناع المرأة زوجها من الاستمتاع بها بدون عذر شرعي، وخروجها من المنزل بدون إذنه، وعدم طاعته فيما أمرها ونهاها كأن تأذن لأحد في بيته بدون إذنه، وغير ذلك من الأمور التي لا تطيع الزوجة زوجها في طلباته ورغباته المشروعة.

والمرأة الناشز تكون عاصية، وحينئذٍ يكون من حق الزوج تأديبها، وهذا التأديب حق أعطاه الله له في كتابه، ولكن ليس التأديب على إطلاقه، ولذلك كانت هناك مراتب لهذا التأديب.

مراتب التأديب إذ نشزت المرأة:

إذا ظهرت على المرأة علامات النشوز فليعمد الزوج إلى تأديب زوجته على النحو التالي:

أولاً. الوعظ والإرشاد بلا هجر ولا ضرب:

وهذا أول ما قاله الله تعالى إذا نشزت المرأة قال سبحانه: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾، والوعظ من الزوج يكون بتذكيرها بما أوجبه الله عليها من طاعة زوجها وما لها في ذلك من أجر وثواب، وأن يتلو عليها آيات القرآن التي تبين حق الزوج ومكانته بالنسبة لزوجها، وكذلك الأحاديث التي تبين المساوئ، والعواقب الوخيمة من عصيان الزوج وغضبه على زوجته، ويذكرها بالموت والقبر والدار الآخرة والوقوف بين يدي الله تعالى، فعليها أن تتوب إلى الله تعالى، وإلا فسيكون لها الخسران في الدنيا بطلاقها والآخرة بهلاكها.

ثانيًا. هجر المضجع:

وهذه هي المرتبة الثانية في الآية، قال تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾، فإذا لم تتعظ المرأة ولم تستجب إلى نصح زوجها ووعظه لها، وأبت الطاعة

واستمرت على نشوزها وعصيانها فحينئذٍ يعمد الزوج إلى المرتبة الثانية في التأديب وهي هجر المضاجع.

وهجر المضجع الأفضل فيه أن يكون بدون ترك الفراش بأن ينام الزوج بجانب زوجته على نفس الفراش ـ السرير ـ ولكن يليها ظهره ولا يجامعها، لأنَّ في ذلك ما يكون من التأديب ما لا يكون في غيره، لأنَّ الزوج يريد أن يقول لزوجته: إنني بجانبك ومع ذلك فليس لي بك حاجة وهذا من تقوية الإرادة عنده، ويجوز هجر الفراش بأن ينام الزوج بعيداً عن فراش زوجته، والهجر ليس له مدة معينة لكن لا يجوز أن يهجر الزوج زوجته إلى مدة تبلغ أربعة أشهر حتى لا يكون الإيلاء.

وينبغي على الزوج أن يقصد بهجره زوجته التأديب والإصلاح والرغبة في صلاح زوجته لا الانتقام والشماتة فيها، ولا يجوز أن يضرها بذلك، والهجر يكون في الفراش والجماع ولا يجوز هجر الكلام والنفقة منه عليها، وقد صحَّ عنه ﷺ أنَّه اعتزل نساءه شهراً كاملاً، وكان هجره لهنَّ في غير بيوتهن[1].

وهجر الزوجة من أفضل الأدوية التي يجهلها كثير من الأزواج عند نشوزهن، فإن ذلك يجعل المرأة صاحبة الإحساس تتألم وتشعر بإهانة كرامتها وفقدانها لذاتها وثقتها بنفسها وذلك مما يجعلها تعود لمرضاة زوجها مرة أخرى ولكن الأمر يحتاج إلى رجال ذوي إرادة!!

---

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» (٥٢٠٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، باب «هجرة النبي ﷺ نساءَه في غير بيوتهنَّ»، ورواه مسلم (١٠٨٤) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الترمذي (٦٩٠) عن أنس رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه (٢٠٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثالثًا ـ الضرب غير المبرح:

آخر الدواء الكي: هذه المقولة لا بد أن يستعملها الزوج إذا لم ينفع مع زوجته وعظ ولا هجر، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾، هذه هي المرتبة الثالثة التي أباحها الله للزوج في تأديب زوجته، وضرب المرأة كان من شبهات المشككين في الإسلام إلى أن يشوهوا صورة الإسلام ولكن قيّد الله لهم العلماء الذين ردوا عليهم وأوقفوهم عند مقاصد الإسلام من التشريع.

وضرب المرأة لا يجوز على الإطلاق إلا فيما أباحه الله بشروط حتى لا تفقد المرأة حقها ومكانتها الإنسانية، الضرب لا يكون أول ما يفكر فيه الزوج كما يفعل البعض، بل لابد من الترتيب فعلى الزوج أن يعظ، فإن أبت فعليه أن يهجر، فإن أبت فعليه بالضرب غير المبرح، فإن أبت فعليه بجمع حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها فإن أبت فالخلع أو الطلاق.

ولا يحق للزوج أن يبدأ بالضرب إلا بعد الوعظ والهجر وكل نوع من التأديب يكون على حسب حالة النشوز والعصيان فلا يعمد إلى هجر في أمر يحتاج إلى وعظ وهكذا، وعليه أن يقصد بضربه لها التأديب والعلاج لا الإهانة والاحتقار والوحشية، وليعلم وهو يضرب أنَّه يتعامل مع أرق مخلوق.

ويتحقق الضرب باللكزة في الصدر، أو بالسواك، وعليه أن يتجنب المواضع المخوفة كالرأس والبطن والوجه والضرب على الوجه حرام ومنهي عنه حتى في حق البهيمة فما بالك بالآدمية، قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ لكم عليهنَّ إن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرح»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (١٣٧٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقال ﷺ لمعاوية بن حيدة: «ولا تُقبح الوجهَ ولا تَضْربْ»[(١)].

ومعنى الكلام لا تسبها وتشتمها بأن تقول لها: «قبح الله وجهك»، ولا تضربها على وجهها.

والأفضل من الضرب: التهديد والوعيد من الزوج لزوجته، لأنَّ عملية الضرب قد تؤثر في مكانة الرجل القلبية عند زوجته.

قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماءَ الله»، وفي الحديث نفسه قال عمن يضرب النساء: «ولا تجدون أولئك خياركم»[(٢)]، وقال ﷺ: «لا يجلد أحدُكم امرأته جلد العبد ثمَّ يجامعُها في آخر اليوم»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة قط، ولا خادمًا، ولا ضرب شيئًا قط، إلا أن جاهد في سبيل الله»[(٤)].

وعن لقيط بن صبرة أنَّ النبي ﷺ قال له: «فمرها ـ يقول عظها ـ فإن يك فيها خير، فستقبل، فلا تضربنَّ ظعينتك ضربك أُميتك»[(٥)]، وقال ﷺ: «خيركم

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم (٢/ ١٨٧-١٨٨)، وابن حبان (١٢٨٦)، وأحمد (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧)، وصححه الألباني في «رياض الصالحين» (٢٨٢)، و«الإرواء» (٢٠٣٣)، و«صحيح الجامع» (٣١٤٩)، كلهم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٨٥)، وأبو داود (٢١٤٦)، وابن حبان (١٣١٦) وصححه، والحاكم (٢/ ١٨٨، ١٩١)، والبيهقي (٧/ ٣٠٤، ٣٠٥) من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٦٠)، و«المشكاة» (٣٢٦١).

(٣) رواه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥)، وابن ماجه (١٩٨٣)، والترمذي (٣٣٤٣)، والدارمي (٢/ ١٤٧)، وابن حبان (٤١٧٨) من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٣٣٢٧)، وأبو داود (٤٧٨٦)، والدارمي (٢/ ١٤٠٧) بنحوه مختصراً.

(٥) رواه أبو داود (١٤٢، وابن حبان (١٥٩) وصححه، والحاكم (٤/ ١١٠)، وأحمد (٤/ ٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٧٠)، «صحيح سنن أبي داود» (١٣٠).

خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله»(١) وكان من سنته ﷺ عدم ضرب النساء وذلك من أفعاله الطيبة أما عن أقواله فقد قال في الذين يضربون أزواجهن: **«ليس أولئك بخياركم»**(٢).

فإن تابت المرأة ورجعت عن نشوزها وعصيانها فالمعاشرة بالمعروف والمعاملة بالحسنى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٣٤).

الحق الثامن عشر- أن تحرص عليه وتحافظ على الحياة معه:

الحياة بين الزوجين الأصل فيها أنّها على الدوام بدون انقطاع بينهما ما دامت الحياة بينهما، وعلى المرأة أن تحافظ على هذه النعمة «نعمة الزوج»، ونعمة الأولاد لأنَّ المرأة إذا رُزقت بالزوج الصالح فقد رُزقت مكانتها بين الناس وكذلك فقد كفيت مؤنة الحياة ومشقتها.

ولا يحل للمرأة أن تطلب فراق زوجها بدون سبب شرعي فلا تسأله الطلاق والفراق، قال رسول الله ﷺ: **«أيما امرأة سألت زوجها الطلاقَ من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»**(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٩) بنحوه، والترمذي (٣٨٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ٢١١)، وابن ماجه بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى منه الشطر الأول الحاكم (٤/ ١٧٣)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهو عند الدارمي (٢/ ١٩٥)، إلا أنه قال: «وإذا مات صاحبكم فدعوه»، بدل قوله: «وأنا خيركم لأهلي»، وسنده صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣١٤)، و«الصحيحة» (٢٨٥)، وانظر «آداب الزفاف» (ص١٩٧).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥)، وابن حبان (١٣١٦)، والحاكم (٢/ ١٨٨)، والدارمي (٢/ ١٤٧) من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب الدوسي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٧)، و«المشكاة» (٣٢٦١).

(٣) رواه الترمذي (١١٨٧)، وأبو داود (٢٢٢٦)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، والدارمي (٢/ ١٦٢)، وابن حبان (١٣٢٠)، والحاكم (٢/ ٢٠٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٦)، و«الإرواء» (٢٠٣٥).

وقال ﷺ: «المختلعات هنّ المنافقات»(١)، إنّ من أعظم المصائب عند المرأة الصالحة لموت زوجها أو طلاقها فكم يكون شقاؤها عندما تصبح بلا زوج بعد أن كانت ذات زوج؟! وقديمًا قالوا: مسكينة هذه المرأة التي بلا زوج!

وطلاق المرأة له من المساوئ والإفساد ما جعل إبليس عليه لعنة الله يفرح بطلاق الزوج لزوجته فرحًا جعله يقرب قرينه من الشياطين إلى عرشه لمّا تسبب في طلاق الرجل زوجته، فانظر أخي: إنّ الطلاق حلال شرعًا، أما الزنا والسرقة والقتل كل هذا حرام ومن الكبائر، ولكن الشيطان لا يفرح بفعل هذه الكبائر المحرمة بقدر فرحه بالطلاق الحلال شرعًا، وذلك لعظم الفساد المتحقق من أثر هذا الطلاق من فساد الأولاد والمجتمع بأسره!

الحق التاسع عشر. المشاركة الوجدانية:

يجب على المرأة أن تشارك زوجها أفراحه وأحزانه فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه ،وتسر لسروره، فلا يُعقل أن تفرح الزوجة مع حزن زوجها مثلاً. ومن علامات محبتها لزوجها أن تظهر حبها لما يحب وبغضها لما يبغض، فحبيب حبيبي حبيبي، وعدو حبيبي عدوي، وعليها دائمًا أن تجعل من زوجها ونفسها نفسًا واحدةً فتقول له: يا أنا، وتقول له: أنا أنت غير أنَّك إياي، بعض النساء يفرحن لحزن أزواجهن ويحزنَّ لفرح أزواجهنَّ فمثل أولاء النسوة خشُبٌ مُسندة، أما الزوجة العؤود الودود هي التي تتود لزوجها فلا تفرح إلا به ولا تحزن إلا عليه ولا تفرق بينها وبينه.

---

(١) رواه الترمذي (١١٨٦) من حديث ثوبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٨١)، و«الصحيحة» (٦٣٢)، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة (٢/ ٤١٤)، وكذا النسائي (٦/ ١٨٦) بلفظ: «المختلعات والمنتزعات هنّ المنافقات».

وفي مثل هذا المعنى قال بعضهم:

قَالَ لي المحبوبُ لما زرتُه ... مَن ببابي قلتُ بالباب أنا
قَالَ لي أخطأتَ تعريفَ الهوى ... حينمَا فرَّقْتَ فيه بَيننا
ومَضَى عامٌ فلمَّا جئتُه ... أَطرقُ البابَ عليه مُسوهِنا
قَالَ لي من أنتَ قلتُ انظر فما ... ثَمَّ إلا أنتَ بالبابِ هنا
قَالَ لي أَحْسَنتَ تعريفَ الهوى ... وعَرَفْتَ الحبَّ فادخُلْ يا أنا

الحق العشرون ـ الوفاء للزوج:

الوفاء للزوج من أهمِّ صفات المرأة الصالحة لأنَّه من مكارم الأخلاق ومن شُعب الإيمان مع كل المسلمين، فما بالُكِ بأوثق رباط يكون بين الزوجين، وحسن الوفاء للزوج يكون في حياته بشكره والثناء عليه أمامه وأمام الآخرين وذكر محاسنه وحسن عشرته وأخلاقه مع عدم ذكر المساوئ.

والأمثلة في ذلك فياضة كثيرة في تاريخ أمتنا الإسلامية، والإسلام حذَّر النساء من عدم الوفاء وعدم شكر الرجل وبيَّنَ أنَّ من أسباب كثرة دخول النساء النار ما يكون من كفر العشير وإنكار محاسن الزوج إليهنَّ، قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر النساء تصدقنَّ فإني رأيتكن أكثر أهل النار»**، فقلن: «وبم ذلك يا رسول الله»؟، قال: **«تُكثِرن اللعن وتكفرن العشير»**[(١)].

والوفاء من المرأة للرجل بلسم للحياة وعوض لكل ما يفقده الرجل من مهمات الحياة، فعندما يكون الوفاءُ تهون مصائبُ الدنيا ومتاعبها عند الزوج،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وكذا مسلم (٧٩)، وابن ماجه (٤٠٠٣) من حديث ابن عمر ﷺ، ورواه الترمذي (٢٦١٣)، وأحمد ومسلم كذلك (٧٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وانظر «صحيح الجامع» (٧٩٨٠)، و«الإرواء» (١٩٠).

وما أعلم زوجة على وجه الأرض وجِدَ عندها الوفاء بصورتها المعهودة مثلما كان عند أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﵂، فقد كانت نعم الزوجة لزوجها فقد واست النبيَّ ﷺ بمالها، وصدَّقته حين كَذَّبه الناسُ، وآمنت به إذ كفر الناس، وهي أول من آمنت من هذه الأمة على الإطلاق.

إنَّ خُلُقَ الوفاء للزوج أوجبه الإسلامُ على المرأة حتى بعد ممات زوجها، فجعل الزوجة تجلس مدة أربعة أشهر وعشرة أيام حدادًا على زوجها، لا تتزين ولا تتجمل أثناء هذه المدة ولا تترك بيتها، ولا تُخطب وهي في مدة عدة التي مات عنها زوجها، ومن أمثلة وفاء الزوجة لزوجها ما يلي:

١ ـ حديث أم زرع الطويل وفيه: «أن أمَّ زرع وصفت زوجها السابق الذي طلقها وفارقته فقالت فيه: «زوجي أبو زرع، وما أبو زرع؟ أناس من حُليٍّ أذنيَّ، وملأ من شحم عضُدَيَّ، وبجَّحني فبجَحت إليَّ نفسي، وجدني في أهل غُنيمة بِشقٍّ فجعلني في أهل صَهيل وأطيط، ودائسٍ ومُنَقٍ، فعنده أقول فلا أُقَبَّح، وأرقدُ فأتصبَّح، وأشرب فأتقنَّح، أمُّ أبي زرع، وما أمُّ أبي زرع؟ عكومُها رداح، وبيتُها فساح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسَلِّ شَطْبَة، ويشبعه ذراع الجفَرة، بنتُ أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمِّها، وملءُ كِسائها وعطف ردائها وزين أهلها وغيظ جارتها. جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثًا، ولا تُنَقِّثُ ميرتنا تنقيثًا، ولا تملأ بيتنا تعششًا، خرج أبو زرع والأوطابُ تمخَض، فمرَّ بامرأة معها ابنان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمَّانتين، فطلقني ونكحها، فنكحتُ بعده رجلاً سريًا، ركب شريًا، وأخذ خطيًا وأراح عليّ نعمًا سريًا، وأعطاني من كل رائحة زوجًا فقال:

كلي أمَّ زرع، وميري أهلكِ، فلـو جَمَعتُ كل شيء أعطانيه، ما مـلأ أصغر إناء من آنية أبي زرع» فقال النبي ﷺ: «يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[١].

وفي رواية بزيادة: «إلا أنَّه طلقهـا وأنا لا أطلق»، فقالت عـائشة ﵂: «يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع»[٢].

فانظري إلى وفاء هذه المرأة لزوجـها السابق الذي طلقها، فقـد ذكرت مناقبه وحسن صفاته مع أنهـا تزوجت رجلاً غيره وقد أكرمـها هذا الزوج الجديد وقَدَّمَ لها كل ما تُحبُّ إلا أنها مع ذلك تُفَضِّل أبا زرع على الزوج الجديد فتقول: «فلو جَمَعتُ كل شيءٍ أعطانيه، ما ملأ أصغرَ إناء من آنية أبي زرع.

وأرجو من كل مسلم ومسلمة أن يسمع شرح هذا الحديث كاملاً جامعًا مانعًا من فضـيلة الشيخ العلامة/ أبي إسحاق الحويني ـ حـفظه الله تعالى ـ وذلك من خلال شريط (ليلة في بيت النبي ﷺ)، وهو يتكون من شريطين.

وما أحلى الوفاء بعد موت الزوج!

فعن ميـمون بن مهران قـال: خطب معاوية بن أبي سُـفيان ﵁ أمَّ الدرداء ﵂ فـأبت أن تتزوجـه، وقالت: سَـمِعتُ أبا الدرداء يقـول: قال رسـول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها»، أو قال: «لآخر أزواجها»[٣]، فهي بذلك تريد أن تكون مع زوجها في الآخرة.

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) عن عروة عن عائشة ﵂.

(٢) رواه النسائي في «عشرة النساء» (٢٥٦٠)، وانظر «مختصر الشمائل المحمدية» للألباني (ص:١٣٤).

(٣) ذكره في «المطالب العالية» (١٦٧٣)، و«كنز العمال» (٤٥٥٥٧)، و«تاريخ بغداد» (٩/٢٢٨)، و«العنقية والمتفقة» (٤٨)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٩١)، وعزاه للطبراني في «الكبير»، وصححه في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨١).

(خرج سُليمان بن عبد الملك ومعه ابن المهلب فمراً بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جلّتْ شمسًا، فوقفنا متعجبين، ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: «يا أمة الله هل لكِ في أمير المؤمنين بعلاً»؟ فنظرتّ إليها ثم نظرت إلى القبر وقالت:

فإن تسألاني عن هوايَ، فإنّه ... بملحود هذا القبر يا فتيانِ
وإني لأستحييه والتُّربُ بيننا ... كما كنتُ أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون)[(١)].

وتزوج محمدٌ بنُ هارون الرشيد لبانةَ بنتَ ريطة بن عليٍّ وكانت من أجمل النساء، فقتل محمدٌ عنها ولم يبن بها فقالت ترثه:

أبكيكَ لا للنعيم والأنسِ ... بل للمعالي والرُّمح والفرسِ
يا فارسًا بالعراءِ مطرَّحًا ... خَانَتْه قوادُه مع الحرسِ
أبكي على سيدٍ فُجِعتُ به ... أرمَلني قَبل ليلةِ العرسِ

وقالت أعرابية ترثي زوجها:

كنا كغصنين في جرثومة بسقا ... حينًا على خير ما تَنمى به الشجر
حَتَّى إذا قِيلَ قد طالَ فُروعُهما ... وطابَ قنواهما واستمطر الثَّمر
أخني على واحد ريبُ الزمان وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر
كنا كأنجم ليل بينهما قمرٌ ... يجلو الدجى فهوى من بينهما قمر

وقالت أخرى لزوجها ترثيه في قبره:

يا صَاحبَ القبر يا مَن كانَ ينعمُ بي ... بالاً ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زرتُ قَبرَكَ في حلي وفي حلل ... كأنني لستُ مِن أهلِ المصيبات
أردتَ آتيك فيما كنتُ أعرفه ... أن قد تُسرُّ به من بعض هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة ... عجيبة الزي تبكي بين أموات

(١) «الدر المنثور» (ص٤٦٥-٤٦٦)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/ ٥٣٦).

وقالت جارية لسيدها وقد ألصقت خدها بقبره وهي تبكي:

خدي تقيك خشونة اللَّحد ... وقليلة لكَ يا سيدي خَدي
يا ساكنَ القبرِ الذي بوفاته ... عَميت عليَّ مسالكُ الرُّشد
اسمع أبثك علتي فلعلني ... أطفي بذلك حرقة الوجد(١)

هكذا كانت النساء اللائي عرفن معنى الوفاء لأزواجهن في الحياة وبعد الممات، وصدَق من قال:

لو كان النِّساء كما ذُكِرنَ ... لفُضِّلَتِ النِّساءُ عَلى الرِّجَالِ

ومن تمام حقه عليها:

١ ـ أن تتجنب الغيرة المذمومة: يجب على المرأة أن تغار على زوجها فذلك من علامات المحبة، ويجب في الوقت ذاته أن تتجنب الغيرة المذمومة والشك الدائم في زوجها، بأن تسأله عن كل شيء وعلاقته بغيره وغير ذلك من الأمور التي يكون مدارها الشك في زوجها، لأنَّ ذلك مما يُنغِّص على الزوج معيشته معها.

فعن أنس رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله، ألا نتزوج من نساء الأنصار؟ قال: «**إنَّ فيهن لغيرة شديدة**»(٢).

٢ ـ أن تكتم سره: ما يكون بين الزوجين لا يجوزه إخراجه عن البيت مهما كان صغيراً أو كبيراً، فالبيوت أسرار ومن أخطر هذه الأسرار أسرار الفراش واللقاء بين الزوجين، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وشَبَّه فاعله وكأنه شيطان لقيَ شيطانة فغشيها والناس ينظرون.

---

(١) انظر «تحفة العروس» (ص٢٣٦-٢٣٨)، نساء يُرثين أزواجهنَّ.

(٢) رواه النسائي (٦/ ٦٩)، وقال الأرناؤوط في «تحقيق جامع الأصول»: إسناده صحيح (١١/ ٥٣٤)، دار الفكر.

٣. أن لا تَمُنَّ عليه: إذا قدَّرَ الله الزوجة بأن أنفقت على زوجها، أو أعطته عطية، أو تسببت له في توفيق ونجاح، فيجب عليها ألا تَمُنَّ عليه بذلك، لأن ذلك ليس من صفات المؤمنين الصالحين لأن المنَّ يبطل أجر العمل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤).

٤. إكرام ضيوفه: يجب على المرأة أن ترفع قدر زوجها أمام ضيوفه بأن تبادر إلى إكرامهم وإطعامهم وحسن ضيافتهم، دون أن تُحوِجِ الرجلَ إلى كلامه معها، والمرأة العاقلة هي التي تتصرف في مثل هذه الأمور دون أن تُحرج زوجها أمام ضيوفه، وهناك قصة الرجل لمَّا نَدب النبيُّ ﷺ أصحابه إلى ضيافته، فاستضافه رجل من الأنصار، وذهب به إلى بيته، وأحسنت الزوجة ضيافته فقال لهما رسول الله ﷺ: «قد عَجِبَ الله مِنْ صَنيعكُما بِضيفكما الليلة»[1].

٥. أن لا تحوجه إليها: على المرأة أن لا تحوج زوجها إليها، مع عملها على ترغيبه فيها بحسن العشرة، فلا تُذِلُّه عندما يريد أن يُلبيَ رغباته، ولا تجعله يحتاج إليها فلا تتمنع عنه كثيراً، فربما يؤدي هذا إلى كراهيتها والبحث عن غيرها، فلتكن المرأة على حذر من ذلك، إن الرجل مهما يكون من حاجته للمرأة إلا أنّه يكره الذُّلَّ والإهانة من زوجته إليه، فهو يريد حاجته بعزة النفس لا بإذلالها.

القول الجامع في آداب المرأة:

قال الإمام الغزالي في (الإحياء): «والقول الجامع في آداب المرأة أن تكون قاعدة قعر بيتها، لازمة لمنزلها، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٥٤ - ٢)، والترمذي (٤ - ٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية، محترزة من أن يَسمع غريبٌ صوتَها أو يعرفها بشخصها، لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديقٌ لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً لم تستفهم، ولم تعاوده في الكلام، غَيْرَةً على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله، وتُقَدِّم حقها على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج»[1].

فهذه آداب إذا توفرت في الزوجة كانت بحق نعمة تُقَرُّ به العين ويُسَرُّ بها القلب.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤).

(١) «الإحياء» (٢/ ٨٦، ٨٧).

ثالثاً - حقوق الزوجة على زوجها

أيها الزوج المسلم لك حقوق على زوجتك قد عرفتها وسبقت الإشارة إليها، وهذا الحق أمامه واجب عليك هو حق الزوجة والآن جاء الدور كي تعرف حقوق زوجتك عليك حتى تؤديها كما أمرك الله ورسوله ﷺ.

وقبل الكلام عن حقوق الزوجة لابد أن يعلم الزوج مكانة زوجته بالنسبة إليه، فالزوجة الصالحة من أعظم نعم الله تعالى على الرجل، ولذلك يجب على الرجل حفظها وشكر ربه عليها، وقد جعل الله العلاقة بين الزوجين من أوثق العلاقات التي عرفتها البشرية، فربما لا يوجد علاقة بين اثنين مثلما وجدت بين الزوجين، فقد ربط الله تعالى هذه العلاقة بالمودة والرحمة، والمقصود دوام هذه الخصال في الزواج، وكل ما كان من الحقوق بين الزوجين قائم في الحقيقة لحفظ المودة والرحمة بينهما.

فالمرأة لباس الزوج وستره وسكينته وهدوء قلبه، وهي أم ولده وشريكة حياته، فلها من الحقوق الواجبة على زوجها مثل ما للزوج من حقوق عليها وإن كان الرجل يزيد عنها درجة قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)، وقال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ لكم على نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا»[1].

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (١١٦٣، ٣٠٨٧)، وابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصححه ابن القيم في «الزاد» (٤/٤٦)، وله شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٧٢-٧٣)، وذكره الألباني في «آداب الزفاف» (ص١٩٨)، وحسنه في «الإرواء» (٢٠٩٠).

فعلى الرجل المسلم أن يتعرف لحالة زوجته ويتودد إليها، ويؤدي لها حقها، ويحرص على رضاها ومحبتها حتى تدوم العشرة بينهما، وبذلك لا يدع للشيطان فرصةً للتحريش بين الزوجين والتفريق بينهما، والآن على الزوج أن يعرف حقوق زوجته عليه وهي:

الحق الأول. حُرية المرأة في اختيار زوجها:

لقد كرَّم الإسلامُ المرأةَ وحفظ حقها في اختيار زوجها، وجعل لها حرية الإرادة والاختيار في ذلك، فلا تُكره ولا تُجبر المرأة على الزواج ممن لا تُريده، ولابد من إذنها وموافقتها فإن أبت فلا يتمُّ هذا الزواج.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكِحُها أهلها أتُستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «نعم تُستأمر» فقالت: فقلتُ له: إنها تستحي، فقال رسول الله ﷺ: «فذلك إذنها إذ هي سكتت»[(١)]، وقال ﷺ: «الأيم أحق بنفسها عن وليها، والبكر تُستأذن في نفسها وإذنها صمتها»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ، فذكرت له أنّ أباها زوجها وهي كارهة فخيّرها النبي ﷺ»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥١٣٧)، ومسلم واللفظ له (١٤٢٠)، والنسائي (٦/ ٨٥-٨٦)، وأحمد (٦/ ٤٥، ١٦٥، ٢٠٣)، والبيهقي (٧/ ١٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٢١)، وأبو داود (٢٠٩٨)، والترمذي (١١٠٨)، وابن ماجه (١٨٧٠)، والنسائي (٣٢٦٠، ٣٢٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، وأحمد (١/ ٢٧٣)، والبيهقي (٧/ ١١٧)، والدارقطني (٣/ ٢٣٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٦٥)، وابن المنذر في «الأوسط» لوحة (٢٠٠/ ٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ١٠١)، وذكره ابن حزم في «المحلى» (٩/ ٤٦١)، من طريق حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، ورجاله كلهم ثقات، وقال البيهقي: «أخطأ فيه جرير بن حازم على أيوب السختياني، والمحفوظ عن أيوب =

ولا يجوز إكراه المرأة على الزواج ممن لا تحبه، كما في قصة مغيث وبريرة، فإذا أحبته لم يكن لوليها التفريق بينهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ عندنا يتيمة وقد خطبها رجل مُعدِم ورجل موسر، وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله ﷺ: «لم يُرَ للمتحابَّين مثلُ النكاح»(١).

أما إذا كان الرجل لا يصلح لها كأن يكون فاسقًا ظالمًا غير كفء لها في الدين فحينئذٍ من حق وليها منعها من الزواج منه وإن أحبته، لأنَّ في ذلك حفاظًا عليها.

الحق الثاني: المهر والصداق:

المهر أو الصداق هو المال الذي تأخذه المرأة لتنتفع به وحدها بسبب النكاح، وحكمه الوجوب على الرجل تجاه زوجته، ولا يحق له بخسها في ذلك الحق، مع صحة الزواج إذا لم يُسمِّ الزوج مهرًا لزوجته، لأنَّ المهر ليس شرطًا ولا ركنًا ينعقد به الزواج بل هو من آثاره.

= عن عكرمة عن النبي، ورواه ابن ماجه في الموضع السابق من طريق زيد بن حبان عن أيوب به، وزيد ابن حبان صدوق كثير الخطأ وتغير بآخره كما في التقريب، ورواه الدارقطني في الموضع السابق من طريق أيوب بن سويد عن سفيان الثوري عن أيوب به، دون قوله: «بكرًا»، وأيوب بن سويد صدوق يخطئ» اهـ.

- قلت: قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٠٣): وأما الطعن في الحديث فلا معنى له فإن طرقه يقوي بعضها ببعض.

- وقال ابن القيم وعلى طريقة البيهقي وأكثر الفقهاء وجميع أهل الأصول: هذا حديث صحيح، لأنَّ جرير بن حازم ثقة ثبت وقد وصله وهم يقولون: زيادة الثقة مقبولة. اهـ.

انظر «تهذيب سنن أبي داود مع عون المعبود» (٦/ ٩٥)، دار الفكر، والحديث صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (١٥٢٠)، وانظر «ولاية الإجبار في النكاح» (٣٠) لابن جبرين.

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٧)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٠)، و«الصحيحة» (٦٢٤).

ودليل وجوبه قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، فالمخاطب والمأمور في الآية هم الرجال الأزواج وقد بيَّنت الآية أن المهر عطية وفريضة واجبة للمرأة، وقال تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٢٥)، وقال سبحانه: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٢٤).

والمهر حق للمرأة تنتفع به وحدها، وليس لأحد الانتفاع به حتى الوالدين وأقرب الأقربين إليها، إلا إذا أذنت لهم في ذلك عن رضاها، وطيب نفسها، وحرية إرادتها، قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، فقد اشترط الله طيب نفس المرأة في جواز الانتفاع بمهرها من جهة الآخرين.

فإن أعطت المرأة مالها ومهرها لأحد بسبب مخادعة أو إكراه أو حياء أو خوف فهذا المال حرام على من أخذه وأكله قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٢٠)، وحذر الإسلام خداع المرأة وأكل مهرها، وحذر ﷺ من فعل هذا بأشد الوعيد، قال ﷺ: «إنَّ أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج بامرأة، فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابة عبثًا»[(١)].

ولم يجعل الإسلام حدًا معينًا للمهر وهذا من سماحته، فليس هناك حد لقلته أو لكثرته فبأي شيء يستطيع الرجل أن يمهر زوجته، فقد أمهر عليٌّ رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها بدرعه الحطمية، وأمهر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بزنة نواة من ذهب، وأمهر آخر ببعض سور من القرآن كان يحفظها يعلمها فزوجته.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٨٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٦٧).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجتُ امرأة فقال: «ما أصدقتها»؟ قال: «وزن نواة من ذهب»[(١)] الحديث.

وعنه رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وجعل عتقها صداقها»[(٢)].

ومهما كان من فقر الزوج فلا بد من تسمية المهر وإن قَلَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل: «ولو خاتمًا من حديد»، حتى اضطر الرجل إلى أن يُقدِّمَ إزاره مهرًا للمرأة، ويجوز شرعًا تأجيل المهر بأن يدفعه الزوج لزوجته في المستقبل، عندما ييسر الله عليه حالته، وهذا من يسر الإسلام على العباد، كما يجوز تعجيله كله لمن أراد ذلك.

وإذا عقد الرجل على امرأة ثم طلقها قبل الدخول فلها نصف المهر، فإن دخل بها فلها المهر كله، وإن مات الزوج قبل الدخول فلها المهر كله كذلك، ويسقط مهر المرأة إذا أبرأته قبل الدخول بها، أو تنازلت عنه له، أو طلبت فراقه بالخُلع، والأولى في المهر تعجيله كله بأن لا يكون هناك مؤخر كما يفعل الناس الآن فذلك من هدي السلف رضوان الله عليهم، إذ كانوا يُعجِّلون مهر المرأة كله مادام تيسر لهم ذلك، وإن كان يجوز تأخيره وتأجيله وكلٌّ على حسب حالته، وينبغي التنبيه على أن المطلوب في المهر هو التيسير والتسهيل على رجال المسلمين، فلا تعسف ولا تعير ولا تشدد في ذلك، فليس زيادة المهر وكثرته دليلاً على مكانة المرأة ورفعتها بين الناس، ولو كان الأمر كذلك لكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الأحق بذلك عن سائر نساء العالمين[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٤٩)، ومسلم (١٤٢٧)، وأبو داود (٢٠١٩)، والترمذي (١٠٩٤)، وابن ماجه (١٩٠٧)، والنسائي (٣٢٥١، ٣٣٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧١)، و(٥٠٨٦)، ومسلم بإثر (١٤٢٧)، وأبو داود (٢٠٥٤)، والترمذي (١١١٥)، وابن ماجه (١٩٥٧)، والنسائي (٣٣٤٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر «دعوة إلى تيسير الزواج» من هذا الكتاب، وكذلك «عودة الحجاب» (٢/ ٣٠٥-٣١٢).

الحق الثالث ـ النفقة على الزوجة وأولادها:

يجب على الزوج أن ينفق على زوجته وأولاده حتى وإن كانت الزوجة غَنِيَّة موسرة، فلا يجب عليها أن تنفق شيئًا من مالها البتة، والنفقة الواجبة على الزوج المقصود بها توفير ما تحتاجه الزوجة من طعام وشراب وملبس ومسكن وخدمة وغير ذلك من الأمور التي تحتاجها المرأة لإقامة الحياة، ودليل وجوب النفقة على الزوجة كثيرة منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٧).

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق: ٦).

فهذه الآيات وأمثالها في القرآن دلت على فرضية النفقة ووجوبها على الزوج تجاه زوجته وأولاده، حتى وإن طلقها فلها النفقة إن كانت ذات حملٍ فإذا وضعت حملها كانت النفقة على ولده فقط وله أن يعطيها مالاً كأجر لها في سبيل تربيتها وحضانتها للولد إن كانت هي ستولى تربية الولد، فإذا كانت النفقة تجب على المطلقة الحامل، فوجوبها على الزوجة من باب أولى.

قلنا إنَّ الزوجة لا يجب عليها نفقة على زوجها أو على أولادها، حتى وإن كانت غنية موسرة، وذلك لأنّ الله جعل قوامة الرجل على المرأة بشيئين الإنفاق وبما أعطاه الله للرجل من فطرته، والرجل الذي يسمح لزوجته أن تعمل وتنفق على البيت انتقص من رجولته وقوامته نصفها، وذلك بذهاب قوامته على

زوجته، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤).

فالنفقة من خصوصيات الرجل وواجباته وحق عليه، ولا يوجب عليه الإسلام التبذير والإسراف فيها، بل يقول له: «كُلٌّ على قَدر حالته»، فقد قال سبحانه: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: ٧)، فالواجب على الزوج من النفقة ما كان في استطاعته ويجب على المرأة أن تتفهم لذلك.

قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا وحقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ»[(١)]، وقال ﷺ: «فاتقوا الله في النساء فإنكم، أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف»[(٢)]، وفي حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تُقبح الوجه ولا تضرب»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٣)، وأيضًا ابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وللحديث شواهد في الصحيحين منها حديث جابر في حجة الوداع عند مسلم.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) باب «حجة النبي ﷺ».

(٣) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم (٢/١٨٧-١٨٨) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٩)، و«الإرواء» (٢٠٣٣).

فضل النفقة على الزوجة والأولاد

إنَّ من أفضل الصدقات والقربات إلى الله أن ينفق الزوج على زوجته وأولاده، فإنَّ في السعي عليهم جهادًا في سبيل الله تعالى، يُؤجر عليه الزوج، قال رسول الله ﷺ: **«إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»**(١).

وقال ﷺ: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»**(٢).

وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **«إنَّك مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنَّك تؤجر بها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»**(٣)، وفي رواية لمسلم: **«وإن نفقتك على عيالك صدقة، وإنَّ ما تأكله امرأتُك من مالك صدقة»**(٤).

وقال ﷺ: **«ما أطعمتَ نفسَك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»**(٥).

---

(١) رواه البخاري (٥٣٥١)، ومسلم (١٠٠٢) وغيرهما من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٩٥)، وأبو داود (١٦٧٦)، وأحمد (٢/٤٧٣)، والبيهقي (٧/٤٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري (١٢٩٥)، و(٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)، وابن ماجه (٢٧٠٨)، والنسائي (٣٦٢٦)، وأحمد (١/١٧٢) من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص، وانظر الحديث السابق.

(٥) رواه أحمد (٤/١٣١، ١٣٢)، والبيهقي (٤/١٧٩)، وعزاه السيوطي في «الجامع» إلى الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٣٥)، و«الصحيحة» (٤٥٢)، والحديث من رواية المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه.

وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: «مرّ على النبيّ ﷺ رجل، فرأى أصحابه من جَلده ونشاطه ما أعجبهم فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله»؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن كان خرج يسعى على أولاده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعِفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان**»[(١)].

وليحذر الزوج أن يُطعم أولاده وزوجته من حرام، فلابد أن تكون النفقة من المال الحلال الخالص الذي لا شبهة ولا إثم فيه، قال ﷺ: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنةَ لحمٌ ودمٌ نَبتَا على سُحتٍ، النار أولى به**»[(٢)].

إثمُ من قَصَّرَ في النفقة:

إذا كانت النفقة واجبة على الزوج فإن تقصيره فيها يُعدُّ إثمًا عظيمًا لمخالفة الواجب، فالرجل مسئولٌ أمام الله تعالى عن زوجته وأولاده، قال ﷺ: «**إنَّ الله سائل كل راعٍ عما استرعاه أَحَفِظَ أَمْ ضَيَّع، حتى يُسألُ الرجل عن أهل بيته**»[(٣)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٢٨)، و«الروض النضير» (٨٤٢).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٩٩)، وابن حبان (٢٦١)، والحاكم (٤/ ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والدارمي (٢/ ٣١٨)، والطبراني (١٩/ ١٠٦)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦١) من حديث كعب بن عجرة.

(٣) رواه ابن حبان (١٥٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨١)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٤)، و«الصحيحة» (١٦٣٦).

وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت»[(١)].

وقال ﷺ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعولُ»[(٢)]، وفي رواية أنَّه قيل: مَن أعُولُ يا رسول الله؟ قال: «امرأتُك مِمَّن تَعول»[(٣)].

وينبغي على الزوج أن يوسِّع على زوجته وأولاده بلا إسراف، وعليه أن يكون سخيًا كريمًا، فلا يتركهم ينظرون إلى الناس من أقارب وجيران مادام يستطيع كفايتهم، قال رسول الله ﷺ: «إذا أعطى الله أحدَكم خيرًا، فليبدأ بنفسه وأهل بيته»[(٤)].

وإنَّه من المصائب العظام أن يتصف الرجل بالبخل أو الشح ذلك لأن البخل خُلقٌ ذميمٌ يستر كل محاسن الإنسان، والسخاء خُلقٌ محمودٌ يستر كل قبائح الإنسان، وقد كان ﷺ يستعيذ بالله من البخل والشح.

قال ﷺ: «اللهم إنِّي أعوذ بك من العَجز والكَسل، والجُبْن والهَرَم، والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات»[(٥)].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٩٢)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٤٦٧)، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الحاكم، وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، والحديث حسنه الألباني بشواهده في «الإرواء» (٨٩٤)، وانظر «صحيح الجامع» رقم (٤٤٨١).

(٢) رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام ﷺ، وأخرجه أبو داود (١٦٧٣)، والنسائي (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الدارقطني (٣/ ٢٩٦)، وأحمد (٢/ ٥٢٤، ٥٢٧)، وجود الألباني إسناده في «الإرواء» (٨٩٣)، (٣/ ٣١٧)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/ ٣١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه مسلم (١٨٢٢)، وأحمد (٥/ ٨٦، ٨٩) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٣٦٣)، و(٢٣٦٧)، ومسلم (٦-٢٧)، وأبو داود (١٥٤٠)، والترمذي (٣٤٨٥)، والنسائي (٥٤٥٧) من حديث أنس ﷺ.

وقال ﷺ: «اتقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ مَن كان قبلكم، حَمَلَهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[(١)].

وللمرأة أن تأخذ من زوجها ما يكفيها هي وأولادها بدون علم زوجها إذا منعها زوجها من ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنّ هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله! إنّ أبا سفيان رجل شحيح، وليس يُعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذتُ منه، وهو لا يعلم»، فقال: «خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروف»[(٢)].

الحق الرابع ـ حسن الخلق والمعاشرة بالمعروف:

إنَّ المسلم مطالب في الأصل بحسن الخلق مع كل الناس القريب والغريب حتى الكافر، فما بالك بأقرب الناس إلى قلب الزوج وأكثرها ملازمة له؟! إنَّ استمرار الحياة بين الزوجين لابد أن تكون بالمعروف، فإن لم يكن هناك تبادل حسن المعاشرة بينهما فحينئذٍ يكون الطلاق أفضل من الزواج.

قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة:٢٢٩)، فقد جعل الله تعالى سبب إمساك المرأة واستمرار زواجها أن يكون بالمعروف، وإلا فتسريح بإحسان أي الطلاق، وقال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٣٠)، فيجوز أن ترجع المرأة التي بانت من زوجها البينونة الكبرى بعدما تزوجت من رجل غير زوجها الأول، فإن طلقها الزوج الثاني جاز لها أن تعود للرجل الأول بشرط أن يُقيما حدود الله وهي العشرة بالمعروف والتعاون على طاعة الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤)، وأبو داود (٣٥٣٢)، وابن ماجه (٢٢٩٣)، والنسائي (٨/ ٢٤٦-٢٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٩، ٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وحسن المعاشرة من الزوج لزوجته على الوجوب وليس على الاستحباب والندب، فيجب على الزوج أن يحسن معاشرة زوجته، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وهذه الجملة من الآية مع إيجازها إلا أنها جمعت كل محاسن العشرة وأنواعها.

فقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، اقتضت حسن المعاملة مع الزوجة والتودد إليها، وعدم إغضابها، وذلك يقتضي إطعامها وشرابها وعدم العبس في وجهها وأن لا يكون فظًا غليظًا معها، وأن لا يحتقرها ولا يذم أهلها، وغير ذلك من الأمور التي لا تحبها المرأة فيجب على الزوج أن لا يفعلها معها.

المرأة كما قال رسول الله ﷺ: «عَوانٌ عندكم»[(١)]، أي أسيرات وهذا يدل على ضعفها ومسكنتها فيجب على الزوج الإحسان إليها وعليه أن يترفق بها، قال رسول الله ﷺ: «من يُحرَم الرفق يُحرَم الخيرَ كله»[(٢)].

ووصَّى النبيُّ ﷺ بالنساء خاصةً فقال: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خُلقن من ضِلَع، وإنَّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا»[(٣)].

وهذا الحديث يُرغب في حسن المعاشرة مع النساء، فهذه هي فطرة المرأة التي فطرها الله عليها، والزوج مطالب أن يتعامل معها على هذا الأساس فلا سبيل له سوى المداراة والتودد إليها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٧)، وابن ماجه (١٧٨٣) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢)، وأبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨)، والترمذي (١١٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والزوج الصالح هو الذي يتقي الله تعالى في زوجته بحسن أخلاقه معها، قال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»[(١)].

ولما خطب عليٌّ رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها قال له رسول الله ﷺ : «هي لك على أن تحسن صحبتها»[(٢)].

ومن المعاشرة بالمعروف طلاقة الوجه والكلمة الطيبة، قال ﷺ : «لا تحقرن شيئاً من المعروف ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[(٣)].

فهذا يكون من المعروف مع أخيك المسلم، فما بالك إذا كان هذا الوجه المنبسط لزوجتك؟! قال ﷺ : «والكلمة الطيبة صدقة»[(٤)]، فاجعل يا أخي من كلامك لزوجتك عبادة وذكراً لله تعالى! إن للكلمة الطيبة سحراً في قلوب الناس، وخاصة النساء فإنَّهنَّ أصحاب عواطف تُثيرها الابتسامة والكلمة الطيبة، إن المرأة لا تحتاج إلى المال ومتاع الدنيا أكثر مما تحتاجه من كلمة طيبة تشعر فيها بكرامتها وقيمتها الإنسانية، وذلك من أغلى الهدايا التي يقدمها الزوج لزوجته إن عقل ذلك!

ومن معاشرته بالمعروف أن يحترم أهلها ويوقرهم ويرفع من شأنهم أمامها خاصة، فلا يوبخهم ولا يذمهم.

ومن معاشرته بالمعروف أن يرعاها إذا مرضت ويقوم على خدمتها في ذلك.

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والحاكم (١/ ٣) وصححه على شرط مسلم، وأحمد (٢/ ٢٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٢)، و«الصحيحة» (٢٨٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٤٠) عن حجر بن قيس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٦)، والترمذي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٣٣٦٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد غاب عثمان بن عـفان رضي الله عنه عن غزوة بدر؛ لأنَّ زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ كانـت مريضـة، فقال له النبيُّ ﷺ : «اقم معها، ولك اجر من شهد بدراً وسهمه»(١).

الحق الخامس. الصبر على أذاها والعفو عنها:

كلنا ذو خطأ، فـما منا من أحـد إلا وله أخطاء وذنوب، وطبيـعة البـشرية تكون بخطأ الإنسان مهمـا كان من تقواه، ولا عصمة إلا للأنبيـاء، وطبيعة المرأة كما فهّمـها لنا رسول الله ﷺ بقوله: «**فإنهنّ خلقن من ضلع وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه**»، فهذا الكلام منه ﷺ بمثابة الدواء الذي لابد أن يتعامل به الزوج مع زوجته، فلابد من توقع التقصير والأذى لأنَّ ذلك فطرتها.

ومن تمام نعم الله تعالى على الرجل أن أتمَّ عقله، حتى يعرف كيفية التعامل مع المرأة صاحبة العقل الناقص غير التام، قال ﷺ : «**ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أغلب لذي لبٍّ منكنّ**»(٢).

وفي هذا الحديث وصف الـنبي ﷺ النساء بنقصـان عقلهن لأنَّ العـاطفة تغلب عليهنَّ، ومن هذا المنطلق كان ولابد على الـرجل أن ينزل إلى فهم زوجته وعقلها، حتى تدوم العشرة بينهـما، فقد كان ﷺ يفعل ذلك مع أزواجه ومنه مسابقته لعائشة رضي الله عنها.

---

(١) رواه البخاري (٣١٣٠)، والترمذي (٣٧٠٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البـخاري بنحـوه (٣٠٤)، (١٤٦٢) من حديث أبي سـعيـد الخدري، ومـسلم (٧٩، ٨٠) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنه، والتـرمذي (٢٦١٣)، وأبو داود (٤٦٧٩)، وابن ماجه (٤٠٠٣)، وأحمد (٢/ ٦٧، ٣٧٣).

والرجل مهما وجد من زوجته من أذى، فهو الرجل الذي يتحمل ويصبر عليها لله تعالى، حتى ترجع زوجته عن ذلك، وإلا فهناك العلاج الرباني في نشوز المرأة، وليحاول الزوج علاج الأذى بشتى الطرق وعليه أن يتغاضى عن مساوئ زوجته له، أما إذا تَعدَّتْ إلى حقوق الله تعالى، فلابد من إحجامها عن ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر»(١).

ففي الحديث عدم بُغض الزوج زوجته بُغضًا يجعله يفارقها، بل عليه أن ينظر في الجانب المشرِق من أخلاقها الحسنة الأخرى، وعليه أن يغْفِرَ لها سيئاتها معه بتذكر حسناتها له، وليكن للرجال الأزواج أسوةٌ حسنة في رسول الله ﷺ فقد صبر على إيذاء بعض نسائه ﷺ ففارقهم شهرًا كاملاً، وربما كانت إحداهنَّ تهجره يومًا كاملاً، وكنَّ يراجعنه في الكلام... فأين نحن منه ﷺ؟!

وهذا الخلق من صبر الزوج على أذى زوجته لا يتحلى به إلا الرجال الأفذاذ، لأنه يحتاج إلى قوة إرادة وزيادة الإيمان عند الزوج الذي يتحمل أذى النساء إليه، فليس كفُّ الأذى من الزوج لزوجته أمرًا يستحق الرجل المدح عليه كما في حالة صبره هو على أذاها فحينئذٍ يكون فضله أكبر وأعظم أجرًا.

قال أحد السلف: «اعلم أنَّه ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها، بل تحمَّل الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كانت نساؤه يراجعنه وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل».

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» للإمام أحمد.

ومن نوادر ما يُحكى (أن امرأة كانت تؤذي زوجها وتبالغ في أذيته فقيل لزوجها طلقها فقال: أخشى إن طلقتها يتزوجها غيري فتؤذيه فيحاسبني الله يوم القيامة على أنني تسببت في أذى أخي المسلم).

الحق السادس ـ أن يصونها ويحفظها:

من حقوق الزوجة على زوجها أن يحفظها ويصونها من كل شيء يضرها أو يفسد عليها دينها أو دنياها، فعليه أن يختار لها المسكن الآمن فلا يتركها في مسكن ومكان معروف بعدم الأمان، وعليه أن يمنعها من كل أنواع الفساد من اختلاط بالنساء الفاسقات، وعليه أن يمنعها من التبرج والسفور وكذلك الاختلاط بكل الرجال سوى محارمها، وليحذر «الحمو»، وهم أقارب الزوج من الرجال أمثال ابن العم، والأخ.

قال رسول الله ﷺ: **«والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته»**[(١)].

كثير من المصائب تحدث في البيوت بسبب عدم محافظة الرجل على زوجته، فهو يسمح لها بأن تجالس الرجال في البيت، ويسمح لها بأن تكلمهم في التليفون، بل قد يسمح لها بالخروج لمقابلة الرجال في العمل، ثم يكون من العواقب ما هو معلوم ومحسوس في واقعنا المعاصر.

ومن الأزواج من ترك زوجته أمام الفساد العظيم فهي تتأمل الرجال في التلفزيون، وتشاهد ما حرمه الله، ثم يكون من الزوجة الأمور التي تنغص على الزوج معيشته، فإذا فسدت المرأة أو انتُهك عرضها يأتي الزوج ويقول! ويقول! حينئذٍ نقول له: يا هذا أنت السبب لأنك فرطت وقصَّرت في الحفاظ عليها.

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة، وأنس، وأبي موسى.

الحق السابع - أن يعلمها دينها:

يجب على الزوج أن يعلم زوجته أمور دينها من أصول الدين مثل الإيمان بالله وتوحيده وأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بذاته المقدسة، وعليه أن يُعرفها ما يجب لله تعالى وما يجوز له وما يستحيل عليه، وأن يعلمها أركان الإيمان وأركان الإسلام وأحكام العبادات وخاصة الصلاة من حيث أحكامها الكلية والتفصيلية، وأن يكون متبعًا في تعليمه لها منهج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، فإن لم يكن الزوج أهلاً للعلم والتعلم فعليه أن يأذن لها في حضور دروس العلم بالمساجد والمجالس العلمية حتى تفهم دينها مما يعود بالنفع التام على الزوج.

إنّ تعليم الرجل زوجته وسؤالها عن أمور دينها وإقامتها له، أفضل بكثير من السؤال عن طعامه وشرابه، وكذلك حقها في التعليم ليس بأقل من حقها في الطعام والشراب والمسكن، والزوج إذا كان محبًا لزوجته دافَعَ عنها وبذل لها كل جهده من وقت ومال، حتى يقيها المصائب والمتاعب، وليس هناك مصيبة أفظع وأشنع من دخول المرأة النار أو عذابها في جهنم وفراقها لزوجها في الآخرة، ولذلك كان على الرجل العاقل وقاية زوجته من نار الآخرة وذلك بتعليمها أمور دينها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦)، وإذا كانت المرأة من الأهل فقد وجب على الرجل وقايتها من النار وذلك بالعمل الصالح والإيمان وهذا إنما يتأتى بمعرفة المرأة أمور دينها من أوامر تفعلها ونواهي تجتنبها، والفائدة في تعليم المرأة جلية في حسن معاشرتها لزوجها بعد أن فهمت دينها ثم تعليم أولادها فيما بعد، وقبل كل ذلك إقامة شعائر الله وعدم معصيته وفي كل ذلك أجر وثواب يتحصل عليه الزوج.

قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»[(١)].

قال ابن حجر: «مطابقة الحديث في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنة رسول الله ﷺ آكد من الاعتناء بالإماء»[(٢)].

قال الدكتور/محمد إسماعيل المقدم-حفظه الله-: «والرجل قدوة أهل بيته، والقدوة من أخطر وسائل التربية.

عن فضيل بن عياض قال: «رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته فقال: «ما أرحمني بعياله»، فقيل له: «يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته، وترحم عياله»! قال: «إنّه كبيرهم ومنه يتعلمون»[(٣)].

قال الإمام الغزالي-رحمه الله-: «يجب على المتزوج أن يتعلم من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويُعلِّم زوجته أحكام الصلاة، وما يُقضى منها في الحيض مما لا يقضى، فإنه أُمر أن يقيها النار بقوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم:٦)، فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السُّنّة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهلت في أمر دينها، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول، فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه من أمر الحيض: بيان الصلوات التي تقضيها، فإنّها مهما

---

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤)، وابن ماجه (١٩٥٦)، وأحمد (٤/ ٣٩٥، ٤١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٢٢٩).

(٣) عزاه في «عودة الحجاب» (٢/ ٣٧٦)، إلى «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٤).

انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة وفعليها قضاء الظهر والعصر، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء، وهذا أقل ما يراعيه النساء، فإن كان الرجل قائمًا بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء، وإن قصر علم الرجل، ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها، ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه، ومهما أهملت المرأة حكمًا من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الزوج خرج الزوج معها وشاركها في الإثم»[1].

الحق الثامن. أن يأمرها بإقامة الدين:

المبدأ الذي لابد أن تقوم عليه الحياة الزوجية هو طاعة الله تعالى والإعانة على ذلك تكون من قبل الزوجين حتى يُقام الدين بينهما والأسرة هي البنية الأولى لإقامة الأمة، فإن أُقيم الدين في الأسرة أقيم في الأمة بأجمعها، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، فإذا كان من حق الرجل على زوجته أن يسألها عن طعامه وشرابه فإن من حقها عليه أن يسألها عن إقامة الدين من صلاة وزكاة وصوم وعبادات مفروضة عليها، ولذلك ينبغي للرجل كما يسأل زوجته هل يوجد طعام؟ هل يوجد شراب؟ يجب عليه كذلك أن يسألها هل صليتِ العشاء؟ هل صُمتِ اليوم؟ هل زكيتِ عن مالك؟

إنّ الرجل قد ينجح فيما بينه وبين الله من إقامة الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من العبادات المفروضة عليه ومع ذلك قد يدخل النار بسبب زوجته وأولاده بإهماله لهم وتركهم في معصية الله دون وعظهم وإرشادهم!.

(١) «الإحياء» (٢/ ٧٠).

فعلى الرجل أن يعمل جاهداً في تعليم زوجته وحثها على إقامة الدين من أداء الصلاة وعدم التبرج والسفور ونهيها عن المعاصي، فإن أصرت المرأة على عدم الاستجابة للأمور الدينية الضرورية مثل عدم لبس الحجاب مثلاً فطلاقها أولى من الإمساك بها.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يأمر أهله بالصلاة ويصبر عليها والأمر لكل أمته عامة وأهله خاصة.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «عمن له زوجة لا تصلي: هل يجب عليه أن يأمرها بالصلاة؟ وإذا لم تفعل هل يجب عليه أن يفارقها أم لا؟

فأجاب: يجب عليه أن يأمرها بالصلاة، بل يجب عليه أن يأمر بذلك كل من يقدر على أمره بذلك إذا لم يقم غيره به، وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦)، الآية، وقال ﷺ: «علموهم وادبوهم».

وينبغي مع ذلك الأمر أن يحضها على ذلك بالرغبة، كما يحضها على ما يحتاج إليها، فإن أصرت على ترك الصلاة فعليه أن يطلقها وذلك واجب في الصحيح، وتارك الصلاة مستحق للعقوبة حتى يصلي باتفاق المسلمين، بل إذا لم يصل قُتل، وهل يقتل كافراً مرتداً؟ على قولين مشهورين، والله أعلم» اهـ[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/٢٧٦-٢٧٧).

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، فأيقظ أهله، فإن لم تقم نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي، وأيقظت زوجها فإذا لم يقم نضحت في وجهه الماء»(١).

وكان ﷺ إذا أوتَرَ يقول: «قومي فأوتري يا عائشة»(٢)، وقال ﷺ: «أيقظوا صواحب الحُجَر»(٣).

الحق التاسع - أن يأذن لها في الخروج للمساجد وزيارة أهلها:

لا يمنع الرجل زوجته في الخروج من البيت، بل عليه أن يأذن لها في الخروج، إلى الجمع والجماعات في المساجد وذلك بالشروط التي تُبيح للمرأة الخروج فلابد من إذن زوجها فإن لم يأذن لها فليس لها الخروج البتة، ولكن على الرجل أن لا يمنع زوجته من الخروج إلى المسجد فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله المساجد»(٤)، وكان النساء يخرجن إلى المساجد في عهد النبيِّ ﷺ، وكان يخصص لهنَّ يومًا في الأسبوع كي يعلمهنَّ أمور دينهنَّ.

وعلى الزوج كذلك أن يأذن لها بالخروج لزيارة أهلها وصلة رحمها، فلا يكون سببًا في قطع الأرحام بينها وبين أهلها، لأنَّ من أهداف الزواج كثرة تعارف المسلمين، وذلك بتواصل عائلة الزوج وعائلة الزوجة، فلا يحق له أن

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجه (١٣٣٦)، والنسائي (٣/ ٢٠٥)، والحاكم (١/ ٣٠٩)، وأحمد (٢/ ٢٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٩٤)، و«المشكاة» (١٢٣٠).

(٢) رواه مسلم (٧٤٤) واللفظ له، ورواه البخاري (٥١٢)، وأبو داود (٧١١) بنحو هذا المعنى من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (١١٥) بنحوه، والترمذي (٢١٩٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (٧٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا النسائي (٢/ ٤٢).

يَقْطَعَ أرحامه وأرحامها، وإذا أذن لها الزوج بالخروج فالأفضل والأحسن أن يكون معها، فإن لم يخرج فعليه أن يأمرها بالجلباب والزي الإسلامي للنساء، وعليه أن ينهاها عن التبرج والسفور ووضع العطور والبخور والزينة، ويحذرها من خضوع القول مع الرجال والاختلاط بهم، وينهاها عن مصافحة الرجال كما يحذرها من ورود مواطن السوء والشبهات وزيارة الفاسقات المشبوهات كما يحذرها من سماع الأغاني والموسيقى ومشاهده التلفاز.

الحق العاشر. أن يحفظ هيبتها وكرامتها:

الزوج سيد في بيته والمرأة كذلك، وقوامة الرجل على المرأة هي بمثابة التكليف والرعاية، وليست المرأة بمثابة الأمة أو الخادمة عند الزوج، وليس الزواج ترقية للزوج من درجة ضابط إلى درجة اللواء مثلاً، إنّ العلاقة بين الزوجين علاقة حب ومودة وسكينة ورحمة، وكرامة الزوجة واحترامها مطلوبة من الرجل، كما أن المرأة مطالبة باحترام وتوقير زوجها فإذا كان هذا من حق الزوج ففي الناحية الأخرى الوجوب عليه من احترامها وتوقيرها.

فعلى الزوج أن يحترم زوجته ويحفظ كرامتها، وذلك بأن يكرمها في نفسها وفي أهلها، ويثني عليها دائمًا خاصة أمام أهلها وأهله كذلك، وعليه أن يتبادل الزيارات مع أهلها والثناء عليهم أمامها وأمام أهله، وليحذر الزوج أن يهين زوجته ويخدش حياءها بسبٍ أو شتم أو إهانة لكرامتها، بأن يعاملها معاملة السيد لأمته، فلا يحق له أن يوبخها بأن يناديها بأقبح الأسماء التي لا تحبها المرأة وخاصة أمام الناس، بل عليه أن يكنيها ويحترمها فيقول لها مثلاً: «يا أم فلان»، وكذلك لا يقبح أهلها ويسبهم وينقص من شأنهم، وعليه أن يعاملها بالرحمة لأنهنّ عوان وأسيرات فليحسن إليهنَّ، فلا يقبح الوجه ولا يضربه.

قال رسول الله ﷺ : «ولا تضرب الوجه ولا تقبح» الحديث[(١)] .

فمعنى الكلام لا تسمعها المكروه من الكلام القبيح ولا تشتمها، ولا تقول لها قبحك الله ونحو ذلك من الكلام القبيح.

الحق الحادي عشر. أن لا يفشي سرها:

يجب على الزوج أن لا يفشي سر زوجته، ويأثم إن فعل ذلك وقد يكون ذلك من الكبائر إذا كان السر متعلقًا بالفراش واللقاء بين الزوجين، فلا يجوز أن يفشي سر زوجته، بأن يذكر عيوبها من خُلق أو خِلقة، أو أن يعيب طعامها وشرابها ونومها وغير ذلك من الأمور التي تكون عيبًا في المرأة، فلا يحق للزوج أن يفشي مثل هذه الأسرار بين الناس حتى أهله وأهلها، لأنَّ الزوج مُطالب بأن يكون أمينًا وسترًا على زوجته، وهو مطالب برعايتها وحفظ حيائها وكرامتها وإفشاء سرها يُعدُّ خدشًا في حيائها وكرامتها.

ومن أخطر الأسرار كما هو معلوم سر الفراش وقد حذر النبي ﷺ من نشر هذا السر وإذاعته.

فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»؟ فأرم القوم فقلت: إي والله يا رسول الله! إنهنَّ ليفعلن وإنهم ليفعلون، قال: «فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»[(٢)] .

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم (٢/ ١٨٧-١٨٨) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٩)، و«الإرواء» (٢٠٣٣).

(٢) رواه أحمد (٤٥٦)، وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة أو الحسن ذكرها الألباني في «آداب الزفاف» (ص٧٢)، المكتب الإسلامي.

وقال ﷺ: «إنَّ من أعظم الخيانة أن يفضي الرجل إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها»[(١)]، وكذلك لا ينبغي للزوج أن يُحدِّثَ بكل ما يكون بينه وبين زوجته من كلام ومحادثات، وحتى الخلافات التي تحدث بينهما لا يحكيها لأحد ولو كان أقرب الأقربين إليه كي لا يدع للشيطان فرصة يدخل بها عليهم فيفسد عليهم معيشتهم.

الحق الثاني عشر. أن لا تطول غيبته خارج البيت:

من حق الزوجة على زوجها أن يجالسها ويكلمها ويجعل من وقته جزءًا يكلمها ويبادلها الحديث فيه، فيجب عليه عدم المكث طويلاً خارج البيت خاصة بعد صلاة العشاء مباشرة، فلا يسهر خارج المنزل إلى آخر الليل ثم يعود إليها، فإنَّ ذلك يحزن المرأة ويؤرقها من وحشة الوحدة وعدم الأنيس، ثم من شعورها بعدم إنسانيتها، فالزوج لا يشعر بها كإنسانة لها روح وقلب.

وقد يُسبِّب مكثُ الزوج كثيراً خارج المنزل إفساد الشيطان للمرأة بإلقاء الوسواس في عقلها بأن الزوج قد يفعل ويفعل خارج المنزل، و لذلك من حق المرأة على زوجها أن لا يسهر خارج المنزل ولا يغيب عنها طويلاً؛ لأنَّ المرأة في حاجة إلى أن تشعر بأنَّ لها زوجًا ورجلاً مهما كان منه.

وقد حذَّرَ الشرعُ من غياب الزوج عن زوجته وأعطاه فرصة إلى أقل من أربعة أشهر فإن لم يرجع إلى زوجته ويجامعها حق للمرأة أن تطلب منه الطلاق إن تضررت من ذلك، وهناك قصة المرأة التي سمعها عمر رضي الله عنه تنشد بكلام فيه اللوم على زوجها من الفراق، وتشكو وحشتها بلا أنيس، فلما سمعها عمر

(١) رواه مسلم (١٤٣٧) بنحوه، وأبو داود (٤٨٧٠)، وأحمد (٣/ ٦٩)، والبيهقي (٧/ ١٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ذهب لابنته حفصة رضي الله عنها وسألها كم تستطيع المرأة الجلوس بلا زوج؟ فقالت له: أربعة أشهر، فنادى في الجيش أن من غاب عن أهله أربعة أشهر فليعد، وأعطاهم مدة يرجعون فيها لأزواجهن.

فلا تغفل أخي في الله هذا الحق الواجب عليك تجاه زوجتك، واعلم أنك مثلما تريد من المرأة، فهي كذلك تريده منك: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)، وقال ﷺ: «إنّ لزوجك عليك حقًا»[١].

الحق الثالث عشر. أن يستشيرها ويحترم رأيها:

من حق الزوجة أن يشاركها زوجها في المشورة وأخذ رأيها، خاصة في الأمور التي تخص الزوجة وأولادها، وعليه أن يبادلها الآراء، ويناقشها في ذلك حتى يخرج بالفائدة، فإذا قالت برأي صواب فلا يتردد أن يأخذ به مع شكرها على ذلك.

وقد كان سيد الناس نبينا محمد ﷺ يفعل ذلك مع أزواجه، وكان يأخذ برأيهنّ في بعض مشاورته لهنّ، ومن ذلك ما كان منه ﷺ في يوم الحديبية فقد أمر أصحابه أن يقوموا وينحروا ثم يحلقوا، فلم يقم منهم أحدٌ، حتى طلب منهم النبي ﷺ ذلك ثلاث مرات فلم يستجيبوا حتى دخل النبي ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بُدنَك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٦) بنحوه، ومسلم (١١٥٩)، وأبو داود (٢٤٢٧).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأحمد (٣٢٨، ٣٣١) من حديث المسور بن مخرمة، ومروان ابن الحكم.

فانظر أخي ـ رحمك الله ـ كيف نجا الصحابة من هلاك المخالفة لرسول الله ﷺ، وذلك بأخذ النبي ﷺ لرأي ومشورة أم سلمة ﵂، وهذا يرد كلام المتشدقين والمتعصبين الذي يحتقرون رأي المرأة ولا يأخذون بمشاورتهنّ اعتماداً على العادات الجاهلية القديمة والأحاديث الموضوعة مثل «شاورهنّ وخالفوهنّ»، وحديث «طاعة المرأة ندامة»[1].

الحق الرابع عشر: أن يعدل بينها وبين ضرتها:

وهذا الحق يكون فيمن تزوج بأكثر من زوجة فعليه حينئذٍ أن يعدل بينهنّ، فعليه أن يعدل بينهنّ في المبيت والنفقة والمسكن والطعام والشراب واللباس ولا يجوز أن يفضل هذه على ذاك، بأن يظلم أو يجوز عليها، فهذا مما حرمه الشرع على الزوج الرجل، ولكن إذا تنازلت امرأة من نفسها عن حقها للزوجة الأخرى فذلك جائز كما تنازلت السيدة سودة بن زمعة عن ليلتها ووهبتها للسيدة عائشة ﵄.

فلابد من العدل بين الزوجات في كل شيء مستطاع أوجبه الإسلام على الرجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وقال ﷺ: **«المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»**[2]، وقال ﷺ: **«إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط»**[3].

---

(١) لا أصل لحديث «شاورهنّ وخالفوهنّ»، انظر «الضعيفة» للألباني (٤٣٠)، أما حديث «طاعة المرأة ندامة» فهو موضوع قاله الألباني، وانظر «الضعيفة» (٤٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧)، وأحمد (٢/ ١٦٩)، والنسائي (٧/ ٢٢١) من حديث عبد الله بن عمرو ﵄.

(٣) رواه أبو داود (٢١٢٣)، والترمذي (١١٤١)، وابن ماجه (١٩٦٩)، والنسائي (٣٩٤٢) من حديث أبي هريرة ﵁، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠١٧)، و«المشكاة» (٢/ ٩٦٥).

وقال ﷺ: «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل»[١].

وعن عروة قال: قالت عائشة ﷞: «يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قَلَّ يوم إلا يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها»[٢].

الحق الخامس عشر- أن يتزين لها:

هذا الحق متبادل بين الزوجين وإن كان وجوده في المرأة أكمل، لأنَّ الزينة من جَمالهنَّ، ولكن على الرجل كذلك أن يتزين لزوجته فإنّ المرأة تُحب منه ذلك كما يُحب الرجل، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٢٨)، فمن ضمن ما لهنّ الزينة المباحة من غير إثم.

قال ابن عباس ﷺ: «إني لأتزيَّن لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليَّ، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾»[٣].

والزينة من الرجل لزوجته تكون سببًا في دوام الود والمحبة بينهما، وذلك بشرط أن لا يكون فيها إسراف يخل بمروءة الرجل ورجوليته الأصلية.

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٥)، وقال صاحب «عون المعبود»: «قال المنذري: في إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تكلم فيه غير واحد، ووثقه الإمام مالك بن أنس واستشهد به البخاري» اهـ. (٦/ ١٣٧)، وقال محقق «جامع الأصول» (١١/ ٥١٤): صحيح الإسناد.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣/ ٨٨).

فعلى الرجل أن يكون في أحسن هيئةٍ مع زوجته، وذلك في الملبس النظيف، والرائحة الطيبة بأن يستخدم الطيب والعطور، وعليه أن ينظف جسده دائمًا بالغسل والتطهر وتقليم الأظفار وفضول الشعر، واستخدام السواك وغير ذلك من الأمور التي تظهر محاسن الزوج لدى زوجته، وليحذر الرجل عند تزينه أن يتشبه بالنساء، أو أن يفعل الأشياء التي تخل بمروءته ورجولته.

الحق السادس عشر: المداعبة والملاطفة:

إذا كان الجسد يحيى بالطعام والشراب فإنَّ استمرار الحياة بين الزوجين يكون بطيب وحسن العشرة بينهما، إن الكلمة الطيبة، والابتسامة المشرقة، ومزح الرجل وملاعبته لزوجته لمن أهم سر استمرار العلاقة الحسنة بين الزوجين، فعلى الرجل أن يلاطف زوجته ويلاعبها ويداعبها ويضاحكها، وأن يكون طفلاً بالنسبة إليها فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً، وعليه أن يتحبب إلى زوجته فإنّ الحب بالتحبب، فقد كان ﷺ يسابق عائشة في العدو فسبقته يومًا، وسبقها في مرة أخرى فقال لها: «هذه بتلك»(١).

عن عائشة ﵂ قالت: «كان الحبش يلعبون بالحراب في مسجد رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا التي أنصرف، فاقدر قدر الجارية الحديثة السنّ الحريصة على اللهو»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣)، وابن ماجه (١/ ٦١٠) مختصراً، وسنده صحيح كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٤٠)، ورواه أحمد (٦/ ٢٦٤)، والنسائي (٧٤/ ٢)، والطبراني (٢٣/ ٤٧)، والحميدي في «مسنده» (٢٦١)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٥٠٢)، وانظر «آداب الزفاف» (ص٢٠٤).

(٢) رواه البخاري (٥٤، ٩٥٠، ٢٩٠٦)، ومسلم (٨٩٢)، والنسائي (٣/ ١٩٥-١٩٦)، وهناك روايات أخرى للحديث جمعها وحققها العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «آداب الزفاف» (ص٢٠٢-٢٠٣)، وكتابه «الثمر المستطاب».

وكان ﷺ ينادي أزواجه بأفضل الأسماء، فكان يُرَخِّم اسمَ عائشة فيقول لها: «يا عائش»[١]، وهذا لحبه إياها، وكان يقول لها: «يا حُميراء»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧)، وأبو داود (٥٢٣٢)، والترمذي (٣٦٩٣)، والنسائي (٣٩٥٢)، وابن ماجه (٣٦٩٦) من حديث عائشة ﵂.

(٢) الحُميراء: تصغير حمراء، بمعنى بيضاء اللون، مُشرب بياضها بحمرة، والعرب تسمّي الرجل الأبيض: أحمر، وكانت السيدة عائشة ﵂ بيضاء اللون مُشرب بياضها بحمرة، وهي المقصودة هنا، وهو تصغير تَحبُّب.

ـ وقد صحّ وصف السيدة عائشة ﵂ بالحميراء في بعض الأحاديث، أما قول الإمام ابن القيم: «كل حديث فيه «يا حميراء»، أو ذكر «الحميراء» فهو كذب مختلق» «المنار المنيف» حديث (٨٩)، فهذا كلام لا يسلم بالكلية لوجود أحاديث صحيحة فيها وصف السيدة عائشة ﵂ بالحميراء.

قال الزركشي في «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» (ص٦١-٦٢): أثناء تعدد خصائصها ﵂:

والسابعة والعشرون: جاء في حقها: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»، وسألتُ شيخنا الحافظ عماد الدين ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن ذلك، فقال كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثًا في الصوم في «سنن النسائي»، قلتُ ـ القائل ابن كثير ـ وحديثًا آخر في «سنن النسائي» أيضًا عن أبي سلمة قال: قالت عائشة: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؛ وإسناده صحيح» اهـ.

وروى الحاكم في «مستدركه» (٣/ ١١٩) بسند ضعيف حديث أم سلمة ﵂ قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت، فقال: انظري يا حميراء ألاَّ تكوني أنت، ثمَّ التفت إلى عليٍّ وقال: إن وليت من أمرها شيئًا فارفق بها، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: عبد الجبار لم يخرجا له» اهـ.

انظر «المنار المنيف» (ص٦٠) لابن القيم تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

قلت: رواية الحاكم التي استند عليها الشيخ أبو غدة ـ رحمه الله ـ في تحقيقه «للمنار» رواية لا تسلم له بالصحة، وبذلك لا يثبت وصف «الحميراء» إلا عند النسائي في «عشرة النساء» (١/ ٧٥) من حديث يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون، قال لي: يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم، فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طيبًا...».

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: رواية الحاكم في إسنادها محمد بن عبد الله الحفيد شيخ الحاكم، قال الحاكم نفسه في «التاريخ»: كان فيه جهالة، كان حنفيًا يشرب المسكر على مذهبه ولا يستره! «آداب الزفاف» (٢٠١) اهـ.

ووصفت امرأة أعرابية زوجها وقد مات فقالت: «والله كان ضحوكًا إذا ولج، سكيتًا إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير مسائل عما فقد»، أخي في الله: تحبب إلى زوجتك بالكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة، تجد ثمار كل ذلك سعادة تملأ قلبك.

الحق السابع عشر. إعفافها وتلبية رغباتها:

يجب على الزوج أن يؤدي حق زوجته في الإعفاف والإشباع الجنسي كما أنَّ المرأة مأمورة بذلك، فيحرم على الرجل أن يهجر فراش زوجته، بل هو مأمور أن يؤدي لها ذلك الحق بقدر استطاعته وقدرته على ذلك، كما لا يجوز للزوج بعدم إتيان زوجته بسبب العبادات والصلوات وغير ذلك.

فقد نهى النبي ﷺ عن التبتل وترك معاشرة النساء بسبب هذه الحجج الواهية، كما في حديث الرهط الثلاثة، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في قصة زواجه، وحديث عثمان بن مظعون.

والقاعدة في الإسلام تقول: «لا ضرر ولا ضرار»[1]، والامتناع عن المرأة قد يسبب لها ضررًا، وعلى الزوج أن يعلم أن إتيانه لزوجته عبادة يؤجر عليها من الله تعالى، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وروى الشعبيُّ أن كعب بن سُور كان جالسًا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءت امرأة فقالت: «يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي، والله إنّه ليبيت ليلة قائمًا، ويظل نهاره صائمًا»، فاستغفر لها وأثنى عليها،

(١) حديث رواه أحمد (١/ ٣١٣)، وابن ماجه (٢/ ٥٧)، وذكره في «جامع الأصول» (٦/ ٦٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥١٧)، و«الصحيحة» (٢٥٠)، و«الإرواء» (٨٩٦).

واستحييت المرأة، وقامت راجعة، فقال كعب: «يا أمير المؤمنين: هلا أعديت المرأة على زوجها، فلقد أبلغت إليك في الشكوى»، فقال لكعب: «فاقضِ بينهما، فإنك فهمت من أمرها ما لم أفهم»، قال: «فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن، فأقضي بثلاثة أيام ولياليهن، يتعبد فيهنَّ ولها يوم وليلة»، فقال عمر: «والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر، اذهب فأنت قاضٍ على الحرة، نِعمَ القاضي أنت»[1].

وقيل أنّ الزوج أتى أمام زوجته ووقفا أمام كعب فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيمُ رُشدُهُ ... ألهى خَليلي عن فِراشي مَسْجِدُهُ
زهّدَه في مضجعي تعبُّدُهُ ... فَاقضِ القضاءَ، كعبُ، ولا تردّدُهُ
نهارُهُ وليلُهُ ما يرقُدُهُ ... فلست في أمرِ النساءِ أحمدُهُ

فقال زوجها:

زهّدني في النساء وفي الحَجل ... انّي امرؤٌ أذهلني ما نزل
في سورة النّحل وفي السبع الطّول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إنّ لها عليك حقًّا يا رجل ... نصيبها في اربع لمن عقلَ
فأعطها ذاك ... ودع عنك العللَ

وقد قررت الشريعة الإسلامية الفسخ، وحق الطلاق للمرأة لو آلى منها زوجها بأن تركها مدة تصل إلى أربعة أشهر بدون جماع ولقاء وتضررت المرأة من ذلك فحلف الزوج وأبى أن يعود إليها فلها حينئذٍ الحق في طلب طلاقها.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ ١٢٥٨٧)، وأورده الحافظ في «الإصابة» (٥/ ٦٤٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠١٦).

الحق الثامن عشر- أن يغار عليها:

إن من علامات محبة الرجل للزوجة أن يغار عليها ويحفظها ويصونها من كل أذى أو نظرة أو كلمة تؤذيها، وكذلك المرأة تحب أن ترى من زوجها هذه الغيرة، فهي تريد أن تشعر بأن لها رجلاً يغار عليها ويحميها، وما أتعس المرأة إذا شعرت أن زوجها لا يبالي بها! فإذا كانت الغيرة من أهم مميزات المرأة ومن صفاتها، فهي كذلك من أهم سمات الزوج المحب.

وقالوا في معنى الغيرة أنها الحمية والغضب والخوف من أن يشكر لك أحد في المحبوب، ولكن الغيرة التي تجب أن تكون عند الرجل هي الغيرة المحمودة التي تكون عنوان الشهامة والرجولة عند الزوج؛ بأن يطالب بحقه المشروع ويدافع عنه حتى القتال.

أما الغيرة المذمومة فهذا أمر لا يرتضيه الإسلام، فالغيرة لابد أن تتجنب الإفراط والتفريط، فلا يكون هناك تفريط في الغيرة حتى يصبح الرجل ديوثًا، قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديّوث، ورجلة النساء»**[(١)].

والرجل الديوث هو الذي لا يغار على أهله، أو يقر في أهله الخبث، فلا إفراط في الغيرة؛ بأن يشك الرجل في زوجته ويظنّ بها الظنَّ السوء، قال ﷺ: **«إنَّ من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة»**[(٢)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٥٩)، وابن حبان (١٣١٣)، وأحمد (٥/٤٤٥)، والبيهقي (٧/٣٠٨) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٢١)، و«الإرواء» (١٩٩٩).

أما أصل الغيرة فإنهـا من الأمور المحمودة في الإسلام، قال ﷺ: «إن الله يغار والمؤمن يغار»(١).

الحق التاسع عشر ـ الوفاء لها:

الوفاء من شيم الصالحين، وأخلاق المؤمنين، والتحلي به دليل على صدق الإيمان، وحب الرحمن للإنسان، ووفاء الزوج لزوجته خاصة بعد مماتها خلق تحلى به السلف الصالح قبلنا، وقائدهم وسيدهم في ذلك هو نبينا محمد ﷺ، فقد ضرب لنا ﷺ المثل الأعلى في الوفاء للزوجة، حتى بعد مماتها، فكان ذلك من حسن أخلاقه ﷺ وكمال عشرته.

فقد كان ﷺ دائم الثناء والمدح للسيدة خديجة ﵂ بعد مماتها، وكان يُفضّلها على سائر نسائه، حتى إنّ السيدة عائشة ﵂ غارت منها مع أنّها ميتة، قالت عائشة ﵂: «ما غرتُ من امرأة ما غرتُ من خديجة، من كثرة ما كان رسول الله ﷺ يذكرها»(٢).

وكان ﷺ إذا ذبح شاة يقطع أعضاءها ثم يبعثها في صدائق خديجة(٣).

وكان يكرم من يأتيه أيام خديجة فيكرمه لهذه الذكرى، وكان يقول: قد كانت تأتينا أيام خديجة، وكان يفرح ويُسر وجهه عندما يسمع صوت هالة أخت خديجة، فكان نعم الزوج صاحب الوفاء الأكمل لزوجته فما أحب أحدًا، مثلما أحب خديجة وما فضل أحدًا مثلما فضل وعظّم من مكانة خديجة ﵂.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١)، والترمذي (١١٦٨) من حديث أبي هريرة ﵁.
(٢) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، والترمذي (٣٨٧٥)، وابن ماجه (١٩٩٧) من حديث عائشة ﵂.
(٣) رواه البخاري (٣٨/٨)، ومسلم (٢٤٣٥)، والترمذي (٧/ ٢٠) من حديث عائشة ﵂.

الحق العشرون - أن لا يحوجها إليه:

هذا الحق معناه أن لا يحوج الزوجُ الزوجةَ إلى أن تطالبه بحق من حقوقها السابقة، بمعنى أن يؤدي لها حقوقها بدون تكلف أو تصنع، وبدون أن تطلبها هي منه، لأنّ الزوج إن كان محبًا لامرأته، لا يدعها ولا يحوجها إليه، فإنه يرى ذلك تقصيرًا منه، فإن أحوجها إلى أن تطلب حقًا من حقوقها، فذلك زوج قد ضيع حقًا من حقوق زوجته، وأهمها هيبتُها وشعورها وإحساسها حينما أحوجها إلى ذلك.

فعلى الزوج أن لا يجعل للحرج مكانًا بينهما فهو يؤدي الحقوق بحب لا لأنها حقوق وقوانين لا بد من أدائها، ولكن حبه لزوجته جعل من الحقوق مادة لحياة السعادة بينهما فهو لا يفرط فيها البتة.

«إخوة الإسلام: هذه هي حقوق نسائكم عليكم فالواجب عليكم أن تجتهدوا في أداء هذه الحقوق لهنّ، وأن لا تألوا جهدًا في ذلك، فإنَّ قيامكم بهذه الحقوق من أسباب سعادتكم في حياتكم الزوجية، ومن أسباب استقرار البيوت وسلامتها وخلوها من المشاكل التي تؤرقكم وتفقدكم الراحة والسكون والمودة والرحمة، ونذكر النساء بضرورة غض طرفهنّ عن تقصير أزواجهنّ في حقهنّ، وأن يقابلن تقصير الرجال بالاجتهاد في خدمتهم، وبذلك تدوم الحياة الزوجية السعيدة»[1].

(١) «الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز» (٣٠٥).

مع النبي ﷺ وأزواجه

إنَّ الذي يريد السعادة في حياته الزوجية، لابد أن ينظر في سيرة النبي ﷺ مع أزواجه، كيف كان يتعامل معهنَّ وكيف كنَّ يتعاملن معه؟

وأي إنسان على وجه الأرض لم يعرف النبي ﷺ كزوج، واهتدى بهديه في تعامله مع أزواجه، فلن يسعد، ولن يهنأ في حياته، وإن كان من أغنى أهل الأرض، لقد كان ﷺ أفضل خلق الله في كل شيء، وحاز قصب السبق في جميع جنبات الحياة من دنيا ودين، فكان أفضل قائد، وأفضل زوج، وأفضل أب، وأفضل مربٍّ، ولم يشغله شيء عن شيء، فحاز الفضل في كل شيء.

مسكين كل زوج على هذه الأرض لم يطلع على سيرة الزوج الرسول محمد ابن عبد الله ﷺ، فهي أفضل قصة زواج حدثت على وجه، لأنّنا ما علمنا أحدًا من الأنبياء - صلوات الله عليهم - كيف كان يتعامل مع أزواجه مثلما عرفنا ذلك بالتفصيل من سيرة النبي ﷺ.

فهلمَّ أخي إلى هذه الزهور الطيبة من بستان الحياة الزوجية في سيرة النبي ﷺ مع أزواجه، كي نعرف ما لم تعرفه البشرية من قبل، ونتعلم ما لا نتعلمه من أحد سواه، فإنّ أردت أن تكون سعيدًا في حياتك الزوجية، وإن أردت أن تكون زوجًا مثاليًا، فليس لك سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة النبي ﷺ كزوج كيف كان يعامل أزواجه؟ وأقول لك لم يوجد زوج مثل نبينا محمد ﷺ، ولم يوجد أزواج أَحْسَنَّ لأزواجهنَّ مثل أزواجه.

فإن أردت زوجة مثل خديجة، وعائشة، وحفصة، فكن أنت مثل محمد ﷺ.

وفيما يلي نعرض بعضًا لقبس من الهدي النبوي، في حسن المعاشرة ليكون لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكان من أخلاق النبي ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنّه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم، فسبقني، فقال: «هذه بتلك»، وكان ﷺ يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها، فيأكل معهنّ العَشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)»[(١)].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر، فإن كنت مستيقظة حدَّثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة»[(٢)].

■ وكان ﷺ يتبادل السمر مع أزواجه بالكلام الخفيف، كما في حديث أبي زرع وأم زرع حيث قال لها: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع»، فأظهر استعداده لتحمل النفقة والعطف والمودة والإحسان وحسن المعاشرة، وفي رواية

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٤٧٧)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٣٣).

(٢) رواه البخاري (١١٦١)، ومسلم (٧٤٣)، وأبو داود (١٢٦٢)، والترمذي (٤١٨) عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها.

بزيادة: «إلا انَّه طلقها وانا لا اطلق»، فقالت عائشة رضي الله عنها: «يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع»[(١)].

■ وكان ﷺ يلاطف ويداعب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليؤتي بالإناء فأشرب منه وأنا حائض، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع فِيَّ، وإن كنت لآخذ العَرق فآكل منه، ثم يأخذه، فيضع فاه على موضع فِيَّ».

■ وكان ﷺ يتكلم ويتودد بأطيب الكلام، فكان يرخم اسم عائشة رضي الله عنها وربما خاطبها: «يا عائش»، و«يا عويش»، و«يا حميراء»، ليدخل السرور على قلبها، ويستطيع الزوج أن يفعل مثل هذا دون أن يكلفه ذلك شيء قط، كأن يقول لها «يا فُلة»، «يا قمر»، وهكذا من الألقاب التي تُحب أن تسمعها المرأة، خاصة من زوجها، وما أفضل أن يجعل اسمًا خاصًا لها، لا يعرفه أحد سواهما، وقد يدل هذا الاسم عند التلفظ بها على رغبة اللقاء مثلاً!

■ ومن ملاطفته بالكلم الطيب معهنّ أنه كان يقول لعائشة رضي الله عنها: «اني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى»، قالت: فقلت: «من أين تعرف ذلك؟» فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ غَضْبى قلتِ: لا وربِّ إبراهيم»، قالت: «أجل والله يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمَك»[(٢)].

■ وكان ﷺ ينزل إلى عقولهنّ ترحمًا بهنَّ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ـ أو خيبر ـ وفي سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة، لُعَب، فقال: «ما هذا يا عائشة؟».

---

(١) حديث «أم زرع»، رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، والزيادة الأخيرة أخرجها النسائي في «عشرة النساء» رقم (٢٥٦)، وانظر «عودة الحجاب» (٢/ ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٨)، ومسلم (٢٤٣٩) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

قالت: «بناتي»، ورأى بينهنَّ فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهنَّ؟»، قالت: «فرسي»، قال: «وما هذا الذي عليه؟»، قالت: «جناحان»، قال: «فرس له جناحان؟»، قالت: «أما سمعت أنّ لسليمان خيلاً لها أجنحة؟»، قالت: «فضحك حتى رأيت نواجذه»[(١)].

وعنها رضي الله عنها قالت: «دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد، فقال لي: «يا حُميراء! أتحبين أن تنظري إليهم؟»، فقلت: «نعم»، فأقامني وراءه، فطأطأ لي منكبيه لأنظر إليهم، فوضعت ذقني على عاتقه، وأسندت وجهي إلى خده، فنظرت من فوق منكبيه - وفي رواية: من بين أذنيه وعاتقه - وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة»، فجعل يقول: «يا عائشة! ما شبعتِ؟»، فأقول: «لا»، لأنظر منزلتي عنده، حتى شبعت، قالت: ومن قولهم يومئذٍ: أبا القاسم طيبًا، وفي رواية: «حتى إذا مللت»، قال: «حسبك؟»، قلت: «نعم» قال: «فاذهبي»، وفي رواية أخرى: قلت: «لا تعجل»، فقام لي ثم قال: «حسبك؟»، قلت: «لا تعجل»، ولقد رأيته يُراوح بين قدميه، قالت: «وما بي حب النظر إليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساءَ مقامُه لي ومكاني منه، وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العَرِبة الحديثة السنّ الحريصة على اللهو».

قالت: «فطلع عمر، فتفرق الناس عنها والصبيان»، فقال النبي ﷺ: «رأيت شيطان الإنس والجنّ فروا من عمر»، قالت عائشة رضي الله عنها: قال ﷺ يومئذ: «لتعلم يهود أنّ في ديننا فسحة»[(٢)].

(١) رواه أبو داود (٤٩٣٢)، وعزاه الألباني إلى النسائي في «عشرة النساء» (١/٧٥) بسند صحيح، وابن عدي (١٨٢) مختصرًا. اهـ. من «آداب الزفاف» (ص٢٠٤).

(٢) رواه البخاري (٥٤، ٩٥٠، ٢٩٠٦)، ومسلم (٨٩٢)، والنسائي (٣/١٩٥-١٩٦)، وهناك روايات أخرى للحديث جمعها وحققها العلامة الألباني - رحمه الله - في «آداب الزفاف» (ص٢٠٢-٢٠٣) وكتابه «الثمر المستطاب».

وقد تقدم من حسن معاملته ﷺ، أنَّه كان يتزل لعقولهن، فكان أحيانًا يسابق عائشة رضي الله عنها، وكان ﷺ يَحلِم عليهنَّ، ويصبر على أذاهنَّ.

فقد هجر النبي ﷺ نساءه شهرًا كاملاً في غير بيوتهن، والحادثة مشهورة في كتب الأحاديث والسير، وأحيانًا كانت تهجره إحداهنَّ الليل كله، ومع ذلك كان حليمًا عليهنَّ ﷺ فلا يضرب ولا يقبح.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: «واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهنَّ يومًا إلى الليل، وراجعت امرأةُ عُمر عُمر رضي الله عنه، في الكلام يومًا فقال: «أتراجعيني يا لكعاء»؟ فقالت: إنّ أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك»[(١)].

وقد كان ﷺ يصبر على غيرتهنَّ، ويعالج ذلك بأفضل الأدوية من الكلام والفعل أحيانًا، وكان لا يفضل بين أزواجهنَّ في حسن العشرة، فكلهن سواء في العدل، إلا ما كان من عمل القلب الذي لا يسبب شيئًا في العدل بينهنَّ.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ «حسبك من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة، فقال لها النبي ﷺ: «لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»[(٢)].

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ عند سودةُ، فصنعتُ خزيرًا، فجئت به، فقلتُ لسودة: «كلي»، فقالت: «لا أُحبه»، فقلتُ: «والله لتأكلين أو لألطخنَّ

---

(١) «الإحياء» (٢/ ٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٤٠)، و«المشكاة» (٤٨٥٣).

وجهك»، فقالت: «ما أنا بباغية»، فأخذت شيئًا في الصَّحفةِ فلطختُ به وجهها، ورسول الله ﷺ بيني وبينها، فخفض لها ركبتيه لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئًا، فَمَسَحَتْ به وجهي، وجعل رسول الله ﷺ يضحك»[(١)].

وكذلك ما كان من صبره ﷺ عندما حدث ما حدث من جانب عائشة وحفصة وسودة رضي الله عنهن على زينب بنت جحش رضي الله عنها فقد اتفقن على أن أول من يدخل عندها النبي ﷺ بعد خروجه من عند زينب أن تبدأ النبي بقولها: «إني أجد ريح مغافير، أي العسل، والقصة مشهورة في الصحيحين وغيرهما.

وكان ﷺ يساعد أهله في البيت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله - يعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[(٢)]، وعن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟» قالت: «يخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته»[(٣)]، وقيل لها رضي الله عنها: ماذا كان يفعل ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»[(٤)].

---

(١) رواه النسائي في «عشرة النساء» رقم (٣١)، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الزبير ابن بكار في كتاب «الفكاهة والمزاح»، وأبو يعلى بإسناد جيد. اهـ. وانظر «تخريج أحاديث الإحياء» (١٦٨/٤).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦)، والترمذي (٢٤٨٩)، ورواه أيضًا البخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٨) عن الأسود بن يزيد أنَّ سأل عائشة رضي الله عنها عن ذلك.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»، و«المشكاة» (٥٨٢٢)، وقال: «ليس في شيء من الكتب الستة».

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١) بدون قولها: «ويخدم نفسه»، ورواه بهذه الزيادة الترمذي في «الشمائل» (٢٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧١)، و«صحيح الأدب المفرد»، و«مختصر الشمائل».

فكم فات على كثير من الرجال الفوائد العظيمة التي فقدوها بسبب عدم تعاونهم مع أزواجهن في عمل البيت؟ فإنَّ لذلك أثرًا بالغًا في حسن المعاشرة بينهما، ولكن ماذا نصنع للرجال المتكبرين المتشدقين؟!

وكان ﷺ يؤاكل ويضاجع الحائض، وقد مرَّ حديثُ عائشة ﵂، في شرب النبي ﷺ من مكان شربها وتناول سؤرها، قالت عائشة ﵂: «كان رسول الله ﷺ يدعوني فآكل معه وأنا عارك..» الحديث[(١)].

وعن عبد الله بن سعد الأنصاري ﵁ قال: سألت النبي ﷺ عن مواكلة الحائض، فقال: «واكلها»[(٢)]، وعن عائشة ﵂ قالت: «إن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن»[(٣)]، وعنها ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ يُخرج إليَّ رأسَه من المسجد وهو مجاور - أي معتكف - فأغسله وأنا حائض»[(٤)].

فما أطيب عشرته ﷺ، فإنَّه عامل الحائض معاملةً لم تشعر فيها بالنقص، ولم يشعرها بالإهمال، بل حفظ كرامتها، فقد كان يضاجع ويفعل كل شيء مع زوجته الحائض إلا الجماع، وهذا من سماحة الإسلام ومراعاته لشعور المرأة فإنها لا تُهمَل وإن كانت في الحيض. وبالضد تتبين الأشياء فانظر كيف كانت تُعامل المرأة في الجاهلية، وعند اليهود والنصارى وغيرهم، وخاصة المرأة الحائض ثم بعد ذلك تعرف عظمة الإسلام في معاملة المرأة!

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠)، وأبو داود (٢٥٩)، والنسائي (١/ ١٤٨).

عارك: عَرَكَتِ المرأةُ تَعْرُكُ، فهي عارك: إذا حاضت.

(٢) رواه الترمذي (١٣٣)، وأبو داود (٢١٢)، بنحوه، وابن ماجه (٦٥١)، عن عبد الله بن سعد الأنصاري أنه سأل عائشة عن مواكلة الحائض.

(٣) رواه البخاري (٢٧٩)، وأبو داود (٢٦٠)، وابن ماجه (٦٣٤)، والنسائي (١/ ١٩١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٧) وهذا لفظه، وأبو داود (٢٤٦٧)، وابن ماجه (١٧٧٦) بنحوه.

وكان ﷺ يتغاضى عن أخطائهن ولا يلتمس عثراتهن، فعن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، يتخونهم أو يطلب عثراتهم»(٢).

وكان ﷺ أفضل من ضرب المثل الأعلى في الوفاء للزوجة، وقد مرّ بنا الكثير من صور وفائه ﷺ خاصة للسيدة خديجة رضي الله عنها، فإننا لم نعرف في تاريخ البشرية جمعاء رجلاً كان وفيًا لزوجته مثلما كان رسول الله ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وإنَّما كان كمال هذا الوفاء بعد مماتها، وكذلك كان في حياتها حينما لم يتزوج عليها، أما ظهور الوفاء بأكمله فإنك تجده بعد الممات، وبذلك يُمدح الوفاء إذا كان لميتٍ لأنَّك لا ترتجي منه شيئًا. وقد مرت بنا الأحاديث التي مدح فيها النبي ﷺ أمّ المؤمنين خديجة، وقد فضّلَها على جميع نسائه، وجعلها خَيرهنّ، فلا تساويها امرأة في فضلها وحبها إلى قلب رسول الله ﷺ، وإن كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تليها مباشرة في الفضل والمكانة.

فهيا أخي المسلم بادر بأن تقتدي بالنبي محمد ﷺ، وتَعرَّفْ على سيرته مع أزواجه، وسِرْ على منهجه وسنته في ذلك، تفز في الدنيا بالسعادة التي ما بعدها سعادة، وتفز في الآخرة بصحبته لحسن اتباعك له. وأرجوك أن تزيد الاطلاع والنظر في كتب الأحاديث والشمائل والسير حتى تقف على أخلاقه ﷺ وشمائله، وتستطيع ذلك بأن تنظر في أبواب النكاح من خلال كتب السنة وكتاب (الشمائل) للترمذي وغيرها من كتب الشمائل والسير.

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٠)، ومسلم (١٩٢٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٩)، ومسلم (٧١٥)، بإثر (١٩٢٨)، ورواه أحمد (١/ ١٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

نساء أهل الجنة

وعد الله تعالى عباده المؤمنين أن يدخلهم الجنة في الآخرة وينعمهم فيها بكل ما يشتهون، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١)، وهذه الجنة ليس فيها نصب ولا صخب ولا تعب، فالجنة كل ما فيها نعيم دائم خالد، لا يفنى ولا يبلى.

ونِعَمُ الجنَّة لا تُعدُّ ولا تُحصى، لأنَّ منها ما لا نعلمه ولا نعرفه، ولكن أخبرنا الله تعالى ورسوله ﷺ ببعض ما في الجنّة من نعيم حتى تشتاق القلوب إليها، ولنعلم أنَّ الآخرة خير وأبقى، وبذلك تهون الدنيا على أهلها، إذ هي بكل ما فيها من نعم وحذافير لا تُساوي قدر أُنملة من أقل ما يكون من نعم الآخرة.

ومن النِّعم التي امتنّ الله بها على أهل الجنَّة في الآخرة نعمة «الحور العين»، وهنَّ نساء الجنة، حيث التمتع الذي لم يسبق لها مثيل من قبل، ونعمة النساء في الجنة من أفضل النعم التي يحبها الإنسان بعد رؤية الله تعالى ورسوله ﷺ، وذلك أنَّك تجد نعمة الطعام والشراب وغيرها من نعم الحواس فتختص بشيء معين في الإنسان، أمّا نعمة التمتع بالنساء فإنَّ الإنسان يشعر بالمتعة في كل حواسه وشعوره، فالسعادة تملؤه كله فليست اللذة محددة بشيء معين في جسده كغيرها من النعم الأخرى.

ونساء أهل الجنَّة لا يصفها لك مثل الله ورسوله ﷺ، فقد وصفن في القرآن وسنة النبي العدنان بوصف يجعل الإنسان يشتاق إلى الجنة حتى يرى هذا النعيم بعد حبه للقاء الله ورؤيته سبحانه، وإذا علم المرء ماله عند الله إن أطاعه، فوالله ما عصاه أبدًا فقد أعدّ له من النّعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وليعلم الزوج أنّه يعيش في الدنيا الآن مع زوجته الحالية فعليه أن يتكيف مع الفطرة التي خلقها الله عليها، والدنيا لابد فيها من نقص ونصب وتعب، لأنّ الجنة غير ذلك، فلا يحمل الرجل معرفتُه لصفات الحور العين وجمالهنّ أن يستنقص من زوجته فيهينها أو يحتقرها لأنّ المرأة الصالحة تكون يوم القيامة خيراً وأجمل من الحور العين!

وصف القرآن للحور العين من الجمال وحسن العشرة:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وقد وصف الله سبحانه حور الجنة بأحسن الصفات، وحلاّهنّ بأحسن الحُلي، وشوّقَ الخطاب إليهنّ، حتى كأنهم يرونهنّ رؤية العين»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥)، فقد بشرّ الله تعالى الذين آمنوا بالنعم التي تكونُ لهم في الجنان، وذكر منها الأزواج المطهرة، ومعنى المطهرة أي التي طهرت من الحيض والنفاس والبول والغائط والمخاط والبصاق وكل القاذورات والأذى الذي كان منها في الدنيا، فإنك لن تجد شيئًا تتأذى منه البتة، وهذا ما لا تجده إلا في الجنة، فلن ترى منها ما يسوءك من أذى الجسد والبدن، وكذلك من فحش الكلام وسوء الأخلاق، فهي مطهرة من كل نقص كان منها في الدنيا.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤)، فقد جمع الله تعالى بين الرجل والمرأة في الجنَّة، وقرن بينهما، وجعلهما قرينين لا ينفك واحد منهما عن الآخر.

---

(١) «روضة المُحبين» (٢٠٨)، دار ابن رجب.

أما قوله تعالى: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾، دلالة على جمال العين وصفائها.

فالحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.

وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديد سواد العين، فمعنى الحور أي المرأة التي عينها شديدة البياض مع شدة سواد مُقلتها، وفي ذلك ما يكون من الجمال والحسن ما يجعلك تتأمل وتتفكر!!

والعين: جمع عيناء، وهي المرأة الواسعة العين مع شدة سوادها وصفاء بياضها وطول أهابها وسوادها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ (النبا: ٣١-٣٣)، ففي الآيات وصف الله الحور العين بأنهنَّ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾.

فالكواعب: جمع كاعب، وهي الناهد الثدي، فقد وصفت الحور بأن ثديهنَّ كواعب أي غير متدلية إلى أسفل.

قال ابن القيم: «وقد وصفهنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بأنهنَّ كواعب وهو جمع كاعب وهي المرأة التي قد تكعب ثديها واستدار، ولم يتدلَّ إلى أسفل وهذا من أحسن خَلق النساء»(١).

وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾، أي في سن الشباب فهن على ميلاد واحد قيل: ثلاثون، وقيل: ثلاثة وثلاثون.

---

(١) «حادي الأرواح» (٢٩٤-٢٩٥) الرسالة، و«روضة المحبين» (٢٠٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة:٣٥-٣٨)، فقد وصف الله تعالى نساء الجنة؛ بأنَّه خلقهن خلقًا جديدًا غير الذي اعتاده وعرفه الناس من قبلُ، فقد أُعيد خلقُ النساء مرة أخرى من كونها كانت عجوزًا كبيرة السنّ ـ لأنَّ الجنة لا تدخلها عجوز ـ إلى سنّ الشباب، وهذا الإنشاء يكون للرجل كذلك، ولكن ذكر النساء به في القرآن لأنهنّ يوصفن به أكثر من الرجال!

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾، أي أنَّ نساء أهل الجنة أبكار، وفي ذلك قمة اللذة والمتعة، بأنَّ هذه المرأة أول من يأتيها هو ذلك الرجل، فلم يمسها أحد قبله، ومعلوم أنَّ البكر أفضل في اللذة والمتعة من الثيب ولذلك كنَّ نساء الجنة أبكارًا.

وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، أي المتحببات لأزواجهنَّ، وهن في سن واحد فكلمة ﴿عُرُبًا﴾، هي جمع عروب، وهنَّ المتحببات لأزواجهنَّ، وقيل: المطيعة لزوجها المتحببة إليه، وهي التي تُحسِن التبعل، وذكر المفسرون في تفسير العرب: أنهنَّ العواشق المتحببات المعشقات الغلمات.

وقال البخاري في «صحيحه»: «عربًا مثقلة واحدها عروب، والعرب المتحببات لأزواجهنَّ» اهـ[(١)].

وقال ابن القيم: «جمع الله سبحانه بين حسن صورتها، وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يُطلب من النساء، وبه تكمل لذة الرجل بهنَّ، وفي قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (الرحمن:٥٦)، إعلام بكمال اللذة بهنَّ، فإنَّ لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه، لها فضل على لذته بغيرها» اهـ[(٢)].

---

(١) البخاري في «صحيحه» كتاب «التفسير» في تفسير سورة الواقعة (٨/ ٨٢٥).

(٢) «حادي الأرواح» (٢٩٤).

وقال تعالى في وصفهنّ: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:٥٦-٥٨)، ومنه قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن:٧٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات:٤٨-٤٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (ص:٥٢).

فقد جاء في وصفهنّ بأنهنّ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، وهذا الوصف جاء في ثلاثة مواضع في القرآن والمفسرون كلهم على أنّ المعنى قصرن طرفهن على أزواجهنّ فلا طموح منهن لغير الأزواج.

وقال مجاهد: قاصرات الطرف على أزواجهنّ فلا يبغين غيرهم.

وقال الحسن: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم، والله ما هنّ متبرجات ولا متطلعات، وقيل: قصرن أبصارهنّ وقلوبهن وأنفسهنّ على أزواجهنّ، وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن:٧٢)، أي يقعدن في الخيام فلا يتبرجن ولا ويبرزن لغير أزواجهنّ، وذلك من أنفسهنّ، وهذا معناه أنّهن مصونات في الخيام فلا يبرزن لغير أزواجهنّ.

وأما قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، فهذه من أكمل اللذة والمتعة لأهل الجنة، لأنّ نساءها لم يمسها أحد قبل زوجها في الجنة لا من الإنس ولا من الجنّ.

فنساء الجنة لم يطمثهنّ أحد أي لم يحدث لهنّ افتضاض للبكارة من قبل، فهنّ أبكار لم يغشهن ولم يجامعهنّ ولم يطأهنّ أحد قبل زوجها في الجنة، وهذا يكون في نساء الدنيا إذا كنّ من أهل الجنة لأن الله تعالى يُعيد خلقهنّ مرة أخرى.

والأصح أنَّ هذا مختص بنساء الجنة من الحور العين اللائي خلقهن الله خصيصًا لأهل الجنة، فهنّ ليس من أهل الدنيا وهذا مادلت عليه الآية في ظاهرها لأنَّ الله قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، ونساء الدنيا إذا دخلن الجنة فإنَّ الإنس طمثهنَّ، ونساء الجنة طمثهن لم يكن إلا في الجنة، ونساء الجنة من أهل الدنيا الصالحات أفضل من الحور العين.

وأما قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فذلك من كمال حسنهنَّ وتمام جمالهنَّ، من حيث الصفاء والبياض، وهذا على سبيل تقريب الغائب بالمشاهد والمحسوس، فأنت ترى بياض المرجان وصفاء الياقوت وعليه الصفاء البيِّن وقد تستطيع أن ترى الأشياء من خلفه، وإن كان بياض وصفاء الحور العين أفضل وأجمل من الياقوت والمرجان، إلا أنَّ الكلام من ضرب الأمثال لتقريب المعاني.

وأما قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، فمعناه أنهنّ مصونات محفوظات، لم يمسهن أحد من قبل وذلك مثل اللؤلؤ المكنون في أصدافه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة: ٢٢-٢٣).

قال الحسن: ﴿الْمَكْنُونِ﴾، المصون الذي لم تمسه الأيدي، والغرض أنهنَّ مع هذا الجمال الباهر مصونات كالدُّر في أصدافه مع رقة ولطف ونعومة، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، لا تبتذله الأيدي والعيون، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها[1].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن: ٧٠)، فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيِّره، كيدة وحسان جمع حسنة فهنّ خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

---

(١) «حادي الأرواح» (٢٨٦-٢٩٦) بتصرف.

ورُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «لكل مسلم خيّرة، ولكل خيّرة خيفة، ولكل خيفة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا زفرات، ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهنَّ بيض مكنون»(١).

الترح: الهم والحزن.

زفرات: الزفر: الراحة.

البخر: نتن الفم.

طماحات: مترقعات متكبرات.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (الروم: ١٥)، فذلك لذة السماع والوجد تتحقق عندما يسمع الزوج غناء زوجته وتحببها له بالكلم الطيب.

قلت: بعض المفسرين على تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾، على السماع واللذة المتحققة بذلك، وذلك يكون بسماع كلام الله من الله ومن نبيه ﷺ، وكذلك سماع غناء الحور العين.

وأكثر الأحاديث التي وردت في غناء نساء الجنة لأزواجهنّ ضعيفة لا تصح عن رسول الله ﷺ ولذلك عزَفتُ عن عدم ذكرها ولا ذكر واحد منها، ولكن كثرة الأحاديث تدل على وجود أصل هذا الغناء في الجنة، وإن كان أكثرها ضعيفًا. ثم وقفت على حديث صحيح يُثبتُ وجود غناء الحور العين لأزواجهنّ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٣٨)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وانظر «حادي الأرواح» (٢٧٦).

في الجنة وذلك الحديث صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع وهو من رواية ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: «إنّ أزواج أهل الجنة ليغنّين لأزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط» إن مما يغنين:

نحن الخيّرات الحسان ... أزواج قوم كرام

ينظرون بقرة أعيان

وإن مما يغنين به:

نحن الخالدات فلا يمتنه ... نحن الآمنات فلا يخفنه

نحن المقيمات فلا يظعنّه[(١)]

وعن خالد بن يزيد قال: إنّ الحور العين يغنّين لأزواجهنّ، فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شبان كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، في صدر إحداهنّ مكتوب: أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسي عندك لم تر عيناي مثلك[(٢)].

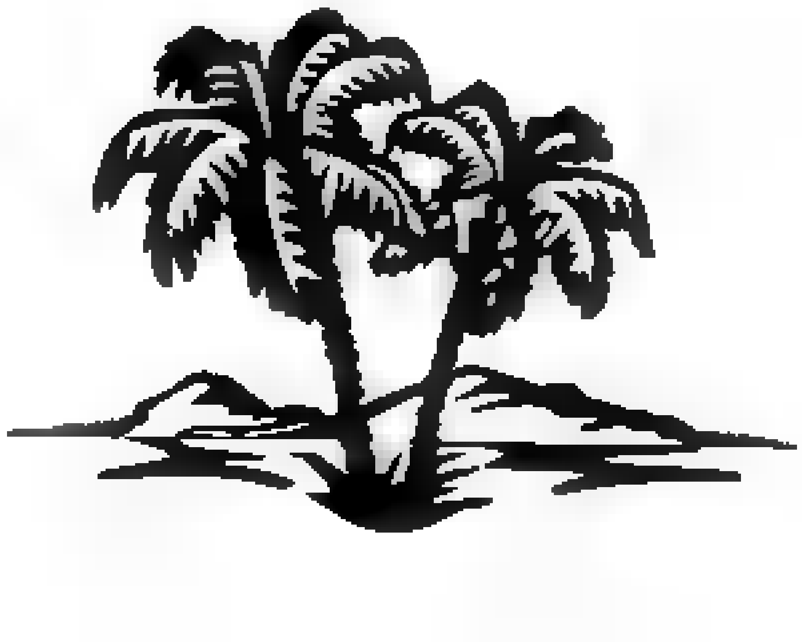

(١) أورد السيوطي في «الجامع الصغير» وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط» (٤٩١٤)، و«المعجم الصغير» (ص٧٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٦١)، والحديث ذكره أبو نعيم في «الحلية» و«الضياء» في صفة الجنة، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤١٩)، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) «حادي الأرواح» (٣٢٥).

وصف نساء الجنة في صحيح السنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» ثمَّ قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)[(١)].

ففي هذا الحديث إخبار من الله بالنعيم الكامل للعبد في الجنة، وزيادة الشوق إنما تكون في خفائه فللعبد أن يتخيل كل نعيم يريده، فإنه يجده في الجنة إن شاء الله تعالى، ومن نعم الله تعالى الحور العين.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنةِ خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحاً ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[(٢)].

فتأمل أخي الحبيب مدى جمال هذه المرأة التي تملأ الدنيا ريحًا بعطرها، وانظر إلى جمال وجهها الذي يضيء الدنيا ويغطي ضوء الشمس، ثم انظر إلى خمارها ومدى ما فيه من حسن، فهو وحده خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان هذا وصف الخمار الملبوس فما بالك بمن لبس التاج والخمار؟

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤)، والترمذي (٢١٩٧)، وابن ماجه (٤٣٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٦)، وأحمد (٣/ ٢٦٤)، ومسلم (١٨٨٠) بنحوه، والترمذي (١٦٥١) واللفظ له، وابن حبان (٢٦٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دريٍّ في السماء، ولكل امرئٍ منهم زوجتان يُرى مُخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن وما في الجنَّة من أعزب»[1].

يا الله ـ امرأة من حسن جمالها يُرى مخ ساقها من وراء اللحم، تخيل أخي في ذلك المنظر البديع، أمسك بلؤلؤة وانظر من ورائها فحينئذٍ يتقرب إليك المعنى، وإذا كان هذا وصف جمال الجسد فما بالك بجمال أفضل ما يكون في الجسد وهو وجه المرأة في الجنّة.

وفي رواية: «ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحُسن لا اختلاف بينهم، ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «للرجل من اهل الجنّة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حُلة يُرى مخ ساقها من وراء الثياب»[3].

قلت: ليس الحديث تقييداً في أنّ للزوج زوجتين فقط في الجنَّة، لأنَّ هذا يُنافي كمال نعيم الجنَّة، ولكن للزوج أكثر من زوجة في الجنة يتمتع بهنّ كيفما شاء ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إنّ للعبد المؤمن في الجنّة لخيمة من لؤلؤة مجوفةٍ طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها اهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤)، وأحمد (٢/٥٠٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) باب «صفات الجنة وأهلها، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا».

(٣) رواه أحمد (٢/٣٤٥)، والترمذي (٢٥٣٤)، بنحوه، وكذلك مسلم بنحو هذا المعنى بإثر (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨)، والترمذي (٢٥٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ومنه قوله ﷺ: «يُعطى المؤمن في الجنّة قوة كذا وكذا من الجماع»، قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟، قال: «يُعطى قوة مئة»(١).

ففي هذين الحديثين وأمثالهما دليل على أنّ للرجل أكثر من زوجة في الجنة ومن ذلك أنه يُعطى قوة مئة رجل فهو يستطيع مجامعة مئة امرأة وأكثر.

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده، فإذا بطنه قد ضمر»(٢).

قلت: إذا كان الله تعالى أحلّ لعبده المؤمن أن يتزوج بأكثر من امرأة في الدنيا، فيجوز له أن يتزوج أربعًا منهنّ، وذلك في الدنيا الفانية أيكون له أكثر من زوجة في النعيم الزائل الفاني ولا يكون له إلا زوجتان فقط في النعيم الباقي؟ بالطبع هذا لا يكون شرعًا ولا عقلاً، فقد ثبت بالأدلة النقلية والعقلية أنّ للرجل أكثرَ من زوجة في الجنة ولهذا كان نساء النبي ﷺ معه في الجنّة.

قالوا عن الحور العين:

قال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء، إنّ في الجنّة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أنّ الله تعالى كتب على أهل الجنّة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك أربعين عامًا(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٦)، والطيالسي في «مسنده» (٢٠١٢)، وابن حبان (٢٦٣٥)، في «الموارد»، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وله شاهد عند البزار (٣٥٢٦)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٠٦)، و«المشكاة» (٥٦٣٦).

(٢) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الطبراني في «الكبير» من حديث زيد بن أرقم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٧)، و«المشكاة» (٥٦٣٦)، والحديث رواه الدارمي، وابن حبان في «صحيحه».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢١-٢٢٢)، وذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (٣٠٥).

▪ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لو أنَّ حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها - أي خمارها - لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض».

▪ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنّ المرأة من الحور العين يُرى مخ ساقيها من وراء اللحم والعظم، ومن تحت سبعين حلة، كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء».

▪ وعن كعب أنه قال: «لو أنّ يداً من الحوراء دُلِّيت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنّما قلت: يدها فكيف بالوجه ببياضه وحسنه وجماله!!»[1].

قال ابن القيم - رحمه الله - في وصفه لنعيم الجنة: «وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهنّ الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماءُ الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته الهنود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللدقة واللطافة مادارت عليه الخصور، تجرى الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا تبسمت، إذا قابلت حبها، فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة المحبين، وإن ضمَّها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يَرى وجهها في صحن خدها، كما يرى في المرآة جلاّها صقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللُها.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٢٥٦)، وذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (٣٠٤).

لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا ولاستطعت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كلَّ عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن على وجهها بالله الحي القيود.

ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يُمَلُّ طيب وصالها.

قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحدٍ سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليه سرته، وإن أمرها طاعته، وإن غاب حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جانٌ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سُروراً، وكلمَا حدَّثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظومًا منثوراً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السنّ فأتراب في أعدل سنّ الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حورٍ، وإن سألت عن الورود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهنّ الكواعب، نهودهن كألطف الرُّمان، وإن سألت عن اللون فكأنّه الياقوت والمرجان.

وإن سألت عن حسن الخُلق فهنّ الخيرات الحسان، اللاتي جُمع لهُنّ بين الحسن والإحسان، فأُعطين جمال الباطن والظاهر، فهنّ أفراح النفوس وقرّة

النواظر، وإن سألت عن حُسن العشرة، ولذة ما هنالك، فهنّ العُرب المتحببات للأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر، قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسنَ تلك المُحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقلة والمخاصرة.

وحديثها السحر الحلال لو انّه ... لم يُجن قتل المسلم المتحرِّزِ
إن طال لم يُملل وإن هي حدَّثت ... ودّ المُحدَّثُ انّها لم توجِزِ

وإن غنَّت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبّلتْ فلا شيء أشهى من ذلك التقبيل، وإن نوّلت فلا ألذّ ولا أطيب من ذلك التنويل، اهـ[1].

■ وقال الشعراءُ في وصفهنَّ:

فلو أنّ حوراً في الدّياجي تبسّمتْ ... تَجَلّيَ لدجى الظلماءِ في الأرض نورُها
ولو مُزِجَ الماءُ الأُجاجُ بريقها ... لأصبح عَذباً سلسبيلاً بحُورُها

■ وقال آخر:

يا عاشقاً للغواني مُغرَمًا بهوى ... دار الغرور وعيش شيب بالنَّكدِ
إنَّ الغواني الحسان الحور مسكنُها ... دار السُّرور على فُرشٍ على السرورِ
في سندس الفرش أقمار سُرر ... من اليواقيت في قصر من الدُرر
يشاهد المخّ في الساقين ناظرُها ... من فوق سبعين ملبوسًا من الحبر
قد طلن شوقًا إلى أزواجهنّ كما ... يشتاق للغائب المحبوب في السَّفرِ

(١) «حادي الأرواح» (٣٥٦-٣٥٨).

■ وقال آخر في وصفهنَّ:

فــيــا نواهد أبكارٌ مــزينةٌ يبرزن من حُلل في الحُسن والخفر
نساؤها المؤمنات الصابرات على حفظ العُهود مع الإملاق والضرر
كأنهنّ بدور في غصون نقا على كثيب بدت في ظلمة السّحر
كل امرئ منهم يُعطى قوى مائة في الأكل والشُرب والإفضاء بلا خور

■ وأفضل من وصف نساء الجنة بالشعر هو ابن القيم في نونيته حيث قال:

يا خاطبَ الحور الحِسان وطالبًا لوصالهنَّ بجنةِ الحيوان
لو كنت تدري من خطبتَ ومن طلبتَ بذلك ما تحوى من الأثمان
أو كنت تعرفُ أين مسكنها جعلت السَّعى منك لها على الأجفان
أسرع وحُثَّ السير جُهدك إنما مسراك هذا ساعةٌ لزمان
فاعشق وحدِّث بالوصال النفس وابذلْ مهرها ما دُمتَ ذا إمكان
واجعل صيامك دون لقياها ويوم الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوتَ جمالها الحادي وسر نحو الحبيب ولستَ بالمتواني
واسْمع إذن أوصافها ووصالها واجمل حديثك ربَّةَ الإحسان
يا منْ يطوف بكعبة الحسن التي حفَّتْ بذاك الحِجر والأرْكان
ويظل يسعى دائمًا الصَّفا ومُحسَّر مسعاهُ كلَّ أوان
ويروم قربانُ الوصال على منًى والخيفُ يحجبه عن القُرْبان
فلذا تراه محرِمًا أبدًا وموضعُ حُلَّة منه فليس بدان
يبغى التمتع مفردًا عن حُبِّه مُتجردًا يبغي شفيع قران
ويظلُ بالجمرات يرْمي قلبه هذي مناسكه بكل زمان
والنَّاسُ قدْ قَضوا مناسكهم وقد حثوا ركائبهم إلى الأوطان
وحدث بهم همم لهم وعزائمُ نحو المنازل ربَّة الإحسان

رُفعت لهم في السير أعلامُ الوصال ... فشمَّروا يا خيبةَ الكسلان

ورأوا على بُعد خيامًا مشرفًا ... ، مشرقاتِ النور والبُرهان

فيتمَّموا تلك الخيام فآنسوا ... فيهنَّ أقمارًا بلا نُقصان

من قاصرات الطرف لا تبغي سوى ... محبوبها من سائر الشُّبَّان

قَصَرتْ عليه طرفَها من حسنِهِ ... والطرف منه مطلق بأمان

ويحار منه الطَّرف في الحُسْن الذي ... قد أعطيت فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يُشاهد حُسنَها ... سبحان مُعْطي الحسن والإحسان

والطَّرف يشربُ من كئوس جمالها ... فتراهُ مثل الشَّارب النَّشْوان

كملت خلائقُها وأكمل حُسْنُها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها ... واللَّيْلُ تحتَ ذوائب الأغصان

فيظلُّ يعجب وهو موضعُ ذاك مِنْ ... ليل وشمس كيف يجتمعان

ويقول سُبحان الذي ذا صنعه ... سُبحان مُتْقِن صنعة الإنسان

لا اللَّيْلُ يُدرك شمسَها فتغيب عند ... مجيئه حتى الصَّباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل ... يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا ... ما شاء يُبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجهها ... ويرى محاسنها به بعيان

حمْرُ الخدود ثغورهنَّ لآلئٌ ... سُود العُيون فواترُ الأجفان

والبرق يبدر حين يبسمُ ثغرها ... فيُضيء سقف القصر بالجدران

ريانة الأعطاف من ماء الشَّباب ... فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماءُ النَّعيم بغصنِها ... حمل الثمار كثيرة الألوان

فالورد والتُّفاحُ والرُّمَّانُ في ... غصن - تعالى - غارسُ البُستان

والقدُّ منها كالقضيب اللدن في ... حسن القوام كأوسط القُضبان

في مغرس كالعاج تحسب أنَّهُ ... عالي النَّقا أو واحد الكُثبان

لا الظهر يلحقه وليس ثديها ... بدواحق للبطن أو بدوان

لكنهنَّ كواعب ونواهد ... فثديهنَّ كأحسن الرُّمَّان

والجيد ذو طُول حسن في بياض ... واعتدال ليس ذا نكران

يشكو الجلي بغادة فلهُ مدى الأيام ... أيام وسواس من الهجران

والمِعصَمان فإن تشأ شَبِّههما ... بسبيكتين عليهما كفان

كالزُبد لينًا في نعومةِ ملمسٍ ... أصداف ذرٍّ ذورت بوزان

والصدر متَّسع على بطن لها ... والخِصر منهما مُغرم بثمان

وعليه أحسنُ سُرة هي زينة ... للبطن قد غارت من الأعكانِ

حُقٌّ مِن العَاج استدار وحشوه ... حَبَّاتُ مسك جلَّ ذُو الإتقان

وإذا نزلت رأيت أمراً هائلاً ... ما للصفات عليه من سُلْطان

لا الحيضُ يغشاه ولا بول ولا ... شيءٌ من الآفات في النِّسوان

فخذان قد حفّا بِهِ حَرَسًا له ... فجنابُهُ في عزة وصيان

قاما بخدمَتِهِ هو السُّلطان بينهما ... وحق طاعة السُّلطان

وهو المُطاع إذ هو استدعى الحبيب ... أتاه طوعًا وهو غير جبان

وجماعها فهو الشفاء لصبِّها ... فالصَّبُّ منه ليس بالضجران

وإذا أتاها عادت الحُسناء بكراً ... مثل ما كانت مدى الأزمان

وهو الشهي الذ شيء هكذا ... قال الرسول لمن له أُذُنان

يارب غفراً قد طغت أقلامنا ... ياربُّ معذرةً من الطُّغيان

أقدامها من فضة قد رُكِّبَتْ ... من فوقها ساقان مُلْتَفَّان

والساق مثل العاج ملمومٌ به ... مُخُّ العظام تناله العينان

والريح مسك والجسوم نواعم ... واللون كالياقوت والمرجان

وكلامها يَسبي العقول بنغمة ... زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبِدَلِها ... وتحبب للزوج كل أوان

أتراب سن واحدٍ متماثل ... سِنُّ الشَّباب لأجمل الشُّبان
بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى ... المحبوب من إنس ولا من جان
يُعطى المجامعُ قوةَ التي اجتمعت ... لأقوى واحدِ الإنسان
ولقد أتانا أنّه يَغْشَى بيوم ... واحد مئةً من النسوان
ورجاله شرط الصحيح رووا لهم ... فيه وذا في معجم الطبراني
وبذاك فُسِّر شُغلهُم في سورة ... من بعد فاطر يا أخا العرفان
هذا دليل أن قَدْرَ نسائهم ... متفاوت بتفاوت الإيمان
وبه يزول توهم الإشكال عن ... تلك النصوص بمنّة الرَّحمن
في بعضها مائة أتى وأتى بها ... سبعون أيضًا ثم جاثنتان
فتفاوتُ الزوجاتِ مثل تفاوت ... الدرجاتِ فالأمران مختلفان
وبقوة المئة التي حصلت له ... أفضى إلى مئة بلا خوران
وأعفُّهُم في هذه الدنيا هو ... أقوى هناك لزهده في الفاني
فاجمع قواك لما هناك وغض منك ... الطرفَ واصبر ساعة لزمان
ما هاهنا والله ما يسوى قلامة ... ظُفُر واحد من النسوان
ونصيفُها خيرٌ من الدنيا وما ... فيها إذا كانت من الأثمان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن ... تفعل رجَعت بذلة وهوان
وإذا بَدت في حُلة من لبسها ... وتمايلت كتمايل النشوان
تهتزُّ كالغُصن الرطيب وحَمْلُه ... وردٌ وتُفاح على رمَّان
وتبخترت في مشيها ويحقُّ ذاك ... لمثلها في جنة الرضوان
ووصائف من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان
كالبدر ليلة تمّه قد حُفَّ في ... غَسَق الدُّجَى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في ... دَهَش وإعجابٍ وفي سبحان
تستنطق الأفواه بالتسبيح إذ ... تبدو فسبحان العظيم الشان

والقلبُ قبل زفافها في عُرسه | والعُرس إثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهتْه تقابلا | أرأيت إذ يتقابل القمران
لعل المُتيَّم هل يحل الصبرُ عن | ضم وتقبيل وعن فلتان
وسل المُتيم أين خَلَّف صبرَه | في أي وادٍ أم بأي مكان
وسل المُتيَّم كيف حالتُه وقد | مُلِئَت له الأذنان والعينان
من منطق رقَّت حواشيه وَوَجه | كم به للشمس من جريان
وسل المُتيَّم كيف عيشه إذًا | وهما على فرشيهما خِلوان
يتساقطان لآلئًا منثورة | من بين منظوم كنظم جُمَان
وسل المتيم كيف مجلسه مع المحبوبِ | في روح وفي ريحان
وتدور كاساتُ الرحيق عليهما | بأكُفُ أقمار من الولدان
يتنازعان الكأسَ هذا مرةً | والخودُ أُخرى ثم يتَّكِئان
فيضمُّها وتضمُّه أرأيت معشوقين | شوقين بعد البعد يلتقيان
غاب الرقيبُ وغاب كلُ منكدٍ | وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا | وحياة ربك ما هما ضجران

■ وقال ـ رحمه الله ـ في القصيدة الميميّة:

ولله كم من خيرة لو تبسَّمتْ | أضاء لها نورٌ من الفجر أعظمُ
فيا لذةَ الأبصار إن هي أقْبَلتْ | ويا لذةَ الأسماع، حين تكَلَّمُ
ويا خجلةَ الغصن الرطيب إذا انثنت | ويا خجلةَ البحرين حين تبسَّمُ
فإن كنت ذا قلبٍ عليلٍ بحُبِّها | فلم يَبْقَ إلا وصلها لك مرهمُ
ولا سيما في لثمها عند ضمِّها | وقد صار منها تحت جيدك مِعصمُ
يراها إذا أبدت له حسنُ وجهها | يلذُّ بها قبل الوصال وينعمُ
تفكَّه منها العين عند اجتلائها | فواكه شتَّى طلعُها ليس يُعدمُ

عناقِيدُ من كرم وتفاح جنَّةٍ ... ورمَّان أغصان بها القلب مُغرمُ
وللوردِ ما قد ألبسته خددها ... وللخمر ما قد ضمَّه الريقُ والفمُ
تقسَّم منها الحسنُ في جمع واحدٍ ... فيا عجبًا من واحدٍ يتقسَّمُ
تُذكِّر بالرحمن من هو ناظر ... بجملتها أنَّ السُّلوَّ محرَّمُ
لها فرق شتَّى من الحسن أجمعت ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثمُ
إذا قابلت جيشَ الهموم بوجهها ... تولَّى على أعقابه الجيشُ يُهزمُ
ولمَّا جرى ماءُ الشباب بغصنها ... تيقن حقًا أنه ليس يهرمُ
فيا خاطبَ الحسناءِ إن كنتَ راغبًا ... فهذا زمانُ المهر فهو المقدَّمُ
وكن مبغضًا للخائنات لحُبُّها ... فَتَحْظَى بها من دونهنَّ وتنعمُ
وكن أيمًا مما سواها فإنَّها ... لمثلك في جنات عدن تأيَّمُ

وللرجال نصيب في الجنة من الحسن والجمال

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أنَّ ما يُقِلُّ ظفرٌ مما في الجنة بدا، لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أنَّ رجلاً من أهل الجنة اطَّلع فبدا أساورُه، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زُمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألُوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن على اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلبِ رجل واحدٍ يسبحون الله بكرة وعشياً»[(٢)].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهلُ الجنَّة الجنّة جُردًا مُردًا مُكَحَّلين أبناء ثلاثين، أو ثلاثٍ وثلاثين سنة»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ في الجنة لسوقًا، يأتونها كل جُمعة فتهبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالا»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٨)، وأحمد في «مسنده» من حديث سعد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥١)، و«المشكاة» (٥٦٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٤٥)، وأحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٧٢)، والمشكاة (٥٦٣٩).

(٤) رواه مسلم (٢٨٣٣)، وأحمد (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

فهذه الأحاديث تظهـر ما يكون من الحسن والجمال بالنسبـة للرجال كالنساء ولكنه يكون أجمل وأكمل بالنسبة للنساء لأنهنّ من مُتع الجنة للرجال.

وليس في الجنة قبيح، وليس في الجنة ما يكون مذمومًـا البتة، فكل ما فيها حَسَنٌ وجميل، فإنّ الأشياء التـي خُلقت للمؤمن في الجنة ليعجـز الإنسان عن وصفها والحديث عن جمالها وحسنهـا، فما بالك بمن يتمتع بهذه الأشياء بالطبع يكون أجمل وأحسن.

وهكذا أخي المسلم أخـذتُك برحلة سـريعـة إلى بلاد الأشواق، وعـواصم الأفراح، وكأنّي أراك تشـتاق بعد هذا الوصف إلى اللقاء وحسن البـقاء مع نساء الحسن والثناء، والحـور العين، التي ملأت عينهـا بالسواد والبياض مع الصـفاء، فيـمكنك أخي الحبيب الوصـول إليهنّ، والجلوس معـهنّ، واللقاء بهنّ، ورؤية أعينهنّ، وسماع أصواتهنّ، والسـلام عليهنّ، والاضطجاع معهنّ، وذلك يكون قريبًا عندما نلقـى ربنا وهـو راض عنا، وعنـدما ندفع مهـورَهنّ، ومهورهنّ هي طاعة الله تـعالى واتباع رسـوله ﷺ، والبعـد عن المعاصي والذنـوب وحفظ القلوب عن الأدران والعيوب.

فهاك أخي الحور العين في انتظارك، والشوق إلى لقـائك، فاجتهد في طاعة ربك، وأكثـر من دُعائك، واتبع نبيك بالعمل وكـثرة ثنائك،

اللهم أصلح لنا دنيـانا التي فـيهـا معـاشنا، وأصلح لنا آخـرتنا التي إليـها مـعـادنا، وتوفنا وأنت راضٍ عنا، واجعل الحياة زيادة لنا فـي كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

الإفصاح عن الضعيف والموضوع في النكاح

١ ـ «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصِّن فرجه، ويصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك فيها».

«ضعيف جداً»، رواه ابن حبان في «الضعفاء»، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٥)، والطبراني في الأوسط بسند ضعيف قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٤)، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٥٥)، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٣٥/٨)، وفي إسناده: عبد السلام بن عبد القدوس يروي الموضوعات، وعمرو بن عثمان متروك.

وانظر كذلك في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٢)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٠٦)، و«كشف الخفا» (٢/ ٣٣١).

قلت: والحديث من جهة المتن مخالف للحديث الصحيح «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك». رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٨)، والنسائي (٦٨/٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو.

٢ ـ «لا تزوجوا النساء لحسنهنَّ فعسى حسنهن أن يرديهنَّ، ولا تزوجوهنَّ لأموالهنَّ، فعسى أموالهنَّ أن يطغيهنَّ ولكن تزوجوهنَّ على الدِّين، ولأمةٌ خَرماء سوداء ذات دين أفضل».

«ضعيف جداً»، رواه ابن ماجه (١٨٥٩)، والبيهقي (٧/ ٨٠)، من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف، ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٠٩)، و«الضعيفة» (١٠٦٠)، و«ضعيف الجامع» (٦٢١٦).

٣ ـ «لا تنكحوا القرابة فإنَّ الولد يخلق ضاوياً»، أي: نحيفًا.

«لا أصل له مرفوعًا»، ذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٦٠)، وقال العراقي في «المغني»، قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلاً معتمدًا، قلت: إنّما يعرف من قول عمر قاله لآل السائب، ورواه الحربي في «غريب الحديث»، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٦٦/ ٣٩)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٧).

٤ ـ «لا تتزوجوا النساء على قراباتهنَّ، فإنَّه يكون من ذلك القطيعة».

«موضوع»، قال في «الذيل» فيه سهل، كذَّبه الحاكم، وانظره في «تذكرة الموضوعات» (١٢٧)، و«الفوائد المجموعة» (٣٦٩/ ٤٢).

■ ـ «لا تتزوجوا الحمقاء، فإنَّ في صحبتها بلاء، وفي ولدها ضياع».

«موضوع»، انظره في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢١٣)، و«الفوائد المجموعة» (٣٦٨/ ٤١)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٧).

٦ ـ «من أراد أن يلقى الله طاهراً مُطَهراً فليتزوج الحرائر».

«ضعيف جداً»، رواه ابن ماجه (١٨٦٢)، من حديث أنس بن مالك، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤١٠)، «الضعيفة» (١٤١٧)، و«ضعيف الجامع» (٥٣٨٨)، والحديث رواه ابن عدي (٧/ ٢٥٢١)، من حديث علي وابن عباس، وفي إسناده خمسون كذابًا، وانظره في «تذكرة الموضوعات» (١٢٧)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٠)، و«الفوائد المجموعة» (٣٤٠/ ١٣).

٧ ـ «الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاك البيت».

«موضوع»، قال في المختصر فيه «متروك ومجهول»، وانظره في «تذكرة الموضوعات» (١٢٧)، والفوائد الموضوعة» (٣٦٧/ ٤٠)، و«كشف الخفا» (١/ ٤٢٤)، و«الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر (٤٢).

٨ - «من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا».

«ضعيف»، رواه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أبي سعيد بسند ضعيف، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٤٨/ ٢١)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٤)، وله شاهد آخر برواية «من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا»، ذكره العراقي في «المغني» وعزاه للدارمي في «مسنده»، والبغوي في «معجمه»، وأبي داود في «المراسيل» من حديث أبي نجيح، وقال: وأبو نجيح اختلف في صحبته.

٩ - «أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف».

«ضعيف جداً ماعدا الفقرة الأولى»، رواه الترمذي (١٠٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩٠)، وقال: عيسى بن ميمون ضعيف، ورواه الحاكم (٢/ ١٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٥)، وابن حبان «موارد ١٢٨٥»، والذهبي في «الميزان» (٦٦١٧)، للذهبي، من حديث عائشة ورواه ابن ماجه (١٨٩٥)، بلفظ: «واضربوا عليه بالغربال».

قال الترمذي: حديث غريب حسن في هذا الباب.

وقال الألباني - رحمه الله -: «وأما تحسين الترمذي للحديث، فإنما هو باعتبار الفقرة الأولى منه، فإنّ لها شاهداً من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعًا، والترمذي أورده في باب: «ما جاء في إعلان النكاح»، وأما الجملة التي بعدها فإنّي لم أجد لها شاهداً فهي لذلك منكرة» اهـ. «والإرواء» (١٩٩٣)، وضعيف سنن ابن ماجه (٤١٦). اهـ.

والحديث من رواية عيسى بن ميمون الأنصاري، وهو يضعف الحديث، أما عيسى بن ميمون الذي يروى عن ابن أبي نجيح التفسير فهو عدل ثقة.

قلت: قد ظهر لنا أنّ الفقرة الصحيحة من الحديث هي قوله: «أعلنوا النكاح..» أما بقية الحديث فلا يصح، وانظر صحة هذه الفقرة في «صحيح الجامع» (١٠٧٢)، و«آداب الزفاف» (٩٧).

١٠ ـ «خير الناس بعد المائتين: الخفيف الحاذق؛ الذي لا أهل له ولا ولد».

«ضعيف»، أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة، ورواه الخطابي في «العزلة» من حديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف.

١١ ـ «يأتي على الناس زمان يكون هلاكُ الرجل على يد زوجته وأبويه وولده، يُعيرونه بالفقر، ويُكلفونه ما لا يطيق، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك».

«ضعيف جداً»، أخرجه الخطابي في «العزلة»، من حديث ابن مسعود بنحوه، والبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة، وكلاهما ضعيف.

١٢ ـ «ركعتان من المتزوج أفضل من سبعين ركعة من الأعزب».

«موضوع». رواه العقيلي من أنس مرفوعًا، وقال: مجاشع حديثه منكر غير محفوظ، وقد رواه تمام في «فوائده»، من حديث أنس بلفظ: «ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من الأعزب». وفي سنده مسعود بن عمرو، قال الذهبي في «الميزان»: لا أعرفه وخبره باطل، وأخرجه الضياء من طريق بقية، أفاده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٠)، وقد تعقبه ابن حجر في «أطرافه» وقال: هذا حديث منكر ما لإخراجه معنى، وقد روى من حديث أبي هريرة بمعنى اللفظ الأول، قال ابن عدي: موضوع، آفته من يوسف بن السفر.

وانظره في «الموضوعات» لابن الجزي (٢/ ٢٥٧)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٥)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٥)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٠)، و«الفوائد المجموعة» (٤/ ٣٣١)، وانظر «الضعيفة» للشيخ الألباني (٦٣٩)، وقال عنه: موضوع.

١٣ ـ «العزب فراشه من النار».

«موضوع»، انظر «أحاديث القصاص» (٣٠)، وقال فيه ابن تيمية: «موضوع»، لا أصل له، و«الفوائد الموضوعة» للكرمي (١٤٠)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٥)، وانظره في «تنزيه الشريعة»، (٢/ ٢١٧)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (٣٣٣/٦)، وفيه بلفظ: «فراش الأعزب من النار»، وهو موضوع كذلك.

١٤ ـ «شراركم عزابكم».

«منكر»، رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٨٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩١٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٣٨٧)، من حديث أبي هريرة، ورواه الديلمي من حديث ابن عباس.

وانظره في «تذكرة الموضوعات» (٤٩٣)، لابن القيسراني، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٨)، و«العلل المتناهية» (٢/ ١١٨)، و«المقاصد» (٢٥١)، و«الدر» (٢٦٨)، و«الفوائد الموضوعة» للكرمي (٧٧)، و«كشف الخفا» (٢١٨)، و«الأسرار» (٢٤٢)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٦).

وذكره السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦١)، وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١٥٨٥)، وقال: «هذا حديث منكر»، وأورد الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٥١) وعزاه إلى أبي يعلي والطبراني في «الأوسط» وقال: وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك» اهـ.

١٥ ـ «مسكين رجل بلا امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل».

«لا أصل له مرفوعًا»، ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٥٢)، وقال رواه الطبراني، وانظره في «أحاديث القصاص» (٣١)، قال ابن تيمية: لا أصل له

مرفوعًا وليس هذا من كلام النبي ﷺ، وانظر «الفوائد الموضوعة» (١٤١) للكرمي.

١٦ ـ «خير أمتي أولها: المتزوجون وآخرها العزاب، وإني أحللت لأمتي الترهب إذا مضت إحدى وثمانون ومائة سنة».

«موضوع»، قال في «الذيل»: في إسناده البلوى كذاب، وانظر في «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٧/٣٣٤)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٥).

١٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم».

«شاذ»، رواه ابن ماجه (١٩٦٥)، و«أبوداود» (١٨٤٤)، وانظره في «ضعيف سنن ابن ماجه»، (٤٢٦)، و«الإرواء» (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨)، وقال العلامة ابن عبد الهادي والحافظ ابن حجر (إنَّ ميمونة رضي الله عنها أخبرت أنّه تزوجها بسرف بعد الحج)، قال الترمذي: (واختلفوا في تزويج النبي ﷺ ميمونة، لأنَّ النبي ﷺ تزوجها في طريق مكة، فقال بعضهم تزوجها حلالاً، وظهر أمرُ تزويجها وهو محرم ثم بنى بها وهو حلال بسرف في طريق مكة، وماتت ميمونة بسرف حيث بنى بها رسول الله ﷺ ودفنت بسرف) حديث رقم (٨٤٤) سنن الترمذي.

قلت: ذهب جمهور أهل العلم على تخطئة القول بزواج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم وذهب الثوري وأهل الكوفة إلى جواز ذلك.

١٨ ـ «لولا النساء لعُبد الله حقًا حقًا».

«منكر»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٢١)، وقال: هذا حديث منكر، ولا أعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده متروكان، وعبد الرحيم بن زيد العمي أحاديثه كلها لا يتابعه الثقات عليها)، اهـ. وانظره «الفوائد المجموعة»

(١/٣٢٨)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٩)، و«كشف الخفا» (٢/ ٢٣٣)، وقال السيوطي في «اللآلئ» له شاهد رواه النقمي في «النفقات»، من حديث أنس «لولا المرأة لدخل الرجل الجنة»، وهذا الشاهد رواه كذلك أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٠)، والديلمي في «الفردوس» وفي ترجمة بشر بن الحسين، قال السيوطي: متروك، وتعقبه ابن عراق في «تنزيه الشريعة»، (٢/ ٢٠٤)، بقوله: «بل كذاب وضَّاع، فلا يصلح حديثه شاهدًا»، اهـ، أفاده الألباني، وانظر «الضعيفة» له برقم (٥٦).

١٩ ـ «من لم تكن له حسنة، فلينكح امرأة من جُهينة».

«موضوع»، رواه ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني مرفوعًا، وفي إسناده ظبيان بن محمد بن ظبيان عن أبيه عن جده وهو يروى العجائب، وقال في «الميزان»، هذا الحديث كذب، انظره في «تذكرة الموضوعات» لابن القيسراني (٨٨٥)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (٩/٣٣٦)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٩)، و«اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢/ ١٦٢).

٢٠ ـ «أيما امرأة نُكحت على صداق، أو حِباء، أو عدة قبل عصمة النكاح، فهو لها، وما كان بعد عصمة النكاح، فهو لمن أعطاه وأحقُّ ما أُكرم عليه الرجل ابنته أو أخته».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩٥٥)، وأبو داود (٢١٢٩)، والنسائي (٣٣٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو ﵄، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٢٤)، و«ضعيف سنن أبي داود» (٤٦٤)، و«ضعيف الجامع» (٢٢٢٩)، و«الضعيفة» (١٠٠٧)، والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في «المسند» (١٠/ ١٧٨).

٢١ ـ عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الرجل يأتي جارية امرأته فقال ﷺ: «إن كانت أحلتها له جلدته مائة، وإن لم تكن أحلتها له رجمته».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٢٥٥١)، والنسائي (٣٣٦٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٥٥٦)، و«ضعيف سنن النسائي» (٢١٥).

٢٢ ـ «عليكم بالسراري، فإنهنّ مباركات الأرحام».

«ضعيف»، رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي الدرداء مرفوعًا، ذكره في «المجمع» (٤/ ٢٥٩)، وفيه عمرو بن محمد العقيلي وهو متروك، وفي إسناده محمد بن علاثة يروي الموضوعات عن الثقات، وعثمان بن عطاء لا يحتج به، وعمرو بن الحصين ليس بشيء، وفي إسناده الآخر حفص ابن عمر وهو متروك. وأخرجه ابن أبي عمر في «مسنده»، وأبو داود في «مراسيله» من طريق الزبير بن سعيد الهاشمي، لكنه لا يتم لما في إسناده من جهالة، وذلك أعظم بأس وذلك لأنّ الزبير ضعيف وشيخه مجهول.

وذكره السيوطي في «اللآلئ» من طريق عبد الله بن الحارث عن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا الولد في سبيل الأعاجم فإنّ في ارحامهنّ بركة»، وفي سنده أبو ثابت عمران بن عبد العزيز، وهو منكر الحديث على قلة ما روى، وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٩)، و«الفوائد المجموعة» (٣٣٧/ ١٠)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٠٦)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٣)، وأورد الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١٦٨٢).

٢٣ ـ «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».

«ضعيف»، رواه الترمذي (١١٦١)، وابن ماجه (١٨٥٤)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٧٨٩)، وعزاه الحاكم في «المستدرك»، والحديث عن أم

سلمة ﷺ، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٢٠٠)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٠٧)، و«الضعيفة» (١٤٢٦)، و«ضعيف الجامع» (٢٢٢٧)،

٢٤ ـ «من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

«موضوع»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٣٤)، ورواه ابن حبان عن أنس مرفوعًا، وقال الحسن بن محمد البلخي يروى الموضوعات وإنما هذا من كلام الشعبي ورفعه باطل وكذا قال الذهبي، اهـ، أفاده الشوكاني في «الفوائد» (١/ ١٦٠).

وانظره في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٠)، و«تذكرة الموضوعات» لابن القيسراني (٨١١)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٠)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٧)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٣)، و«الفوائد المجموعة» (٣٣٨/ ١١)، وقال ابن عدي: والحسن هذا ليس بمعروف منكر الحديث عن الثقات، وقاله الذهبي ثم ابن حجر العسقلاني، أفاده الألباني في «الضعيفة» (٧٣٠).

٢٥ ـ «شاوروهنّ وخالفوهنّ»، ـ يعني النساء.

«لا أصل له مرفوعًا»، انظره في «المقاصد» (٢٤٨)، و«الدر» (٢٦٧)، و«الأسرار المرفوعة» (٢٤٠)، و«الفوائد الموضوعة» (٧٦)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٨)، و«الفوائد المجموعة» (٣٥٩)، و«أسنى المطالب» (١٢٥)، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ «لا أصل له مرفوعًا» انظر في «الضعيفة» (٤٣٠).

٢٦ ـ «طاعة المرأة ندامة».

«موضوع»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٠)، وفي إسناده: عنبسة بن عبد الرحمن وليس بشيء، وعثمان بن عبد الرحمن الطرائفي لا يحتج به،

ورواه العقيلي عن عائشة عن النبي ﷺ وقال: «طاعة النساء ندامة»، وفي إسناده محمد بن سليمان بن أبي بركة، قال العقيلي حدث عن هشام ببواطيل لا أصل لها منها هذا الحديث، اهـ. أفاده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ١٦٨)، وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٢)، و«تنزيه الشريعة» (١/ ٢١٠)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٤)، و«الفوائد المجموعة» (٣٥٩/ ٣٢)، و«الأسرار المرفوعة» (٢٢٣)، لعلي القاري.

وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٣٥): موضوع.

٢٧ ـ «هلكت الرجال حين أطاعت النساء فإنَّ في خلافهنَّ بركة».

«ضعيف»، رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي بكرة وفيه بكار وهو ضعيف، وانظره في «الفوائد» المجموعة» بإثر (٣٥٩/ ٣٢)، و«الضعيفة» (٤٣٦)، وانظر «فتح الباري» (٥/ ٣٤٧).

٢٨ ـ «للمرأة عشرة عورات، فإن تزوجتْ ستر الزوج عورة واحدة، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات».

«ضعيف جدًا»، أخرجه الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعاني في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضعيف، والطبراني في الصغير بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٨٤)، وانظر معه تخريج العراقي لأحاديث الإحياء.

٢٩ ـ «إياكم وخضراء الدِّمن، قيل وما خضراء الدِّمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

«ضعيف جدًا»، رواه الديلمي والدارقطني في «الأفراد» من حديث أبي سعيد الخدري، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٦٢/ ٣٥)، و«تذكرة الموضوعات»،

للفتني (١٢٧)، و«الأسرار المرفوعة» (١٣٨)، و«كشف الخفا» (١/ ٣١٩)، و«المغني عن حمل الأسفار» للعراقي (٢/ ٤٢)، وقال الدارقطني: لا يصح من وجه وتفرد به الواقدي وهو ضعيف، والحديث ذكره الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٤٥)، والألباني في «الضعيفة» (١٤).

٣٠ ـ «إنَّ الرجل ليجامع، فيكتب له أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقُتل».

«موضوع»، قال في «المختصر»: لم يوجد، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٦١/ ٣٤)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٧)، و«المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٥٣).

٣١ ـ عن عائشة رضي الله عنها أنّ فتاة دخلت عليها فقالت: «إنّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع به خسيسته، وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أعلم أن للنساء من الأمر شيئًا»؟

«ضعيف شاذ»، رواه النسائي (٣٢٦٩)، وأحمد (٦/ ١٣٦)، وابن ماجه (١٨٧٤)، والدارقطني (٣/ ٢٣٢)، والحديث من رواية كهمس بن الحسن عبد الله بن بريدة عن عائشة رضي الله عنها، قال الدارقطني عقبه: «وهذا مرسل، لأنّ ابن بريدة لم يسمع من عائشة شيئًا» اهـ.

وكل الرواة عن كهمس قالوا: عن عبد الله بن بريدة عن عائشة، سوى وكيع فقال عن ابن بريدة عن أبيه، قال: فذكر الحديث وهذه رواية ابن ماجه.

قال الألباني: «وهذا خطأ، فقد قال الإمام أحمد: ثنا وكيع ثنا كهمس عن عبد الله بن بريدة عن عائشة، وهذا هو الصواب أنّ الحديث عن عائشة لموافقة

هذه الرواية عن وكيع لرواية الجماعة عن كهمس» اهـ، انظر نقد «الكتاني» (ص٤٦)، وانظره في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤١١)، و«ضعيف سنن النسائي» (٢٠٩)، و«غاية المرام» (٢١٧).

٣٢ ـ قول عمر «انتجبوا المناكح، وعليكم بذوات الأوراك فإنهنّ أنجب».

«موضوع»، قال في المختصر: لا يصح. رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (٢/ ١١٥)، وأورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٣٦٤/ ٣٧)، والفتني في «تذكرة الموضوعات» (١٢٧).

٣٣ ـ «أيما شاب تزوج في حداثة سنه عجَّ شيطانه، يا ويله عصم مني دينه».

«ضعيف»، ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٥٣)، من حديث جابر، وقاله «وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك»، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٦٨٦).

٣٤ ـ «ثلاثة يا عليُّ لا تؤخرهنَّ الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤًا».

«ضعيف»، رواه الديلمي في «الفردوس» (٥٥٠٧)، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٦٩٣).

٣٥ ـ «من أدرك له ولد وقد بلغ النكاح وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما».

«ضعيف»، انظر فيض القدير (٦/ ٣)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ٤٩٠)، وأورده ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٦٩٣).

٣٦ ـ «ما من شيء خير لامرأة من زوج أو قبر».

«ضعيف جدًا»، رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا، وانظر «الفتح الكبير» للسيوطي (٣/ ٢٧).

٣٧ ـ «للمرأة ستران: القبر والزوج».

«موضوع»، رواه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١١١)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٨٨٧)، وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٣/ ٢٧٣)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣١٢)، وقال: «وفيه خالد بن يزيد القسري قال أبو حاتم ليس بالقوي» اهـ، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٨٣٠/ ١٨٢).

٣٨ ـ «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجرد تجرد العيرين».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩٢١)، عن عتبة بن عبد السلمي، وفي سنده الأحوص بن حكيم وهو ضعيف وبه أعله البوصيري، وفيه علة أخرى، وهي ضعف الراوي عن الوليد بن القاسم الهمداني، ضعفه ابن معين وغيره.

وقال ابن حبان «انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم فخرج عن الاحتجاج به»، ولهذا جزم العراقي في «تخريج العراقي» (٤٦١٢)، بضعف سنده. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٢١)، و«الإرواء» (٢٠٠٩)، و«آداب الزفاف» (٣٧، ٣٨)، وقال فيه أخرجه النسائي في «عشرة النسائي» (١/ ٧٩)، والمخلص في «الفوائد المنتقاه» (١٠/ ١٣)، وابن عدي (١٤٩/ ٢)، عن عبد الله ابن سرجس، وقال النسائي: «حديث منكر وصدقه بن عبد الله ـ يعني أحد رواته ـ ضعيف». ورواه البيهقي في «سننه» (٧/ ١٩٣)، عن ابن مسعود، وضعفه البيهقي بقوله: «تفرد به مندل بن علي وليس بالقوي»، ثم ذكره بنحو من حديث أنس وقال: «إنه منكر» اهـ، انظر «آداب الزفاف» (٣٧، ٣٨).

٣٩ ـ «إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى».

«موضوع»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٠٧)، عن ابن عباس مرفوعًا، وقال ابن حبان موضوع، وكذا قال ابن أبي حاتم في «العلل»، عن أبيه، ذكره

ابن الجوزي في «الموضوعات»، وأخرجه البيهقي في «سننه»، وفي سنده «بقية»، قال ابن حبان كان «بقية» يروي من كذابين، ويدلس، وكان له أصحاب يسقطون الضعفاء في حديثه.

وانظره في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٩)، و«الفوائد المجموعة» (٣٥٧/ ٣٠)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٦)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٠)، و«الميزان» (١٢٥٠)، وأورد الألباني في «الضعيفة» (١٩٥)، وقال: موضوع، وقال: والنظر الصحيح يدل على بطلان الحديث، فإن تحريم النظر بالنسبة للجماع من باب تحريم الوسائل، فإذا أباح الله تعالى للزوج أن يجامع زوجته فهل يعقل أن يمنعه من النظر إلى فرجها! اللهمَّ لا.

ويؤيد هذا من النقل حديث عائشة قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد...»، أخرجه الشيخان، فإنَّ الظاهر من هذا الحديث جواز النظر، وإذا تبين هذا فلا فرق حينئذٍ بين النظر عند الاغتسال أو الجماع، فثبت بطلان الحديث، اهـ. «الضعيفة» (١٩٥)، وانظر «آداب الزفاف» (ص٣٩).

٤٠ ـ حديث: «أنَّه ﷺ أمر النساء بالغنج لأزواجهنَّ عند الجماع».

«لا أصل»، انظره في «أحاديث القصاص» (٦٨)، وقال ابن تيمية: ليس هذا من كلام النبي ﷺ، وانظره كذلك في «الفوائد الموضوعة» (١٤٦).

٤١ ـ «كان رسول الله ﷺ يغطي رأسه، ويغض صوته، ويقول للمرأة: عليك بالسكينة».

«ضعيف جداً»، رواه الخطيب في «التاريخ» من حديث أم سلمة بسند ضعيف، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٧٣)، وضعَّفه العراقي.

٤٢ - «لا يقع أحدكم على امرأته كما يقع على البهيمة، وليكن بينهما رسول»، قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «القبلة والكلام».

«منكر»، رواه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أنس، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٧٣)، وضعفه العراقي.

٤٣ - «إنّ في الجمعة ساعة، لن يدعو الله فيها أحد إلا استجيب له، إلا أن تكون امرأة زوجها عليها غضبان».

«باطل لا أصل له»، رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٠٥)، عن ابن عمر مرفوعًا وقال إنّه باطل بهذا الإسناد وآفته: إسماعيل بن يحيى، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٧١/ ٤٤).

٤٤ - «الوليمة أول يوم حق، والثاني معروف، والثالث رياء وسمعة».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩١٥)، وبنحوه الترمذي (١٠٩٧)، من حديث ابن مسعود، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٢٠)، و«ضعيف الجامع» (٦١٦٧).

٤٥ - «البغايا اللاتي ينكحن أنفسهن بغير بينة».

«ضعيف»، رواه الترمذي (١١٠٣)، وقال هذا حديث غير محفوظ لا نعلم أحدًا رفعه إلا ما روي عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة مرفوعًا، والصحيح ما روي عن ابن عباس قوله: «لا نكاح إلا ببينة».

٤٦ - «من أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين في النكاح».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩٧٥)، من حديث أبي رُهيم، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٢٩)، و«الضعيفة» (٣٢٠٣).

٤٧ _ «اللهمَّ هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩٧١)، وأبو داود (٢١٣٤)، والنسائي (٣٩٤٣)، والترمذي (١١٤٠) من حديث عائشة، والحديث لا يصح موصولاً، وهومرسل أصح.

وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٣٧٠). و«ضعيف سنن الترمذي»، (١٩٣)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٢٧)، و«ضعيف سنن النسائي» (٢٦١)، وانظر «الإرواء» (٢٠١٨)، و(٧/ ٨٣-٨٤-٨٥)، و«صحيح سنن أبي داود» (١٨٥٢).

٤٨ _ «من صبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون».

«لا أصل له»، رواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١٣٥)، وانظره في «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٨)، وذكره الغزالي في «الإحياء»، وقال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل، وانظره «الضعيفة» (٦٢٧)، و«الفوائد الموضوعة» (٣٧٨/ ٥١).

٤٩ _ «تعس عبد الزوجة».

«لا أصل له»، انظره في «تذكرة الموضوعات» (١٢٨)، و«المغني عن حمل الأسفار» للعراقي (٢/ ٤٦)، وقال لم أقف له على أصل، وانظره كذلك في «الفوائد المجموعة» (٣٨٠/ ٥٣)، والمعروف «تعس عبد الدينار»، رواه البخاري (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥٠ _ «مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب»

يعني: الأبيض البطن.

«ضعيف»، رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٦٦)، وقال العراقي: ضعيف وانظره في «تذكرة الموضوعات» (١٢٩)، و«كشف الخفا» (٢/ ٢٢٤)، و«الفوائد المجموعة» (٣٨٢/ ٥٥).

٥١ ـ «تزوجوا فقراء يغنكم الله».

«لا أصل له»، انظره في «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٣)، و«الدر» (١٦٧)، و«الحلية» (٩/ ٣٢٩)، و«الكامل» (٦/ ٣٩٠)، و«العلل المتناهية» (٢/ ٤٣٤)، و«أحاديث القصاص» (٦٦)، و«المقاصد» (١٥٦)، و«الكشف» (١/ ١٧٩)، و«التمييز» (٢٩)، و«الفوائد الموضوعة» للكرمي (٦٦).

٥٢ ـ «ثلاثة يدعون الله فلا يُستجاب لهم: رجل له امرأة سيئة الخُلق فلم يطلقها، ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ، ورجل أقرض رجلاً مالاً فلم يُشهد».

«ضعيف»، رواه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري.

٥٣ ـ «إذا استصعب على أحدكم دابته، أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه».

«ضعيف جداً»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٣٧٩/ ٥٢)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٨)، وأورد الغزالي في «الإحياء» (٢/ ١٩٥)، وقال الحافظ العراقي في «تحقيقه للإحياء»، رواه أبو منصور الديلمي في «سند الفردوس» من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف، اهـ.

٥٤ ـ «أجيعوا النساء جوعاً غير مضر، وأعروهنَّ عرياً غير مبرح».

«لا أصل له»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٣٣)، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٨١/ ٥٤)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٨٢)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٨١، ١٨٢)، بمثله بلفظ: **«أعروا النساء يلزمن الحجال»**، وكذا **«استعينوا على النساء بالعري»**، وكلاهما لا أصل له.

٥٥ ـ «الأرملة الصالحة سميت شهيدة في السماء».

«لا أصل له»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٣٨٣/ ٥٦)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٩٦)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٩).

٥٦ ـ «لا يُسأل الرجل فيما يضرب امرأته، ولا تنم إلا على وتر».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٩٨٦)، وأبو داود (٢١٤٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤٦٩)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٣١)، و«الضعيفة» (٤٧٧٦)، و«ضعيف الجامع» (٦٢١٨)، و«الإرواء» (٢٠٣٤)، و«المشكاة» (٣٢٦٨).

٥٧ ـ «إذا خرجت المرأة من بيتها بغير إذن زوجها لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر إلا أن يرضى عنها زوجها».

«ضعيف جداً»، قال في «الذيل»، هو من نسخة أبي هدبة عن أنس مرفوعًا، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٨٤/ ٥٧).

٥٨ ـ «المرأة وزوجها إذا اختصما في البيت يكون الشيطان يصفق يقول فرج الله من فرحتي».

«لا يصح»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٣٨٥/ ٥٨)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٩٦)، و«تذكرة الموضوعات» (١٢٩).

٥٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ امرأة جاءت إلى النبيّ ﷺ، فأسلمت، فتزوجها رجل، قال: «فجاء زوجها الأول فقال: يا رسول الله إنِّي قد كنت أسلمت معها، وعَلِمَتْ إسلامي قال: فانتزعها رسول الله ﷺ من زوجها الآخر، وردّها إلى زوجها الأول».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٢٠٠٨)، وأبو داود (٢٢٣٨)، والترمذي (١١٥٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤٩٠)، و«ضعيف سنن الترمذي» (١٩٥)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٣٥).

٦٠ - «شهوة النساء تضاعف شهوة الرجال».

«ضعيف»، انظره في «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٣٠)، و«كشف الخفا» (٢/ ٢٠)، و«الفوائد المجموعة» (٣٨٦/ ٥٩).

٦١ - «فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة، ولكن الله ألقى عليهنَّ الحياء».

«منكر»، انظره في «المقاصد»، وفيه من لم يوجد ومن فيه كلام ومن لم يوثق توثيقًا يُعتد به. وانظر في «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٣٨٦/ ٥٩).

٦٢ - عن أبي أمامة قال: أتت النبي ﷺ امرأة معها صبيان لها، قد حملت أحدهما، وهي تقود الآخر، فقال رسول الله ﷺ: «حاملات والدات، رحيمات، لولا ما يأتين إلى أزواجهنَّ دخل مصلياتُهنَّ الجنَّة».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٢٠١٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٣٩)، و«الروض» (٩٠٥).

٦٣ - «لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله».

«لا أصل له»، انظره في «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٣١)، و«الفوائد المجموعة» (٣٩٤/ ٦٧).

٦٤ - «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٢٠١٨)، وأبو داود (٢١٧٨)، ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤٧٢)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٤١)، و«المشكاة» (٣٢٨٠).

٦٥ ـ «من قعد مع أهله مقعداً فقرأ آية وهي قول الله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح: ١٠)، إلى آخرها ـ إلا جعل الله له غلاماً، وأمدَّه بالمال وجعله في سعة من الرزق».

«موضوع»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٦٨/٣٩٥)، و«تذكرة الموضوعات» (١٣١).

٦٦ ـ «أربع من النساء لا ملاعنة بينهنَّ، النصرانية تحت المسلم، واليهودية تحت المسلم، والحرة تحت المملوك، والمملوكة تحت الحرة».

«ضعيف»، ضعيف ابن ماجه (٢٠٧١)، من حديث عبد الله بن عمرو، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٤٩)، و«الضعيفة» (٤١٢٧).

٦٧ ـ «طلاق الأمة اثنتان وعدتها حيضتان».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٢٠٧٩)، وأبو داود (٢١٨٩)، والترمذي (١١٨٢) بنحو من حديث عائشة رضي الله عنها.

وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤٧٥)، و«ضعيف سنن الترمذي» (٢٠٦)، و«الإرواء» (٢٠٦٦)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٥٢)، و«المشكاة» (٣٢٨٩).

٦٨ ـ «من تزوج امرأة لمالها حرمه الله مالها وجمالها».

«موضوع»، انظره في «أحاديث القصاص» (٦٥)، و«الفوائد الموضوعة»، (١٠٧)، و«المقاصد» (٤٠٦)، و«الدر» (٣٨٤)، و«الأسرار» (٤٧٥).

٦٩ ـ «الحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد».

«لا أصل له مرفوعًا»، أخرجه أبو عمر التوقاني في كتابه «معاشرة الأهلين»، موقوفًا على عمر بن الخطاب، وذكره الغزالي في «الإحياء» (٣٨/٢)، وانظر تخريج العراقي للحديث في «مغني الأسفار».

٧٠ ـ «سوداء ولود خير من حسناء تلد».

«ضعيف جدًا»، أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح.

٧١ ـ «فضلت على آدم بخصلتين: كانت زوجته عونًا له على المعصية، وأزواجي أعوان لي على الطاعة».

«ضعيف»، رواه الخطيب في «التاريخ»، من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القدنسي، قال ابن عدي: كان يضع الحديث وذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٤٦).

٧٢ ـ «أيما امرأة زوّجها وليان فهي للأول منهما».

«ضعيف»، رواه أبو داود (١٠٨٨)، والترمذي (١١١٠)، وابن ماجه (٢١٩٠)، والنسائي (٤٦٨٢) من حديث سمُرة.

و«ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤٤٩)، و«ضعيف سنن الترمذي» (١٨٩)، و«ضعيف سنن النسائي» (٣١٦)، و«ضعيف سنن ابن ماجه» (٤٧٣)، و«الإرواء» (١٨٥٣)، و«المشكاة» (٣١٥٦)، و«ضعيف الجامع» (٢٢٢٤).

٧٣ ـ «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح».

«ضعيف»، رواه الترمذي (١٠٨٠)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٧٦٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٧٦٠).

٧٤ ـ «من أنفق على تزويج ابنه أو ابنته درهمًا، أعطاه الله بكل درهم اثنتي عشرة مدينة».

«موضوع»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٣٩٨/ ٧١)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٣١)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢١٥).

٧٥ ـ «إنّ الله كتب الغيرة على النساء، والجهاد على الرجال فمن صبر منهنّ احتساباً كان لها أجر شهيد».

«ضعيف»، ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٢٠)، وقال فيه عبيد بن الصباح ضعفه أبو حاتم ووثقه البزار، وبقية رجال ثقات، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٧٤١).

٧٦ ـ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (٦٦٢، ١٩٢٢)، والطبراني في «الصغير» (ص٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٤٧)، وابن سعد في «الطبقات»، (٨/ ١٣٦)، وفيه مولاة لعائشة وهي مجهولة ولذلك ضعف سنده، والبوصيري في «الزوائد»، ورواه الخطيب (١/ ٢٢٥)، وفي سنده بركة بن محمد الحلبي ولا بركة فيه فإنّه كذّاب وضاع وقد ذكر له الحافظ ابن حجر في «اللسان» هذا الحديث من أباطيله، اهـ. أفاده الألباني في «آداب الزفاف» (٣٧).

وانظره في «ضعيف سنن ابن ماجه» (١٤٣)، و«الإرواء» (١٨١٢)، و«المشكاة» (٣١٢٣)، و«مختصر الشمائل» (٣٠٨).

٧٧ ـ «مكتوب في التوراة من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت فإثم ذلك عليه».

«شاذ منكر»، انظر «الفتح الكبير» للسيوطي (٣/ ١٣٨)، وقال رواه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٠٢/ ح٨٦٦٩)، من حديث عمر بن الخطاب بلفظ: «اثنتي عشرة سنة»، و«فيض القدير» (٦/ ٣)، وقال البيهقي بعد تخريجه لهذا الأثر، قال الحاكم وهذا وجدته في أصل كتابه ـ وهذا إسناده صحيح والمتن شاذ بالمرة، وقال الإمام أحمد: إنما يرويه بالإسناد الأول وهو بهذا الإسناد منكر.

٧٨ ـ «إنَّ للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء».

«ضعيف»، رواه ابن ماجه (١٥٩٠)، من حديث حمنة بنت جحش، وانظره في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٣٤٧)، و«الضعيفة» (٣٢٣٣)، و«ضعيف الجامع» (١٩٦٠).

٧٩ ـ «لعن رسول الله المسوفة والمفسلة، فأما المسوفة: فالتي إذا أرادها زوجها قالت: سوف الآن، وأما المفسلة: التي إذا أرادها قالت إنِّي حائض وليست بحائض».

«ضعيف»، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٤/ ٢٩٦)، عن أبي هريرة مرفوعًا، وفيه يحيى بن العلاء وهو ضعيف، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٧٣٤).

٨٠ ـ «لعن الله المسوفات»، قيل وما المسوفات يا نبي الله؟ قال: «التي يدعوها زوجها إلى فراشها فتقول سوف حتى تغلبه عيناه».

«ضعيف»، ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٩٦) عن ابن عمر مرفوعًا، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، و«الكبير» من طرق جعفر بن ميسرة الأشجعي عن أبيه، وميسرة ضعيف ولم أر لأبيه من ابن عمر سماعًا، وذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» (٢/ ٧٣٥).

٨١ ـ «احبوا البنات فأنا أبو البنات».

«ضعيف»، انظره في «الفوائد المجموعة» (٣٩٧/ ٧٠)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢١٧).

٨٢ ـ «قلة العيال أحد اليسارين، وكثرته أحد الفقرين».

«ضعيف»، قال في «المقاصد» هو في «الإحياء»، والشطر الأول للقضاعي والديلمي بسندين ضعيفين، وانظره في «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٣٢)،

و«كشف الخفا» (٢/ ١٤٨)، وعزاه العراقي في «المغني» (١/ ٢٤)، إلى القضاعي في «مسند الشهاب»، وللديلمي في «مسند الفردوس» من حديث عبد الله بن عمر، وابن هلال المزني كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين، وانظره كذلك في «الفوائد المجموعة» (٣٩٩/ ٧٢).

٨٣ - «تزوجوا ولا تطلقوا، فإنَّ الطلاق يهتز له العرش».

«موضوع»، رواه الخطيب عن علي ﷺ مرفوعًا، وفي إسناده عمرو ابن جميع، يروي الموضوعات عن الأثبات، ورواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٥٧)،وعنه الديلمي جميع ما يروي الموضوعات عن الأثبات، ورواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٥٧)، وعنه الديلمي (٢/ ٣٠١)، والبغدادي في «تاريخه» (١٢/ ١٩١)، وابن عدي (٥/ ١٧٦٤)، وانظر في «الفوائد المجموعة» (٤٠٢/ ١)، و«الضعيفة» للألباني (٧٣١)، وقال: «وهذا الحديث يلهج به كثير من الخطباء الذين يكادون يصرحون بتحريم الطلاق الذي أباحه الله تبارك وتعالى، وبعضهم يضع القيود العملية لمنع وقوع الطلاق، ولو كان بمحض اختيار الزوج فإلى الله المشتكى» اهـ.

٨٤ - «النطفة التي يخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها».

«موضوع»، قال في «الذيل» في إسناد كذَّاب، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٤٠٠/ ٧٣)، و«تنزيه الشريعة» (١/ ٢٦٦).

٨٥ - «بادروا أولادكم بالكنى قبل أن تغلب عليهم الألقاب».

«ضعيف»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٤٨)، وقال الحافظ ابن حجر في «نزهة الألباب»: رواه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عمر رفعه، وإسناده ضعيف، والصحيح عن ابن عمر قوله موقوفًا، وانظره في «تنزيه

الشـريعـة» (١/ ١٩٩)، و«تذكرة الموضـوعـات» لابن طاهر (١٣٢)، و«الفـوائد المجموعة» (٤٠١/ ٧٤).

٨٦ ـ «من مشى في تزويج بين اثنين حتى يجمع الله بينهما أعطاه الله بكل خطوة، وبكل كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة، وصيام نهارها وقيام ليلها، ومن مشى في تفريق بين اثنين حتى يفرق بينهما، كان حقًا على الله أن يضرب رأسه يوم القيامة بألف صخرة من نار جهنم».

«موضوع»، رواه الخطيب عن أبي هريرة، وابن عباس ومرفوعًا وهو موضوع ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس بنحـوه، وقال تفرد به القاسم بن بهرام، قـال ابن حـبـان لا يجـوز الاحتـجـاج به، وانظره في «الـفوائد المجـمـوعـة» (٤٠٤/ ٣)، و«الموضـوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٩)، و«تـذكرة الموضـوعات» للفتني (١٢٥).

٨٧ ـ «من هلك من أمتي، فترك خلفًا يصلي صلاته، ويقوم مقامه فلم يمت».

«موضوع»، انظره في «الفـوائد المجموعـة» (٣٩٦/ ٦٩)، و«تنزيه الشـريعة» (١/ ١٣٨، ٢/ ٢١٧)، و«تذكرة الموضوعات» (١٣١).

٨٨ ـ «لا تضربوا أولادكم على بكائهم».

«مـوضـوع»، رواه الخطيب (١١/ ٣٣٨)، وانظـره في «الموضـوعـات» لابن الجوزي (١/ ١٥٣)، و«الفوائـد المجموعة» (٣٩٢/ ٦٥)، و«تذكرة المـوضوعات» (١١٠) للفتني.

٨٩ ـ «الولد سر أبيه».

«لا أصل له»، انظره في «الفـوائد المجـمـوعـة» (٣٨٧/ ٦٠)، و«الأسـرار المرفوعة» (٣٧٨)، و«تذكرة الموضوعات» (١٣٠)، وذكره الألباني في «الضعيفة»

(٤٨)، وانظره كذلك في «الدر» (٤٣٤)، والزركشي (٢١٤)، و«المقاصد» (٤٥٣)، و«التميز» (١٨٣)، و«الكشف» (٢/ ٣٣٨)، و«الفوائد الموضوعة» للكرمي برقم (١٢٢).

٩٠ - «لأن يربي أحدكم جرو كلب خير له من أن يربي ولداً من صلبه»، وحديث: «لأن يربيَ أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة سنة جرو كلب خير له من أن يربي ولداً لصلبه».

«موضوع»، قال الهيثمي: هذا موضوع، ورواه أبو نعيم في «الحلية»، والحاكم في «تاريخه» من حديث أنس ولفظه الأول وفيه مجهولان وآخر لا يصح للرواية، وانظره في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٨)، و«الفوائد المجموعة» (٣٧٧/ ٥٠).

٩١ - «من كانت عنده ابنة فقد فُدح، ومن كانت عنده ابنتان فلا حج عليه، ومن كانت عنده ثلاث فلا صدقة عليه. ولا قرى ضيف، ومن كانت عنده أربع فيا عباد الله أعينوه اعينوه اقرضوه اقرضوه».

«موضوع»، رواه الحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعًا وقد عده ابن الجوزي في «الموضوعات»، رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١/ ٤٩٩)، وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٥)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٠)، و«الفوائد المجموعة» (٤٧٣/ ٤٦)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٥).

٩٢ - «إذا حملت المرأة فلها أجر الصائم المخبت المجاهد في سبيل الله، فإذا ضربها الطلق فلا يدري أحد من الخلائق ما لها من الأجر، فإذا أرضعت كان لها بكل مضغة أو رضعة أجر نفس تحييها، فإذا فطمت ضرب الملك على منكبها وقال استأنفي العمل».

«موضوع»، أخرجه ابن حبان في «الأوسط» من حديث أنس وفي إسناده عمرو بن سعيد عن أنس.

قال ابن حبان: عمرو بن سعيد، الذي روى هذا الحديث الموضوع عن أنس لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة الاختبار للخواص وقال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٥): قلت أخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده»، من طريق هشام بن عمار، وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ١٧٢): قلت: هشام بن عمار يرويه عن عمار بن نصر عن عمرو بن سعيد، فإخراج هذا الحديث في كتاب آخر من طريق هذا الوضاع لا يأتي بفائدة.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٣٥)، وانظر في «المجروحين» لابن حبان (١/ ٢٣٨)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢١١)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٥)، و«الفوائد المجموعة» (٣٧٢/ ٤٥).

٩٣ - «إنَّ من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى».

«موضوع»، رواه الخرائطي عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا وفي إسناده العلاء بن كثير الدمشقي يروي الموضوعات، وآخر متروك، وقد رواه ابن مردويه في «التفسير»، وأبو الشيخ من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجال سنده كلهم ساقطون، وآخرهم عباد بن عبد الصمد، هالك ولم يدرك عائشة.

وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٦)، و«الفوائد المجموعة» (٣٧٥/ ٤٨)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٦)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠٢).

٩٤ - «من حمل طُرفة من السوق إلى ولده، كان كحامل صدقة، وابدأوا بالإناث».

«ضعيف جدًا»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٥٤)، عن أنس مرفوعًا وفي إسناده حماد بن عمرو النصيبي وضاع، وآخران متروكان، وقال العراقي في «تخريج الإحياء»: سنده ضعيف، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٧٧٦/ ٤٩)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٧).

٩٥ ـ «ما من أحد ولِدَ له جارية فلم يسخط ما خلق الله تعالى إلا هبط ملك من السماء بجناحين أخضرين».

«موضوع»، رواه النقاش عن علي مرفوعًا، وقال: وضعه منصور ابن الموفق، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٤٧/٣٧٤)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٥)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٧٦)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠١).

٩٦ ـ حديث أنَّ رسول الله ﷺ شهد إملاك رجل من أصحابه، وضرب بالدف ونُثر عليه أطباق عليها فاكهة سكر فأمرهم بالانتهاب وقال: «إنما نهيتكم عن نُهبة العساكر».

«موضوع»، رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٦)، من حديث أنس وفي إسناده خالد بن إسماعيل الأنصاري يضع الحديث، ورواه الطبراني عن معاذ مرفوعًا وفي إسناده: مجهولان، وقال الذهبي في «الميزان» بعد إيراد هذا الحديث هكذا فليكن الكذب.

وانظره في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٦)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٥)، و«الفوائد المجموعة» (١٩/٣٤٦)، وأورده الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٥٦)، وعزاه للطبراني في «الكبير»، وقال: وفيه حازم مولى بني هاشم عن لمازة، وليس ابن زياد، هذا متأخر ولم أجد له من ترجمة، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

ورواه بنحو هذا الحديث البيهقي (٧/ ٢٨٨)، والعقيلي (١/ ١٤٢)، وأورده الذهبي في «الميزان» (١١٨١)، وابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٦٦).

٩٧ ـ «لا تسكنوهنَّ الغرف، ولا تعلموهنَّ الكتابة، وعلموهنَّ المغزل وسورة النور».

«موضوع»، رواه الخطيب البغدادي (١٤/ ٢٢٤)، عن عائشة مرفوعًا وفي إسناده محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد أخرجه الحاكم في

«المستدرك» من غير طريق وقال صحيح الإسناد، وتعقبه ابن حجر في أطرافه فقال: إنَّ في إسناد الحاكم عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك. ورواه سعيد بن منصور عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور».

ورواه البيهقي في «الشعب» عن عمر بن الخطاب أنه كتب: «تعلموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور». ورواه ابن عدي عن ابن عباس مرفوعًا: «لا تعلموا نساءكم الكتابة، ولا تسكنوهنَّ العوالي»، وقال: «خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المؤمنة المغزل»، وفي إسناده جعفر بن نصر يحدث عن الثقات بالبواطيل» اهـ. أفاده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ١٦٤، ١٦٥).

وانظره في الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٩)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ١٠٨)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٢٩)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٨).

٩٨ ـ «لا يصلح المكر والخديعة إلا في النكاح».

«موضوع»، رواه الأزدي عن عائشة مرفوعًا، وفي إسناده علي بن عروة، قال عنه ابن حبان: كان يضع الحديث، وانظره في «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٢٦٩)، و«الفوائد المجموعة» (٣٥٥/ ٢٨)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٩)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٠١).

٩٩ ـ «أول حُبٍّ في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة».

«موضوع»، رواه الدارقطني عن أنس مرفوعًا وفي إسناده كذابان، وانظره في «الفوائد المجموعة» (٣٥٢/ ٢٥)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٦٧).

١٠٠ ـ «شكا رجل قلة الولد فأمر أن يأكل البيض والبصل».

«موضوع»، انظره في «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٣٩٣/ ٦٦).

١٠١ ـ «لأن يؤدب الرجل ولده، خير له من أن يتصدق بصاع».

«ضعيف»، رواه الترمذي (١٩٥١) وقال: هذا حديث غريب، وناصح بن علاء الكوفي ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه، اهـ.

ورواه أحمد (٥/ ٩٦، ١٠٢)، والحاكم (٤/ ٢٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢١٣).

تلكم مائة كاملة في أحاديث النكاح غير العاملة.

والله ولي التوفيق

الخاتمة نسأل الله حسنها

قال محمد بن الدرديري ـ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ـ: هذا آخر ما تيسر لي جمعه، وحاولت نفعه وترتيبه في هذا الكتاب الذي اجتهدتُ فيه بحصاد ثمرة الفوائد في موضوع (المنهاج في آداب العشرة والزواج)، وقد ضمنته جملة من الأحاديث الصحيحة والأقوال الصريحة، ولم أورد فيه الأحاديث الضعيفة إلا ما كان من القليل النادر للاستئناس مع توضيح ضعفه وسبب رده، وتناولت فيه الأحكام الفقهية وذكر أقوال العلماء في أحكام الزواج التي ذكرتها في الكتاب، وقد خرجت من هذا الكتاب بفوائد ونصائح أجملها فيما يلي:

١ ـ الزواج عبادة لله ـ تعالى ـ ومن نعم الله على الناس، فعلى المسلم أن يعجِّل به ما دام مستطيعًا.

٢ ـ لابد من وجود المودة وحسن العشرة بين الزوجين حتى تكون السعادة المرجوة من هذا الزواج.

٣ ـ إقامة الدين والشرع في بيوت المسلمين هو السبب الأول في استقرارها ودوامها والمعصية خراب عاجل لمن ارتكبها.

٤ ـ للزوج حق على زوجته أمام واجب عليه تجاه زوجته والزوجة كذلك فأعط كل ذي حق حقه.

٥ ـ أوصي الزوجين بقراءة سيرة النبي ﷺ عامة وكزوج خاصة؛ حتى يقف المسلم على حياة النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله في حسن معاشرته لأزواجه.

٦ ـ أوصي باقتناء الكتب المفيدة في هذا الأمر ككتاب «عودة الحجاب» للشيخ الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم، وكتاب «نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام» للدكتور/ عبد الرحمن الصابوني، و«نظرات في الأسرة المسلمة» للدكتور/ محمد بن لطفي الصباغ، و«آداب الزفاف» للألباني، و«آداب الخطبة والزفاف»، و«حقوق الزوجين» د/ عبد الله ناصح علوان، وكتاب «روضة المحبين» لابن القيم، «وحي القلم» للرافعي.

وختامًا لا يسعني إلا أن أشكر اللهَ أولاً وآخراً ثمَّ كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، وأشكر كل من ساعدني بكلمة أو بتشجيع، وهذا كتابنا يُهدى لأصحاب القلوب الحية، فإن كان هناك توفيق فذلك من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وأرجو من كل قارئٍ لكتابي وناظر في كلامي إن وجد خطأً أن ينصحني في الله تعالى، لأنَّ الدين النصيحة، والكمال لله وحده، فلا يفرح بخطئي ولا ينشر عثراتي فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وما أجمل ما قاله ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «إلهي لا تُعذبْ لسانًا يُخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تَدلُ عليك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسول الله ﷺ، فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أنِّي كنتُ أَدلُّ على دينك».

سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

ابو معاذ/ محمد الدرديري الأزهري

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ «آداب الخطبة والزفاف»، د/ عبد الله ناصح علوان ـ دار السلام ـ القاهرة.

٣ ـ «آداب الحياة الزوجية»، سعد أبو غريز ـ مكتبة التوفيقية.

٤ ـ «آداب الزفاف في السنة المطهرة»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٥ ـ «أحاديث الفتن والملاحم»، مصطفى العدوي ـ مكتبة مكة.

٦ ـ «أحكام الجنائز»، الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.

٧ ـ «أحكام النساء»، ابن الجوزي ـ مكتبة أولاد الشيخ.

٨ ـ «إحياء علوم الدين»، الغزالي ـ مكتبة الإيمان ـ المنصورة.

٩ ـ «أخلاق النبي ﷺ»، لأبي الشيخ ـ دار ابن رجب.

١٠ ـ «أضواء البيان»، للشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية.

١١ ـ «آيات الله المبصرة»، توفيق علوان ـ دار بلنسية.

١٢ ـ «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٣ ـ «إغاثة اللهفان»، ابن القيم الجوزية ـ دار التقوى.

١٤ ـ «أوضح المسالك إلى ألفية مالك»، لابن هشام ـ المكتبة العصرية.

١٥ ـ «الأذكار»، النووي ـ دار ابن رجب.

١٦ ـ «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، للقاري ـ دار القلم.

١٧ ـ «الاستقامة»، ابن تيمية ـ مكتبة الرشد.

١٨ ـ «الأسرة في الإسلام»، علي بن إسماعيل ـ مكتبة أولاد الشيخ.

١٩ ـ «الإمتاع والمؤانسة»، أبو حيان التوحيدي ـ المكتبة العصرية.

٢٠ ـ «الإنشراح في آداب النكاح»، أبو إسحاق الحويني ـ دار الفكر العربي.

٢١ ـ «الأساس في السيرة»، سعيد حوى ـ دار السلام.

٢٢ ـ «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي ـ المكتب الثقافي.

٢٣ ـ «الإبداع في مضار الابتداع»، الشيخ على محفوظ ـ دار الاعتصام.

٢٤ ـ «الأدب المفرد»، للبخاري ـ تحقيق الألباني ـ دار الصديق.

٢٥ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، لابن تيمية ـ دار ابن رجب.

٢٦ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر ـ دار نهضة مصر.

٢٧ ـ «الأم»، للإمام الشافعي ـ طبعة الشعب.

٢٨ ـ «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن»، أبو إسحاق الحويني ـ مكتبة التوعية الإسلامية.

٢٩ ـ «بذل المجهود في ختم أبي داود»، للسخاوي ـ مؤسسة الرسالة.

٣٠ ـ «البدع والمحدثات»، مجموعة علماء ـ دار ابن خزيمة.

٣١ ـ «البداية والنهاية»، ابن كثير ـ دار الفكر.

٣٢ ـ «بلوغ المرام»، ابن حجر ـ دار العقيدة.

٣٣ ـ «بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين»، سليم الهلالي ـ دار ابن الجوزي

٣٤ ـ «البحر الرائق في الزهد والرقائق»، أحمد فريد ـ مكتبة التوفيقية.

٣٥ ـ «بصائر ذوي التمييز»، الفيروز أبادي ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣٦ ـ «تاريخ بغداد»، للخطب البغدادي.

٣٧ ـ «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، المباركفوري ـ دار الفكر.

٣٨ ـ «تراجم بيت آل النبوة»، بنت الشاطىء ـ دار الريان.

٣٩ ـ «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام»، عبد الله البسام ـ دار العقيدة.

٤٠ ـ «تحفة العروس»، الاستانبولي ـ دار الفكر.

٤١ ـ «تحفة العروس»، الشهاوي ـ مكتبة التوفيقية.

٤٢ ـ «تحفة الذاكرين»، الشوكاني ـ مكتبة أولاد الشيخ.

٤٣ ـ «التذكرة في أحوال الموتى»، القرطبي ـ دار الحرم.

٤٤ - «تربية الأولاد في الإسلام»، د/ عبد الله ناصح علوان - دار السلام.

٤٥ - «تحفة المولود»، ابن القيم - دار ابن رجب.

٤٦ - «تمام المنة في التعليق على فقه السنة»، الألباني - المكتبة الإسلامية.

٤٧ - «التمهيد»، لابن عبد البر - دار الفرقان - القاهرة.

٤٨ - «تلبيس إبليس»، ابن الجوزي - مكتبة المنار.

٤٩ - «مذكرة الموضوعات»، للفتني.

٥٠ - «تنزيه الشريعة»، لابن عراق.

٥١ - «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير - دار الريان.

٥٢ - «توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع»، محمد جميل زينو - دار السلام.

٥٣ - «تيسير الكريم الرحمن»، عبد الرحمن السعدي - مؤسسة الرسالة.

٥٤ - «تقريب التهذيب»، ابن حجر - دار ابن رجب.

٥٥ - «تهذيب التهذيب»، ابن حجر - دار الكتاب العربي.

٥٦ - «الترغيب والترهيب»، المنذري - المكتبة التوفيقية.

٥٧ - «التأويل الفاسد وأثره السيء على الأمة»، محمد الدرديري (المؤلف) - مكتبة أولاد الشيخ.

٥٨ - «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام الطبري - دار هجر - تحقيق د/ التركي.

٥٩ - «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، ابن الأثير الجزري - دار الفكر.

٦٠ - «الجامع لأحكام القرآن الكريم»، القرطبي - دار علوم القرآن.

٦١ - «جامع العلوم والحكم»، ابن رجب الحنبلي - مؤسسة الرسالة.

٦٢ - «جامع بيان العلم وفضله»، ابن عبد البر - دار ابن الجوزي.

٦٣ - «الجزء في الحديث»، للحافظ ابن ديزيل - مكتبة الغرباء - المدينة المنورة.

٦٤ - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ابن تيمية - دار العاصمة.

٦٥ - «الجزاء من جنس العمل»، سيد العفاني - مكتبة ابن تيمية.

٦٦ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، ابن القيم ـ مؤسسة الرسالة.

٦٧ ـ «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين»، د/ حمدي زقزوق ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٦٨ ـ «حلية الأولياء»، أبو نعيم ـ مطبعة السعادة ـ مصر.

٦٩ ـ «الحلال والحرام»، د/ يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة.

٧٠ ـ «حياة محمد»، عبد المنعم سلامات ـ دار الهدى للنشر.

٧١ ـ «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، للسيوطي ـ دار المعرفة.

٧٢ ـ «الداء والدواء»، ابن القيم ـ دار التقوى.

٧٣ ـ «دولة الإسلام في الأندلس»، عبد الله عنان ـ مكتبة الأسرة.

٧٤ ـ «روضة المحبين»، ابن القيم ـ دار ابن رجب.

٧٥ ـ «الروضة الندية»، صديق حسن خان ـ دار الجيل.

٧٦ ـ «الرحيق المختوم»، المباركفوري ـ دار البشير.

٧٧ ـ «الرياض النضرة في مناقب العشرة»، المحب الطبري ـ المكتبة القيمة.

٧٨ ـ «رياض الصالحين»، النووي ـ مكتبة أولاد الشيخ.

٧٩ ـ «رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً»، عبد الرحمن عميرة ـ مكتبة الأكرة.

٨٠ ـ «رد المحتار على الدر المختار»، ابن عابدين ـ إحياء التراث العربي.

٨١ ـ «الزهد»، أحمد بن حنبل ـ دار الريان.

٨٢ ـ «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، الهيثمي ـ دار الحديث.

٨٣ ـ «زاد المعاد»، ابن القيم ـ مؤسسة الرسالة.

٨٤ ـ «سبل السلام»، للعلام الصنعاني ـ دار الحديث.

٨٥ ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، العلامة الألباني ـ مكتبة المعارف.

٨٦ ـ «سلسلة الأحاديث الضعيفة»، العلامة الألباني ـ مكتبة المعارف.

٨٧ ـ «سنن ابي داود»، دار الريان.

٨٨- «سنن الترمذي»، دار إحياء التراث ودار الإعلام.

٨٩- «سنن ابن ماجه»، دار الريان ودار المعرفة.

٩٠- «سنن النسائي»، دار المعرفة.

٩١- «سنن سعيد بن منصور»، دار الصميعي.

٩٢- «سنن الدارقطني»، مؤسسة الرسالة.

٩٣- «سنن الدارمي»، دار الريان للتراث.

٩٤- «السنن الكبرى» للبيهقي - دار المعرفة.

٩٥- «السنة»، الإمام ابن أبي عاصم - المكتب الإسلامي - تحقيق: الألباني.

٩٦- «السياسة الشرعية»، ابن تيمية - دار الكتاب العربي.

٩٧- «سير أعلام النبلاء»، الذهبي - مؤسسة الرسالة.

٩٨- «السيرة النبوية»، ابن هشام - دار الحديث.

٩٩- «السلوك الاجتماعي في الإسلام»، حسن أيوب - دار التوزيع.

١٠٠- «سكب العبرات»، سيد العفاني - مكتبة معاذ بن جبل.

١٠١- «شرح السنة»، البغوي - المكتب الإسلامي.

١٠٢- «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، اللالكائي - دار البصيرة.

١٠٣- «شرح النووي على صحيح مسلم»، النووي - دار الحديث.

١٠٤- «شرح ديوان الحماسة»، مكتبة ابن تيمية.

١٠٥- «شرح رياض الصالحين»، ابن عثيمين - دار الوطن.

١٠٦- «الشرح الممتع»، ابن عثيمين - دار ابن الجوزي.

١٠٧- «الشمائل»، الترمذي - دار الفكر مع تحفة الأحوذي.

١٠٨- «شعب الإيمان»، للبيهقي.

١٠٩- «الشوقيات»، أحمد شوقي - مكتبة لبنان.

١١٠- «شخصية المرأة المسلمة»، محمد علي الهاشمي - الدار العالمية.

١١١ - «صحيح البخاري»، أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري - طوق النجاة.
١١٢ - «صحيح مسلم»، للإمام مسلم - دار المغني ودار المعرفة.
١١٣ - «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»، مؤسسة الرسالة.
١١٤ - «صحيح ابن خزيمة»، ابن خزيمة - المكتب الإسلامي.
١١٥ - «صحيح الجامع»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١١٦ - «صحيح سنن أبي داود»، الألباني - دار غداس.
١١٧ - «صحيح سنن الترمذي»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١١٨ - «صحيح سنن ابن ماجه»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١١٩ - «صحيح سنن النسائي»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١٢٠ - «صحيح السيرة النبوية»، لابن كثير - تخريج الألباني - المكتبة الإسلامية.
١٢١ - «صحيح الترغيب والترهيب»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١٢٢ - «صحيح وصايا الرسول»، سعد أبو عزيز - المكتبة التوفيقية.
١٢٣ - «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة»، مصطفى العدوي - دار ابن عفان.
١٢٤ - «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»، مصطفى العدوي - دار ابن عفان.
١٢٥ - «صيد الخاطر»، ابن الجوزي - دار الحديث.
١٢٦ - «صفوة التفاسير»، الصابوني - مكتبة جدة.
١٢٧ - «صفوة الصفوة»، ابن الجوزي - دار المعرفة.
١٢٨ - «صفحات مطوية من صبر العلماء»، عبد الفتاح أبو غدة - مكتبة المطبوعات الإسلامية.
١٢٩ - «صور مشرقة من حياة السابقين»، نذير محمد مكي - دار البشائر الإسلامية.
١٣٠ - «صور من حياة الصحابة»، عبد الرحمن رأفت الباشا - مكتبة الأدب الإسلامي.
١٣١ - «ضعيف الجامع»، الألباني - المكتب الإسلامي.
١٣٢ - «ضعيف سنن أبي داود»، الألباني - المكتب الإسلامي.

١٣٣ ـ «ضعيف سنن الترمذي»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٣٤ ـ «ضعيف سنن ابن ماجه»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٣٥ ـ «ضعيف سنن النسائي»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٣٦ ـ «ضحى الإسلام»، أحمد أمين ـ مكتبة الأسرة.

١٣٧ ـ «الطبقات الكبرى»، ابن سعد ـ مكتبة الخانجي.

١٣٨ ـ «طبقات فحول الشعراء»، ابن سلام الجمحي ـ مطبعة المدني.

١٣٩ ـ «عِشْرة النساء»، للنسائي ـ مكتبة السنة ـ القاهرة.

١٤٠ ـ «عمل اليوم والليلة»، ابن السني ـ مكتبة الكليات الأزهرية.

١٤١ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، محمد شمس الحق آبادي ـ دار الفكر.

١٤٢ ـ «عودة الحجاب»، محمد إسماعيل المقدم ـ دار العقيدة.

١٤٣ ـ «العُدة في شرح العمدة»، المقدسي ـ المكتبة التوفيقية.

١٤٤ ـ «عدة الصابرين»، ابن القيم ـ دار ابن الجوزي.

١٤٥ ـ «العَبَرات»، المنفلوطي ـ دار الجيل.

١٤٦ ـ «علوم الهمة»، محمد إسماعيل المقدم ـ دار العقيدة.

١٤٧ ـ «العواصم من القواصم»، لأبي بكر العربي ـ المكتبة السلفية.

١٤٨ ـ «العدة شرح عمدة الأحكام»، للصنعاني ـ مكتبة نزار الباز.

١٤٩ ـ «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام»، الألباني ـ المكتب الإسلامي.

١٥٠ ـ «فتح الباري»، ابن حجر العسقلاني ـ دار الريان.

١٥١ ـ «فتاوى إسلامية»، ابن باز ـ دار الوطن.

١٥٢ ـ «فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية»، مؤسسة الأميرة العنود.

١٥٣ ـ «فتاوى الرسول ﷺ للنساء»، يحيى زكريا ـ دار الغد.

١٥٤ ـ «فتاوى منار الإسلام»، لابن عثيمين.

١٥٥ ـ «فتاوى النساء»، ابن تيمية ـ دار التقوى.

١٥٦ ـ «فتاوى البلد الحرام»، دار ابن الهيثم.

١٥٧ ـ «الفقه على المذاهب الأربعة»، الجزيري ـ المكتبة التوفيقية.

١٥٨ ـ «الفقه الإسلامي وادلته»، د/ وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ سوريا.

١٥٩ ـ «فقه السنة»، سيد سابق ـ دار الفتح للإعلام العربي.

١٦٠ ـ «الفتح الرباني»، للجيلاني ـ المكتبة التوفيقية.

١٦١ ـ «الفوائد»، ابن القيم ـ دار التقوى.

١٦٢ ـ «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، المناوي ـ دار المعرفة.

١٦٣ ـ «فردوس الأخبار»، الديلمي ـ دار الريان.

١٦٤ ـ «فقه السيرة»، الغزالي ـ دار القلم ـ بيروت ـ تخريج الألباني.

١٦٥ ـ «فقه السيرة»، البوطي ـ دار السلام.

١٦٦ ـ «قاعدة في المحبة»، ابن تيمية ـ المكتب الإسلامي.

١٦٧ ـ «قاعدة جلية في التوسل والوسيلة»، ابن تيمية ـ دار الفرقان.

١٦٨ ـ «القاموس المحيط»، المكتبة التجارية.

١٦٩ ـ «الكشاف»، الزمخشري ـ مصطفى الحلبي.

١٧٠ ـ «كشف الخفاء»، العجلوني ـ دار إحياء التراث.

١٧١ ـ «لطائف المعارف»، ابن رجب الحنبلي ـ دار الفجر.

١٧٢ ـ «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة»، السيوطي.

١٧٣ ـ «ليس من الإسلام»، محمد الغزالي ـ مكتبة وهبة.

١٧٤ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث.

١٧٥ ـ «مدارج السالكين»، ابن القيم ـ المكتبة التوفيقية.

١٧٦ ـ «من يظلهم الله»، سيد العفاني ـ مكتبة معاذ بن جبل.

١٧٧ ـ «المدهش»، ابن الجوزي ـ دار الكتب العلمية.

١٧٨ ـ «موسوعة الحقوق الإسلامية»، سعد أبو عزيز ـ المكتبة التوفيقية.

١٧٩ ـ «مختصر صحيح البخاري»، لابن أبي جمرة.

١٨٠ ـ «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة ـ دار ابن رجب.

١٨١ ـ «المروءة وخوارمها»، مشهور بن حسن ـ دار ابن عفان.

١٨٢ ـ «موطأ الإمام مالك»، دار إحياء التراث.

١٨٣ ـ «مواقف إيمانية»، أحمد فريد ـ الدار السلفية.

١٨٤ ـ «مجموع الفتاوى»، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مكتبة ابن تيمية.

١٨٥ ـ «منهاج الطالبين»، النووي ـ دار البشائر الإسلامية.

١٨٦ ـ «مجمع الزوائد»، الهيثمي ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة.

١٨٧ ـ «مشكاة المصابيح»، التبريزي ـ المكتب الإسلامي ـ تحقيق: الألباني.

١٨٨ ـ «مسند أبي يعلى الموصلي»، دار الكتب العلمية.

١٨٩ ـ «مسند أبي داود الطيالسي»، دار هجر ـ القاهرة.

١٩٠ ـ «مسند أبي عوانة»، دار المعرفة.

١٩١ ـ «شرح معاني الآثار»، الطحاوي ـ دار الكتب العلمية.

١٩٢ ـ «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»، نور الدين الهيثمي ـ دار الكتب العلمية.

١٩٣ ـ «موارد الظمآن في دروس الزمان»، عبد العزيز المحمد السلمان.

١٩٤ ـ «مناقب عمر بن الخطاب»، ابن الجوزي ـ مكتبة الأسرة.

١٩٥ ـ «الموضوعات»، ابن الجوزي ـ دار الفكر.

١٩٦ ـ «المحلى»، لابن حزم ـ دار الكتب العلمية.

١٩٧ ـ «المدخل إلى السنن الكبرى»، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت.

١٩٨ ـ «المعجم الصغير»، للطبراني ـ دار الكتب العلمية.

١٩٩ ـ «المعجم الأوسط»، للطبراني ـ دار الحرمين ـ القاهرة.

٢٠٠ ـ «المعجم الكبير»، للطبراني ـ وزارة الأوقاف العراقية.

٢٠١ ـ «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم النيسابوري ـ دار الفكر.

٢٠٢ ـ «المجموع»، للنووي.

٢٠٣ ـ «المصنف»، لابن أبي شيبة ـ الدار السلفية ـ الهند.

٢٠٤ ـ «المغني»، لابن قدامة ـ مكتبة هجر ومكتبة ابن تيمية.

٢٠٥ ـ «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»، أبو الحسن الندوي ـ دار الأنصار ـ القاهرة.

٢٠٦ ـ «المسند»، للإمام أحمد ـ مؤسسة الرسالة.

٢٠٧ ـ «نظرات في الأسرة المسلمة»، د/ محمد لطفي الصباغ ـ المكتب الإسلامي.

٢٠٨ ـ «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير ـ دار الفكر.

٢٠٩ ـ «نيل الأوطار»، للشوكاني ـ دار الحديث.

٢١٠ ـ «نداء الريان»، سيد العفاني ـ مكتبة معاذ بن جبل.

٢١١ ـ «نظرة الإسلام لعيسى ابن مريم»، ابن كثير ـ دار المنار.

٢١٢ ـ «النظرات»، للمنفلوطي ـ المكتبة التوفيقية.

٢١٣ ـ «هذا الحبيب يا محب»، أبو بكر الجزائري ـ دار السلام.

٢١٤ ـ «هموم داعية»، محمد الغزالي ـ دار البشير.

٢١٥ ـ «وحي القلم»، الرافعي ـ المكتبة العصرية.

٢١٦ ـ «وقفات تربوية مع السيرة النبوية»، أحمد فريد ـ الدار السلفية.

٢١٧ ـ «الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز»، عبد العظيم بدوي ـ دار ابن رجب.

٢١٨ ـ «لا تحزن»، عائض القرني ـ مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

٢١٩ ـ «مجلة الأزهر».

٢٢٠ ـ «مجلة البيان»، المنتدى الإسلامي.

٢٢١ ـ «مجلة التوحيد».

الفهرس

الموضـــوع | صفحة

إهـــداء ٣
المقـدمـة ٥
* أمَّا قَبل!! ١١
* حقيقة الحُبّ ١٧
* توحيد الله بالمحبة الذاتية ٢٣
* المحبوب لغيره النافع ٢٥
* المحبوب لغيره الضار ٢٦
* محبة الرسول ﷺ ٢٧
* الصحابة وأروع أمثلة الحُب ٣٠
- صدق محبة الرجل الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٣١
- موقف سيدة النساء أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ٣٢
- موقف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في الهجرة ٣٣
- موقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في غزوة أحد ٣٥
- موقف أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ودفاعه عن الرسول عليه السلام ٣٥
- امرأة لا نعرف اسمها ولكن التاريخ يذكرها ٣٦
- موقف جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حفر الخندق ٣٧
- صلح الحديبية ومظاهر الحُبّ الخالدة ٣٨
- موقف عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه مع أبيه أُبي بن سلول ٣٩
- موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع أبيها أبي سُفيان رضي الله عنه ٤٠
* أنواع المحبة ٤٢
* درجات الحُبّ ٤٤

الموضـــوع | صفحة

* مظاهر الحُبِّ ٤٧
* المحبة والشوق والعَلاقة بينهما ٥٠
* العشق وحي الشيطان للإنسان ٥٢
- فساد لفظة العشق مع الله ورسوله ﷺ ٥٣
* جزاء المحبين في الدنيا والآخرة ٥٥
- نِعمَ المحبةُ محبة الله العباد ٥٩
* الأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد ٦١
* حُبُّ النساء وموقف الإسلام منه ٧٠
- الحُبُّ في صدر الإسلام ٧٣
* نعمة الزواج ٨٠
* الزواج والسعادة ٨٣
* الترغيب في الزواج والنهي عن التبتل ٨٨
* أوهام واعتقادات خاطئة ٩٥
* فوائد الزواج - ثلاثون فائدة -: ٩٨
١ - الفوز بمحبة الله - تعالى - ٩٩
٢ - الفوز باتباع النبي ﷺ ١٠١
٣ - الزواج كمال الدين للعبد ١٠٢
٤ - الزواج جنَّة في الأرض ١٠٢
٥ - الزواج سبب للغنى وزيادة الرزق ١٠٣
٦ - الزواج تأليف للقلوب وتجميع للأمة ١٠٤
٧ - الزواج سكينة للقلب وأنس ومواساة ١٠٥
٨ - الزواج عفةٌ ووقار وتلبيه للرغبات ١٠٨
٩ - الزواج زيادة في الحسنات ومغفرة للسيئات ١١١
١٠ - الزواج كثرة وزيادة للمؤمنين ١١٣

الموضوع | صفحة

١١ ـ الزواج كنز ينفع صاحبه بعد الموت ١١٦
١٢ ـ الزواج علو للهمة وسمو بالمروء ١١٨
١٣ ـ الزواج صلاح للأمة والمجتمع ١١٩
١٤ ـ الزواج وما فيه من الشهادة ١٢٠
١٥ ـ الزواج سِتر للرجل والمرأة ١٢١
١٦ ـ الزواج تهذيب للأخلاق ١٢٥
١٧ ـ الزواج قرة للعين وسعادة للقلب ١٢٧
١٨ ـ الزواج إعانة على مشقات الحياة ١٣٠
١٩ ـ الزواج ميراث للرعاية الربانية ١٣٣
٢٠ ـ الزواج يحافظ على النسب ويرفع الحسب ١٣٤
٢١ ـ الزواج راحة للنفس وشعور بالذات ١٣٧
٢٢ ـ الزواج عزة للنفس ونضارة للوجه ١٣٨
٢٣ ـ الزواج والذكر الحسن ١٣٩
٢٤ ـ الزواج وتحقيق الواجبات ١٤٠
٢٥ ـ الزواج علاج للهموم والأحزان ١٤١
٢٦ ـ الزواج دواء للأنانية وحب الذات ١٤٢
٢٧ ـ الزواج حرية بلا حرج ١٤٣
٢٨ ـ الزواج وتحصيل العلم ١٤٤
٢٩ ـ الزواج في الدنيا تأهيل لزواج الآخرة ١٤٥
٣٠ ـ الزواج اختيار الله للعبد فَلِمَ التردد؟! ١٤٦
* أضرار التبتل: ١٤٩
١ ـ مخالفة الفطرة السليمة ١٤٩
٢ ـ مخالفة الشرع وعمل النبي ﷺ ١٥١
٣ ـ التبتل يؤدي إلى ذهاب العفاف ويفسد الأخلاق ١٥٣

الموضـــوع | صفحة

٤ ـ التبتل يضعف قوة المسلمين ويقلل عددهم ١٥٤
٥ ـ التبتل من تلبيس إبليس على الناس ١٥٥
٦ ـ التبتل يضيع الكثير من الأجر والثواب ١٥٧
٧ ـ التبتل يُسبب الذل والفقر ١٥٨
٨ ـ التبتل ليس دأب المؤمنين والصالحين ١٥٨
٩ ـ التبتل حبل من حبائل الشيطان ١٦٠
١٠ ـ التبتل فناء مبكر للإنسان ١٦٠
* لماذا نتزوج؟! ١٦١
ـ متى نتزوج؟ ١٦٤
ـ حلول سهلة للحصول على الشقة والسكن ١٦٦
* حسن الاختيار طريق الاستقرار ١٧١
* كيف تختار الزوجة الصالحة؟ ١٧٣
• أسس اختيار الزوجة الصالحة ١٧٣
اولاً ـ صلاح الدين والخلق ١٧٣
ثانيًا ـ أن تكون ولودًا ودودًا ١٧٩
ثالثًا ـ يُفضل أن تكون بكرًا ١٨٢
رابعًا ـ أن تكون الزوجة مناسبة للطباع والبيئات ١٨٣
• كيف تختارين الزوج الصالح؟ ١٨٤
• حرية المرأة في اختيار الزوج وحكم ذلك ١٨٤
• عرض الرجل ابنته على الصالحين ١٩٠
• عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ـ بضوابط شرعية ١٩٣
• من الذي تختاره المرأة زوجًا لها ـ صفات الزوج الصالح ١٩٦
• أحكام الخِطبة في الإسلام ١٩٨
اولاً ـ معنى الخِطبة ١٩٨

الموضـــوع | صفحة

ثانيًا ـ حكمة مشروعية الخِطبة ١٩٩
ثالثًا ـ من التي تُباح خِطبتُها؟ ١٩٩
رابعًا ـ حرمة خِطبة الرجل على خِطبة أخيه ٢٠٠
خامسًا ـ حكم النظر إلى المخطوبة وشروطه ٢٠١
سادسًا ـ مقدار ما يباح النظر إليه ٢٠٣
سابعًا ـ تحريم الخلوة بالمخطوبة ٢٠٦
ثامنًا ـ الاستخارة قبل كل شيء ٢٠٧
تاسعًا ـ آثار العدول عن الخِطبة ٢٠٨
عاشرًا ـ دبلة الخطوبة وبدعيتها ٢٠٩
* دعوة إلى تيسير الزواج ٢١٠
ـ صور عملية لتيسير الزواج على المسلمين ٢١٤
ـ امرأة مهرها الإسلام ٢١٦
ـ وامرأة مهرها تعليمها القرآن ٢١٨
* عاقبة مغالاة المهور وتعسير الزواج ٢١٩
* حقيقة المهر ٢٢٥
* أغرب من الخيال. سيد التابعين وابنته وتلميذه!! ٢٢٩
* آداب الزفاف والبناء في الإسلام ٢٣٥
ـ إعلان الزفاف بالدُّف والغناء المباح ٢٣٨
ـ التجميل والتزين للعروسين بالشروط الشرعية ٢٤١
ـ جمال الرجل وزينته لا يكون بحلق اللحية ٢٤٤
ـ وجوب الوليمة ٢٤٥
ـ وجوب إجابة الدعوة لمن دُعِيَ إليها ٢٤٦
ـ ما يُستحب لمن حضر الوليمة ٢٤٨
ـ استحباب الهدية للعروسين ٢٤٩

الموضـــوع | صفحة

* قبل أن تقطف الثمرة!! ٢٥١
أولاً ـ ملاطفة الزوجة ومداعبتها ٢٥٣
ثانيًا ـ الدُّعاء ووضع اليد على جبهتها ٢٥٥
ثالثًا ـ صلاة ركعتين قبل اللقاء ٢٥٦
رابعًا ـ التسمية عند الجماع ٢٥٧
* حتى تكون السعادة: ٢٦٠
ـ فن المداعبة والملاعبة بين الزوجين وأهمية ذلك ٢٦٠
* كيف...؟ ٢٦٤
ـ استمرار المداعبة بعد الجماع ٢٦٦
* ما يجوز بين الزوجين ٢٦٨
أولاً ـ جواز التجرد عند الجماع ٢٦٨
ثانيًا ـ حرية الوضع الجسدي أثناء الجماع ٢٧١
ثالثًا ـ جواز القُبلة بلا نقضٍ للوضوء ولا إفطار للصائم ٢٧٤
رابعًا ـ جواز النوم بعد الجماع بلا غُسل واستحباب الوضوء ٢٧٥
خامسًا ـ جواز العزل بضوابط شرعية ٢٧٦
* الوصايا الذهبية ٢٧٨
ـ وصايا الأهل للنساء ٢٧٩
ـ الوصايا العشر هدية لكل زوجة ٢٨١
ـ وللرجال نصيب من الوصية ٢٨٣
* ليس من الإسلام ٢٨٦
ـ جلوس العروسين في المنصة «الكوشة» ٢٨٧
ـ الذَّهاب إلى «الكوافير» والزينة المخالفة ٢٩٠
ـ الغناء المحرم والرقص والموسيقى ٢٩٣
ـ لبس دبلة الخطوبة والتقاليد غير الإسلامية ٢٩٥

الموضــوع صفحة

- فضُّ غشاء البكارة بالإصبع والعادات الجاهلية ٢٩٧
- تحريم جماع المرأة في الدُّبر وهذا من الكبائر ٢٩٨
- علة تحريم الوطء في الدُّبر ٣٠٠
- تحريم إتيان الحائض ٣٠٢
- أضرار جماع الحائض ٣٠٣
- حكم من أتى الحائض ٣٠٤
- ما يجوز أثناء الحيض ٣٠٧
- تحريم نشر أسرار الجماع بين الزوجين ٣٠٩
- تحريم هجر المرأة لفراش زوجها ٣١١
- الفهم الخاطيء في عدم خروج الزوج لمدة أسبوع وعدم صلاته في المسجد ٣١٢
- بدعة شهر العسل ٣١٣
- مخالفات ليست من الرجولة ٣١٣

* الزواج حقوق وواجبات وآداب: ٣١٥

* الحقوق المشتركة بين الزوجين: ٣١٧

١ ـ غض الطرف عن الهفوات والأخطاء ٣١٧

٢ ـ المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان ٣٢٠

٣ ـ التعاون على البر والتقوى ونصح كل منهما للآخر ٣٢١

٤ ـ حفظ السر ٣٢٢

٥ ـ المبيت في الفراش ووجوب الإعفاف ٣٢٣

٦ ـ تزين الزوجين ٣٢٤

* حقوق الزوج على زوجته: ٣٢٦

١ ـ معرفة مكانة الزوجة وقدره بالنسبة للزوجة ٣٢٧

٢ ـ الطاعة وحسن المعاشرة بالمعروف ٣٢٩

٣ ـ أن لا تهجر فراش زوجها ٣٣٣

الموضـــوع | صفحة

٤ ـ أن لا تصوم نفلاً إلا بإذنه ٣٣٥
٥ ـ حفظ عرضه وشرفه ٣٣٦
٦ ـ حفظ ماله وحسن التصرف فيه ٣٣٨
٧ ـ أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه ٣٤٠
٨ ـ أن لا تخرج من البيت إلا بإذنه ٣٤٢
٩ ـ خدمة الزوج ورعاية البيت ٣٤٤
١٠ ـ أن تتزين للزوج ٣٤٧
١١ ـ أن لا تطالبه بما لا يستطيع وأن تتحلى بالقناعة ٣٤٩
١٢ ـ أن تُحسن تربية الأولاد ٣٥٢
١٣ ـ أن تحفظ شعوره وكرامته ٣٥٥
١٤ ـ أن تشكر له وتعترف بفضله ٣٥٨
١٥ ـ أن تُحسن معاملة والديه وأهله ٣٥٩
١٦ ـ أن توقره وتكفَّ الأذى عنه ٣٦١
١٧ ـ أن يليَ تأديبها إذا نشزت ٣٦٢
ـ مراتب التأديب: ٣٦٣
أولاً ـ الوعظ والإرشاد بلا هجر ولا ضرب ٣٦٣
ثانيًا ـ هجر المضطجع وكيفية ذلك ٣٦٣
ثالثًا ـ الضرب غير المبرح ٣٦٥
١٨ ـ أن تحرص عليه وتحافظ على الحياة معه ٣٦٧
١٩ ـ المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان ٣٦٨
٢٠ ـ الوفاء للزوج ٣٦٩
• ومن تمام حقه عليها: ٣٧٣
ـ أن تتجنب الغيرة المذمومة ٣٧٣
ـ أن تكتم سرَّه وسرَّ بيته ٣٧٣

الموضـــوع	صفحة

- أن لا تمنَّ عليه ٣٧٤
- أن تكرم ضيوفه ٣٧٤
- أن لا تحوجه إليها ٣٧٤
* القول الجامع في آداب المرأة ٣٧٤
* حقوق الزوجة في الإسلام: ٣٧٦
١ ـ حرية المرأة في اختيار زوجها ٣٧٧
٢ ـ المهر والصداق ٣٧٨
٣ ـ النفقة على الزوجة وأولادها ٣٨١
- فضل النفقة على الزوجة والأولاد ٣٨٣
- إثم من قصر في النفقة ٣٨٤
٤ ـ حسن الخلق والمعاشرة بالمعروف ٣٨٦
٥ ـ الصبر على أذاها والعفو عنها ٣٨٩
٦ ـ أن يصونها ويحفظها ٣٩١
٧ ـ أن يعلمها دينها ٣٩٢
٨ ـ أن يأمرها بإقامة الدين ٣٩٤
٩ ـ أن يأذن لها في الخروج للمساجد وزيارة أهلها بضوابط شرعية ٣٩٦
١٠ ـ أن يحفظ هيبتها وكرامتها ٣٩٧
١١ ـ أن لا يفشي سرها ٣٩٨
١٢ ـ أن لا تطول غيبته خارج البيت ٣٩٩
١٣ ـ أن يستشيرها ويحترم رأيها ٤٠٠
١٤ ـ أن يعدل بينها وبين ضرتها ٤٠١
١٥ ـ أن يتزين لها ٤٠٢
١٦ ـ المداعبة والملاطفة ٤٠٣
١٧ ـ إعفافها وتلبية رغباتها المشروعة ٤٠٥

الموضوع | صفحة

١٨ ـ أن يغار عليها ٤٠٧
١٩ ـ الوفاء لها ٤٠٨
٢٠ ـ أن لا يحوجها إليه ٤٠٩
* مع النبي ﷺ وأزواجه ٤١٠
* نساء أهل الجنَّة ٤١٨
ـ وصف القرآن للحور العين ٤١٩
ـ وصف السنة للحور العين ٤٢٦
ـ قالوا عن الحور العين ٤٢٨
ـ وصف ابن القيم للحور العين في النونية ٤٢٩
* وللرجال في الجنَّة نصيب من الحسن والجمال ٤٣٨
* الضعيف والموضوع في النكاح «مائة حديث لا تصح في باب النكاح» ٤٤٠
* الخاتمة والتوصيات ٤٧٠
* فهرس المراجع والمصادر ٤٧٣
* فهرس الموضوعات ٤٨٣

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

فتاوى العلماء حول العلاقة بين الزوجين

لأصحاب الفضيلة العلماء

سماحة الشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ

فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز

فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين

فضيلة الشيخ / عبد الله بن جبرين

فضيلة الشيخ / صالح بن عبد الله الفوزان

واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القمة
الإسكندرية

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

هذه هي زوجتي

بقلم
عصام محمد الشريف
رحمه الله

تقديم فضيلة الشيخ
أبو بكر جابر الجزائري
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الهمة

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

متعة العروس والزواج السعيد

تأليف الأستاذ

نافع توفيق محمود

المحامي

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
٥٤٥١١٦٩ ت : [illegible]

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٢٦٩

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

وعاشروهن بالمعروف

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية [illegible]

دار العقيدة

لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات

[illegible]

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر

شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥١٢٠٦٢١ / ٠٠٢٠٢

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ت: ٥٤١١٩١٠ - ٠٢ - ٥٢٢٢٠٠٢

دار القمة

E-mail:

100935 / 25 SR

COL # 0

Dar AL-Eman

Printing, Publishin

0 001986 501406